

ثالث

ملك المشركين والسيّد الجاهل

والمؤمنين الثيّب والقبير الثيّب

تأليف

الإمام أبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد

ابن الضيّب المكيّ الحنفيّ

وكتوفي سنة ٨٥٤ هجرية

تحقيق

علّام إبراهيم الأزهرّي الحنّ نصر الأزهريّ

منشورات

محرّك بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب

العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة

أو إعادة تضخيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة

كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات

ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

© Copyright

All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٢٤ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١ ٠٠)

صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohitory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60,21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11-9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستعديه ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

[سورة آل عمران : الآية ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ .

[سورة النساء : الآية ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ .

[سورة الأحزاب : الآية ٧٠ ، ٧١]

أما بعد ...

فإن المتأمل في أحوال هذا الخلق ، يلحظ بعين بصيرته وبصره ربوبية الله تعالى ووحدانيته ، وكمال حكمته وعلمه وقدرته ، وأنه الله الذى لا إله إلا هو ، فلا شريك له يخلق كخلق ، ويختار كاختياره ، ويدبر كتدبيره ، فهذا الاختيار والتدبير ، والتخصيص المشهود أثره فى هذا الكون الواسع من أعظم آيات ربوبيته ، وأكبر شواهد وحدانيته ، وصفات كماله ، وصدق رسله ، فمن ذلك اختياره - سبحانه وتعالى - من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها ، وهى البلد الحرام ، والمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

خصائص البيت الحرام وفضائله :

فإن الله تعالى اختارهما لنبيه ﷺ ، واصطفى البلد الحرام بأن جعله مناسك لعباده ، وأوجب الإتيان إليه من القرب والبعد من كل فج عميق ، فلا يدخلونه إلا متواضعين متخشعين متذللين ، كاشفى رؤوسهم ، متجردين عن لباس الدنيا ، وجعله حرماً آمناً ، لا يسفك فيه دم ، ولا تعضد به شجرة ، ولا ينفر له صيد ، ولا يختلى خلاه ، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس إلا ، وجعل قصده مكفراً لما سلف من الذنوب ، ماحياً للأوزار ، حاطاً للخطايا ، كما فى «الصحيحين» : عن أبى هريرة قال : قال رسول الله

ﷺ : «من أتى هذا البيت ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه»^(١) . ولم يرض لقاصده من الثواب دون الجنة ، ففي السنن عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة»^(٢) . وفي معناه ما جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(٣) . ليس ذلك فحسب ، بل أقسم الله تعالى به في كتابه العزيز في موضعين منه ، فقال تعالى : ﴿وهذا البلد الأمين﴾^(٤) . وقال تعالى : ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾^(٥) . ومعنى القسم به في الموضعين التنويه بشأنه ، والإبانة عن شرفه ؛ لما أنه مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ، ومولد سيد المرسلين ، ومبعث خاتم النبيين ، فليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها والطواف بالبيت الذي فيها غيرها ، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه ، وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود ، واستلام الركن اليماني ، وثبت عن النبي ﷺ أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، فعن عبد الله بن الزبير عن النبي ﷺ أنه قال : «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة»^(٦) . وثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة مضاعفة الصلاة في المسجد الحرام على مسجد المدينة مطلقاً ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف

(١) أخرجه البخاري : كتاب الحج - باب فضل الحج المبرور - ح (١٥٢١ - فتح) ، ومسلم : كتاب

الحج - باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ح (١٣٥٠) واللفظ لمسلم .

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٨٧/١) ، والترمذي : كتاب الحج - باب ما جاء في ثواب الحج

والعمرة - ح (٨١٠) ، والنسائي : كتاب الحج - باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة (١١٥/٥) .

(٣) أخرجه البخاري : كتاب العمرة - باب وجوب العمرة - ح (١٧٧٣ - فتح) ، ومسلم : كتاب

الحج - باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ح (١٣٤٩) .

(٤) سورة التين : الآية (٣) .

(٥) سورة البلد : الآية (١) .

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٥/٤) بسند صحيح كما قال ابن القيم في زاد المعاد (٤٨/١) ، وابن حبان

في صحيحه ح (١٦٢٠ - إحصان) .

صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام»^(٧) . وهذا صريح فى أن المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض على الإطلاق ، وسيأتى قريباً إيضاح ذلك ، ولذلك كان شد الرحال إليه فرضاً ، ولغيره مما يستحب ولا يجب .

ومن خصائصها : كونها قبلة لأهل الأرض كلهم ، فليس على وجه الأرض قبلة غيرها ، وأنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة فى الصحراء دون سائر بقاع الأرض .

ومن خواصها : أيضاً أن المسجد الحرام أول مسجد وضع فى الأرض ، كما فى «الصحيحين» عن أبى ذر قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض ؟ فقال : «المسجد الحرام» . قلت : ثم أى ؟ قال : «المسجد الأقصى» . قلت : كم بينهما ؟ قال : «أربعون عاماً»^(٨) . فإن الذى أسس المسجد الأقصى هو يعقوب بن إسحاق ، وكان بينه وبين بناء إبراهيم - عليه السلام - هذا المقدار . والله أعلم .

ومما يدل على تفضيلها أن الله تعالى أخبر أنها أم القرى ، فالقرى كلها تبع لها وفرع عليها ، وهى أصل القرى ، فيجب ألا يكون لها فى القرى عدل . ومن خصائصها : أنها لا يجوز دخولها لغير أصحاب الحوائج المتكررة إلا بإحرام ، على أحد القولين للشافعى وأحمد .

ومن خواصها : أنه يعاقب فيه على الهم بالسيئات وإن لم يفعلها ، قال تعالى : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾^(٩) . فتأمل كيف عدى فعل الإرادة ها هنا بالباء ، ولا يقال : أردت بكذا إلا لما ضُمِّن معنى فعل «هم» ، فإنه يقال : هممت بكذا ، فتوعد من هم بأن يظلم فيه بأن يذيقه العذاب الأليم .

ومنها : تضاعف مقادير السيئات فيه ، لا كمياتها ، فإن السيئة جزاؤها سيئة ، لكن سيئة كبيرة ، وجزاؤها مثلها ، وصغيرة جزاؤها مثلها ، فالسيئة فى حرم الله تعالى وبلده وعلى بساطه أكد وأعظم منها فى طرف من أطراف الأرض ، ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه فى الموضع البعيد من داره وبساطه . والله أعلم .

(٧) أخرجه البخارى : فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ح (١١٩٠ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب فضل الصلاة بمسجدى مكة والمدينة ح (١٣٩٤) .

(٨) أخرجه البخارى : كتاب أحاديث الأنبياء ح (٣٣٦٦ - فتح) ، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح (٥٢٠) .

(٩) سورة الحج : الآية (٢٥) .

ومنها : حرمة القتال فيه ، فقد نهى النبي ﷺ أصحابه عن قتال أحد ، إلا أن يبدأ أناس المسلمين بالقتال ، وإلا ستة أفراد أمر رسول الله ﷺ بقتلهم أينما وجدوا .
فأما المشركون والملحدون فلا يتصور أن يقع قتالهم فيه ، فقد ثبت شرعاً أنه لا يجوز تمكين أحد يدين بغير الإسلام من الاستيطان بمكة باتفاق الأئمة ، بل ومن مجرد الدخول إليها عند الشافعية وكثير من المجتهدين ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾^(١٠) .

وأما البغاة - وهم من يعلنون البغى على الإمام الصالح - فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنهم يقاتلون على بغيتهم إذا لم يمكن ردهم عن بغيتهم إلا بالقتال ؛ لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى التي لا يجوز إضاعته ، فحفظها أولى في الحرم من إضاعته ، وصوبه النووي .

وأما إقامة الحدود : فقد ذهب مالك والشافعي إلى أن الحدود تقام في الحرم المكي ؛ لما رواه البخاري ومسلم من قول عمرو بن سعيد قال : إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فاراً بدم ولا فاراً بخربة^(١١) . وذهب أبو حنيفة وهو رواية عن أحمد إلى أنه آمن مادام في الحرم ، ولكن يضيق عليه ويضطر إلى الخروج منه ، حتى إذا خرج استوفى منه الحد أو القصاص ، ودليله في ذلك عموم النهي عن القتال فيه . والله أعلم .
خصائص المدينة وفضائلها :

لقد كرم الله تعالى المدينة وحبها وشرفها بكثير من الخصائص والفضائل التي ليست لغيرها ، فمن أعظم ما شرفها الله تعالى به أن جعلها مهجراً لنبيه ﷺ وكهفاً لأوليائه وعباده الصالحين ، ومعقلاً وحصناً منيعاً للمسلمين ، ودار هدى للعالمين ، فهي دار الإيمان وملجأه فثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الإيمان يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»^(١٢) . وفي «الصحيحين» أيضاً عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «أمرت بقريّة تأكل القرى ، يقولون يثرب ، وهي

(١٠) سورة التوبة : الآية (٢٨) .

(١١) أخرجه البخاري : كتاب العلم - باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ح (١٠٤ - فتح) ، ومسلم :

كتاب الحج - باب تحريم مكة وصيدها وخلوها ... ح (١٣٥٤) .

(١٢) أخرجه البخاري : كتاب فضائل المدينة - باب الإيمان يأرز إلى المدينة ح (١٨٧٦ - فتح) ،

ومسلم : كتاب الإيمان - باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً .. ح (١٤٧) .

المدينة ، تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد»^(١٣). مما جعل الإمام مالك وجمهور أصحابه يذهب إلى تفضيل المدينة مستدلين بهذه الأحاديث ، وبما رواه الحاكم وغيره عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إلى فأسكني أحب البلاد إليك» فأسكنه الله المدينة^(١٤) قال الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية» : وهذا حديث غريب جداً ، والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة ، إلا المكان الذى ضم جسد رسول الله ﷺ . اهـ. وقال ابن عبد البر : لا يختلف أهل العلم فى نكارتة ووضعه ، وسئل عنه الإمام مالك رحمه الله فقال لا يحل لأحد أن ينسب الكذب الباطل إلى رسول الله ﷺ . اهـ. وقال الطبرى : وعلى تقدير صحته فلا دلالة فيه ؛ لأن قوله : «فأسكني فى أحب البلاد» . يدل سياقه فى العرف على أن المراد به بعد مكة ، فإن الإنسان لا يسأل ما أخرج منه ، فإنه قال : أخرجتني فأسكني ، فدل على إرادة غير المخرج منه فتكون مكة مسكوتاً عنها . اهـ. وأما الحديث الذى فيه المدينة خير من مكة ، لا يرد ؛ لأنه ضعيف . بل قيل : موضوع^(١٥) ، وقد استدلل الجمهور بأدلة كثيرة على تفضيل مكة ، وأشهرها ما رواه أحمد عن عبد الله بن الحمرأ أنه سمع النبى ﷺ وهو واقف بالخرزرة فى سوق مكة يقول : «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى» ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت» . وسيأتى تخريجه عند الكلام على أهمية دراسة تاريخ مكة والمدينة .

ومن فضائلها : ما ورد فى فضل المسجد النبوى الشريف ، من كونه المسجد الذى أسس على التقوى ، وما ثبت فى «الصحيحين» عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس»^(١٦) . ، وثبت فى «الصحيحين» كذلك مضاعفة الصلاة فيه^(١٧) . ومن فضائلها

(١٣) أخرجه البخارى : كتاب فضائل المدينة - باب فضل المدينة وأنها تنفى الناس - ح (١٨٧١) - فتح ، ومسلم : كتاب الحج - باب المدينة تنفى شرارها - ح (١٣٨٢) .

(١٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک (٣/٣) قال الذهبى : لكنه موضوع فقد ثبت أن أحب البلاد إلى الله مكة ، وسعد ليس بثقة . اهـ .

(١٥) قاله فى الجامع اللطيف (ص ١٥٤) .

(١٦) أخرجه البخارى : كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ح (١١٨٩) - فتح ، ومسلم :

كتاب الحج - باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ح (١٣٩٧) .

(١٧) قد تقدم تخريجه فى خصائص مكة وفضائلها .

كذلك : ما ثبت في «الصحيحين» عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما بمكة من البركة»^(١٨). ودعوته ﷺ مستجابة بلا شك ، ومنها : ما ثبت في «الصحيحين» عن عائشة -رضى الله عنها- قالت قال رسول الله ﷺ «اللهم حبيب إلينا المدينة كما حبيت مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا فى صاعها ومدها ، وحول حماها إلى الجحفة»^(١٩). ومنها : شدة محبته ﷺ للمدينة فقد ثبت فى البخارى عن أنس بن مالك كان النبى ﷺ إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته ، وإن كانت دابة حركها قال أبو عبد الله البخارى : زاد الحارث بن عمير عن حميد حركها من حبها^(٢٠). ومنها : وجود الروضة الشريفة فى مسجده ﷺ فقد ثبت فى «الصحيحين» عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى»^(٢١).

ومن الفضائل التى جمعت فى مكة والمدينة غير ما سبق

ما ثبت فى «الصحيحين» عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «على أنقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»^(٢٢). وفيهما عن أنس عن النبى ﷺ قال : «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فيخرج الله كل كافر ومنافق»^(٢٣). وفضائل مكة والمدينة كثيرة ، وفيما ذكرناه كفاية ، وسيأتى فى

(١٨) أخرجه البخارى : كتاب فضائل المدينة ح (١٨٨٥ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب فضل المدينة ... ح (١٣٦٩) .

(١٩) أخرجه البخارى : كتاب فضائل المدينة ح (١٨٨٩ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب الترغيب فى سكنى المدينة ، والصبر على لأوائها ح (١٣٧٦) .

(٢٠) أخرجه البخارى : كتاب العمرة - باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة ح (١٨٠٢ - فتح) .

(٢١) أخرجه البخارى : كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة - باب فضل ما بين القبر والمنبر ح (١١٩٦ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ح (١٣٩١) .

(٢٢) أخرجه البخارى : كتاب فضائل المدينة - باب لا يدخل الدجال المدينة ح (١٨٨٠ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها ح (١٣٧٩) .

(٢٣) أخرجه البخارى : كتاب فضائل المدينة - باب لا يدخل الدجال المدينة ح (١٨٨١ - فتح) ، ومسلم : كتاب الفتن وأشراف الساعة - باب قصة الجساسة - ح (٢٩٤٣) .

كلام المصنف بعضها . وبالله التوفيق .

أهمية دراسة تاريخ مكة والمدينة :

لما أظهر الله تعالى سر هذا التفضيل والاختصاص ، لبلده الحرام ومهجر رسول الإسلام ، فى انجذاب الأفئدة ، وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهما ، فعن عبد الله بن عدى بن الحمراء ، أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته بالخزورة^(٢٤) من مكة يقول : «والله إنك خير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت»^(٢٥). فمحة ما أحب رسول الله ﷺ من الإيمان ، ليس ذلك فحسب بل كم أنفق فى جبهما من الأموال والأرواح ، ورضى المحب بمفارقة فلذ الأكباد والأهل والأحباب والأوطان ، مقدماً بين يديه أنواع المخاوف والمتالف ، والمعاطف والمشاق مستصغراً ذلك أمام تحصيل محبوبه .

فلما كان لهما هذه المكانة العالية ، فقد لزم على أهل الإيمان معرفة تاريخهما وما مر بهما من أمور عظام قبل مجيء الإسلام ؛ ليرى حفظ الله تعالى لهما ، وما حباهما من رعاية ، فإن لذلك عظيم الأثر فى قلوب المؤمنين ، زيادة فى محبتهم وتوقيرهم ، وسيمر بك إن شاء الله تعالى ما يؤيد ذلك من كلام المصنف ، وما سرده من أحداث .

وأما معرفة تاريخهما بعد مجيء الإسلام ، فهو أمر لا يخفى على ذى لب أهمية ، فهما مهبط الوحي على النبي ﷺ وفيهما عاش أشرف الخلق بعد النبيين - عليهم الصلاة والسلام - وقد صنف أهل العلم مصنفات كثيرة فى تاريخهما ، فمنهم من أفرد تاريخ مكة وأخبارها فى تصنيف مستقل مثل :

- ١ - أخبار مكة للأزرقي ت نحو ٢٥٠ هـ .
- ٢ - تاريخ مكة لعمر بن شبة ت ٢٦٢ هـ .
- ٣ - أخبار مكة للفاكهى ت ٢٧٢ هـ .
- ٤ - القرى فى أخبار أم القرى للمحب الطبرى ت ٦٩٤ هـ .
- ٥ - العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين للفاسى ت ٨٣٢ هـ .
- ٦ - شفاء الغرام للفاسى ت ٨٣٢ هـ .

(٢٤) الخزورة : موضع بمكة .

(٢٥) أخرجه أحمد فى المسند (٣٠٥/٤) ، والترمذى : كتاب المناقب - باب فضل مكة ح

(٣٩٢٥) ، وابن ماجه : كتاب المناسك - باب فضل مكة - ح (٣١٠٨) وقال الترمذى :

حسن غريب صحيح ، وفى التحفة (٣١٦/٥) قوله : حسن صحيح .

- ٧ - إتحاف الرورى بأخبار أم القرى لابن فهد ت ٨٨٥ هـ .
٨ - الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف لابن ظهيرة القرشى ت ٩٨٦ هـ .

ومنهم من أفرد تاريخ المدينة وأخبارها فى تصنيف مستقل مثل :

- ١ - الدرة الثمينة فى أخبار المدينة لابن النجار ت ٦٤٣ هـ .
٢ - تاريخ المدينة لعمر بن شبه ت ٢٦٢ هـ .
٣ - التعريف بما آتست الهجرة محمد بن أحمد المطرى ت ٧٤١ هـ .
٤ - تحقيق النصرة فى تلخيص معالم دار الهجرة للمراعى ت ٨١٦ هـ .
٥ - التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة للسخاوى ت ٩٠٢ هـ .
٦ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودى ت ٩١١ هـ .
ومنهم من جمع بين تاريخ مكة وأخبارها وتاريخ المدينة وأخبارها فى تصنيف واحد،
كأمثال الإمام العلامة قاضى مكة ومفتيها بهاء الدين أبى البقاء محمد بن أحمد بن عمر بن
يوسف القرشى العمري المكي الحنفى ، المعروف بابن الضياء المتوفى سنة أربع وخمسين
وثمانمائة من الهجرة «٨٥٤ هـ .» . فى كتابه : «تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام
والمدينة المنورة والقبر الشريف» .
أهمية الكتاب :

يعد هذا الكتاب شاملاً لكثير من الأحداث والوقائع التاريخية التى وقعت قبل
الإسلام وبعده لبلد الله الحرام والمدينة النبوية ، بالإضافة إلى اهتمام المصنف بذكر معالم
الحرمين وحدودهما وأهم المواضع والمزارات بهما ، مع تأخر وفاة المصنف - رحمه الله -
مما أمكنه من الاطلاع على كثير من المصنفات التى سبقته فجمع شتات ما تفرق فيها من
أقوال ونقول ، ورتبه ونسقه على طريقة لم يسبق إليها ، كما ستراه واضحاً فى كلامه -
رحمه الله - .

منهج المصنف فى كتابه :

قسم المصنف - رحمه الله - كتابه إلى باين :

الباب الأول : فى تاريخ مكة المشرفة وما يتعلق بالكعبة الشريفة والمسجد الحرام وغير ذلك
على سبيل الاختصار .

وقد قسم المصنف هذا الباب إلى عدة عناوين ، قد رأينا أنه من الأمثل تصديرها
بلفظ [فصل] وهى مرتبة كالآتى :

- ذكر ما كانت الكعبة عليه فوق الماء قبل خلق السموات والأرض .
- ذكر بناء الملائكة الكعبة قبل آدم ومبتدأ الطواف .
- ذكر هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض وبنائه الكعبة .
- ما جاء فى رفع البيت المعمور من الغرق وبناء ولد آدم البيت بعده .
- ما جاء فى إسكان إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه فى بدء أمره عند البيت .
- ما جاء فى نزول جرهم مع أم إسماعيل الحرم .
- ما جاء فى بناء إبراهيم الكعبة .
- ما جاء فى حج إبراهيم وطوافه وأذانه فى الحج .
- ذكر ولاية بنى إسماعيل الكعبة من بعده وأمر جرهم .
- ذكر ولاية خزاعة الكعبة بعد جرهم وأمر مكة .
- ما جاء فى ولاية قصى بن كلاب البيت الحرام .
- ما جاء فى عبادة بنى إسماعيل الحجارة .
- ما جاء فى أول من نصب الأصنام فى الكعبة والاستقسام بالأزلام .
- ما جاء فى أول من نصب الأصنام وما كان من كسرها .
- مسيرة تبع إلى مكة .
- مبتدأ حديث الفيل .
- ذكر الفيل حين ساقته الحبشة .
- ذكر بناء قريش الكعبة فى الجاهلية .
- ذكر الوقت الذى كانوا يفتحون فيه الكعبة وأول من خلع النعل عند دخولها .
- ذكر بناء ابن الزبير الكعبة وما زاد فيها وما نقص منها الحاج .
- ذكر الجب الذى كان فى الكعبة وما لها الذى كان فيه .
- ذكر من كسا الكعبة فى الجاهلية .
- ذكر من كساها فى الإسلام وطيبها وخدمها .
- ما جاء فى تجريد الكعبة .
- ما جاء فى أسماء الكعبة وألا يبنى بيت يشرف عليها .
- ذكر أول من استصبح حول الكعبة وفى المسجد الحرام .
- ذكر ذرع الكعبة من داخل وخارج .
- ذكر ما يدور بالحجر الأسود من الفضة .

- ما جاء فى مقام إبراهيم عليه السلام .
- ما جاء فى موضع المقام وكيف رده عمر إلى موضعه .
- ما جاء فى الذهب الذى على المقام ومن جعله عليه .
- ذكر ذرع المقام .
- ما جاء فى إخراج جبريل زمزم لأم إسماعيل .
- ما جاء فى حفر عبد المطلب بن هاشم زمزم .
- ذكر علاج زمزم فى الإسلام .
- ذكر فضل زمزم وخواصها .
- ذكر ذرع بئر زمزم .
- ذكر سقاية العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه .
- ذكر ذرع حد المسجد الحرام وما يتعلق بالنوم والوضوء .
- ذكر ما كان عليه المسجد الحرام وسعته وعمارته .
- ذكر عمل عمر بن الخطاب وعثمان رضى الله عنهما .
- ذكر بنيان ابن الزبير وعبد الملك بن مروان .
- ذكر عمارة الوليد بن عبد الملك .
- ذكر زيادة المهدي الأولى .
- ذكر زيادة المهدي الثانية .
- ذكر ذرع المسجد الحرام .
- ذكر عدد أساطين المسجد الحرام التى بالرواقات .
- ذكر عدد أبواب المسجد وأسمائها وصفتها .
- ذكر منارات المسجد الحرام .
- ذكر درج الصفا والمروة .
- ذكر آيات البيت الحرام زاده الله تشريقاً وتعظيماً .
- ذكر الأماكن المباركة بمكة المشرفة وحرمها .
- ذكر السقايات بمكة المشرفة وحرمها .
- ذكر البرك بمكة وحرمها .
- ذكر الأبار بمكة وحرمها .
- ذكر عيون مكة وحرمها .

- ذكر المطاهر التي تمكنت بمكة المشرفة .
- الباب الثانى : فى تاريخ المدينة وما يتعلق بالمسجد الشريف النبوى والحجرة المقدسة والمنبر الشريف وزيارة النبى ﷺ ومزارات المدينة والجوار بها وآداب الرجوع .
- وقسمه إلى عدة فصول وهى :
- فى أول ساكنى المدينة وسكنى اليهود الحجاز ثم نزول الأوس والخزرج .
- فى ذكر فتح المدينة وهجرة النبى ﷺ وأصحابه إليها .
- فى ما جاء فى حرمة المدينة وغبارها وثمرها ودعائه ﷺ لها بالبركة .
- فى أودية المدينة الشريفة وآبارها المنسوبة إلى النبى ﷺ .
- فى ذكر جلاء بنى النضير من المدينة وحفر الخندق وقتل بنى قريظة بالمدينة .
- فى ذكر ابتداء بناء مسجد رسول الله ﷺ وما زيد فيه أو نقص منه .
- المساجد التى صلى فيها النبى ﷺ المعروفة بالمدينة وغيرها .
- فى ذكر وفاة رسول الله ﷺ وفيه ذكر وفاة أبى بكر ووفاة عمر .
- فى حكم زيارة رسول الله ﷺ وفضلها وكيفيتها .
- وفى أثناء الكتاب يحيل المصنف إلى ما ذكره من فضائل الحرمين فى غير هذا الكتاب .

أهم الكتب التى اعتمد عليها المصنف :

اعتمد فى تاريخ مكة على : أخبار مكة للأزرقي ، وأخبار مكة للفاكهى ، والروض الأنف للسيهلى ، والقرى للمحب الطبرى ، وتفسير ابن عطية ، وتفسير القرطبى والتذكرة له . واعتمد فى تاريخ المدينة على : الدرة الثمينة لابن النجار ، وتاريخ المدينة جمال الدين المطرى وغير ذلك من الكتب وستألفها فى موضعها .

توثيق الكتاب :

اقتصر من ترجم للمصنف على ذكر بعض مؤلفاته ولم يستوعبوا ذكرها ، وذكر السخاوى فى «الضوء اللامع» أن المقرئ ذكر له مؤلفات ، ولم يذكرها السخاوى فى كتابه المذكور ولا فى «التبر المسبوك» ، ولم نقف على اسم كتابنا هذا ضمن ما عُد من مؤلفات ابن الضياء ، ونص عليه الأستاذ الزركلى وأحال على فهرست الكتبخانة (٦٧/٣) ، ومجلة النهل للدهلوى (٢٩٧/٧) ، وبروكلمان S.2.222 ، وفى هامش بروكلمان (٣٢٩/٦) كتابه فى أحوال مكة والمدينة مخطوط بالقاهرة ، تاريخ (١٥٧٠)

ولكنه ليس فى الكتالوج ١. هـ. وهى نفس النسخة ، ولله الحمد . أضيف إلى ذلك تصريح المصنف باسم الكتاب فى مقدمته .

وصف النسخة :

اعتمدنا على النسخة المصورة من دار الكتب المصرية برقم (١٥٧٠ - تاريخ) ، وهى نفس النسخة الموجودة بمعهد المخطوطات تحت رقم (١٢٨ - تاريخ) ، وهى بخط مشرقى جيد ، منقوطة فى أكثرها ، وفى مواضع منها كلمات غير واضحة ، وفى بعضها طمس ، وقد تم استدراكها بحمد الله تعالى .

عدد الأوراق : ١٩٠ ورقة .

عدد الأسطر : ٢٣ سطرًا .

مقاس الصفحة ٩ X ١٦,٥ سم تقريبًا .

نوع الخط : نسخى .

تاريخ النسخ : سنة ٩٢٤ هـ .

اسم الناسخ : أحمد بن عدى بن أبى الليث الحنفى .

تاريخ النقل : سنة ١٠٣٠ هـ .

اسم الناقل : على بن عاشور البرلسى الإدكاوى .

عملنا فى الكتاب :

١ - تم نسخ المخطوطة ، ومقابلتها على الأصل .

٢ - قمنا بعمل مقدمة فى خصائص مكة والمدينة وفضلهما .

٣ - قمنا بعمل ترجمة مفصلة عن المصنف - رحمه الله - .

٤ - تم ضبط النص حسب القواعد الإملائية .

٥ - حاولنا ضبط النص من خلال الرجوع إلى المصنفات التى ذكرها المصنف

وغيرها مما لم يذكره .

٦ - أثبتنا كلام المصنف كما هو ، ونبهنا على وجه الصواب فى الهامش .

٧ - قمنا بوضع معكوفتين [] لما يحتاجه النص من استدراك ، ونبهنا على ذلك فى

الهامش .

٨ - قمنا بوضع معكوفتين [] لما وجد زائدًا أو مكررًا فى المخطوطة ، والسياق يتم

بدونه ، ونبهنا على ذلك فى الهامش .

٩ - قمنا بتخريج الآيات القرآنية .

- ١٠ - قمنا بتخريج الأحاديث النبوية ، وبيان درجة بعض الأحاديث بالرجوع إلى أقوال أهل العلم بقدر الاستطاعة .
- ١١ - شرحنا بعض الكلمات الغريبة .
- ١٢ - عرفنا ببعض البلدان والأماكن .
- ١٣ - قمنا بوضع كلمة [فصل] بين معكوفتين لكل عنوان ذكره المصنف في تاريخ مكة ، وقد ذكرها المصنف في تاريخ المدينة .
- ١٤ - أعددنا فهرس علمية تفيد القارئ .
- ونسأل الله تعالى أن يتقبل عملنا هذا ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به مؤلفه ومحققاه وكل من نظر فيه .. آمين . والحمد لله رب العالمين .

المحققان

القاهرة - حدائق القبة

٣ / رجب / ١٤١٧ هـ .

١٣ / ١١ / ١٩٩٦ م .

ترجمة المصنف

اسمه ونسبه :

هو بهاء الدين ، أبو البقاء ، محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن علي بن إسماعيل المعروف بابن الضياء كآبيه ، القرشي العمري المكي الحنفى .

ولادته:

ولد فى ليلة تاسع المحرم سنة تسع وثمانين وسبعمائة من الهجرة (٧٨٩ هـ .) فى مكة المكرمة ، وهو صاغانى الأصل .

نشأته :

نشأ فى مكة المكرمة ، وتلقى العلم على علمائها ، فحفظ القرآن فى صغره ، وحفظ متروناً ، وتلا القرآن بقراءة أبى عمرو على الشمس الحلبى ، ثم جمع السبع وقرأ بها على محمد الصعيدى ، وأخذ الفقه على أبيه بمكة .

أسرته :

بالنظر فى ترجمة المصنف يعلم أنه نشأ فى أسرة تحب العلم ، وتشجع عليه ، فقد كان والده -رحمه الله- من فقهاء الحنفية مهتما بالعلم محبا له ، فقد وُلِد له أربعة من الأبناء كلهم علماء أعلام ، منهم المصنف .

وأخوه محمد الرضى أبو حامد ، الذى ولد فى أواخر رمضان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة من الهجرة (٧٩١ هـ) وقيل فى التى قبلها ، له من التصانيف ، شرح الكنز وصل فيه إلى الظهار فى نحو مجلدين ، وجمع مجاميع وأشياء مهمة ، وحدث ودرس وأفتى ، وولى القضاء بعد موت المصنف ، وناب عن والده ثم عن المصنف ، يقول السخاوى عنه كما فى الضوء اللامع (٨٦/٢) : وكان إماماً علامة مشاركاً فى فنون ، حسن الكتابة والتقييد ، عظيم الرغبة فى المطالعة والانتقاء . ١ هـ . مات بمكة فى رجب سنة ثمان وخمسين وثمانمائة من الهجرة (٨٥٨ هـ .) رحمه الله .

وأخوه محمد الجمال أبو الوفاء بن الضياء الحنفى ، ولد فى ربيع الثانى سنة ست وتسعين وسبعمائة من الهجرة (٧٩٦ هـ .) وكان قاضياً وإماماً وخطيباً بسولة بوادى نخلة ، ومات فى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وثمانمائة من الهجرة (٨٤٤ هـ .) بخيف بنى عمير من أعمال مكة ، ودفن بالمعلاة - رحمه الله - .

محمد الضياء الكمال أبو البركات بن الضياء ، سمع النشاوري فمن بعده ، ومن الجمال الأميوطي صحيح مسلم في سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، وحفظ المختار والكافية في النحو وغيرهما ، وأجاز له العراقي والهيثمي وابن حاتم وابن عرفة وغيرهم ، وناب القضاء عن أبيه ثم عن أخيه ، ونزل له أبوه عن تدريس يلبغا ومشیخة رباط السدرة ، ونصف تدريس الزنجيلي وغيرها ، مات بمكة في ليلة خامس المحرم سنة ثلاثين بضيق النفس بعد حكم حكمه نهائياً - رحمه الله - .

رحلاته :

لم يكتف المصنف بتعلم العلم داخل بلده ، بل دفعه حب العلم إلى مفارقة أسرته ، فقد رحل غير مرة إلى القاهرة ، وسمع على العديد من علمائها منهم الشرف بن الكويك ، والجمال الحنبلي ، والشمسين الزرأتيتي والشامي ، والحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب الفتح وآخرون .

شيوخه :

وفي مقدمتهم أبوه فقد أخذ عنه الفقه والأصول والمعاني والبيان وأصول الدين وغير ذلك قراءة وبحثاً ، والجمال الأميوطي ، والمحجب أحمد بن أبي الفضل النويري ، وعلى ابن أحمد النويري ، وابن صديق ، والشمس بن سكر ، والزين المراغي ومن أجاز له : أبو هريرة بن الذهبي ، وأبو الخير بن العلائي ، ورسلان الذهبي ، والبلقيني ، وابن الملتن ، والعراقي ، والهيثمي ، وابن قوام ، والتتوخي ، وابن أبي الجحد ، وطائفة . ومن أخذ عنه بحثاً :

١ - والده - رحمه الله - وقرأ عليه الجميع عوداً على بدء ، والده أخذ عنه النظام أبي الفتوح مسعود ويقال بزغش بن البرهان إبراهيم بن الشرف محمد الكرمانى إجازة عن مؤلفه المظفر أحمد بن علي بن تغلب بن الساعاتي .

٢ - قارئ الهداية في القاهرة .

٣ - الشمس المعيد وأخذ عنه النحو بمكة المكرمة .

٤ - العز بن جماعة وأخذ عنه الأصول والمعاني والبيان في القاهرة .

٥ - النجم السكاكيني وأخذ عنه كذلك الأصول والمعاني والبيان .

٦ - الشمس بن الضياء السنامي وأخذ عنه الأصول .

٧ - الشهاب أحمد الغزي الشامي وأخذ عنه مختصر ابن الحاجب في الأصول .

٨ - الشمس البرماوي وأخذ عنه جميع ألفيته في الأصول مع غالب شرحها .

وقد تقدم معنا الذى قرأ عليهم أثناء رحلاته إلى القاهرة .

الآخذون عنه :

فقد أخذ عنه الأئمة كالحويى عبد القادر المالكى ، والسخاوى وأجاز له .

المناصب التى تولاها :

ناب فى القضاء بمكة عن أبيه ، ثم استقل بالقضاء بعد وفاة والده - رحمه الله -
ثم أضيف إليه نظر الحرم والحسبة .

يقول ابن فهد فى إتحاف الورى (٦٠٩/٣) فى أحداث سنة سبع وعشرين وثمانمائة
من الهجرة (٧٢٨ هـ) - : وفيها ولى القاضى أبو البقاء بن الضياء الحنفى نظر الحرم
الشريف والحسبة بمكة ، والنظر على المطهرة الزيتية بركة عوضاً عن أبى الفضل النويرى ،
وعلى رباط كلاله عوضاً عن عبد القادر الحنبلى ، وكلاهما بحكم وفاته . اهـ . ثم انفصل
عنهما خاصة .

ثناء العلماء عليه :

يقول السخاوى : تقدم وضرب فى العلوم بنصيب وافر . ويقول أيضاً : وكان
إماماً علامة متقدماً فى الفقه والأصلين والعربية ، مشاركاً فى فنون ، حسن الكتابة
والتقييد ، عظيم الرغبة فى المطالعة والانتقاء . وقال أيضاً : بلغنى عن أبى الخير بن
عبد القوى أنه قال : أعرفه أزيد من خمسين سنة ، وما دخلت إليه قط إلا ووجدته يطالع
أو يكتب ، حدث ودرس وأفتى وصنف .

وقال ابن أبى عذينة : قاضى مكة المشرفة وعالم تلك البلاد ومفتيها على مذهبه مع
الجودة والخير والخبرة بدنياه ، سافر وطوف البلاد ، ومع ذلك لم تفته وقفة بعرفة منذ احتلم
إلى أن مات ، ودخل بيت المقدس مرتين . اهـ . وذكره المقرئ فى عقود وأثنى على
سيرته .

وقال السيوطى فى «نظم العقيان» : تفرد بالشيخوخة فى مذهبه ببلاد الحجاز .

مؤلفات أبى البقاء :

فى التفسير : له كتاب سماه «المتدارك على المدارك» وصل فيه إلى آخر سورة هود ،
ونقل أن والده - رحمه الله - أكمله . والله أعلم .

وفى الحديث : له «النكت على الصحيح» .

وفى الفقه : ١ - له شرح على مجمع البحرين سماه «المشرع فى شرح المجمع» فى أربع مجلدات، وفى البدر الطالع «المسرع» بالسین المهملة ، والأول هو الصحيح ، وذكره كذلك فى «كشف الظنون» .

٢ - «البحر العميق فى مناسك حج البيت العتيق» فى مجلدين كبيرين وفى الربع الأخير منه ، بعض حوادث مكة والكعبة والمسجد الحرام .

٣ - «تنزيه المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام» فى مجلد .

٤ - شرح الوافى شرحين مطول ومختصر .

٥ - وشرح مقدمة الغزنوى فى العبادات ، وسماه «الضيء المعنوى» فى مجلدين .

وقال السخاوى فى «التبر المسبوك» : واسمه «الأدب المعنوى شرح مقدمة الغزنوى» .

أصول الفقه : شرح أصول البزدوى ، ولم يكمله ووصل فيه إلى القياس .

التاريخ : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف وهو كتابنا هذا .

وفاته :

ذكرت المصادر أن أبا البقاء توفى فى ذى القعدة سنة أربع وخمسين وثمانمائة من الهجرة (٨٥٤ هـ) . عن عمر قدره خمس وستون سنة - رحمه الله - وعفا عنه وإيانا .

مصادر الترجمة :

١ - الضوء اللامع للسخاوى (٨٤/٧) .

٢ - التبر المسبوك للسخاوى (ص ٣٣٤) .

٣ - نظم العقيان للسيوطى (ص ١٣٧) .

٤ - البدر الطالع للشوكانى (١٢٠/٢) .

٥ - الأعلام للزركلى (٣٣٢/٥) .

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقنى
وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين

وبعد ..

فهذا جزء مشتمل على ما يتعلق بأحوال مكة المشرفة والمسجد الحرام ،
والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، وغير ذلك مما يتعلق بالمقصود.
جمعه الفقير إلى الله تعالى ، الشيخ الإمام العلامة ، حجة الإسلام
والمسلمين، مفتى الأنعام ببلد الله الأمين ، مرجع الطلاب والمدرسين ، قاضى
القضاة ، شيخ الإسلام ، أبو البقاء محمد بهاء الدين بن الضياء المكي الحنفى
القرشى العمرى العدوى ، جمعاً مرتباً على بابين لم يسبق إليه ولا سير غيره عليه ؛
رجاءً للثواب من الملك الوهاب ، والله المنعم وإليه المآب.

قال رحمه الله :

الباب الأول

فى تاريخ مكة المشرفة

وما يتعلق بالكعبة الشريفة والمسجد الحرام

وغير ذلك على سبيل الاختصار

[فصل]

ذكر ما كانت الكعبة عليه فوق الماء قبل خلق السموات والأرض

اعلم أن الله تعالى خلق العالم في ستة أيام ، ابتداءها يوم الأحد والاثنين ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾^(١) . وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، والماء والشجر يوم الأربعاء ، والسماء يوم الخميس ، والشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم يوم الجمعة ، ولذلك سمي يوم الجمعة ؛ لأنه جمع فيه خلق كل شيء^(٢) قاله الشعبي حكاه الشهرستاني في «أعلام النبوة» له ، وقال محمد بن عبد الله الكسائي في «بدء الدنيا» له : أول ما خلق الله تعالى اللوح ثم القلم ثم الماء . قال : وكل شيء لا يفتز عن تسبيحه في وقت / [١/١] عن وقت إلا الماء ، وتسبيحه : اضطرابه . وقيل : إنه بدأ بخلق السموات قبل الأرض يوم الأحد والاثنين ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾^(٣) وقيل : خلق السماء دخاناً قبل الأرض ، وفتقها سبعا بعد الأرض ؛ لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾^(٤) . قيل : إن ظهور الطاعة منهما قام مقام قولهما . وقيل : إنه تعالى خلق فيهما كلاماً نطق بذلك ، فنطق من الأرض موضع الكعبة ، ونطق من السماء ما بجياها ، فوضع الله تعالى فيها حرمه ، قاله أبو نصر السكسكي^(٥) . وفي هذا إشارة إلى اتصال حرمة البيت المعمور علوياً بحرمة البيت الحرام سفلياً ، وسيأتي الكلام عليه . وقيل : خلق الله الأشياء من يوم الأحد إلى

(١) سورة فصلت : الآية (٩) .

(٢) ورد نحو هذا اللفظ مرفوعاً من حديث ابن عباس ، انظر تفسير الطبري (٩٤/٢٥) ، وتاريخ الطبري (٥٠/١) ، وأورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث المرفوع وقال عقبه : هذا الحديث فيه غرابة . اهـ . انظر تفسير ابن كثير (٩٤/١) . وقال الطبري في تاريخه (٤٥ / ١) : وأولى القولين (يعني ابتداء الخلق يوم الأحد أو يوم السبت) في ذلك عندي بالصواب قول من قال : اليوم الذي ابتداء الله - تعالى ذكره - فيه خلق السموات والأرض يوم الأحد ؛ لإجماع السلف من أهل العلم على ذلك . اهـ . وقال في (٥٤/١) : والصواب من القول في ذلك عندنا ما روينا عن النبي ﷺ وذكر الحديث عن ابن عباس مختصراً ، وقال في (٥٥/١) : والخير الأول (يعني : خبر ابن عباس) أصح مخرجاً وأولى بالحق ؛ لأنه قول أكثر السلف . اهـ .

(٣) سورة فصلت : الآية (١٢) .

(٤) سورة فصلت : الآية (١١) .

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره (٣٤٤/١٥) ، وابن كثير في التفسير (٩٣/٤) .

يوم الخميس ، وخلق فى يوم الخميس ثلاثة أشياء : السماوات والملائكة والجنة ، إلى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة ، فخلق فى الساعة الأولى الأوقات ، وفى الثانية الأرزاق ، وفى الثالثة آدم عليه السلام^(١).

قال الثعلبى فى كتابيه «العرائس» ، و«التفسير» - حين ذكر بدء الأرض - : إن الله تعالى خلق جوهره خضراء ، ثم نظر إليها بالهيئة فصارت ماءً ، فخلق الأرض من زبده ، والسما من بخاره ، فأول ما ظهر على وجه الأرض مكة . زاد غيره ثم المدينة ، ثم بيت المقدس ، ثم دحى الأرض منها طبقاً واحداً ، ثم فتقها بعد ذلك وكذلك السماء^(٢) ؛ لقوله تعالى : ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما ﴾^(٣) . ثم حمل الأرض على عاتق ملك ، والملك واقف على ياقوتة خضراء ، والياقوتة على سنام / [١/ب] الثور ، واسمه يونان حكاة الكسائي . والثور على صخرة خضراء ، وهى المذكورة فى سورة لقمان^(٤) والصخرة على النون ، وهو الحوت ، واسمه لوثيا ، وقيل : بهموت . وقيل : بنموت ، والحوت على البحر ، والبحر على الريح ، والريح على القدرة ، وهذا الحوت الذى يأكل أهل الجنة كبده ، وهو المذكور فى سورة ن والقلم^(٥) ، وقيل المراد به : الدواة . فهذا بدء الدنيا^(٦).

وأول من سكن الأرض بعد الجن آدم وذريته إلى زمن نوح عليه السلام ، ثم قسم نوح الأرض بين أولاده : سام وحام ويافت . قيل : إن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ ، اثنا عشر ألفاً للسودان ، وثمانية آلاف للروم ، وثلاثة آلاف لفارس ، وألف للعرب ، وقيل : الدنيا درهم خمسة أسداسه للروم ، وحام

(١) هذا إشارة إلى الحديث المروى عن ابن عباس وقد تقدم الكلام عليه .

(٢) عرائس المجالس (ص ٥ ، ٦) ، والجامع اللطيف (ص ١٨) .

(٣) سورة الأنبياء : الآية (٣٠) .

(٤) فى قوله تعالى : ﴿ يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى

الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ﴾ سورة لقمان : الآية (١٦) .

(٥) فى قوله تعالى : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ سورة القلم : الآية (١) .

(٦) هذه الأقوال وغيرها ذكرها البغوى فى تفسيره (٣٧٤/٤ ، ٣٧٥) ، والناظر فيها يعلم أنها مأخوذة

عن بنى إسرائيل ومن كتبهم وقصصهم ومن افتراءاتهم ، ولا تصح عن أهل الإسلام ، فالأولى ألا يتبعها العلماء وألا يعولوا عليها فى تفاسيرهم إلا لبيئوا ما فيها من الأباطيل والخرافات . والله أعلم .

[أبو]^(١) السردان ، ويافت أبو الروم والترك ويأجوج ، وسام أبو العرب . وقيل : سام أبو العرب وفارس والروم ، وفارس والروم تنسب إلى جدّهم روم بن عيص^(٢) . وقيل : بنو الأصفر ملوك الروم ، والأصفر اسم نتالوس بن روم أول ملوك الروم.

وقال وهب بن منبّه في كتابه «التيجان» : إن إسحاق ولد له يعقوب وعيص ، فيعقوب هو إسرائيل أبو الأسباط ، وهو بالعربي صفوة الله ، وعيص هو الأصفر ، سمى به ؛ لأن النيروز كان عندهم عيداً فحلته جدته سارة بالذهب في ذلك اليوم ، ودخلت به على إخوته ، فقيل له : الأصفر ؛ لصفرة الذهب . وقيل : إنه كان أسمر إلى الصفرة ، وهو موجود في ذريته إلى اليوم^(٣) . وأما العرب فمن ولد إسماعيل ؛ لأن ولد إسماعيل نشأوا من عربي ، وعربيه من تهامة فنسبوا إليها وقال قتادة : الأرض عشرون ألف فرسخ ؛ اثنا عشر ألفاً للسند / [٢/١] والهند ، وثمانية آلاف ليأجوج ومأجوج ، وثلاثة آلاف للروم والعجم ، وألف للعرب . ومعمور الأرض هو جزء من استواء الشمس على وسط كرة الأرض إلى البحر المحيط بالأرض ، وهو المسكون الذي قسمه نوح - عليه السلام - بين أولاده ، فقسّم سام وسط الأرض منه بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون ، وذلك ما بين قاسيون إلى شرقى النيل ، وما بين منخر^(٤) الريح الجنوبي إلى منخر الريح الشمالى ، ولحام قسمه [الريح]^(٥) النيل [إلى]^(٥) وما وراءه إلى منخر الريح الدبور ، وليافت من قاسيون وما وراءه إلى منخر الصّبا . وقيل : إن العجم من وراء البحر مسيرة اثنتى عشرة سنة ، وبلاد الروم مسيرة خمس سنين ، وبلاد منسك عن يمين الدنيا مسيرة خمسة عشر^(٦) سنة ، وبلاد يأجوج مسيرة مائة سنة ، وقيل : الأرض ستة أجزاء خمسة منها ليأجوج ومأجوج وجزء للخلق حكاه

(١) فى الأصل «أبى» والصواب ما أثبتناه .

(٢) فى الحاشية كلمة غير واضحة . والله أعلم .

(٣) هذه الحكايات لعلها من القسم المنقول عن بنى إسرائيل ، أوردها أهل التواريخ فى كتبهم ، لاتصدق ولا تكذب ، بل يتوقف فى صحتها ولا يعول عليها . والله أعلم .

(٤) منخر الريح - مأخوذ من نخرة الريح : أى شدة هبوبها . القاموس المحيط «نخر» .

(٥) كأنه مضروب عليها فى الأصل . والله أعلم

(٦) كذا فى الأصل ، والجادة «خمس عشرة» . والله أعلم .

القرطبي. وقال المنجمون : الأرض أربعة وعشرون قيراطاً العامر منها أربعة قراريط وكسر. وقيل : ما العامر في الخراب إلا كفسطاط في فلاة من الأرض حكاه [ابن] الجوزي^(١) في «درياق القلوب» وقال في كتابه «المدھش»^(٢) : الإقليم الأول : إقليم الهند ، والثاني : إقليم الحجاز ، والثالث : إقليم مصر ، والرابع : إقليم بابل ، والخامس : «إقليم الشام»^(٣) ، والسادس : إقليم بلاد الترك ، والسابع : إقليم بلاد الصين ، «كل إقليم مائة فرسخ»^(٤) ، و«أوسطها»^(٥) إقليم بابل^(٦) وفيه العراق التي هي سرّة الدنيا^(٧). والحجاز هو مكة والمدينة واليمن وتحاليفها وقراها، وسمى حجازاً ؛ لأنه حجز بين السرة ونجد . وقيل : لأنه حجز بين الشام والبادية وقيل : /٢/ب] لأنه حجز بين نجد والعور .

رجعنا إلى ما نحن فيه عن كعب الأحبار قال : كانت الكعبة غشاء على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بأربعين سنة ، ومنها دحيت الأرض^(٨). وعن ابن عباس قال : لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض ، بعث الله ريحاً هفافة فصفت الماء فأبرزت عن خَشْفَةٍ^(٩) . في موضع البيت كأنها قبة ، فدحى الله الأرض من تحتها فمادت ثم مادت فأوتدها بالجبال ، وكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس فلذلك سميت مكة أم القرى^(١٠). وفي رواية : خلق الله موضع البيت قبل أن يخلق الأرض بألفى سنة ، وإن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى^(١١). وأجمع العلماء على أن الكعبة أول بيت وضع للعباد ، واختلفوا هل

(١) في الأصل «الجوزي» ولم يذكر «ابن» والصواب إثباتها . والله أعلم .

(٢) المدھش (ص ٥٧) .

(٣) في المدھش «إقليم الروم والشام» .

(٤) ليست هذه العبارة في المطبوع من المدھش .

(٥) في المطبوع من المدھش : «وأوسط الأقاليم» .

(٦) في المطبوع من المدھش بعد قوله «إقليم بابل» : وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب .

(٧) إلى هنا انتهى كلام ابن الجوزي المنقول من المدھش . والله أعلم .

(٨) راجع أخبار مكة للأزرقي (٣١/١) ، تفسير ابن كثير (١٧٨/١) ، الروض الأنف (٢٢٢/١) .

(٩) قال الخطابي : الخَشْفَةُ واحدة الخَشَف : وهي حجارة تنبت في الأرض نباتاً . وتُروى بالحاء المهملة

وبالعين بدل الفاء . «النهاية» (٣٥/٢) .

(١٠) الجامع اللطيف (ص ١٩) ، وأخبار مكة للأزرقي (٣٢/١) .

(١١) أخبار مكة للأزرقي (٣٢/١) وهي عنده من قول مجاهد .

هو أول بيت وضع لغيرها أم لا^(١) ؟ فقيل : كانت قبله بيوت . وجمهور العلماء على أنه أول بيت وضع مطلقاً .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : «البيت المعمور الذى فى السماء يقال له : الضُّراح ، وهو على البيت الحرام لو سقط سقط عليه يعمره كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط ، وإن فى السماء السابعة حرماً على قدر حرمه»^(٢) . رواه عبد الرزاق وفى رواية « يدخله كل يوم سبعون ألف دحية مع كل دحية سبعون ألف ملك » . والدحية^(٣) : رئيس الجند ، والضراح^(٤) بالضاد المعجمة وهو المشهور ، وقيل بالمهملة مضمومة بعدها راء ثم ألف ثم حاء مهملة ، وقال مجاهد : البيت المعمور - يعنى بالضاد - هو الضريح بالمعجمة ، والضريح فى اللغة البعيد . وعن النبي ﷺ / [٣/أ] قال : « هذا البيت خامس خمسة عشر بيتاً ، سبعة منها فى السماء إلى العرش ، وسبعة منها إلى تخوم الأرض ، وأعلاها الذى يلى العرش البيت المعمور ، لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت ، لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السفلى ، ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض من يعمره ، كما يعمر هذا البيت »^(٥) .

[فصل]

ذكر بناء الملائكة الكعبة قبل آدم ومبتدأ الطواف

عن على بن الحسين - رضى الله عنهما - وقد سئل عن بدء الطواف

(١) تفسير ابن كثير (١ / ١٧٨ ، ٣٨٣) وصحح أنه كانت قبله بيوت ، وقال الحافظ فى الفتح

(٦ / ٤٧٠) : وقد ورد ذلك صريحاً عن على أخرجه إسحاق بن راهويه وابن أبى حاتم وغيرهما

بإسناد صحيح عنه ١ هـ . والبداية والنهاية (١ / ١٨٥) ، وتاريخ الطبرى (١ / ٢٥١) ، وتفسير

الطبرى (٢ / ٧) ، والقرطبى (٤ / ١٣٧) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٢ / ٥٥) .

(٢) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (١١ / ٤١٧) ، وقال فى الجمع (٧ / ١١٤) : رواه الطبرانى

وفيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة وهو متروك . اهـ . والأزرقي (١ / ٤٩) ، وهو عند عبد الرزاق

(٥ / ٢٨) من حديث كريب مولى ابن عباس مرفوعاً . والله أعلم .

(٣) النهاية (٢ / ١٠٧) .

(٤) الضريح : وهو البيت المعمور ، من المضارحة ، وهى المقابلة والمضارعة . ومن رواه بالصاد فقد

صحف النهاية (٣ / ٨١) .

(٥) الأزرقي (١ / ٣٥) ، وعنه فى الدر المنثور (١ / ١٢٨) .

بالبیت : إن الله تعالى قال : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾^(١). قالت الملائكة : أي رب أخليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ، فغضب عليهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤوسهم وأشاروا بالأصابع يتضرعون ويكون إشفاقاً لغضبه ، فطافوا بالعرش ثلاث ساعات . وفي رواية : سبعة أطواف - يسترضون ربهم - فرضى عنهم ، وقال لهم : ابنوا لي في الأرض بيتاً يعوذ به كل من سخطت عليه من خلقي فيطوف حوله كما فعلتم بعرشي فأغفر له كما غفرت لكم فبنوا البيت^(٢). ويروى : أن الله تعالى بعث ملائكة ، فقال : ابنوا لي بيتاً على مثال البيت المعمور وقدره ففعلوا ، وأمر الله أن يطاف به كما يطاف بالبيت المعمور . وإن هذا كان قبل خلق آدم عليه السلام ، وقبل خلق الأرض بألفى عام ، وإن الأرض دحيت من تحتها ، ولذلك سميت مكة أم القرى أي أصل القرى . ويروى : أنه كان قبل هبوط آدم ياقوتة من يواقيت الجنة ، وكان له بابان من زمرد أخضر شرقي وغربي وفيه قناديل من قناديل الجنة .

[فصل]^(٣)

ذكر هبوط [٣/ب] آدم عليه السلام إلى الأرض وبنائه الكعبة وحجه وطوافه بالبيت .

عن ابن عباس قال : لما أهبط آدم إلى الأرض كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض وهو مثل الفلك من رعدته . قال : فطأ الله - عز وجل - منه إلى ستين ذراعاً ، فقال : يا رب مالي لا أسمع أصوات الملائكة ولا حسهم قال : خطيبتك يا آدم ، ولكن اذهب فابن لي بيتاً فطف به ، واذكرني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي . قال : فأقبل آدم يتخطى فطويت له الأرض وصارت كل مفازة يمر بها خطوة ، وقبض له ما كان من مخاض أو بحر فجعل له خطوة - وفي رواية : أن خطوه مسيرة ثلاثة أيام - ولم تقع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عمراً وبركة حتى انتهى إلى مكة فبنى البيت الحرام ، وأن جبريل - عليه السلام - ضرب بجناحه الأرض فأبرز عن أس ثابت في الأرض السفلى فكدفت فيه الملائكة الصخر «ما يطيق»^(٤) الصخرة منها ثلاثون رجلاً ، وبناه من

(١) سورة البقرة : الآية (٣٠) .

(٢) الأزرقي (٣٢/١) مطولاً ، والروض الأنف (٢٢٢/١) مختصراً .

(٣) ذكر الأزرقي هذا الفصل بعينه وأتبعه بفصول تدرج تحته (٣٦/١) .

(٤) كذا في الأصل ، وأشار محقق أخبار مكة للأزرقي إن كلمة «لا» ساقطة في جميع الأصول . اهـ .

خمسة أجبل من : لبنان وطور زَيْتَا وطور سيناء والجودي وحرّاء^(١) حتى استوى على وجه الأرض . وقال ابن عباس : فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم -عليه السلام- حتى بعث الله الطوفان ، وكان غضباً ورجساً فحيث ما انتهى الطوفان ذهب ريح آدم ، ولم يقرب الطوفان أرض السند والهند . قال : فدرس موضع البيت في الطوفان حتى بعث الله تعالى إبراهيم وإسماعيل فرفعا قواعده وأعلامه ، وبنته قريش بعد ذلك . ويروى أنه لما أهبط إلى الأرض بأرض الهند واشتد بكاؤه وحزنه وتاب الله عليه أميراً [٤/أ] بالسير إلى مكة حتى انتهى إليها، فعزّاه الله بخيمة من خيام الجنة ووضعها له موضع الكعبة ، وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة ، فيها ثلاث^(٢) قناديل من ذهب من تبر الجنة ، فيها نور يلتهب من نور الجنة ، ونزل معه الركن ياقوتة بيضاء من ربض الجنة وكان كرسيّاً لآدم -عليه السلام- يجلس عليه ، فلما صار آدم بمكة حرسه الله وحرس له تلك الخيمة بالملائكة ، كانوا يحرسونها ويذودون عنها ساكني الأرض ، وسكانها يومئذ الجن والشياطين ، ولا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شيء من الجنة ؛ لأنه من نظر إلى شيء من الجنة وجبت له ، والأرض يومئذ طاهرة نقية لم تنجس ولم تسفك فيها الدماء ولم يعمل فيها الخطايا ، فلذلك جعلها الله مسكن الملائكة وجعلهم فيها كما كانوا في السماء يسبحون الليل والنهار لا يفترّون ، وكان وقوفهم في أعلام الحرم صفّاً واحداً مستديرين بالحرم كله ، الحل من خلفهم والحرم كله من أمامهم فلا يجوز بهم جنى ولا شيطان ، فمن أجل مقام الملائكة حرم الحرم حتى اليوم ووضعت أعلامه حيث كان مقام الملائكة ، وحرم الله على حواء دخول الحرم والنظر إلى خيمة آدم من أجل خطيئتها فلم تنظر إليها حتى قبضت ، وكان آدم إذا أراد أن يلم بقاء^(٣) للولد خرج من الحرم كله حتى يلقاها، فلم تزل خيمة آدم مكانها حتى قبضه الله ورفعها ، وبنى بنو آدم من بعدها مكانها بيتاً بالطين والحجارة فلم يزل معموراً يعمرونه ومن بعدهم حتى كان زمن نوح فنسفه الغرق وخفى مكانه ، فلما بعث الله إبراهيم طلب الأساس فلما وصل

- يعني أنها كالأصل وليست «ما لا يطيق» . والله أعلم .

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٧٧) ، وفي الروض الأنف (٢٢٣/١) «طور تينا» بدلاً من «طور سيناء» . والله أعلم .

(٢) كذا في الأصل ، وأخبار مكة للأزرقي والجادة ثلاثة . والله أعلم .

(٣) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي «لقاء» . والله أعلم .

إليه / [٤/ب] ظلل الله مكان البيت بغمامة فكانت حفاف البيت الأول ، ولم تنزل راكدة على حفافه تظل إبراهيم وتهديه مكان البيت حتى رفع القواعد قامة ثم انكشفت الغمامة . ويروى^(١) أنه لما أهبطه الله إلى الأرض أهبطه إلى موضع البيت الحرام واشتاق إلى الجنة فأنزل الله عليه الحجر الأسود - وهو ياقوتة من يواقيت الجنة - فأخذه آدم فضمه إليه استئناساً به ، فقليل له : تخطى يا آدم فتخطا فإذا هو بأرض الهند فمكث ما شاء الله ثم استوحش إلى الركن ، فقليل له : احجج فحج فلقيته الملائكة فقالوا: بر حجك يا آدم فقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام .

وذكر الأزرقي^(٢) أن الملائكة لقيته بالمأزمين - وفي رواية بالردم^(٣) ، وفي رواية أخرى في الطواف^(٤) - ويروى : أنه أقام بمكة يعبد الله عند البيت فلم تنزل داره حتى قبضه الله بها^(٥) ويروى : أن الله تعالى أنزل البيت الحرام ياقوتة بجوفة مع آدم فقليل له : إن هذا بيتي أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ، ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعد من حجارة فوضع البيت عليه فلما أغرق الله قوم نوح رفعه إلى السماء وبقيت قواعده^(٦). وعن ابن عباس قال : كان آدم أول من أسس البيت وصلى فيه^(٧). وعنه قال : حج آدم فطاف بالبيت سبعاً فلقيته الملائكة في الطواف ، فقالوا : بر حجك يا آدم أما إنا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفى عام . قال : فما كنتم تقولون في الطواف ؟ قالوا : كنا نقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . قال آدم : فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله . فزادت فيها ذلك ، ثم حج إبراهيم بعد بناءه البيت فلقيته الملائكة في الطواف فسلموا عليه ، فقال لهم إبراهيم : ماذا / [٥/أ] كنتم تقولون في طوافكم ؟ قالوا : كنا نقول قبل أبيك آدم : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . فقال آدم : زيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) ذكر الأزرقي نحوه بسنده عن ابن عباس (٣٩/١) .

(٢) الأزرقي (٤٥/١) .

(٣) الأزرقي (٤٤/١) .

(٤) الأزرقي (٤٥/١) .

(٥) الأزرقي (٣٩/١) عن محمد بن إسحاق .

(٦) الأزرقي (٤٠/١) عن كعب .

(٧) الأزرقي (٤٠/١) .

فقال إبراهيم : زيدوا فيها العلي العظيم ففعلت الملائكة ذلك^(١).

وعن وهب بن منبه قال : إن آدم - عليه السلام - لما أهبط إلى الأرض استوحش لما رأى من شعنها^(٢) ، ولم ير فيها أحدًا غيره ، فقال : يارب أما لأرضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيرى . قال : سأجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لى ، وسأجعل فيها بيتًا ترفع لذكرى ويسبحنى فيها خلقي ، وسأبوءك فيها بيتًا اختاره لنفسى وأختصه بكرامتى وأثره على بيوت الأرض كلها ، باسمى فأسميه بيتى وأنطقه بعظمتى وأحوزه بحرمانى وأجعله أحق بيوت الأرض كلها وأولها بذكرى ، وأضعها^(٣) فى البقعة التى اخترت لنفسى فإننى اخترت مكانه يوم خلقت السماوات والأرض ، وقبل ذلك قد كان بغيتى ، فهو صفوتى من البيوت ولست أسكنه ، وليس ينبغى لى أن أسكن البيوت ولا ينبغى لها أن تسعنى ، ولكنى على كرسى الكبرياء والجبروت وهو الذى يستقل بعرشى وعليه وضعت عظمتى ، ثم هو بعد ذلك ضعيف عنى لولا قوتى ، أجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرماً وأمناً ، أحرم بحرمانه ما فوقه وما تحته وما حوله ، فمن حرمة بحرمانى فقد عظم حرمانى ، ومن أحله فقد أباح حرمانى ، ومن آمن أهله فقد استوجب بذلك أمانى ، ومن أخافهم فقد أخفنى فى ذمتى ، ومن عظم شأنه عظم فى عينى ، ومن تهاون به صغر فى عينى ، ولكل ملك حيازة ما حواله وبطن مكة خيرتى وحيازتى وحيزان / [٥/ب] بيتى ، وعمارها وفدى وأضيافى فى كنفى ضامنون على فى ذمتى وجوارى ، فأجعله أول بيت وضع للناس وأعمره بأهل السماء والأرض ، يأتونه أفواجا شعنا غيرا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، يعجون بالتكبير عجيحا ، ويرجون بالتكبير رجيحا ، وينتحبون بالبكاء نحيبا ، فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارنى ووفد إلى ونزل بى ، ومن نزل بى فحقيق على أن أتخفه بكرامتى ، وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كل واحد منهم بحاجته ، تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره من بعدك الأمم والقرون [و]^(٤) الأنبياء ، أمة بعد أمة وقرن بعد قرن ونبي بعد نبي حتى ينتهى ذلك إلى نبي من ولدك وهو خاتم النبيين فأجعله من عماره وسكانه وحماته

(١) الأزرقى (٤٥/١ ، ٤٦) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الأزرقى « سعتها » . والله أعلم .

(٣) هكذا فى الأصل ، والسياق يقتضى « وأضعه » . والله أعلم .

(٤) ليست فى الأصل ، والسياق يقتضيه . والله أعلم .

وولاته وسقاته يكون أمينى عليه ما كان حيًا ، وأجعل اسم ذلك البيت وذكره وشرفه لنبي من ولدك قبل هذا النبي وهو أبوه يقال له : إبراهيم ، أرفع له قواعد وأقضى على يديه عمارته وأنيط له سقايته ، وأريه حله وحرمة وأعلمه مناسكه ومشاعره وأجعله أمة واحدة قانتًا إلى ، بأمرى أحتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم ، أستجيب له فى ولده وذريته من بعده وأشفعه فيهم فأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته ، وسقاته وخدامه وخزانه وحجابه ، حتى يتدعوا ويغيروا ، فإذا فعلوا ذلك فأنا أقدر القادرين على أن أستبدل من أشياء بمن أشياء ، أجعل إبراهيم أهل ذلك البيت وأهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الإنس والجن يطأون فيها آثاره ويتبعون فيها سنته ويقتدون فيها بهديه ، فمن فعل ذلك / [٦/أ] منهم أوفى نذره واستكمل نسكه ، ومن لم يفعل ضيع نسكه وأخطأ بغيته ، فمن سأل عنى يومئذ فى تلك المواطن أين أنا ؟ فأنا مع الشعث الغير الموفين بنذورهم المستكملين مناسكهم المستهدين إلى ربهم ، وليس هذا الأمر الذى قصصت عليك يا آدم شأنه يزايدنى فى ملكى ولا عظمتى وسلطانى ، إلا كما زادت قطرة من رشاش وقعت فى سبعة أبحر تمدها من بعدها سبعة أبحر لا تحصى بل القطرة أزيد فى البحر من هذا الأمر فى شىء مما عندى من الغنى والسعة الحديث رواه الأزرقى^(١) . ويروى عن عطاء أنه أهبط آدم - عليه السلام - معه بيت وكان يطوف به والمؤمنون من ولده كذلك إلى زمان الغرق ثم رفعه الله فصار فى السماء وهو الذى يدعى البيت المعمور^(٢) ذكره الحليمى فى كتاب «منهاج الدين» له ، وقال : يجوز أن يكون معنى ما قاله قتادة : من أنه أهبط مع آدم بيت . أى : أهبط معه مقدار البيت المعمور طولاً وعرضاً وسمطاً ثم قيل له : ابن بقدره وخیاله^(٣) فكان خیاله^(٣) موضع الكعبة فيها فيه ، وأما الخيمة فقد يجوز أن تكون أنزلت وضربت فى موضع الكعبة فلما أمر ببنائها فيها كانت حول الكعبة ؛ طمأنينة لقلب آدم ما عاش ثم رفعت . فتتفق هذه الأخبار^(٤) . وفى رواية : لما فرغ آدم من بناء البيت خرج به الملك إلى عرفات ، فأراه

(١) (٤٦/١ - ٤٨) وفيه ألفاظ منكورة .

(٢) تفسير القرطبى (١٢١/٢) وذكر أنه روى عن قتادة ، وما ذكره المصنف بعد ذلك يدل على أنه قوله . والله أعلم .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى تفسير القرطبى « وبخیاله » ، و« حiale » . والله أعلم .

(٤) راجع تفسير القرطبى (١٢١/٢) .

المناسك كلها التي يفعلها الناس اليوم ، ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعاً ، ثم رجع إلى أرض الهند .

[فصل]

ما جاء في رفع البيت المعمور من الغرق وبناء ولد آدم البيت بعده وطواف سفينة نوح بالبيت ، وأثر / [٦/ب] الكعبة بين نوح وإبراهيم واختيار إبراهيم عليه السلام موضع البيت .

عن مجاهد قال : بلغني أنه لما خلق الله السماوات والأرض كان أول شيء وضعه فيها البيت الحرام ، وهو يومئذ ياقوتة حمراء لها بابان شرقي وغربي ، فجعله مستقبل البيت المعمور ، فلما كان زمن الغرق رفع في ديباجتين وهو فيهما إلى يوم القيامة ، واستودع الله الركن أبا قبيس^(١). وفي رواية : بعث جبريل حتى خبأه في أبي قبيس ؛ وفي رواية : رفع إلى السماء ؛ وقال ابن عباس : كان ذهباً فرفع زمان الغرق^(٢) ، وقال ابن جريج : كان بمكة البيت المعمور فرفع زمان الغرق فهو في السماء^(٣). ويروى : أن آدم - عليه السلام - قال : أي رب إنني أعرف شقوتي إنني لا أرى شيئاً من نورك بعد ؛ فأنزل الله البيت المعمور على عرض البيت في موضعه من ياقوتة حمراء ، ولكن طوله كما بين السماء والأرض وأمره أن يطوف به ؛ فأذهب الله عنه الغم الذي كان يجد ، ثم رفع على عهد نوح^(٤).

وعن وهب بن منبه قال : لما رفعت الخيمة التي وضعت بمكة في موضع البيت ومات آدم ، بنى بنو آدم من بعده مكانها بنياناً بالطين والحجارة ، فلم يزل معموراً يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح فنسفه الغرق^(٥) ، وفي رواية : أول من بنى البيت بالطين والحجارة شيث - عليه السلام - وعن ابن عباس قال : كان مع نوح - عليه السلام - في السفينة ثمانون رجلاً معهم أهلوههم ، وكانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً ، وأن الله تعالى وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوماً وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه فبعث نوح / [٧/أ]

(١) الأزرقي (٥٠/١ ، ٥١) .

(٢) الأزرقي (٥١/١) .

(٣) في الأزرقي قال ابن جريج قال جوير .. وذكره (٥١/١) .

(٤) الأزرقي عن مقاتل يرفع الحديث (٥١/١) .

(٥) الأزرقي (٥١/١) .

الغراب ؛ ليأتيه بخبر الأرض فذهب ولم يرجع فوق في الجيف وأبطأ عنه ، فبعث بالحمامة فأنت بورق الزيتون ولطخت رجلها بالطين ، فعرف نوح أن الماء قد نضب فهبط إلى أسفل الجودي فابتنى قرية ، فأصبحوا ذات يوم قد تبليت^(١) ألسنتهم على ثمانين لغة ، أحدها العربى وكان لا يفقه بعضهم كلام بعض ، وكان نوح -عليه السلام- يعبر عنهم^(٢).

وعن مجاهد : أنه كان موضع البيت قد خفى ودرس من الغرق بين نوح وإبراهيم -عليهما السلام- قال : فكان موضعه أكمة حمراء مدرة لا يعلمها السيول ، وكان يأتيه المظلوم من أقطار الأرض ويدعو عنده المكروب فقلّ من دعا هنالك إلا استجيب له ، وكان الناس يحجون إلى موضع البيت حتى بوا الله مكانه لإبراهيم^(٣).

وعن عثمان بن ساج قال : بلغنا أن إبراهيم عرج به إلى السماء فنظر إلى الأرض مشارقها ومغاربها فاختار موضع الكعبة ، فقالت له الملائكة : يا خليل الله اخترت جرم الله فى الأرض ، فبناه من حجارة وسبعة أجبل ، وقيل : خمسة ، وكانت الملائكة تأتى بالحجارة إلى إبراهيم من تلك الجبال^(٤).

[فصل]

ما جاء فى إسكان إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه فى بدء أمره عند البيت عن مجاهد : أن الله تعالى لما بوا لإبراهيم مكان البيت خرج إليه من الشام وخرج معه بابنه إسماعيل وأمه هاجر ، وإسماعيل طفل مرضع وحملوا على البراق ومعه جبريل يدلّه على موضع البيت ومعالم الحرم ، وجعل إبراهيم -عليه السلام- لا يمر بقرية من القرى إلا قال إبراهيم : أبهذا أمرت ؟ [٧/ب] فيقول له جبريل : امض حتى قدم مكة ، وهى إذ ذاك عضاه^(٥) من سلم وسمر ، وبها العماليق خارجا عن مكة فيما حولها ، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة ، فقال إبراهيم لجبريل : أها هنا أمرت أن أضعهما ؟ قال : نعم . فعمد بهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه ، وأمر هاجر أم إسماعيل تتخذ فيها عريشا ، ثم قال : ﴿ ربنا إني

(١) تغيرت واختلفت .

(٢) الأزرقى (٥٢/١) .

(٣) الأزرقى (٥٢/١ ، ٥٣) .

(٤) الأزرقى (٥٣/١) .

(٥) يقال لكل شجر عظيم له شوك . النهاية (٢٥٥/٣) .

أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم^(١) الآية . ثم انصرف إلى الشام وتركهما عند البيت^(٢) . قال ابن جريج : وبلغنى أن جبريل قال لأم إسماعيل - فأشار بها إلى موضع البيت - : هذا أول بيت وضع للناس ، وهو بيت الله العتيق ، واعلمى أن إبراهيم وإسماعيل يرفعانه للناس ويعمرانه ، فلا يزال معمورًا محرمًا مكرمًا إلى يوم القيامة ، فأتت^(٣) أم إسماعيل قبل أن يرفعه إبراهيم وإسماعيل ، فدنت فى موضع الحجر^(٤) .

[فصل]

ما جاء فى نزول جرهم مع أم إسماعيل الحرم

يروى أنه لما أخرج الله ماء زمزم لأم إسماعيل - بينما هى على ذلك - مر ركب من جرهم قافلين من الشام فى الطريق السفلى ، فرأى الركب الطير على الماء ، فقال بعضهم : ما كان بهذا الوادى من ماء ولا أنيس ، فأرسلوا جريين^(٥) لهم حتى أتيا أم إسماعيل فكلماها ، ثم رجعا إلى ركبهما فأخبراهم بمكانهما ، فرجع الركب كلهم حتى حيوها فردت عليهم ، فقالوا : لمن هذا [المال]^(٦) ؟ قالت أم إسماعيل : هو لى . قالوا لها : أتأذنين لنا أن ننزل معك عليه ؟ قالت : نعم . قال النبى ﷺ : «ألفى ذلك أم إسماعيل ، وقد أحبت الأنس»^(٧) . فنزلوا وبعثوا إلى أهاليهم فقدموا وسكنوا تحت الدوح ، واعتشوا عليها العُرش فكانت معهم هى وابنها [أ/٨] حتى ترعرع الغلام ونفسوا فيه وأعجبهم ، وتوفيت أم إسماعيل . وطعامهم الصيد يخرجون من الحرم ويخرج معهم إسماعيل فيصيد ، فلما بلغ أنكحوه جارية منهم . فأقبل إبراهيم من الشام يقول : حتى أطلع تركتى ، فقدم كة فوجد امرأة إسماعيل فسألها عنه ، فقالت : هو غائب ولم تكن^(٨) له فى

(١) سورة إبراهيم : الآية (٢٧) ، وسقط من الأصل قوله تعالى : ﴿ ذى ﴾ .

(٢) الأزرقي (٥٤/١) .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « لماتت » وبها يتضح المعنى . والله أعلم .

(٤) الأزرقي (٥٦/١) .

(٥) جريين - مثى جرى - : وهو الرسول . النهاية (٢٦٤/١) ، وراجع الفتحة (٤٦٤/٦) .

(٦) كذا فى الأصل ، وفى الأزرقي « الماء » .

(٧) أخرجه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء باب يزفون النسلان فى المشى ح (٣٣٦٤ - فتح) عن

ابن عباس ، وذكر فيه القصة بنحوها .

(٨) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « تلن » والذى هنا بمعنى : تسر . والله أعلم .

القول ، فقال لها : قولى لإسماعيل : قد جاء بعدك شيخ كذا وكذا ، وهو يقرأ عليك السلام ويقول لك : غير عتبة بيتك فلانى لم أرضها لك . وكان إسماعيل كلما جاء يسأل أهله هل جاءكم أحد بعدى ؟ فلما رجع سأل أهله ، فقالت امرأته : قد جاء بعدك شيخ فنعتته له ، فقال لها إسماعيل : قلت له شيئاً . قالت : لا . قال : فهل قال لك شيئاً . قالت : نعم ، اقرئى عليه السلام وقولى له : غير عتبة بيتك فلانى لم أرضها لك . قال إسماعيل : أنت عتبة بيتى فارجعى إلى أهلِكَ ، فردها لإسماعيل فأنكحوه امرأة أخرى اسمها سامة بنت مهلهل ، وقيل : عاتكة^(١) ثم لبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم رجع إبراهيم فوجد إسماعيل غائباً ووجد امرأته الأخرى ، فوقف فسلم فردت عليه السلام واستنزله وعرضت عليه الطعام والشراب ، فقال : ما شربكم وطعامكم ، قالت : اللحم والماء . فقال : هل من حب أو غيره من الطعام ؟ قالت : لا . قال : بارك الله لكم فى اللحم والماء . قال النبى ﷺ : «لو وجد عندها يومئذ حباً لدعاهم بالبركة فيه ، فكانت تكون أرضاً ذات زرع» . ثم ولى إبراهيم وقال : قولى له : قد جاء بعدك شيخ فقال : إنى وجدت عتبة بيتك / [٨/ب] صالحة فأقرها^(٢) .

[فصل]

ما جاء فى بناء إبراهيم الكعبة

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾^(٣) أى : يبنى القواعد وهى الأساس جمع قاعدة^(٤) . عن ابن عباس قال : لبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم جاء الثالثة فوجد إسماعيل قاعداً تحت الدوحة التى إلى ناحية الست^(٥) يبرى نبلاً له فسلم عليه ونزل عليه فقعده معه ، فقال إبراهيم : يا إسماعيل إن الله قد أمرنى بأمر . فقال إسماعيل : أطع ربك فيما أمرك - ويروى : أنه

(١) كذا فى الروض (١٧/١) .

(٢) الأزرقى (٥٧/١ ، ٥٨) ، والحديث أخرجه البخارى : كتاب أحاديث الأنبياء - باب يزفون النسلان فى المشى ح (٣٣٦٤ ، ٣٣٦٥ - فتح) بنحوه ، ومختصراً فى النسائى الكبرى (١٠٠/٥) ، ومسند الإمام أحمد (٥٣/١ ، ٣٦٠ ، ٣٤٧) ، وراجع تاريخ الطبرى (٢٥٥/١) .

(٣) سورة البقرة : الآية (١٢٧) .

(٤) تفسير ابن كثير (١٧٥/١) ، والبخارى (١٩/٨ - فتح) ، وتفسير القرطبى (١٢٠/٢) ، وتفسير الطبرى (٥٤٦/١) .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرعى « البئر » . والله أعلم .

قال: وتعينني. قال : وأعينك^(١) - فقال إبراهيم : أمرني ربي أن أبني له بيتاً . قال له إسماعيل : وأين هو ؟ فأشار له إلى أكمة مرتفعة على ما حولها عليها رضراض^(٢) من حصاء يأتيها السيل من نواحيها ولا يركبها ، فقاما يحفران عن القواعد ويقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا تقبل منا إنك سميع الدعاء . ويحمل له إسماعيل الحجارة على رقبته ويبنى إبراهيم ، فلما ارتفع البنيان وشق على إبراهيم تناوله قرب له هذا الحجر - يعنى المقام - فكان يقوم عليه ويبنى ويحوله فى نواحي البيت ، حتى انتهى إلى وجه البيت ، فلذلك سمي مقام إبراهيم لقيامه عليه^(٣).

وفى رواية لابن عباس : أنه لما جاء إبراهيم إلى إسماعيل ورآه قام إليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد ، وبكى حتى أبكيا أو أحابتهما الطير^(٤) . وقال مجاهد : أقبل إبراهيم ومعه السكينة والصُّرد والملك من الشام دليلاً ، حتى تبوءا البيت الحرام ، كما تبوأ العنكبوت بيتاً ، وكان للسكينة رأس كرأس الهرة وجناحان . وفى رواية : [أ/٩] كأنها غمامة أو ضبابة فى وسطها كهيئة الرأس يتكلم ، وفى رواية : هى ريح خجوج لها رأس ، وفى رواية : لها رأسان ، وفى رواية : لها وجه يتكلم وهو بعد ريح هفافة ، وفى رواية : لها رأس كرأس الإنسان ، وقيل : السكينة الرحمة^(٥).

قال السهيلي : والسكينة من شأن الصلاة . قال ﷺ : «وأتوها وعليكم السكينة»^(٦)^(٧) . فجعلت علماً على قبلتها حكمة من الله سبحانه . فقالت السكينة : يا إبراهيم ربّض على البيت ، فلذلك لا يطوف بالبيت ملك من هذه

(١) الأزرقى (٦٠/١) ، وتفسير الطبرى (٥٥٠/١) .

(٢) الرُّضْرَض : الحصى ، أو صغارها . القاموس المحيط (رض) .

(٣) تفسير ابن كثير (١٧٧/١) ، وتفسير الطبرى (٥٥٠/١) ، والأزرقى (٥٩،٥٨/١) ، وتاريخ الطبرى (٢٥٩/١) .

(٤) الأزرقى (٦٠/١) ، وتفسير الطبرى (٥٥٠/١) .

(٥) الأزرقى (٦٠ - ٦٦) ، وتاريخ الطبرى (٢٥١/١) ، وتفسير الطبرى (٥٥١/١) .

(٦) أخرجه البغارى : كتاب الأذان - باب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار - ح (٦٣٦ ، ٩٠٨ - فتح) ، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة ح (٦٠٢) عن أبى هريرة مرفوعاً .

(٧) الروض الأنف (٢٢٣/١) .

الملوك ولا أعرابي نافر ولا جبار إلا رأيت عليه السكينة^(١). وفى رواية : قالت السكينة ورأيتها تتكلم يا إبراهيم : خذ قدرى من الأرض لا يزيد ولا ينقص ، فخط فذلك بكة وما حوالها مكة^(٢). وفى رواية : قالت له : يا إبراهيم إن ربك يأمرك أن تخط قدر هذه السحابة ، فجعل ينظر إليها ويأخذ قدرها ، فقال له رأس السكينة : قد فعلت . قال : نعم ، فارتفعت السحابة^(٣) ، وفى رواية : أن الغمامة لم تنزل راكدة تظل إبراهيم وتهديه مكان القواعد حتى رفع القواعد قامة ، ثم انكشفت الغمامة فأبرز عن أس «يانت»^(٤) من الأرض فبناه إبراهيم^(٥) ، وفى رواية : فحفر فأبرز عن ربض أمثال حلف الإبل ، لا يحرك الصخرة إلا ثلاثون رجلاً^(٦) ، وفى رواية : لما بعث الله إبراهيم لبنى البيت ، طلب الأساس الأول الذى وضعه بنو آدم فى موضع الخيمة التى عزى الله بها آدم من خيام الجنة ، حين وضعت له بمكة فى موضع البيت ، فلم يزل إبراهيم يحفر حتى وصل [٩/ب] إلى القواعد التى أسس بنو آدم فى زمانهم فى موضع الخيمة ، فلما وصل إليها ظلل الله له مكان البيت بغمامة ، ولم تنزل راكدة تظل إبراهيم وتهديه مكان القواعد حتى رفع القواعد قامة ، ثم انكشفت الغمامة ، وكان إبراهيم يبنى فى كل يوم سافاً ، ومكة يومئذ شديدة الحر ، وإسماعيل يناوله الحجارة^(٧).

قال ابن عباس : أما والله ما بنياه بقصة ولا مدر ولا كان معهما من الأعوان والأموال ما يسقفانه ، ولكنهما أعلماه وطافا به^(٨) ، وفى رواية : ورضماه رضماً فوق القامة ولم يسقفاه . والرضم^(٩) : أن ينضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط ، فلما ارتفع البنيان قرب إسماعيل لإبراهيم المقام ، فكان

(١) الأزرقى (٦٠/١) ، والربض : الأساس .

(٢) الأزرقى (٦٠/١ ، ٦١) .

(٣) الأزرقى (٦٠/١) .

(٤) تقرأ هكذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « ثابت » وهو الصواب . والله أعلم .

(٥) الأزرقى (٦٠/١) وهى فى هامش النسخة فى (ج) من الأزرقى .

(٦) الأزرقى (٦٠/١) .

(٧) الأزرقى (٦١/١ ، ٦٢) ، والساف : الصف من اللبن أو الحجارة فى البناء .

(٨) الأزرقى (٦٢/١) والقصة : الجص .

(٩) الرزمة : واحدة الرضم والرضم ، وهى دون الهضاب ، وقيل : صخور بعضها على بعض . النهاية

(٢٣١/٢) .

إبراهيم يقيم عليه ويبنى ويحوله إسماعيل فى نواحي البيت .
قال السهيلي : بناء من خمسة أجبل ، كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها ،
وهى : طور سيناء وطور زيتا اللذين بالشام ، والجودى وهو بالجزيرة ولبنان^(١)
وحراء - هكذا ذكر السهيلي أن لبنان بالحرم ، وهما بالحرم - قال : وانتبه
لحكمة الله كيف جعل بناءها من خمسة أجبل ، فشاكل ذلك معناها إذ هى قبلة
للصلوات الخمس وعمود الإسلام وقد بنى على خمسة^(٢) . انتهى . وقيل : إن
قواعده من حراء^(٣) . وفى رواية : أسس البيت من خمسة ، وفى رواية : وكان
ربضه من حراء . قال الخليل : والربض^(٤) ههنا الأساس المستدير بالبيت من
الصخر^(٥) ، ويروى : أن ذا القرنين قدم مكة وهما بينان ، فقال : ما هذا ؟
فقالا : نحن عبدان مأموران أمرنا بالبناء . فقال : فهاتا البينة على ما تدعيان
فقامت خمسة أكباش ، فقلن : نشهد أن إبراهيم / [١٠ /] وإسماعيل عبدان
مأموران بالبناء . فقال : قد رضيت وسلمت ومضى^(٦) . فلما انتهى إبراهيم فى
البناء إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل : اذهب فائتنى بحجر أضعه هنا ؛
ليكون علماً للناس بيتدثون منه الطواف - وفى رواية : ليقتدى الناس به - فذهب
إسماعيل إلى الوادى يطلب حجراً ، فأثاه بحجر فلم يرضه ، فذهب فطلب حجراً
آخر ، فجاء جبريل بالحجر الأسود - وفى رواية : نزل به من الجنة - وفى رواية :
جاء به من أبى قبيس ؛ لأنه كان استودع أبو قبيس الركن زمان الغرق على ما
قيل - وفى رواية : لما غرقت الأرض استودع الله أبا قبيس الحجر الأسود ،
وقال : إذا رأيت خليلي يبنى لى بيتاً فأعطه إياه . فلما ابتغى إبراهيم - عليه
السلام - الحجر الأسود ناداه من أبى قبيس ألا أنا هذا فرقى إليه إبراهيم فأخذه

-
- (١) لبنان - تثنى لبن - وهما جبلان قرب مكة . معجم البلدان « لبن » .
(٢) الروض الأنف (٢٢٣ / ١) ، وراجع تفسير ابن كثير (١ / ١٧٩) فقد ذكر نحوه عن عطاء ، وقال :
وهذا صحيح إلى عطاء ولكن فى بعضه نكاهه ، والذي فى الروض « طور تينا » بدلاً من « طور سيناء »
والذى عند ابن كثير كما هنا . والله أعلم .
(٣) الأزرقى (٦٣ / ١) عن قتادة قال : ذكر لنا ... إلخ .
(٤) الرُّبْض - بضم الراء وسكون الباء - : أساس البناء ، وقيل : وسطه ، وقيل : هو الرُّبْض سواء ،
كسُفْمٍ وسَفْمٍ . النهاية مادة « ربض » .
(٥) انظر قول الخليل هذا فى تفسير القرطبي (٢ / ١٢١) .
(٦) راجع البداية والنهاية (١٥٥ / ١) ونقله عن ابن أبى حاتم .

فوضعه بالموضع الذى هو فيه اليوم- وفى رواية : صاح أبو قبيس يا إبراهيم يا خليل الرحمن إن لك عندى وديعة فخذها ، فإذا هو بحجر أبيض من ياقوت الجنة ، فجاء إسماعيل فوجد إبراهيم قد وضع الحجر فى مكانه ، فقال : يا أبت من أين لك هذا الحجر ؟ قال : جاءنى به مَنْ لم يكلنى إليك ولا إلى حجرى^(١) - وفى رواية : من عند من لم يتكل على بنائى وبنائك - وفى رواية : وضع جبريل الحجر فى مكانه وبنى عليه وهو حينئذ يتلألأ تلالؤاً من شدة بياضه ، فأضاء نوره شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً ، فكان نوره يضىء إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية من نواحي الحرم ، وقيل : إنما شدة سواده ؛ لأنه أصابه الحريق مرة بعد مرة فى الجاهلية والإسلام ؛ فأما حريقه فى الجاهلية فإنه [١٠٠/ب] ذهب امرأة فى زمن قريش تجمر الكعبة ، فطارت شرارة فى أستار الكعبة ، فأحرقت الكعبة فاحترق الركن الأسود واسود وتوهنت الكعبة ، وكان هو الذى هاج قريشاً على هدمها وبنائها . وأما حريقه فى الإسلام ففى عصر ابن الزبير أيام حاصره الحصين بن نمير الكندى ، احترقت الكعبة واحترق الركن فتفلق ثلاث فلق حتى شعبه ابن الزبير بالفضة^(٢) ، وقيل : سواده لمعنى آخر وتقدم فى باب الفضائل . وجعل إبراهيم طول البيت فى السماء تسعة أذرع ، وعرضه فى الأرض اثنين وثلاثين ذراعاً من الركن الأسود إلى الركن الشامى الذى هو عند الحجر من وجهه ، وجعل عرض^(٣) ما بين الركن الشامى إلى الركن الغربى الذى فيه الحجر اثنين وعشرين ذراعاً ، وجعل عرض ظهرها من الركن الغربى إلى الركن اليمانى أحدًا وثلاثين ذراعاً ، وجعل عرض شقها اليمانى من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشرين ذراعاً ، فلذلك سميت الكعبة ؛ لأنها على حلقة الكعب ، وكذلك بنى آدم - عليه السلام - وجعل بابها بالأرض غير مبوب ، حتى كان تبع أسود الحميرى هو الذى جعل لها باباً وغلّقاً فارسياً وكساها كسوة تامة ونحر عندها . وجعل إبراهيم الحجر إلى جنب البيت عربياً^(٤) من أراك يقتحمه الغير فكان زرباً لغنم إسماعيل - عليه السلام - وحفر إبراهيم - عليه السلام - جباً فى بطن الكعبة على يمين

(١) انظر تفسير القرطبي (١٢٢/٢) .

(٢) أورد الأزرقي هذه القصة بنحوها (١/٦٥ ، ٦٦) ، وكذلك ابن أبى حاتم فى التفسير (آل عمران)

الآية : (٩٦) ، وكذلك الطبرى فى التاريخ (٢٥١/١) ، والتفسير (٦٩/٣ ، ٧٠) .

(٣) ملحقة فى هامش الأصل .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي «عريشاً» والمعنى مستقيم . والله أعلم .

مَن دخله يكون خزانة البيت ، يلقي فيه ما يهدى للكعبة ، وهو الجبّ الذى نصب عليه عمرو بن لحي هبل الصنم التى كانت قريش تعبدّه وتستقسم / [١١ / أ] عنده بالأزلام حين جاء به من هيت من أرض الجزيرة^(١) . قال القرطبي فى التفسير فى سورة البقرة : روى أن إبراهيم وإسماعيل لما فرغا من بناء البيت أعطاهما الله الخيل جزاءً عن رفع قواعد البيت . وعن ابن عباس قال : كانت الخيل وحشاً كسائر الوحوش ، فلما أذن لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد قال الله تعالى : إننى معطيكما كنزاً ادخرته لكما ، ثم أوحى إلى إسماعيل أن اخرج إلى أحياد فادع يأتك الكنز ، فخرج إلى أحياد ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز فألهمه فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا أجابته ، فأمكنه من نواصيها وذلها له فاركبوها واعلفوها فإنها ميامين وهى ميراث أبيكم إسماعيل^(٢) . وسمى الفرس فرساً ؛ لأنه يفترس مسافات الجو افتراس الأسد وثوباً ويقطعها بيديه خبطاً وتناولاً ، وسمى خيلاً ؛ لأنها موسومة بالفر ، وسمى عربياً لأنه أعطيه إسماعيل ، وإسماعيل عربى فصارت له نخلة من الله .

قال الثعلبي فى «العرائس» : وكان إبراهيم عبرانياً وإسماعيل عربياً فألهم الله أحدهما لسان صاحبه ، فكان إبراهيم يقول : رب هب لى كينا - يعنى هات حجراً - فيقول له إسماعيل : هناك فخذ^(٣) .

وقال المرجاني فى «بهجة النفوس» : وكان إبراهيم يتكلم بالعبرانية وكذلك إسماعيل وإسحاق ، وذلك أن إبراهيم لما خرج هرب من كوثى^(٤) وخرج من النار عبر الفرات ولسانه سريانى فغير لسانه ، فقليل : عبرانى حيث عبر الفرات فبعث نمرود فى أثره ، وقال : لا تدعوا مَن يتكلم بالسريانية إلا ائتونى به ، فوجدوا إبراهيم يتكلم بالعبرانية فتركوه / [١١ / ب] ولم يعرفوه ، وكان سن إبراهيم - عليه السلام - حين أمر ببناء البيت مائة سنة ، وسن إسماعيل ستة وثلاثين سنة ، وفى رواية ذكرها الأزرقى : إن سن إسماعيل يومئذ عشرون سنة . واعلم أن إبراهيم - عليه السلام - أول نبي بعد نوح ، وأول من لبس

(١) أخبار مكة للأزرقى (٦٤ / ١ ، ٦٥) .

(٢) تفسير القرطبي (١٢٢ / ٢) .

(٣) (ص ٨٨) .

(٤) كوثى - بالضم ثم السكون ، والثاء مثلثة ، وألف مقصورة تكتب بالياء ، لأنها رابعة الاسم ، إلى أن قال : وكوثى فى ثلاثة مواضع بسواد العراق فى أرض بابل وبمكة «معجم البلدان» مادة (كوثى) .

السراويل، وجاريتته قنطورا هى أم الترك ، اختتن بالقدوم^(١) ، وقيل : بالقدوم المعروف ، وقيل: موضع يقال له : القدم بالقدوم ، وكان له يوم اختتن ثمانون سنة^(٢) ، وقيل : مائة وعشرون ، وعاش بعدها ثمانين سنة^(٣) ، وقيل : مات وعمره مائتا سنة^(٤) ، وقيل : مائة وخمسة وتسعون^(٥) سنة ، ودفن عند قبر سارة^(٦) ، واختتن إسماعيل لثلاثة عشر شهراً ، وإسحاق لسبعة أيام ، وكان عمر إبراهيم يوم ألقى فى النار ستة عشر سنة ، وبردت النار تلك الليلة ، وفى ذلك الصباح فى سائر أقطار الأرض فلم ينتفع أحد فى الدنيا بنار ، وسموا تلك الليلة نيروزاً ، والنيروز بالسريانى عيد وكان استدلاله بالكواكب وهو ابن خمسة عشر شهراً ، وأنزل عليه عشرون صحيفة بالخط السريانى .

وأما نوح - عليه السلام - فهو أول رسول أرسله الله إلى الأرض^(٧) حكاه ابن عساکر ، ونزل الطوفان بعد مضى ستمائة سنة من عمره ، وقيل : دعا قومه تسعمائة سنة وخمسين سنة ، وكان له قبل دعائه ثلاثمائة سنة ، وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة ، وقيل : عاش بعد الطوفان خمسمائة عام ، وأرسل الطوفان ثلاث عشرة خلت من آب ، وركب نوح الفلك لعشرين خلون من رجب ، وصام نوح رجب فى السفينة ، وجرت بهم السفينة إلى يوم عاشوراء حكاه

(١) القدم : قيل : هى قرية بالشام ، ويرى بغير ألف ولام ، وقيل القدم - بالتخفيف والتشديد - : قدم النجار «النهاية» مادة (قدم) ، وقال فى الفتح (٤٤٩/٦) : والراجع فى الحديث : الآلة . اهـ . وقال : النووى فى شرح مسلم (١٢٢/١٥) : والأكثرون على التخفيف وعلى إرادة الآلة . اهـ .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ ح (٣٣٥٦ - فتح) . ومسلم : كتاب الفضائل : باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم . ح (٣٣٧٠) من حديث أبى هريرة مرفوعاً .

(٣) أخرجه ابن حبان فى صحيحه (٦٢٠٤ ، ٦٢٠٥ - الإحسان) ، وكذا فى كتاب العقيدة لأبى الشيخ ذكره فى الفتح (٤٥٠/٦) ، وفى تاريخ ابن عساکر موقوفاً على أبى هريرة ، راجع «البداية والنهاية» (١٦٣/١) والأوائل لأبى القاسم الطبرانى (٣٦) .

(٤) هذا على رواية ابن حبان المتقدمة ، وفيها « وعاش بعد ذلك ثمانين سنة » . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى تاريخ الطبرى « مائة وخمسة وسبعون » والله أعلم .

(٦) راجع تاريخ الطبرى (٣١٢/١) .

(٧) الوسائل إلى معرفة الأوائل (١٨) وقال السيوطى : أخرجه ابن أبى حاتم عن أنس مرفوعاً ، وقاله السدى . اهـ .

/ [١٢/أ] عكرمة ، وقيل : أقام على الماء نحو سنة ، وقيل : أربعين يومًا ، وقيل : أربعين سنة قاله وهب في كتاب «التيحان» ، وقيل : أمطر أربعين يومًا وغاض الماء بعد مائة وخمسين يومًا حكاه الشهرستاني ، وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وصامه نوح ومن معه من الوحش ، وقيل : إن يوم القيامة يكون يوم عاشوراء ويوافق يوم الجمعة ، وأرست السفينة على الجودي وهو بأرض الجزيرة شمالاً ويسمى الناظر ، وقيل : هو جبل فردى بقرب الموصل ، وكان خشب السفينة من جبل لبنان ، وعملها نوح بدمشق وأول ما حمل فيها النملة^(١) ، وقيل : الأوزة ، وآخر ما حمل الحمارة^(٢) ، ولم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر ، ومياه البحار بقية الطوفان ، وحمل في السفينة ثمانية أنفس : نوح وزوجته غير التي عوقت ، وبنوه الثلاث وزوجاتهم^(٣) ، وقيل : كانوا سبعة وأسقط امرأة نوح^(٤) . وقيل : كانوا عشرة ، وقيل : سبعين وقيل : ثمانين . وعنه عليه السلام قال : «بقي من خشبها - يعنى السفينة - شيء أذكره أوائل هذه الأمة» . وحمل نوح - عليه السلام - جسد آدم معه في السفينة ، وكان مولد نوح بعد موت آدم بثمانمائة سنة ، ولم يعقب أحد من كان معه بالسفينة وإنما عقب أولاده ، قال تعالى : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾^(٥) . وهم سام وحام ويافث . وبعد الطوفان بستمائة سنة وسبعين ، كان تبليل الألسن فافترقت اثنين وسبعين لسانًا : في ولد سام تسعة عشر ، وفي ولد حام سبعة عشر ، وفي ولد يافث ستة وثلاثون ، وكان سببه وقوع الصرح الذى بناه / [١٢/ب] هامان لفرعون وكان طول الصرح إلى السماء خمسة آلاف ذراع . وقيل : فرسخين ، كان فيه خمسون ألف بناء فتبللت الألسن ومات ألفا ألف . ومولد الخليل إلى تبليل الألسن أربعمائة سنة وإحدى عشرة سنة ، ومن مولده أيضًا إلى مولد موسى أربعمائة وخمس وعشرون سنة ، ومن هبوط آدم إلى مجيء الطوفان - على ما قاله اثنان وسبعون حبرًا من بنى إسرائيل نقلوا التوراة إلى اليونانية - : بينهما ألفان ومائتان واثنان وأربعون سنة ، وإلى وفاة موسى ثلاثة

(١) الدر المنثور (٣ / ٣٣١) ، وتفسير الطبري (١٥ / ٣١٤) ، وتاريخ الطبري (١ / ١٨٤) من حديث ابن عباس موقوفًا .

(٢) تفسير القرطبي (٩ / ٣٧) عن ابن عباس موقوفًا .

(٣) تفسير القرطبي (٩ / ٣٥) وهو قول قتادة والحكم بن عتيبة وابن جريج ومحمد بن كعب .

(٤) تفسير القرطبي (٩ / ٣٥) وهو قول الأعمش .

(٥) سورة الصافات : الآية (٧٧) .

آلاف وثمانمائة وثمانية وستون سنة .

وقال آخرون من بنى إسرائيل المقيمين على العبرانية التى يتداولها جمهور اليهود فى وقتنا : إن من هبوط آدم إلى مجىء الطوفان ألف وستمائة وست وخمسون سنة ، ومن انقضاء الطوفان إلى تبليل الألسن مائة وإحدى وثلاثون سنة ، ومن التبليل إلى مولد الخليل مائة وإحدى وستون سنة ، ومن مولده عليه السلام إلى وفاة موسى خمسمائة وخمس وأربعون سنة ، ومن وفاته عليه السلام إلى ابتداء ملك بختنصر تسعمائة وثمان وسبعون سنة ، [و]^(١) إلى ملك الإسكندر ألف وأربعمائة وثلاث عشرة سنة ، وولد عيسى لسبع مائة وتسع وثلاثين سنة من ملك بختنصر ولثلاثمائة وأربع وستين سنة من ملك الإسكندر ، ومن ملك بختنصر^(٢) إلى ابتداء الهجرة ألف وثلاثمائة وتسع وستون سنة ، ومن ملك بختنصر إلى ابتداء الهجرة تسعمائة وخمس وستون سنة ، فكان بين موسى وابتداء الهجرة ألفان وثلاثمائة وسبع وأربعون سنة ، ومولد عيسى بعد ألف وسبعمائة وسبع عشرة سنة من موت موسى ، وقيل : / [١٣/أ] ستمائة وثلاثين سنة من ابتداء الهجرة .

ويروى الكلبي عن ابن عباس : إن الناس خرجوا من السفينة ببابل ، ثم ضاقت بهم حتى نزلوا موضع بابل اثنا عشر فرسخاً فى مثلها ، وكان سورها عند النيل وبابها يومئذ عند باب وردان ، فملكهم يومئذ نمرود بن كنعان بن حام ، فلما كفروا بلبل الله ألسنتهم على اثنين وسبعين لساناً ، وفهم الله العربية عمليق وغيرهم من بنى سام ، فنزلت العماليق صنعاء ثم تحولت فنزلت بمكة ، وقيل : لما تبلبلت الألسن سلبوا اللسان السريانى إلا أهل الجودى ، وأجرى جبريل على لسان كل أمة لغة ، وأفصح عابر بالعربية وتكلم مع عابر جميع إخوته وبنو عمه ما خلا الفرس فإنها تكلمت بالعجمي ، وأول من تكلم باللسان العربى عزقيل بن ساروم ابن خاموز بن قناخ بن أرفخشذ ، وأول من جرت الفارسية على لسانه شاهور بن خاموز بن باقر بن سام ، وأول من جرت الحبشية على لسانه سلحب بن باداد بن زباهش بن شوعان بن كوش بن حام بن نوح ، فهذه أصول الألسن . وقال ابن الجوزى : وأول من تكلم بالعربية إسماعيل عليه السلام ، وأول من كتب بالعربية مرامر بن مروة من أهل الأنبار . وقال السهيلي : وعنه عليه السلام أنه قال : «أول من كتب بالعربية إسماعيل» . قال أبو عمرو : وهذه الرواية أصح من رواية من روى :

(١) ليست فى الأصل ، والسياق يقتضى وضعها . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعل الصواب «الإسكندر» . والله أعلم .

«أول من تكلم بالعربية إسماعيل». والخلاف كثير فى أول من تكلم بالعربية ، وفى أول من أدخل الكتاب العربى أرض الحجاز ف قيل : حرب بن أمية^(١) ، وقيل : سفيان بن أمية ، وقيل : عبد بن قصى تعلموه / [١٣/ب] بالحيرة ، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار^(٢) . انتهى .

وأول من نقش على الدراهم بالعربية عبد الملك بن مروان . قال الشعبى : وكلام الناس يوم القيامة بالسريانى ، وروى الأصحاب فى كتبهم عن النبى ﷺ أنه قال : «العربى والفارسى لسانا أهل الجنة» .

وأما «شيث» تولى بعد مائتين وثلاثين سنة من عمر آدم - عليه السلام - ، ومات وله تسعمائة وثمان عشرة سنة ، فكان قيامه بالأمر بعد آدم مائتين واثنى عشرة سنة ، واختتن فى نبوته ، وأنزل عليه خمسون صحيفة ، وقيل : ثلاثون ، وقيل : عشرة ، وبنى الكعبة بالطين وحج وولده حواء مفردًا ، وكانت تلد ذكراً وأنثى فى كل بطن فولدته مفردًا . قال المرجانى : يعنى بدلاً من هايل . وأما آدم - عليه السلام - فيكنى أبا محمد بالنبى ﷺ ، وأبا البشر أيضاً ، وآدم عبرانى ، وقيل : عربى خلقه الله من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنوه على قدر الأرض ذوى ألوان ، يروى أنه قال : يا رب لم سميتنى آدم ؟ قال : لأننى خلقتك من أديم الأرض ، وأديم الأرض وجهها ، وخلق الله حواء من ضلعه الأيسر وسميت حواء ؛ لأنها خلقت من حى وخلقت قبل دخول الجنة ، واختلف فى الشجرة التى أكلها ، فقيل : شجرة الكافور أو الحياة أو الكرمة أو النخلة أو السنبلة أو الخلبة أو التين أو الخنظلة وكانت حلوة ، وأهبط على جبل لبنان أو الجودى أو سرنديب أو نوى أو واسم ، وحواء بجدة ، وإبليس على ساحل بحر أيلة بفتح الهمزة ، وقيل : بيسان ، والحية بالبربر وقيل : بأصبهان ، والطاووس بأرض بابل ، فأهبط آدم من باب التوبة ، وحواء من باب الرحمة ، / [١٤/أ] وإبليس من باب اللعنة ، والطاووس من باب الغضب ، والحية من باب السخط وكان وقت العصر ، وقيل : أهبط آدم بين الظهر والعصر من باب يقال له : الميرم حذاء البيت المعمور ، وقيل : من باب المعراج ، ومكث فى الجنة نصف يوم من أيام الآخرة وذلك خمسمائة عام ، ومكث على جبل الهند مائة سنة يبكى وأنبت الله العشب من دموعه منه : الدارصينى والقرفة والقرنفل ، وكان رأسه يمس السحاب فصلع

(١) فى الروض أن قائله هو الشعبى . والله أعلم .

(٢) الروض الأنف (١٣/١) .

فتوارثه ذريته ، وخفضت قامته إلى ستين ذراعاً بذراعه ، وحج أربعين حجة ، وكانت خطوته مسيرة ثلاثة أيام ، وهو أول من ضرب الدينار والدرهم ، وكان أمرد وإنما نبتت اللحي لذريته ، وأنزلت عليه حروف المعجم فى إحدى وعشرين ورقة ، ونزل عليه عشر صحائف وجميع الصحف مائة وأربعة : كتب على آدم عشر ، وعلى شيث خمسون ، وعلى إدريس ثلاثون ، وعلى إبراهيم عشرة ، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان نزل بها جبريل عليه السلام ، وعنه عليه السلام أنه قال : «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، والتوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت منه ، والزبور لثمانى عشرة ليلة خلت منه ، والفرقان لأربع وعشرين منه»^(١). وبين نزول أول القرآن وآخره عشرون سنة . وكان آدم من المصطفين دون سائر المرسلين ، ولم يمض حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً ، وقيل : صلى خلفه ألف رجل غير بنى بنيه ، وورد أن الله شفعه من ذريته فى مائة ألف ألف وعشرة آلاف / [١٤/ب] ألف . وقال ابن عباس : تكلم آدم بسبعمائة ألف لغة أفضلها العربية ، وكان القمح فى زمنه كبيض النعام ولم يزل إلى أيام إدريس ثم نقص منه قليل ، ثم نقص أيام فرعون ثم نقص أيام إلياس فصار كبيض الدجاج ، ثم نقص أيام عيسى ، ثم نقص أيام يحيى فصار فى أيام بختنصر كالبنديق وكذلك كان فى أيام عزيز فلما قالت اليهود : عزيز ابن الله ، صار قدر الحمص ، ثم صار إلى ما ترى قاله كعب الأحبار ، وماتت حواء^(٢) قبل آدم بعامين وعمرها سبعمائة سنة وتسع وعشرون سنة ، وقيل : ماتت بعده بعامين ، وقيل : بست سنين ، ومات آدم يوم الجمعة ووافق من شهور السريانى لعشرين من نيسان ، مات على الجبل الذى أهبط عليه^(٣) ، وصلى عليه شيث وكبر عليه ثلاثين وحمله نوح فى السفينة ، قيل : وحمل حواء معه ،

(١) أخرجه أحمد فى المسند (١٠٧/٤) ، والطبرانى الكبير (٧٥/٢٢) ، والدر المنثور (١٨٩/١) ، وتفسير القرطبي (٢٩٨/٢) من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٩٧/١) : فيه عمران بن داود القطان ، ضعفه يحيى ، وثقه ابن حبان ، وقال أحمد : أرجو أن يكون صالح الحديث ، وبقي رجاله ثقات . اهـ . وجاء فى الرواية لثمان بغير ياء . والله أعلم .

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٩٢/١) أنها ماتت بعد آدم بسنة واحدة . اهـ . وكذا فى تاريخ الطبرى (١٦١/١) .

(٣) قال الحافظ فى «البداية والنهاية» (٩٢/١) : فالشهور أنه دفن عند الجبل الذى أهبط منه فى الهند . اهـ . واسم هذا الجبل : بوذ . ذكره الطبرى فى تاريخه (١٦١/١) عن ابن عباس موقوفاً .

ودفنه ببيت المقدس بعد الطوفان^(١) ، وقيل : صلت عليه الملائكة وحفروا له بجبل أبى قبيس ثم حملة نوح ثم إلى مكانه بالجبل ، وقيل : قبر آدم فى مشارق الفردوس^(٢) . قال المرجاني فى «بهجة النفوس» : والظاهر أن قبر آدم بالشام - يعنى دمشق - لأنها كانت أرضه وبها مقبرة الفردائس ، وقيل : دفنته الملائكة بمسجد الخيف حكاه ابن الجوزى فى «درىاق القلوب» ، وآدم الآن فى سماء الدنيا ، ولا يسمى أحد خليفة الله تعالى بعد آدم - عليه السلام - وانقرض نسل آدم بالطوفان إلا نسل شيث .

قال الطوسى : وبلغنى أن من كتب للمطلقة آدم وحواء وضعت . انتهى . والله أعلم .

وقدم علينا حاجاً سنة عشر وثمانمائة رجل شريف / [١٥/أ] دلوالى وذكر لنا نه رجل بلاد سرنديب^(٣) وأن أهلها كفار ، وأنه صعد جبل سرنديب وكان صعوده فيه من طلوع الفجر ووصل أعلاه غروب الشمس ، قال : وفوق جبل سرنديب جبل آخر على هيئة المنارة وقدرها بل أعلى منها ، يصعد إلى أعلى هذا الجبل بسلاسل من حديد يضع الإنسان فيها رجله ويتعلق ثم هكذا إلى أن يصعد إلى أعلاه ، وأنه لا يمكن الصعود عليه إلا على هذه الصفة ، قال : وفوق هذا الجبل أيضاً جبل آخر صغير فيه أثر قدم آدم - عليه السلام - غائصاً فى الصخرة على سمت القبلة بحيث إن القائم عليه يستقبل القبلة وله خمس أصابع ، وذكر أنه قاس طول قدمه وعرضه وطول إبهامه بمنديل كان معه وعلم ذلك علامات ، فرأيت هذا المنديل معه فقيست طول قدمه من رأس الإبهام إلى آخرها ثلاثة أذرع وثلاثى ذراع وطول الإبهام إلى المفصل شبر وعرض القدم ثلاثة أشبار وأربع أصابع كل ذلك بذراع الحديد ، وذكر أنه لم ير إلا قدماً واحداً وأن تحت قدمه غديرًا فى صخرة ممتلئ بها ماء أحلى من العسل ، وله عينان تجريان إحداهما عن يمين القدم والأخرى عن يساره ينصبان إلى أسفل الجبل وإلى البحر ، ومسيل ماء العينين يشم

(١) البداية والنهاية (٩٢/١) ، وتاريخ الطبرى (١٦١/١) .

(٢) تاريخ الطبرى (١٥٩/١) عن ابن إسحاق .

(٣) قال فى معجم البلدان (٢١٥/٣) : بفتح أوله وثانيه ، وسكون النون ، ودال مهملة مكسورة ، وياء مثناة من تحت ، وباء موحدة ، هى جزيرة عظيمة فى بحر هر كند بأقصى بلاد الهند ، طولها ثمانون فرسخاً فى مثلها .. وفى سرنديب الجبل الذى هبط عليه آدم عليه السلام ... إلخ وفيه ذكر القدم . فراجع .

وتراب العين اليمنى يسيلان ، وإن المطر لا يزال على هذا الجبل فى كل يوم من أيام السنة لا ينقطع أصلاً ، ولكنه فى بعض الأوقات رشاش ، وإن فى كل جهة من جهات الجبل الأربع يدوم المطر فى أرض الهند ثلاثة أشهر على عمر السنين . والله أعلم .

[فصل]

ما جاء فى حج إبراهيم وطوافه وأذانه فى الحج

لما فرغ إبراهيم - عليه السلام - من بناء البيت الحرام / [١٥/ب] جاء جبريل - عليه السلام - وفى رواية قال : أى ربّ قد فعلت فأرنا مناسكنا ، أى : أبرزها لنا وعلمناها ، وقيل : أرنا مناسكنا : مذابحنا ، فجاءه جبريل ، فقال : طف به سبعاً هو وإسماعيل يستلمان الأركان كلها فى كل طواف ، وكان آدم يستلم الأركان كلها قبل إبراهيم - عليه السلام - فلما أكملنا سبعاً صلياً خلف المقام ركعتين ، قال : فقام معه جبريل فأراه المناسك كلها الصفا والمروة ومنى ومزدلفة وعرفة ، فلما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له إبليس - وفى رواية : بعث الله - عز وجل - جبريل فحج به حتى إذا جاء يوم النحر عرض له إبليس - عند جمرة العقبة فقال له جبريل - عليه السلام - : ارمه فرماه إبراهيم - عليه السلام - بسبع حصيات فغاب عنه ثم برز له عند الجمرة الوسطى ، فقال له جبريل : ارمه فرماه بسبع حصيات فغاب عنه ثم برز له عند الجمرة السفلى ، فقال له جبريل - عليه السلام - : كبر وارمه فرماه بسبع حصيات مثل حصى الخذف فغاب عنه إبليس - وفى رواية : فرماه من الغد واليوم الثالث كذلك - ثم مضى إبراهيم فى حجه وجبريل يوقفه على المواقف ويعلمه المناسك حتى انتهى إلى عرفات ، فلما انتهى إليها قال له جبريل : أعرفت مناسكك ؟ . قال إبراهيم : نعم . فسميت عرفات بذلك ، فلما فرغ من الحج أمر إبراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج - وفى رواية : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال : يا رب قد فرغت فأوحى الله إليه أن أذن فى الناس بالحج ، فهذه الرواية تقتضى أن الأذان قبل الحج ، والرواية المتقدمة تخالف ذلك فلما أمر أن يؤذن بالحج ، قال : يا رب وما يبلغ صوتي ؟ / [١٦/أ] فقال الله تعالى : أذن وعلىّ البلاغ - وفى رواية : قال : وكيف أقول ؟ قال : قل : يا أيها الناس أجيئوا ربكم ثلاث مرات فعلاً إبراهيم على المقام - فارتفع به حتى صار أرفع الجبال وأطولها - وفى رواية : صعد أبا قبيس وأذن بالحج ، وفى رواية : علا على شير - وجمعت له الأرض يومئذ سهولها

وجبلها وبرها وبحرها وإنسها وجننها حتى أسمعهم جميعاً - وتطأطأت الجبال ، وفى رواية : خفضت الجبال رؤوسها ورفعت له القرى - فأدخل أصبعيه فى صماخى أذنيه وأقبل بوجهه يمناً وشاماً وشرقاً وغرباً ، وبدأ بشق اليمن فقال : أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم - وفى رواية : أن الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا - فأجابوه من تحت النخوم السبعة ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع الزراب من أقطار الأرض كلها لبيك اللهم لبيك - وفى رواية : أى كل رطب ويابس ، وسمعه من بين المشرق والمغرب وأجابه من كان فى أصلاب الرجال وأرحام النساء - فليس أحد يحج إلى يوم القيامة إلا من أجاب نداء إبراهيم ، وإنما حجهم على قدر إجابتهم يومئذ ، فمن أجابه مرة حج مرة ، ومن أجابه مرتين حج مرتين ، ومن أجابه أكثر فأكثر على حسب إجابته^(١).

ويروى أنه كان بين ذلك وبين أن بعث الله محمداً ﷺ ثلاثة آلاف سنة ، وكان أول من أجاب دعوة إبراهيم بالتلبية أهل اليمن ، وذهب جماعة إلى أن المأمور فى قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾^(٢) . سيدنا رسول الله ﷺ .

وفى رواية استقبل / [١٦/ب] إبراهيم اليمن ودعا إلى الله وإلى حج بيته فأجيب أن لبيك لبيك ، ثم استقبل المشرق فدعا إلى الله وإلى حج بيته فأجيب أن لبيك لبيك ، ثم إلى المغرب بمثل ذلك ، ثم إلى الشام بمثل ذلك ، ثم حج إبراهيم بإسماعيل وبمن معه من المسلمين من جرهم ، وهم سكان الحرم يومئذ مع إسماعيل وهم أصهاره ، وصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء بمضى ثم بات بهم حتى أصبح وصلى بهم الغداة ، ثم غدا بهم إلى نمرة فقال بهم هنالك حتى إذا مالت الشمس جمع بين الظهر والعصر بعرفة فى مسجد إبراهيم ، ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة - وهو الموقف الذى يقف عليه الإمام اليوم - فوقف بهم فلما غربت الشمس دفع به وبمن معه حتى أتى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات حتى إذا طلع الفجر صلى بهم صلاة الغداة ثم وقف به على قزح^(٣) من المزدلفة وبمن معه - وهو الموقف الذى يقف به الإمام اليوم - حتى

(١) أخبار مكة للأزرقي (٦٦/١ - ٦٨) عن محمد بن إسحاق ، وما بين الاعتراضات روايات ذكرها

الأزرقي وغيره ، وتفسير القرطبي (٣٨/١٢) .

(٢) سورة الحج : الآية (٢٧) .

(٣) القَزَح : القرن الذى يقف عنده الإمام بالمزدلفة . النهاية مادة (قزح) .

إذا أسفر غير مشرق دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يرمى الجمار حتى فرغ من الحج كله ، ثم انصرف إبراهيم راجعاً إلى الشام فتوفى بها^(١).

[فصل]

ذكر ولاية بنى إسماعيل الكعبة من بعده وأمر جرهم

قال ابن إسحاق : ولد لإسماعيل بن إبراهيم اثنا عشر رجلاً ، وأهمهم السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، ثابت^(٢) بن إسماعيل وقيدار وواصل وميَّاش^(٣) وطئما وقطور وقيس وقيدمان ، وكان عمر إسماعيل مائة وثلاثين سنة ، فمن ثابت وقيدار نشر الله العرب ، وكان أكبرهم قيدار وثابت^(٢) وكان من حديث جرهم وبنى إسماعيل : أن إسماعيل لما توفى دفن في الحجر مع أمه فولى البيت ثابت^(٢) ابن إسماعيل ما شاء الله أن يليه ، / [١٧ / أ] ثم توفى ثابت بن إسماعيل فولى بعده مضاض بن عمرو الجرهمي - وهو جد ثابت بن إسماعيل أبو أمه - وضم بنى ثابت وبنى إسماعيل إليه فصاروا مع جدهم أبي أمهم مضاض بن عمرو ومع أخوالهم من جرهم ، وجرهم وقطورا يومئذ أهل مكة ، وعلى جرهم مضاض بن عمرو ملكاً عليهم ، وعلى قطورا رجلاً منهم يقال له : السَّمِيدَع ملكاً عليهم ، وكان حين ظعنا من اليمن أقبلنا سيارة ، وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجهم إلا ولهم ملك يقيم أمرهم ، فلما نزلنا مكة رأينا بلدًا طيبًا وآدامًا وشجرًا فأعجبهما ونزلا به ، فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم أعلى مكة وقيعان فما حاز ذلك ، ونزل السَّمِيدَع أجيادين^(٤) وأسفل مكة فما حاز ذلك ، وكل في قومه على حياله لا يدخل واحد منهم على صاحبه في ملكه ، ثم إن جرهمًا وقطورا بغى بعضهم على بعض وتنافسوا الملك بها فاقتتلوا بها حتى نشبت الحرب بينهم على الملك ، وولاية الأمر بمكة مع مضاض بن عمرو بنو ثابت بن إسماعيل وبنو إسماعيل وإليه ولاية البيت دون السَّمِيدَع ، فلم يزل البغي حتى سار بعضهم إلى بعض

(١) أخبار مكة للأزرقي (٧٠ / ١ ، ٧١) .

(٢) كذا في الأصل ، والذي في الأزرقي (٨١ / ١) ثابت ، وكذلك في الروض (١٣٤ / ١) .

(٣) في أخبار مكة للأزرقي : « مياس » وفي هامش النسخة ذكر أنها في (أ ، ج) ، وفي (ب) « قياس » ، وعلى هامشها - (أ ، ب) - : متاس ، وفي الطبري (٣١٤ / ١) : « ماسن » ، وفي سيرة ابن هشام : « ماش » . والله أعلم .

(٤) أجيادين : تنية أجياد وهما أجياد الكبير وأجياد الصغير ، وهما مملكتان بمكة ، معجم البلدان (١٠٥ / ١) وربما قيل لهما : أجيادين اسمًا واحدًا بالياء في جميع أحواله .

فخرج مضاض بن عمرو من قيقعان فى كتيبة سائرًا إلى السמידع ومع كتيبة عدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب يقعقع ذلك معهم ، ويقال : ما سميت قيقعان إلا بذلك ، وخرج السמידع بقطورا من أحياد^(١) معه الخيل والرجال ، وقيل : ما سمى أحيادًا إلا لخروج الخيل الجياد مع السמידع حتى التقوا بفاضح^(٢) فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل السמידع وفضحت قطورا ، ويقال : ما سمى فاضحاً إلا بذلك ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح / [١٧/ب] فساروا حتى نزلوا «للصالح شعب»^(٣) بأعلى مكة يقال له : شعب عبد الله بن عامر بن كويز^(٤) ، فاصطلحوا بذلك الشعب ، وأسلموا الأمر إلى مضاض بن عمرو فلما جمع أمر أهل مكة وصار ملكها له دون السמידع نحر للناس وأطعمهم فطبخ الناس وأكلوا ، فيقال : ما سمى المطابخ مطابخاً إلا بذلك ، وكان الذى بين عمرو والسמידع أول بغى كان بمكة فيما يزعمون ، وقيل : إنما سميت المطابخ ؛ لأن تبع نحر بها وأطعم وكانت منزله بمكة ، ثم نشر الله تعالى بنى إسماعيل - عليه السلام - بمكة وأخوالهم جرهم إذ ذاك هم الحكام وولاة البيت ، فلما ضاقت عليهم مكة وانتشروا بها انبسطوا فى الأرض وابتغوا المعاش والتفصح فى الأرض ، فلا يأتون قوماً ، ولا ينزلون بلدًا إلا أظهرهم الله - عز وجل - عليهم بدينهم فوطئوهم وغلبوهم عليها حتى ملأوا^(٥) البلاد ونفوا عنها العمالق ومن كان ساكنًا بلادهم التى كانوا اصطلحوا عليها من غيرهم ، وجرهم على ذلك بمكة ولاة البيت لا ينازعهم إياه بنو إسماعيل لخوليتهم وقرابتهم^(٦) .

قال بعض أهل العلم : كانت العمالق هم ولاة الحكم بمكة فضيعوا حرمة الحرم ، واستحلوا منه أموراً عظيماً ونالوا ما لم يكونوا ينالون ، فقام رجل منهم

(١) أحياد : موضع بمكة إلى الصفا ، معجم البلدان (١٠٥/١) وذكر سبب تسميتها ونقل قول ابن إسحاق . قال فى معجم البلدان (١٠٥/١) : وقد قدمنا أن الجوهري حكى أن العرب تجمع الجواد من الخيل على أحياد ولا شك أن ذلك لم يبلغ السهيلي فأذكره .

(٢) فاضح : موضع قرب مكة عند أبى قبيس ، معجم البلدان (٢٣١/٤) وذكر سبب تسميتها .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « للصلح شعباً » وهو الصواب . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « كريز » . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « ملكوا » . والله أعلم .

(٦) أخبار مكة للأزرقي (٨٠/١ - ٨٤) عن محمد بن إسحاق .

يقال له : عموم^(١) فقال : يا قوم أبقوا على أنفسكم فقد رأيتم وسمعتم من أهلك من صدر الأمم قبلكم قوم هود وصالح وشعيب ، فلا تفعلوا وتواصلوا ولا تستخفوا بحرم الله وموضع بيته ، وإياكم والظلم والإلحاد فيه ، فإنه ما سكنه أحد قط فظلم فيه وألحد إلا قطع الله دابرهم واستأصل شأفتهم / [١٨/أ] وبذل أرضها غيرهم حتى لا يبقى لهم باقية ، فلم يقبلوا ذلك منه وتمادوا فى هلكة أنفسهم ، ثم إن جرهمًا وقطورا خرجوا سيارة من اليمن وأجدبت عليهم فساروا بذرايرهم وأنفسهم وأموالهم ، وقالوا : نطلب مكانًا فيه مرعى تسمن فيه ماشيتنا إن أعجبنا أقمنّا فيه وإلا رجعنا إلى بلادنا ، فلما قدموا مكة وجدوا فيها ماءً معيناً وعضاة ملتفة من سلم وسمر ، ونباتاً أسمن مواشيهم وسعة من البلاد ودفئاً من البرد فى الشتاء ، قالوا : إن هذا الموضع يجمع لنا ما نريد فأقاموا مع العماليق ، وكان لا يخرج من اليمن قوم إلا ولهم ملك يقيم أمرهم ، وكان ذلك سنة فيهم ولو كانوا نفرًا يسيرًا ، فكان مضاض بن عمرو ملك جرهم وكان السמידع ملك قطورا فنزل مضاض بن عمرو على^(٢) مكة ، فكان يعشر من دخلها من أعلاها وكان حوزهم وجه الكعبة والركن الأسود والمقام وموضع زمزم مصعد يميناً وشمالاً وقيقعان^(٣) إلى أعلى الوادى ، ونزل السמידع أسفل مكة وأحيادين وكان يعشر من دخل مكة من أسفلها ، وكان حوزهم المسفلة وظهر الكعبة والركن اليماني والغربي وأحيادين فبنيا فيها البيوت واتسعا فى المنازل وكثروا على العماليق ، فنازعتهم العماليق فمنعتهم جرهم وأخرجوهم من الحرم كله فكانوا فى أطرافه لا يدخلونه ، فقال لهم صاحبهم عمرو^(٤) : ألم أقل لكم لا تستخفوا بجرمة الحرم فغلبتموني ؟ فجعل مضاض والسמידع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من حولهما فوقهما وكثروا وربلوا وأعجبهم البلاد ، وكانوا قومًا عربيًا وكان اللسان عربيًا ، فكان إبراهيم / [١٨/ب] عليه السلام يزور إسماعيل ، فلما سمع لسانهم وإعرابهم سمع لهم كلامًا حسنًا ورأى قومًا عربيًا ، وكان إسماعيل قد أخذ بلسانهم ، فأمر

(١) كذا فى الأصل وفى أخبار مكة للأزرقي « عموق » . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « أعلى » . والله أعلم .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « قيعقان » وهو الصواب ، ووقع فى معجم البلدان (٣٧٩/٤) قيعقان - بالضم ثم الفتح ، بلفظ التصغير - وهو اسم جبل بمكة .. ثم ذكر سبب

تسميتها بذلك : أن قطورا وجرهم لما تحاربوا قعقت الأسلحة فيه . اهـ . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « عموق » وقد تقدم قريباً . والله أعلم .

إسماعيل أن ينكح فيهم فخطب إلى مضاض بن عمرو ابنته رَعْلَة فزوجه إياها ، فولدت له عشرة ذكور وهى التى غسلت رأس إبراهيم حين وضع رجله على المقام ، وتوفى إسماعيل وترك ولدًا من رَعْلَة بنت مضاض بن عمرو فقام مضاض بأمر ولد إسماعيل وكفلهم ؛ لأنهم بنو ابنته ، فلم يزل أمر جرهم يعظم بمكة ويستفحل حتى ولوا البيت فكانوا ولاته وحجابه وولاة الأحكام بمكة ، فجاء سيل فدخل البيت فانهدم فأعادته جرهم على بناء إبراهيم - عليه السلام - ، وكان طوله فى السماء تسعة أذرع وقال بعض أهل العلم : كان الذى بنى البيت لجرهم أبو الجدره فسمى عمرو «الجادر» وسمى بنوه «الجدره» ، ثم إن جرهم استخفت بأمر البيت والحرم وارتكبوا أمورًا عظيمة وأحدثوا فيها أحداثًا لم تكن ، فقام مضاض بن عمرو بن الحارث فيهم خطيبًا فقال : يا قوم احذروا البغى فإنه لا بقاء لأهله قد رأيتم من كان قبلكم استخفوا بالحرم فلم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا ، حتى سلطكم الله عليهم فأخرجتموهم فتفرقوا فى البلاد فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة البيت ، فإنكم إن فعلتم ذلك تخوفت أن تخرجوا منه خروج ذل وصغار حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم ولا إلى زيارة البيت ، فقال قائل منهم يقال له : مخدع^(١) : من الذى يخرجنا منه ؟ ألسنا أعز العرب وأكثرهم رجالاً وأموالاً وسلاحاً ؟ فقال مضاض بن عمرو : / [١٩/أ] إذا جاء الأمر بطل ما تقولون . فلم يقتصروا على شىء مما كانوا يصنعون ، وكان للبيت خزانة تير فى بطنها يلقى فيها الحلى والمتاع الذى يهدى له وهو يومئذ لا سقف له ، فتواعد له خمسة نفر من جرهم أن يسرقوا ما فيه فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم واقتحم الخامس فجعل الله - عز وجل - أعلاه أسفله وسقط منكسًا على ذلك ، وقيل : لما دخل البئر سقط عليه حجر من شفير البئر فحبسه فيها ، وفر الأربعة . قال آخرون : فعند ذلك مسخت الأركان الأربعة فلما كان من أمر هؤلاء الذين حاولوا سرقة ما فى خزانة الكعبة ما كان ، بعث الله سبحانه حية سوداء الظهر بيضاء البطن رأسها مثل رأس الجدى فحرس البيت خمسمائة سنة لا يقربه أحد بشىء من معاصى الله تعالى إلا أهلكه الله ولا يقدر أحد على سرقة ما كان فى الكعبة - وسيأتى قصة رفع الحية عند بناء قريش الكعبة - ولما طغت جرهم فى الحرم دخل رجل منهم وامرأة يقال لهما : إساف ونائلة البيت ففجرا فيه ، وقيل : لم يفجرا بها فى البيت ولكن قبلها ، فمسخهما الله حجرتين فأخرجنا

(١) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي «مخدع» . والله أعلم .

من الكعبة ونصبا على الصفا والمروة ؛ ليعتبر بهما من رآهما وليزدجر الناس عن مثل ما ارتكبا ، فلم يزل أمرهما يدرس ويتقادم حتى صارا صنمين يعبدان حتى كان يوم الفتح فكسرا ، وكانت مكة لا يقر فيها ظالم ولا باغ ولا فاجر إلا نفى منها ، وكان نزلها بعهد العماليق وجرهم جبابرة ، فكل من أراد البيت بسوء أهلكه الله ، فكانت تسمى بذلك الباسة وبكة^(١) .

[فصل]

ذكر ولاية خزاعة الكعبة بعد جرهم / [١٩ / ب] وأمر مكة

عن أبي صالح قال : لما طالت ولاية جرهم استحلوا من الحرم أموراً عظيماً ، ونالوا ما لم يكونوا ينالون ، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى إليها سرّاً وعلانية ، وكلما عدا سفيه منهم على منكر وجد من أشrafهم مَن يمنعه ويدفع عنه ، وظلموا من دخلها من غير أهلها حتى دخل إساف بنائلة الكعبة ففجر بها ، أو قبلها فمسخا حجّرين ، فرق أمرهم فمنها وضعوا وتنازعوا أمرهم بينهم واختلفوا وكانوا قبل ذلك من أعزّ حى فى العرب وأكثرهم رجالاً وأموالاً وسلاحاً ، فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو قام فيهم خطيباً ثم ذكر مقالته لهم التى ذكرناها آنفاً^(٢) ، وما قال له مخدع^(٣) فى الجواب ، فعند ذلك عمد مضاض بن عمرو إلى غزالين كانا فى الكعبة من ذهب وأسياف قلعية^(٤) فدفعها فى موضع بئر زمزم ، وكان ماء زمزم قد نضب وذهب لما أحدث جرهم فى الحرم ما أحدث حتى عفا^(٥) مكان البئر ودرس ، فقام مضاض بن عمرو وبعض ولده فى ليلة مظلمة فحفر فى موضع زمزم وأعمق ثم دفن فيها الأسياف والغزالين ، فبينما هم على ذلك إذ كان من أهل مأرب ما كان ، وذلك ألفت طريفة الكاهنة إلى زوجها عمرو بن عامر ، الذى يقال له : مزقياء بن ماء السماء - وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس - أنها قد رأت فى كهانتها أن سد مأرب

(١) أخبار مكة للأزرقي (١ / ٨٤ - ٨٩) عن بعض أهل العلم ، وفيه أن سبب تسميتها بكة : ما روى عن عبد الله بن عمرو ؛ لأنها تبك أعناق الجبابرة . اهـ .

(٢) راجع ص ٥٢ .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « مجدع » . والله أعلم .

(٤) قلعية منسوبة إلى القلعة - بفتح القاف واللام - : وهى موضع بالبادية تنسب السيوف إليه . النهاية مادة (قلع) .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « غبى » . والله أعلم .

سيخرب وأنه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنيتين ، فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه من بلد إلى بلد لا يطئون بلداً إلا غلبوا عليه وقهروا أهله حتى يخرجوا منه ، ولذلك حديث / [٢٠/أ] طويل مذكور في محله ، فلما قاربوا مكة ساروا ومعهم طريفة الكاهنة ، فقالت لهم: سيروا فلن تجتمعوا أنتم ومن خلفتم أبداً ثم قالت لهم : وحق ما أقول ما علمنى ما أقول إلا الحكيم المحكم رب جميع الإنس من عرب ومن عجم . قالوا لها : ما شأنك يا طريفة ؟ قالت : خذوا البعير الشدقم^(١) فحضبوه بالدم بلون أرض جرهم جيران بيته المحرم ، فلما انتهوا إلى مكة وأهلها جرهم قد قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى إسماعيل وغيرهم ، أرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يقول : إنا قد خرجنا من بلادنا فلم نزل بلداً إلا فسح أهلها لنا ومن خرجوا عنا فنقيم معهم حتى نرسل روادنا فيرتادوا لنا بلداً تحملنا فأفسحوا لنا فى بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل روادنا إلى الشام وإلى المشرق فحيثما بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيراً ، فأبت جرهم ذلك واستكبروا فى أنفسهم وقالوا : لا والله مانح أن ينزلوا معنا فيضيّقوا علينا مراحلنا [ومواردنا]^(٢) فارحلوا عنا حيث جئتم فلا حاجة لنا بجواركم ، فأرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر أنه لا بد لى من المقام بهذا البلد حولاً حتى ترجع إلى رسلى التى أرسلت ، فإن تركتمونى طوعاً نزلت وحمدتكم وآسيّتكم^(٣) فى الرعى والماء ، وإن أبيتم أقيمت على كرهكم ثم لم ترعوا معى إلا فضلاً فإن قاتلتمونى قاتلتكم ثم إن ظهرت عليكم سببت النساء وقتلت الرجال ولم أترك منكم أحداً ينزل الحرم أبداً ، فأبت جرهم أن تزكه طوعاً وبعثت لقتاله فاقتتلوا ثلاثة أيام ، فانهزمت جرهم فلم ينفلت منهم إلا الشريد ، وكان مضاض ابن عمرو قد اعتزل جرهم ولم يعنهم / [٢٠/ب] فى ذلك وقال : قد كنت أحذركم من هذا ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قنّونى^(٤)

(١) الشدقم - كجعفر - فحل كان للنعمان بن المنذر ملك العرب ، ومنه الشدقميات من الإبل . تاج العروس مادة (شدقم) .

(٢) غير واضحة فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي (٩٣/١) كما أثبتناه ، وبه ينتظم الكلام . والله أعلم .

(٣) آسيّتكم : شاركتكم . راجع النهاية (٥٠/١) .

(٤) قنّونى - بالفتح ونونين - من أودية السراة يصب إلى البحر فى أوائل أرض اليمن من جهة مكة قرب « حلى » ، والقرب منها قرية يقال لها : « بيت » معجم البلدان (٤٠٩/٤) .

وحلّى^(١) وما حول ذلك وفنيت جرهم أفناهم السيف فى تلك الحرب ، وشرّد بقية جرهم وساروا بهم فى البلاد وسلط عليهم الذر والرعاف ، وهلك بقيتهم بأضم حتى كان آخرهم موتاً امرأة رثيت تطوف بالبيت بعد خروجهم منها بزمان فعجبوا من طولها وعظم خلقتها حتى قال لها قائل : أجنبية أم إنسية ؟ فقالت : بل إنسية من جرهم ، وأنشدت رجزاً فى معنى حديثهم ، واستكبرت بعيراً من رجلين من جهينة فاحتملها على البعير إلى أرض خيبر فلما أنزلها بالمنزل الذى سمت لهما سألها عن الماء فأشارت لهما إلى موضع الماء فوليا عنها وإذا الذر قد تعلق بها حتى بلغ خياشيمها وهى تنادى بالويل والثبور حتى دخل الذر حلقها وسقطت لوجهها وذهب الجهينيان إلى الماء فاستوطناه ، فمن هنالك صار موقع جهينة بالحجاز وقرب المدينة وإنما هم من قضاة^(٢) ، وقضاة من ريف العراق^(٣) - وأقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه وعساكره حولاه فأصابتهم الحمى ، وكانوا ببلد لا يدرون فيه بالحمى فدعوا طريفة فشكروا إليها الذى أصابهم ، فقالت لهم : قد أصابنى الذى تشكون وهو مفرّق ما بيننا قالوا : فماذا تأمرين ؟ قالت : من كان منكم ذا هم بعيد وحمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عُمان^(٤) المشيد فكان أزد عمان، ثم قالت : من كان منكم ذا جلد وقصر وصبر على أزمت الدهر فعليه بالأراك^(٥) من بطن مر فكانت خزاعة ، ثم قالت : من كان منكم يريد الراسيات / [٢١/أ] فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل ، فكانت الأوس والخزرج ، ثم قالت : من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والمعامير^(٦) ويلبس الديباج والحرير فليلحق

(١) حلّى - بالفتح ثم السكون ، بوزن ظلى - قال عمارة اليمنى : مدينة باليمن على ساحل البحر ، بينها وبين السرين يوم واحد ، وبينها وبين مكة ثمانية أيام . معجم البلدان (٢٩٧/٢) .

(٢) راجع معجم البلدان (١٩٤/٢) فقد ذكر أنها علم مرتجل فى اسم أبى قبيلة من قضاة . والله أعلم

(٣) راجع الروض الأنف (١٣٧/١) .

(٤) عُمان - بضم أوله ، وتخفيف ثانيه ، وآخره نون : اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند . معجم البلدان (١٥٠/٤) .

(٥) الأراك - بالفتح وآخره كاف - : وهو وادى الأراك ، قرب مكة ، يتصل بغيقة . معجم البلدان (١٣٥/١) .

(٦) تقرأ هكذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « والتأمر » . والله أعلم .

ببصري^(١) وعوير^(٢) وهما من أرض الشام فكان الذى سكنهما آل جفنة من غسان ، ثم قالت : من كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الأوراق والدم المهرق فليلحق بالعراق فكان الذى سكنها «آل خزيمة الأبرس»^(٣) حتى جاءهم روادهم ، فافترقوا من مكة فرقتين فرقة توجهت إلى عمان وهم أزد عمان ، وسار ثعلبة بن عمرو بن عامر نحو الشام فنزلت الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وهم الأنصار بالمدينة ، ومضت غسان فنزلوا الشام ، فانحازت خزاعة إلى مكة فأقام بها ربيعة بن حارثة ابن «عمر»^(٤) بن عامر وهو لُحى فولى أمر مكة وحجابه الكعبة ، فلما أخرجت^(٥) خزاعة أمر مكة وصاروا أهلها ، جاءهم بنو إسماعيل وقد كانوا اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فسألوهم السكنى معهم وحوّلهم فأذنوا لهم ، فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحارث وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة ما أحزنه ، أرسل إلى خزاعة يستأذنهم فى الدخول عليهم والنزول معهم بمكة فى جوارهم ، ومثّل إليهم برأيه وتوريعه قومه عن القتال وسوء السيرة فى الحرم واعتزاله الحرب ، فأبّت خزاعة أن يقربوهم ونفتهم عن الحرم كله ، ولم يتركوهم ينزلون معهم ، فقال عمرو بن لُحى - وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر - لقومه : من وجد منكم جرهمياً وقد قارب الحرم قدمه هدر ، فنزعّت إبل لمضاض بن عمرو بن الحارث / [٢١/ب] بن مضاض بن عمرو الجرهمى من قنونه تريد مكة فخرج فى طلبها حتى وجد أثرها قد رحلت مكة ، فمضى على الجبال من نحو أحياد حتى ظهر على أبى قبيس يبصر الإبل فى بطن وادى مكة ، فأبصر الإبل تنحر وتوكل لا سبيل له إليها يخاف إن هبط الوادى أن يقتل فولى منصراً إلى أهله وأنشأ يقول :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا . . . أنيس ولم يسمر بمكة سامر

الآيات^(٦) . وانطلق مضاض بن عمرو نحو اليمن إلى أهله وهم يتذكرون ما حال بينهم

(١) بصرى - بالضم ، والقصر - : بالشام من أعمال دمشق ، وهى قصبة كورة حُران ، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً . معجم البلدان (٤٤١/١) .

(٢) عَوِيرٌ - بفتح أوله ، وكسر ثانيه - : من قرى الشام أو ماء بين حلب وتدمر . معجم البلدان (١٧٠/٤) .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي «آل جذيمة الأبرش» . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « عمرو » وهو الصواب . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « حازت » . والله أعلم .

(٦) تكملة هذه الآيات فى أخبار مكة للأزرقي (٩٧/١ ، ٩٩) ، وصدر البيت فى الروض الأنف (١٣٨/١) .

وبين مكة ، وما فارقوا من أمنها وملكها فحزنوا على ذلك حزناً شديداً فبكوا على مكة ، وجعلوا يقولون الأشعار فى مكة ، واختصت خزاعة بحجابه الكعبة وولاية أمر مكة وفيهم بنو إسماعيل - عليه السلام - بمكة وحولها ، لا ينازعهم أحد منهم فى شىء من ذلك ولا يطلبونه، فتزوج لحي وهو ربيعة بن حارثة بهيرة^(١) بنت عامر بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجهمى ملك جرهم فولدت له عمراً - وهو عمرو بن لحي - وبلغ بمكة وفى العرب من الشرف ما لا يبلغه عربى قبله ولا بعده فى الجاهلية ، وهو الذى قسم بين العرب فى حطمة حطموها عشرة آلاف ناقة ، وقد كان فقاً عين عشرين فحلاً ، وكان الرجل فى الجاهلية إذا ملك ألف ناقة فقاً عين فحل لإبله ، وكان أول من أطعم الحاج بمكة سدائف^(٢) الإبل ولحمانه على الثريد وعم فى تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن ، وكان قد ذهب شرفه فى العرب كل مذهب ، وكان قوله فيهم ديناً منيفاً^(٣) لا يخالف ، وهو الذى بحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحام وسيب السائبة ونصب / [٢٢/أ] الأصنام حول الكعبة ، وجاء بهبل من هيت من أرض الجزيرة فنصبه فى بطن الكعبة فكانت قريش تستقسم عنده بالأزلام ، وهو أول من غير الخنيفية - دين إبراهيم - عليه السلام - ، فكان عمرو بن لحي يلى البيت وولده من بعده خمسمائة سنة حتى كان آخرهم «خليل بن حبشية»^(٤) ابن سلول بن كعب بن عمرو فتزوج إليه قصى ابنته حبى ابنة خليل^(٥) ، وكانوا هم حجابه وخزانه والقوام به وولاية الحكم بمكة ، وهو عامر لم يجر فيه خراب ولم يبن خزاعة فيه شيئاً بعد جرهم ولم يسرق منه شىء علمناه ولا سمعنا به ، وترافدوا على تعظيمه والذب عنه^(٦).

(١) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « بهيرة » . والله أعلم .

(٢) سدائف - جمع سديف - قال فى النهاية (٣٥٥/٢) : شحم السنام . ا هـ . وقال فى القاموس (سديف) : - كأمر - شحم السنام .

(٣) أى : عال . راجع النهاية (١٤١/٥) .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « خليل بن حبشية » وكذلك وقع فى الروض (١٤٢/١) . والله أعلم .

(٥) راجع الهامش السابق .

(٦) أخبار مكة للأزرقي (٩٠/١ - ١٠٢) .

[فصل]

ما جاء في ولاية قصي بن كلاب البيت الحرام وأمر مكة بعد خزاعة

عن ابن جريج وابن إسحاق قالا : إقامة خزاعة على ما كانت عليه من ولاية البيت والحكم بمكة ثلاثمائة سنة ، وكان بعض [التبابعة]^(١) قد سار إليه وأراد هدمه وتخريبه فقامت دونه خزاعة فقاتلت عليه أشد القتال حتى رجع ثم جاء آخر فكدلك ، وأما تبع الثالث - الذي نحر له وكساه وجعل له علفاً^(٢) ، وأقام عنده أياماً ينحر كل يوم مائة بدنة لا يرزؤه هو ولا أحداً من عسكره شيء^(٣) منها ، يردها الناس في اللخاخ^(٤) والشعاب فيأخذون منها حوائجهم ثم يقع الطير عليها فيأكل ثم يتناهبها السباع إذا أمست لا يرد عنها إنسان ولا طائر ولا سبع ثم رجع إلى اليمن - إنما كان في عهد قريش فمكثت خزاعة على ما هي عليه وقريش إذ ذاك في بني كنانة متفرقة ، وقد قدم في بعض الزمان حاج قضاعة فيهم ربيعة بن حزام^(٥) بن ضبة بن عبد كثير^(٦) بن عذرة بن سعد بن زيد / [٢٢/ب] ، وقد هلك كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب وترك زهرة وقصياً ابني كلاب مع فاطمة بنت عمرو بن سعد بن شنل^(٧) - وزهرة أكبرهما - فتزوج ربيعة بن حزام أمهما ، وزهرة رجل بالغ وقصى فطيم أو في سن الفطيم ، فاحتملها ربيعة إلى بلاده من أرض عدن^(٨) من أشراف الشام فاحتملت معها قصياً لصغره وتخلف زهرة في قومه ، فولدت فاطمة بنت عمرو لربيعة رزاح بن ربيعة فكان أخا قصي بن كلاب لأمه ، ولربيعة بن حزام من امرأة أخرى ثلاثة نفر حن ومحمودة وجلهمة بنو ربيعة ، فبينما قصي بن كلاب في أرض قضاعة لا ينتمي إلا إلى ربيعة بن حزام إذ كان بينه وبين رجل من قضاعة شيء وقصى قد بلغ فقال له القضاعي : ألا تلحق بنسبك وقومك فإنك لست منا . فرجع قصي إلى أمه وقد وجد في نفسه مما قال لها القضاعي فسألها عما قال له فقالت : أنت والله يا بني خير منه

(١) غير واضحة في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي هكذا . والله أعلم .

(٢) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي « غلقاً » . والله أعلم .

(٣) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي « شيئاً » . والله أعلم .

(٤) كذا في الأصل ، وهي الأودية الملتفة المضائق ، وفي أخبار مكة للأزرقي « الفُجاج » - بضم الفاء -

وهي الطرق الواسعة بين جبلين . والله أعلم .

(٥) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي « حرام » . والله أعلم .

(٦) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي « كبير » . والله أعلم .

(٧) لعلها هكذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي « سيل » . والله أعلم .

(٨) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي « عذرة » . والله أعلم .

وأكرم أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب وقومك عند البيت الحرام وما حوله . فأجمع قصى على الخروج إلى قومه والحقاق بهم وكره الغربة فى أرض قضاة فقالت له أمه : يا بني لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج فى حاج العرب فإننى أحشى عليك . فأقام قصى حتى دخل الشهر الحرام وخرج فى حاج قضاة حتى قدم مكة فلما فرغ من الحج وأقام بها ، وكان قصى رجلاً جليداً حازماً بارعاً فخطب إلى «خليل بن حبشية»^(١) الخزاعى ابنته حبيبى ابنة خليل ، فعرف خليل النسب فرغب فى الرجل فزوجه خليل ، وكان خليل يومئذ / [٢٣/أ] يلى الكعبة وأمر مكة ، فأقام قصى معه حتى ولدت حبيبى لقصى «عبد الدار» وهو أكبر ولده «وعبد مناف» و«عبد العزى» و«عبد بن قصى» . فكان خليل يفتح البيت ، فإذا اعتل أعطى ابنته حبيبى المفتاح ففتحته فإذا اعتلت أعطت المفتاح زوجها قصياً أو بعض ولدها ففتحه ، وكان قصى يعمل فى حيازته إليه وقطع ذكر خزاعة عنه ، فلما حضرت خليلاً الوفاة نظر إلى قصى وإلى ما انتشر له من الولد من ابنته فرأى أن يجعلها فى ولد ابنته ، فدعى قصياً فجعل له ولاية البيت وأسلم إليه المفتاح وكان يكون عند حبيبى ، فلما هلك خليل أبت خزاعة أن تدعه وذلك وأخذوا المفتاح من حبيبى ، ويذكر أيضاً أن أبا غُبْشان من خزاعة ، واسمه سليم ، وكانت له ولاية الكعبة باع مفاتيح الكعبة من قصى بزق خمر قليل : «أخسر من صفقة أبى غُبْشان» ذكره المسعودى والأصبهاني فى «الأمثال» . فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة^(٢) ، فمضى قصى إلى رجال من قومه قريش وبني كنانة ودعاهم إلى أن يقوموا معه فى ذلك وأن ينصروه ويعضدوه فأجابوه إلى نصره ، وأرسل قصى إلى أخيه لأمه «رزاح بن ربيعة» وهو ببلاد قومه من قضاة يدعوهم إلى نصره ويعلمه ما حالت خزاعة بينه وبينه من ولاية البيت ، ويسأله الخروج إليه من إجابة قومه ، فقام رزاح فى قومه فأجابوه إلى ذلك وخرج رزاح بن ربيعة ومعه إخوته من أبيه فيمن تبعهم من قضاة فى حاج العرب مجتمعين لنصر قصى والقيام معه ، فلما اجتمع الناس بمكة خرجوا إلى الحج فوقفوا / [٢٣/ب] بعرفة ونزلوا منى ، وقصى يجمع على ما أجمع عليه من قتالهم بمن معه من قريش وبني كنانة ومن قدم عليه مع أخيه رزاح من قضاة ، فلما كان آخر أيام منى أرسلت قضاة إلى خزاعة يسألونهم أن يسلموا إلى قصى ما جعل له خليل ، وعظموا عليهم القتال فى الحرم وحذروهم الظلم والبغى بمكة وذكرهم ما كانت فيه جرهم وما صارت إليه حين ألدوا فيه بالظلم ، فأبت خزاعة أن تسلم ذلك فاقتتلوا بمنقصى مازمى منى فسمى

(١) تقدم ضبطه وفى أخبار مكة للأزرقي « خليل بن حبشية » فليعلم ذلك .

(٢) راجع الروض الأنف (١٤٢/١) ، وذكر المثل ابن ظهيرة فى «الجامع اللطيف» (ص ١١٤) .

ذلك المكان المفجر ؛ لما فجر فيه وسفك فيه من الدم وانتهك من حرمة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً وفشت فيهم الجراحات ، وحاج العرب جميعاً من مضر واليمن مستنكفون ينظرون إلى قتالهم ثم تداعوا إلى الصلح ودخلت قبائل العرب بينهم وعظموا على الفريقين سفك الدماء والفجور في الحرم فاصطلحوا على أن يحكموا بينهم رجلاً من العرب فيما اختلفوا فيه ، فحكموا «يعمر بن عون»^(١) بن كعب بن عامر بن الليث بن بكر بن عبد مناف^(٢) بن كنانة» وكان رجلاً شريفاً فقال لهم : موعدكم لنا الكعبة غداً فاجتمع الناس وعدوا القتلى فكانت في خزاعة أكثر منها في قريش وقضاعة وكنانة ، وليس كل بني كنانة قاتل مع قصي خزاعة إنما كانت مع قريش من بني كنانة فلان يسير^(٣) واعتزلت عنها بكر بن عبد مناة قاطبة ، فلما اجتمع الناس بفناء الكعبة قام يعمر بن عون^(٤) فقال : ألا إني قد شذخت ما كان بينكم من دم تحت قدمي هاتين فلا تباحد^(٥) لأحد على أحد / [٢٤/أ] في دم وإني حكمت لقصي بحجابه الكعبة وولاية أمر مكة دون خزاعة كما جعل له خليل وأن يغلي بينه وبين ذلك ، وأن لا تخرج خزاعة من مساكنها بمكة فسمى يعمر ذلك اليوم «الشذاخ» فسلمت خزاعة لقصي وافترق الناس^(٦) .

قال السهيلي : وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولاية مضر إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار وبعث فيه إياداً ، أخرجتهم بنو مضر بن نزار وجلوهم عن مكة ، تعجذوا^(٧) في الليل إلى الركن الأسود فاقتلعوه واحتملوه على بعير فورخ^(٨) البعير به وسقط إلى الأرض وجعلوه على آخر فورخ أيضاً وعلى الثالث ففعل مثل ذلك دفنوه وذهبوا فلما أصبح أهل مكة ولم يروه وقعوا في كرب عظيم ، وكانت امرأة من خزاعة قد بصرت به حين دفن وأعلمت قومها بذلك فحيثئذ أخذت [على]^(٩) خزاعة

(١) كذا في الأصل ، والذي في أخبار مكة للأزرقي ، والروض (١٤٨/١) « عوف » والله أعلم .

(٢) في أخبار مكة للأزرقي « مناة » وسيرة ابن هشام والروض (١٤٨/١) كذلك . والله أعلم .

(٣) في أخبار مكة للأزرقي « قبائل يسيرة » . والله أعلم .

(٤) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي « تباعة » والمعنى أنه وضع الدماء بينهم ، كما أوضحه ابن هشام في السيرة ، وراجع الروض (١٤٨/١) . والله أعلم .

(٥) أخبار مكة للأزرقي (١٠٣/١ - ١٠٧) ، وراجع الروض (١٤٧/١ ، ١٤٨) وقال السهيلي : شذخ دماء خزاعة أي : أبطلها . والله أعلم .

(٦) في الروض « فعمدوا » وهي واضحة . والله أعلم .

(٧) في الروض « فرزخ » أي : سقطت إعياء أو هزالاً . والله أعلم .

(٨) ليست في الروض ، والمعنى يستقيم بدونها . والله أعلم .

على ولاية الكعبة البيت أن ينحلوا^(١) لهم عن ولايته ويدلوهم على الحجر ففعلوا ذلك ، فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صيرها أبو غُبْشان إلى عبد مناف هذا قول الزبير^(٢) . فولى قصي بن كلاب حجابة الكعبة وأمر مكة وجمع قومه من قريش من منازلهم إلى مكة يستعز بهم وتملك على قومه ، وخزاعة مقيمة بمكة على رباعهم ومساكنهم لم يتحركوا ولم يخرجوا منها ، فلم يزالوا على ذلك حتى الآن ، وكان قصي أول رجل من بنى كنانة أضاف ملكاً وأطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة والرفادة والسقاية والندوة واللواء والقيادة ، ولما جمع قريش قصياً^(٣) بمكة سمى مجمعا ، فحاز قصي شرف مكة / [٢٤/ب] وابتنى دار الندوة ، وفيها كانت قريش تقضى أمورها ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي إلا ابن أربعين سنة للمشورة وكان يدخلها ولد قصي كلهم أجمعون «وخلفاؤهم»^(٤) فلما كبر قصي وكان عبد الدار أكبر ولده وبكره وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه وذهب شرفه على كل مذهب وعبد الدار وعبد العزى وعبد «بنو»^(٥) قصي بها لم يبلغوا ولا أحد من قومهم من قريش ما بلغ عبد مناف من الذكر والشرف والعز ، وكان قصي وحبي بنت خليل يجبان عبد الدار ويرقان عليه ؛ لما يريان من شرف عبد مناف عليه وهو أصغر منه . فقالت له حبي : لا والله لا أرضى حتى يخص عبد الدار بشيء يلحقه بأخيه . فقال قصي : والله لألحقنه به ولأحبونه بذروة الشرف حتى لا يدخل أحد من قريش ولا غيرها الكعبة إلا بإذنه ولا يعصون له أمراً ولا يعقدون لواء إلا عنده ، فأجمع قصي على أن «يقسم»^(٦) أمور مكة الستة التي فيها الذكر والشرف والعز بين ابنيه ، فأعطى عبد الدار السدانة وهى الحجابة ودار الندوة واللواء ، وأعطى عبد مناف السقاية والرفاة^(٧) والقيادة - فأما السدانة وهى الحجابة أى : خدمة البيت وتولى أمره وفتح بابه وإغلاقه ، فيروى إنها كانت قبل قريش لطسم قبيلة من عاد فاستخفوا بحقه واستحلوا حرمة فاهلكهم الله ، ثم وليته بعدهم جرهم فاستخفوا بحقه واستحلوا حرمة

(١) فى الروض « يتحلوا » . والله أعلم .

(٢) الروض الأنف (١٤٢/١) .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « قصي قريشاً » وهو الصواب . والله أعلم . وراجع

الروض (١٤٨/١ ، ١٤٩) .

(٤) فى أخبار مكة للأزرقي « وحلفاؤهم » والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى جميع نسخ الأزرقي سوى « أ » ففيها « بنى » كما ذكره محققه . والله أعلم .

(٦) فى أخبار مكة للأزرقي « يقسم » والظاهر أنه تصحيف . والله أعلم .

(٧) كذا فى الأصل والصواب « والرفادة » كما فى أخبار مكة للأزرقي وغيره . والله أعلم .

فأهلكهم الله ، ثم وليته خزاعة ثم بعد خزاعة ولى قصي بن كلاب حجابة الكعبة وأمر مكة ثم أعطى ولده عبد الدار / [٢٥/أ] السدانة ودار الندوة واللواء ، وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة - فلما هلك قصي أقيم أمره فى قومه بعد وفاته على ما كان عليه فى حياته ، وولى عبد الدار حجابة البيت وولاية دار الندوة واللواء فلم يزل عليه حتى هلك ، وجعل عبد الدار الحجابة بعده إلى ابنه عثمان بن عبد الدار ، وجعل دار الندوة إلى ابنه عبد مناف بن عبد الدار ، أما الندوة فلم تزل بنو عبد مناف بن عبد الدار يلون الندوة دون ولد عبد الدار ، فكانت قريش إذا أرادت أن تشاور فى أمر فتحها لهم عامر بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار وبعض ولده أو ولد أخيه ، وكانت الجارية إذا حاضت أدخلت دار الندوة ثم شق عليها بعض ولد عبد مناف بن عبد الدار درعها ، ثم درعها إياه وانقلب بها أهلها فحججوها ، فكان عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار يسمى محييضاً ، وإنما سميت «دار الندوة» لاجتماع الندى فيها يندونها - أى : يجلسون فيها - لإبرام أمورهم وتشاورهم .

وأما «السدانة» : فلم تزل بنو عثمان بن عبد الدار يلون الحجابة دون ولد عبد الدار ، ثم وليها عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، ثم وليها ولده أبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، ثم وليها ولده طلحة من بعده حتى كان فتح مكة فقبضها رسول الله ﷺ من أيديهم ، وفتح الكعبة ودخلها ثم خرج رسول الله ﷺ من الكعبة مشتملاً على المفتاح ، فقال له العباس بن عبد المطلب ؓ : بأبى أنت وأمى يا رسول الله أعطنا الحجابة مع السقاية / [٢٥/ب] فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنْ أَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾^(١) . قال عمر بن الخطاب : فما سمعتها من رسول الله ﷺ قبل تلك الساعة فتلاها ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع إليه المفتاح^(٢) وقال : غيبوه^(٣) ثم قال : خذوها يا بنى طلحة^(٤) بأمانة الله سبحانه فاعملوا بالمعروف خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ،

(١) سورة النساء : الآية (٥٨) . والحديث أورده الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٥١٦/١) ، والسيوطى فى الدر المنثور (١٧٤/٢) عن ابن عباس مرفوعاً .

(٢) تفسير الطبرى (٤٩١/٨ ، ٤٩٢) عن ابن جريج ، وتفسير ابن كثير (٥١٦/١) ، والدر المنثور (١٧٤/٢ ، ١٧٥) .

(٣) هكذا فى المخطوط وأشار محقق ابن كثير أنه فى المخطوطة والذى فى تفسير الطبرى (٤٩٢/٨) وتفسير ابن كثير (٥١٦/١) عن الزهرى «أعينوه» ، وفى الفتح (٦١٢/٧) قال الزهرى : فلذلك يغيب المفتاح .

(٤) فى أخبار مكة (١١١/١) : «أبى طلحة» وهو جد عثمان . والله أعلم .

فخرج عثمان بن أبي طلحة ، إلى هجرته مع النبي ﷺ وأقام ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة فلم يزل يحجب هو وولده وولد أخيه وهب بن عثمان حتى قدم ولد عثمان ابن طلحة بن أبي طلحة وولد شافع بن طلحة بن أبي طلحة من المدينة وكانوا بها دهرًا طويلًا فلما قدموا حججوا بنى عمهم فولد أبي طلحة جميعًا يحجبون^(١).

ويروى عن عثمان بن أبي طلحة أنه قال : كنا نفتح الكعبة يوم الاثنين والخميس فجاء رسول الله ﷺ يومًا يريد أن يدخل مع الناس فتكلمت بشيء فحلم عني ثم قال : «ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يومًا سهمًا ضعه»^(٢) حيث شئت» فقلت : لقد هلك قريش يومئذ وذلت . فقال : «بل عزت» . ودخل الكعبة ووقعت كلمته منى موقعًا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال . فأردت الإسلام فأخافوني بزبر ديني زبرًا شديدًا فلما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الغصبة غير الله قلبي ودخله الإسلام ، ولم يقدر لي أن آتية حتى رجع إلى المدينة ثم قدر لي الخروج إليه فأدجيت فلقيت خالد بن الوليد فاصطحبنا فلقينا عمرو بن العاص فاصطحبنا فقدمنا المدينة / [٢٦/أ] ، فبايعته وأقمت معه حتى خرجت معه في غزوة الفتح فلما دخل مكة قال : «يا عثمان اتت بالمفتاح» . فأتيته به فأخذه منى ثم دفعه إلى فقال : «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم»^(٣). وفي ذلك أنزل الله : ﴿إِن اللّٰهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٤). وفي الصحيح ، أن رسول الله ﷺ قال : «كل مأثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي هاتين إلا سقاية»^(٥) الحاج وسدانة البيت»^(٦).

(١) أخبار مكة للأزرقي (١١١/١) .

(٢) كذا في الأصل ، وفي الجامع اللطيف (ص ١١٤) «أضعه» . والله أعلم .

(٣) أخرج هذه القطعة : الطبراني في الكبير (١٢٠/١١) ، وفي الأوسط (١٥٥/١) ، وهو في كشف الخفا (٣٧٤/١) ، والمقاصد الحسنة (١٩٨/١) ، وقال في مجمع الزوائد (٢٨٥/٣) : وفيه عبد الله بن المؤمل وثقه ابن حبان وقال : يخطئ ، وثقه ابن معين في رواية وضعفه جماعة . اهـ . وهو في ميزان الاعتدال (٥١٠/٢) .

(٤) سورة النساء : الآية (٥٨) ، وراجع من أول قوله ويروى عن عثمان بن طلحة .. الجامع اللطيف (ص ١١٤ ، ١١٥) .

(٥) السقاية : ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء ، والسدانة : خدمتها وتولي أمرها ، وفتح بابها وإغلاقه ، ويطلق على الحجابة : السدانة . راجع النهاية (٣٥٥/٢ ، ٣٨١) .

(٦) أخرجه أبو داود : كتاب الديات - باب في دية الخطأ شبه العمد ح (٤٥٤٧) ، (٤٥٨٨) عن عبد الله بن عمرو ، وأحمد في المسند : (١١/٢ ، ٣٦ ، ١٠٣) عن عبد الله بن عمر ، (٤١٠/٣) ، (٤١٢/٥) عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وابن =

وعن النبي ﷺ أنه لما فتح الكعبة أخذ من بنى شيبة مفتاح الكعبة حتى أشفقوا أن ينزعه منهم ثم قال : « يا بنى شيبة هاكم المفتاح وكلوا بالمعروف »^(١) . رواه سعيد بن منصور . وقال العلماء : إن هذه ولاية من رسول الله ﷺ فلا يجوز لأحد أن ينزعها منهم^(٢) .

قال المحب الطبري : لا يبعد أن يقال هذا إذا حافظوا على حرمة ولازموا الأدب في خدمته ، أما إذا لم يحفظوا حرمة فلا يبعد أن يجعل عليهم ومعهم مشرف يمنعهم من هتك حرمة ، قال : وربما تعلق الجاهل المعكوس الفهم بقوله ﷺ : « كلوا بالمعروف » فاستباح أخذ الأجرة على دخول البيت ، ولا خلاف بين الأمة في تحريم ذلك وأنه من أشنع البدع وأقبح الفواحش ، قال : وهذه اللفظة وإن صحت فيستدل بها على إقامة الحرمة ؛ لأن أخذ الأجرة ليس من المعروف وإنما الإشارة - والله أعلم - إلى أن ما يتصدق به من البر والصلة على وجه التبرر فلهم أخذه وذلك أكل بالمعروف لا محالة ، وإلى ما يأخذونه من بيت المال على ما يتولونه / [٢٦/ب] من خدمته والقيام بمصالحه فلا يحل لهم إلا قدر ما يستحقونه . والله أعلم^(٣) .

وأما اللواء : فكان في أيدي بنى عبد الدار كلهم يليه منهم ذوا السن والشرف في الجاهلية ، حتى كان يوم أحد فقتل عليه من قتل منهم^(٤) .

وأما الرفادة : فخرج كانت قريش تخرجه من أموالها في كل موسم فتدفعه إلى قصي يصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد ، وكان قصي ينحر على كل طريق من طرق مكة جزوراً وينحر بمكة جزراً كثيرة ويطعم الناس ، وكان يحمل راجل الحاج ويكسو عاريهم ، فلما هلك قصي أقيم أمره في قومه بعد وفاته على ما كان عليه في حياته - ولم تزل لعبد مناف بن قصي يقوم بها حتى توفي فولد بعده هاشم بن عبد مناف فكان يطعم الناس في كل موسم مما يجتمع عنده من ترافد قريش ، كان يشتري بما يجتمع

- ماجة: كتاب الديات - باب دية شبه العمدة مغلظة ح (٢٦٢٨) عن ابن عمر ، وقال المنذرى : أخرجه النسائي وابن ماجة وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير . راجع عون المعبود (١٩٠ / ١٢) ، وذكره الأزرقى (١١٤ / ١) ، وابن كثير في تفسيره (٥١٥ / ١) .

(١) ذكره الحافظ في الفتح (٦١٢ / ٧) عن علي بن أبي طلحة ، وابن ظهيرة في الجامع اللطيف (ص ١١٥) .

(٢) الجامع اللطيف (١١٥) .

(٣) الجامع اللطيف (ص ١١٥) .

(٤) الأزرقى (١١١ / ١) وفيه « ذو السن » بدلاً من « ذوا السن » ، والجامع اللطيف (ص ١١٧) .

عنده دقيقاً ويأخذ من كل ذبيحة من بدنة وبقرة^(١) أو شاة فخذها فيجمع ذلك كله ثم «ينخرده به الدقيق»^(٢) ويطعمه الحاج ، فلم يزل على ذلك من أمره حتى أصاب الناس في سنة جذب شديد ، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام فاشترى بما اجتمع عنده من ماله دقيقاً وكعكاً فقدم به مكة في الموسم فهشم ذلك الكعك ونحر الجزور وطبخها وجعله ثريداً وأطعم الناس ، وكانوا في مجاعة شديدة حتى أشبعهم ، فسمى بذلك هاشماً وكان اسمه عمراً ، فلم يزل هاشم على ذلك حتى توفي ، فكان عبد المطلب يفعل ذلك فلما توفي عبد المطلب قام بذلك أبو طالب في كل موسم حتى جاء الإسلام وهو على ذلك ، وكان النبي ﷺ [٢٧/] قد أرسل بمال يعمل به الطعام مع أبي بكر ﷺ حين حج أبو بكر بالناس سنة تسع ثم عمل في حجة النبي ﷺ في حجة الوداع ثم أقامه أبو بكر ﷺ في خلافته ثم عمر في خلافته ثم الخلفاء ، وهلم جرّاً^(٣) . قال الأزرقى : وهو طعام الموسم الذى يطعمه الخلفاء اليوم في أيام النحر بمنى حتى تنقضى أيام الموسم^(٤) ، وكان معاوية ﷺ اشترى داراً بمكة وسماها دار المراحل وجعل فيها قدوراً وكانت الجزور والغنم تذبح وتطبخ فيها وتطعم الحاج أيام الموسم ثم يفعل ذلك في شهر رمضان^(٥) .

وكأنت الجزور والغنم تذبح وتطبخ فيها وتطعم الحاج أيام الموسم ، ثم يفعل ذلك في شهر رمضان^(٦) . ويروى أن أول من أطعم الحاج «الفالوزج»^(٧) بمكة عبد الله بن جدعان^(٨) . قال أبو عبيدة : وفد عبد الله بن جدعان على كسرى فأكل عنده «الفالوزج»^(٩) فسأل عنه فقالوا : لباب البر يلت مع العسل . فقال : أبيعونى غلاماً يصنعه . فأتوه بغلام فابتعاه فقدم به مكة فأمره فصنعه للحاج ، ووضع الموائد من الأبطح إلى باب المسجد ثم نادى مناديه ألا من أراد «الفالوزج»^(١٠) فليحضر فحضر الناس ، وأنه مازال

(١) كذا في الأصل ، وعند الأزرقى «أو بقرة» . والله أعلم .

(٢) كذا في الأصل ، والأقرب أن تكون «ينخرده الدقيق» أى يقطعه قطعاً ، وعند الأزرقى «ينخر به» . والله أعلم .

(٣) أخبار مكة للأزرقى (١/١١١ ، ١١٢) ، والجامع اللطيف (١١٥ ، ١١٦) .

(٤) أخبار مكة (١/١١٢) .

(٥) الجامع اللطيف (١١٦) .

(٦) الجامع اللطيف (ص ١١٦) .

(٧) كذا في الأصل ، وفي الجامع اللطيف ، والمنمق «الفالوزج» بالذال المعجمة . والله أعلم . وهو حلواء هلامية رجرجة تعمل من الدقيق والماء والعسل ومواد أخرى . «المعجم الوسيط» .

(٨) المنمق (ص ٣٧٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (٣/٢٢٣) .

طعام فى الجاهلية^(١). وفى صحيح مسلم عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت لرسول الله ﷺ: إن ابن جدعان كان يطعم الناس ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين »^(٢). وابن جدعان هو ابن عم عائشة - رضى الله عنها - .

وفى غريب الحديث لابن قتيبة : أن رسول الله ﷺ قال : « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان فى الهاجرة »^(٣). قال ابن قتيبة : كانت جفنته يأكل / [٢٧/ب] منها الراكب على البعير وسقط فيها صبي فمات^(٤).

قال السهيلي : وكان ابن جدعان فى بدء أمره صعلوكاً ترب اليمين ، وكان مع ذلك شريفاً فاتكاً لا يزال يجنى الجنايات فتغفل^(٥) عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته ، ونفاه أبوه وحلف أن لا يؤويه أبداً لما أثقله به من الغرم وحمله من الديات ، فخرج فى شعاب مكة حائراً ثائراً^(٦) يتمنى الموت أن ينزل به ، فرأى شقاً فى جبل فظن فيه حية فتعرض للشق يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئاً فدخل فيه ، فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان يتقدان كالسراجين ، فحمل عليه الثعبان فأفرج له فانساب عنه مستديراً بدارة عندها بيت فخطى خطوة أخرى فصَفَر به الثعبان وأقبل إليه كالسهم فأفرج له فانساب عنه ، فوقع فى نفسه أنه مصنوع من ذهب ومسكه بيده فإذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان ، فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فإذا جثث على سرر طوال لم ير مثلهم طولاً وعظماً وعند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم ، وإذا هم رجال من ملوك جرهم وآخرهم موتاً الحارث بن مضاض ، وإذا عليهم ثياب لا يمس منها شيء إلا انتثر

(١) الجامع اللطيف (ص ١١٦) . ولم يذكره عن أبى عبيدة .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمله ح

(٢١٤) ، وأحمد فى المسند (٩٣/٦ ، ١٢٠) . ولفظ مسلم : عن عائشة قالت : قلت يا

رسول الله ! ابن جدعان ، كان فى الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟ قال :

« لا ينفعه . إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » .

(٣) راجع الروض الأنف (١٥٨/١) ، والقرطبي (٢٧٦/١٤) .

(٤) راجع الروض الأنف (١٥٨/١) ، والجفنة : أعظم ما يكون من القصاص . لسان العرب مادة «جفن» .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى الروض « فيعقل » وبه يستقيم المعنى . والله أعلم .

(٦) كذا فى الأصل ، وفى الروض « بائراً » ، يقال : رجل حائر بائر : إذا لم يتجه لشيء . لسان العرب « حير » . والله أعلم .

كالهباء من طول الزمن وإذا فى وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم على الشق علامة وأغلق بابه بالحجارة ، وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم ، وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل بالمعروف - وصار / [٢٨/١] هذا الكنز معروفاً بكنز ابن جدعان - وهو ممن حرم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان مغرئاً بها وذلك أنه سكر فتناول القمر ليأخذه فأخبر بذلك حين صحا فحلف لا يشربها أبداً ، ولما كبر وهرم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبذير ماله ولأموه فى العطاء فكان يدعو الرجل فإذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة ثم قال له : قم فانشد لطمتك واطلب ديتها ، فإذا فعل ذلك أعطاه بنو تميم من مال ابن جدعان حتى يرضى. انتهى كلام السهيلي^(١).

وأما «السقاية» : فلم تزل بيد عبد مناف فكان يسقى الناس الماء من بئر خم^(٢) على الإبل فى المزارد والقرب ، ثم يسكب ذلك الماء فى حياض من آدم بفناء الكعبة فيرده الحاج حتى يتفرقوا فكان يستعذب ذلك الماء^(٣). قال السهيلي : ذكروا أن قصياً كان يسقى الحجيج فى حياض من آدم ، وكان ينقل الماء إليها من آبار خارجة من مكة منها «بئر ميمون الحضرمي»^(٤) ، وكان ينبذ لهم الزبيب ، ثم احتفر لهم قصي «العجول»^(٥) فى دار أم هانئ بنت أبي طالب بالحزورة وهى أول سقاية احتفرت بمكة ، وكانت العرب إذا قدمت مكة يردونها فيستقون منها ويتراحمون عليها^(٦) ، وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت آباراً ، وحفر قصي أيضاً بئراً عند الردم الأعلى ثم حفر هاشم ابن عبد مناف بئراً وقال حين حفرها : لأجعلنها للناس بلاغاً. وحفرها قصي أيضاً

(١) الروض الأنف (١٥٩/١ ، ١٦٠).

(٢) بئر خم : كانت مشرب الناس فى الجاهلية ، وحفرها كلاب بن مرة ، ويقال إنها لبنى مخزوم . تاريخ مكة للفاكهى (٩٧/٤) ، والأزرقي (١١٢/١) ، (٢١٤/٢) . وقال السهيلي فى الروض الأنف (١٧٤/١) : هى بئر مرة ، فهى من حمت البيت إذا كنسته ، ويقال : فلان مخموم القلب أى : نقيه ، فكانها سميت بذلك لنقاها .

(٣) تاريخ مكة للأزرقي (١١٢/١) .

(٤) بئر ميمون الحضرمي : آخر بئر حفرت من هذه الآبار فى الجاهلية ، ولم يكن بمكة يومئذ ماء يشرب إلا زمزم ، وحفرها ميمون بن الحضرمي . تاريخ مكة للفاكهى (١٠٤/٤) ، والأزرقي (٢٢٢/٢) .

(٥) العجول : بئر لم يحفر أول منها . تاريخ مكة للأزرقي (٢١٥/٢) ، وتاريخ مكة للفاكهى (٩٧/٣) وقال إن الذى حفرها «قصي» . ١ هـ . والروض الأنف (١٧٢/١) .

(٦) الروض الأنف (١٧٢/١) .

سجلة^(١) ، وقيل : بل حفرها هاشم وهي البئر التي يقال لها : بئر جبير بن مطعم فكانت سجلة لهاشم بن عبد مناف فلم تزل لولده حتى وهبها أسد بن هاشم لمطعم بن عدى حين حفر عبد المطلب / [٢٨/ب] زمزم واستغنوا عنها ، ويقال : وهبها له عبد المطلب حين حفر زمزم واستغنى عنها ، وسأله المطعم بن عدى أن يضع حوضاً من آدم إلى جنب زمزم السفلى ؛ ليسقى فيه من ماء بئر فأذن له فى ذلك فكان يفعل ، فلم يزل هاشم بن عبد مناف يسقى الحاج حتى توفى فقام بأمر السقاية من بعده عبد المطلب بن هاشم فلم يزل كذلك حتى حفر زمزم فأغنت عن آبار مكة فكان منها مشرب الحاج ، قال : وكانت لعبد المطلب إبل كثيرة إذا كان يوم الموسم جمعها ثم سقى لبنها بالعسل فى حوض من آدم عند زمزم ، ويشترى الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج ؛ ليكسر غلظ ماء زمزم وكانت إذ ذاك غليظة جداً ، وكان الناس إذ ذاك لهم فى بيوتهم أسقف^(٢) فيها الماء من هذه الآبار ثم ينبذون فيها القبضات من الزبيب والتمر ؛ لتكسر عنهم ماء آبار مكة ، وكان الماء العذب بمكة عزيزاً لا يوجد إلا لإنسان يستعذب له من بئر ميمون خارج مكة ، فلبث عبد المطلب يسقى الناس حتى توفى ، فقام بأمر السقاية بعده العباس بن عبد المطلب عليه السلام فلم تزل فى يده ، وكان للعباس كرم بالطائف وكان يحمل زيبه إليها وكان يداين أهل الطائف ويقتضى منهم الزبيب فينبذ ذلك كله ويسقيه الحاج أيام الموسم ، فدخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح فقبض السقاية من العباس بن عبد المطلب والحجابة من عثمان بن طلحة ، فقام العباس بن عبد المطلب عليه السلام فبسط يده وقال : يا رسول الله بأبى أنت وأمى اجمع لى / [٢٩/أ] الحجابة والسقاية فقال رسول الله ﷺ : «أعطيتكم ما ترزءون فيه ولا ترزءون منه»^(٣) . فقام بين عضادتي باب الكعبة فقال : ألا إن كل دم أو مال أو مائة كانت فى الجاهلية فهى تحت قدمي هاتين إلا سقاية الحاج وسدانة الكعبة ، فإني قد أمضيتهما لأهلها على ما كانت عليه فى الجاهلية^(٤) .

فقبضها العباس فكانت فى يده حتى توفى فوليها بعده عبد الله بن عباس فكان يفعل فيها

(١) تاريخ مكة للأزرقي (٢/٢١٧) ، والروض الأنف (١/١٧٢ ، ١٧٣) ، وتاريخ مكة للفاكهى (٤/٩٩ ، ١٠٠) .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي «أسقية» . والله أعلم .

(٣) المغازى للواقدي (٢/٨٣٣) ، وسيرة ابن هشام مع شرح أبى ذر الخشني (٤/٧٩) وفيها : وقال أبو على : إنما معناه : إنما أعطيتكم ما تمنون كالسقاية التى تحتاج إلى مون ، وأما السدانة فبرزوا لها الناس بالبعث إليها يعنى كسوة البيت . اهـ . «وعندهم ترزءون» بتقديم الراء . والله أعلم .

(٤) تقدم تخريجه .

كفعله دون بنى عبد المطلب ، وكان محمد ابن الحنفية عليه السلام قد كلم فيها ابن عباس فقال له ابن عباس : ما لك ولها نحن أولى بها فى الجاهلية والإسلام ، قد كان أبوك يتكلم فيها فأقامت البينة طلحة بن عبد الله وعامر بن ربيعة وأزهر بن عيد الرحمن بن عوف ومخرومة ابن نوفل أن العباس بن عبد المطلب كان يليها فى الجاهلية بعد عبد المطلب وجدك أبو طالب فى إبله فى باديته بعرة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه العباس يوم الفتح دون بنى عبد المطلب فعرف ذلك من حضر ، فكانت بيد عبد الله بن عباس بتولية النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره لا ينازعه فيها منازع ولا يتكلم فيها متكلم حتى توفى ، فكانت فى يد على ابن عبد الله بن عباس يفعل فيها كفعل أبيه وجده - رضى الله عنهم - يأتية الزبيب من ماله بالطائف وينبذه حتى توفى ، فكانت بيد ولده حتى الآن^(١) .

قال الأزرقى : كان لزمر حوضان : فحوض بينها وبين الركن يشرب منه الماء ، وحوض من ورائها للوضوء له سرب يذهب فيه الماء^(٢) .

وأما القيادة : أى قيادة الجيوش / [٢٩/ب] - من قاد أى : [قود]^(٣) ، الواحد قائد - فوليه من بنى عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف ثم من بعده أمية بن عبد شمس ، ثم حرب بن أمية فقاد الناس يوم عكاظ وغيره ، ثم كان سفيان^(٤) بن حرب يقود قريشاً بعد أبيه حتى كان يوم بدر فقاد الناس عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وكان أبو سفيان فى الحرب^(٥) فى العير يقود الناس فلما كان يوم أحد قاد الناس أبو سفيان بن حرب ، وقاد الناس ، يوم الأحزاب ، وكانت آخر وقعة لقريش وحرب حتى جاء الله تعالى بالإسلام وفتح مكة^(٦) .

[فصل]

ما جاء فى عبادة بنى إسماعيل الحجارة وتغيير دين إبراهيم

قال ابن إسحاق : إن بنى إسماعيل وجرهم ضاقت عليهم مكة فتفلسحوا فى البلاد والتمسوا المعاش ، وأول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل أنه كان لا يظعن من

(١) تاريخ مكة للأزرقى (١١٣/١ - ١١٥) وفيه «مخرمة» بدلاً من «مخرومة» .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (٥٩/٢) بسنده عن عطاء .

(٣) غير واضحة فى الأصل ، ولعلها ما أثبتناه . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « أبو سفيان » وهو الصواب . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، ولعل معناها : فى أثناء الحرب قائماً على العير . والله أعلم .

(٦) تاريخ مكة للأزرقى (١١٥/١) ، والجامع اللطيف (ص ١١٧ ، ١١٨) .

مكة ظاعن منهم إلا احتملوا معهم من حجارة الحرم ؛ تعظيمًا للحرم وصباية^(١) بمكة وبالكعبة حيث ما حلوا وضعوه وطافوا به كالطواف بالكعبة حتى أفضى ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من حجارة الحرم خاصة حتى خلفت الخلوف بعد الخلوف ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - غيره ، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم من الضلالات ، واستباحوا ما كان يعبد قوم نوح منها على إرث^(٢) ما كان قد بقى فيهم من ذكرها ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة ومزدلفة وهدى البدن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه / [٣٠] ما ليس منه ، وكان أول من غير دين إسماعيل وإبراهيم ونصب الأوثان وسيب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحام عمرو بن لحي .

قال رسول الله ﷺ : « رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار - أى أمعاءه - على رأسه فروة » ، فقال له رسول الله ﷺ : « من فى النار » ؟ قال : من بينى وبينك من الأمم^{(٣)(٤)} .

[فصل]

ما جاء فى أول من نصب الأصنام فى الكعبة والاستقسام بالأزلام

قال ابن إسحاق : إن البئر التى كانت فى جوف الكعبة كانت على يمين من دخلها ، وكان عمقها ثلاثة أذرع ، حفرها إبراهيم وإسماعيل ؛ ليكون فيها ما يهدى للكعبة فلم تزل كذلك حتى كان عمرو بن لحي فقدم بصنم يقال له : هبل من هيت من أرض الجزيرة ، وكان هبل من أعظم أصنام قريش عندها ، فنصبه على البئر فى بطن الكعبة وأمر الناس

-
- (١) الصباية : الشوق ، وقيل : رفته وحرارته ، وقيل : رقة الهوى « لسان العرب » مادة : « صبيب » .
(٢) قال أبو عبيد : الإرث أصله من الميراث . اهـ . أى بقية من ورث قوم نوح ، وفرق بعض العلماء بين الإرث والميراث ، لأن الميراث فى المال ، والإرث فى الحسب . والله أعلم . راجع « لسان العرب » مادة : ورث ، « وغريب الحديث » لأبى عبيد (١٨١/١ ، ١٨٢) .
(٣) أخرجه البخارى : كتاب التفسير - باب ﴿ ما جعل الله من بحيرة ... ﴾ ح (٤٦٢٤ - فتح) ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ح (٢٨٥٦) . لكن بلفظ « رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار ، وكان أول من سيب السيوب عن أبى هريرة مرفوعاً . وعند ابن هشام (١٢٠/١ ، ١٢١) عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم مرفوعاً نحوه .
(٤) تاريخ مكة للأزرقي (١١٦/١ ، ١١٧) .

بعبادته ، فكان الرجل إذا قدم من سفره بدأ به على أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده ، وهبل الذى قال له أبو سفيان يوم أحد : «أهل»^(١) هبل اعل هبل أى : ظهر دينك فقال النبى ﷺ : «الله أعلى وأجل»^(٢) . وكان اسم البئر الأخسف^(٣) .

قال إسحاق^(٤) : وكان عند هبل فى الكعبة سبعة قداح ، كل قدح منها مكتوب فيه كتاب ، قدح فيه «العقل» إذا اختلفوا فى العقل من يحمله ضربوا بالقداح السبعة عليهم فعلى من خرج حمله وقدح فيه «نعم» للأمر إذا أرادوه «يضرب به فى القداح»^(٥) فإن ظهر قدح فيه نعم عملوا به ، وقدح فيه «لا» فإذا أرادوا الأمر ضربوا به فى القداح فإذا خرج ذلك لم يفعلوا ذلك الأمر وقدح فيه «منكم» ، وقدح فيه «ملصق» ، وقدح فيه «من غيركم» ، وقدح فيه [٣٠/ب] «المياه» فإذا أرادوا أن يحفروا الماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح فحيث ما خرج به عملوا به ، وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً أو يزوجوا أحداً أو يدفنوا ميتاً أو شكوا فى نسب أحد ذهبوا به إلى هبل ومائة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ثم قالوا : يا إلهنا هذا فلان بن فلان أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ثم يقولون لصاحب القداح : اضربه فإن خرج «منكم» كان منهم وسيطاً ، وإن خرج عليه «من غيركم» كان حليفاً ، وإن خرج عليه «ملصق» كان ملصقاً على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف ، وإن خرج عليه شيء سوى هذا مما يعملون به عملوا به ، وإذا خرج «لا» أخروه عامه ذلك حتى يأتون^(٦) به مرة أخرى ينتهون فى أمرهم ذلك إلى ما خرجت به القداح^(٧) ، وكذلك فعل عبد المطلب بابنه حين أراد أن يذبحه^(٨) . قال ابن إسحاق : وكان هبل من حُرز العقيق على

(١) كذا فى الأصل ، وفى الرواية « اعل » وكذا عند الأزرقي . والله أعلم .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب المغازى - باب غزوة أحد ح (٤٠٤٣ - فتح) ، وأحمد فى المسند :

(٢٩٣/٤) عن البراء بن عازب ، والمسند (٤٦٣/١) عن عبد الله بن مسعود ، ولم يتكرر لفظ

« اعل هبل » وتكرر عند القرطبي (٧٦/٩) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقي (١١٧/١) .

(٤) كذا فى الأصل ، والصواب « ابن إسحاق » وراجع الأزرقي (١١٧/١) ، وسيرة ابن هشام مع

الروض الأنف (١٧٦/١) . والله أعلم .

(٥) فى السيرة « يضرب به القداح » ، وفى الأصل « يضرب به فى القداح » كأنه مضروب عليه .

(٦) كذا فى الأصل ، والصواب « يأتوا » كما فى الأزرقي والسيرة . والله أعلم .

(٧) تاريخ مكة للأزرقي (١١٧/١ - ١١٩) ، وسيرة ابن هشام (٢٠٣/١ ، ٢٠٤) ، والسيرة مع

الروض (١٧٦/١) .

(٨) تاريخ مكة للأزرقي (١١٨/١ ، ١١٩) .

صورة إنسان وكانت يده اليمنى مكسورة [فأدركته ^(١) قريش فجعلت له يداً من ذهب ، وكانت له خزانة للقربان وكان قربانه مائة بعير ، وكان له حاجب ^(٢) .

[فصل]

ما جاء فى أول من نصب الأصنام وما كان من كسرها

قد تقدم أنه زنى رجل من جرهم بامرأة فى الكعبة وقبّلها فيها فمسحها حجّرين ^(٣) ، واسم الرجل إساف بن بغيه ^(٤) ، وقيل : إساف بن عمرو ^(٥) ، واسم المرأة نائلة بنت ذئب ، وقيل : بنت سهيل ، فأخرجها من الكعبة - وعليهما ثيابهما - فنصب أحدهما على الصفا والآخر على المروة ، فلم يزل الأمر يدرس ويتقادم حتى صار بمسحهما من وقف على الصفا والمروة ثم صاروا وثنين يعبدان ، فلما كان عمرو بن لحي أمر الناس بعبادتهما / [٣١ /] والتمسح بهما حتى كان قصي فصارَت إليه الحجابة وأمر مكة فحولهما من الصفا والمروة ، فجعل أحدهما بلصق الكعبة وجعل الآخر فى موضع زمزم ، وكان ينحر عندهما - وكان يطرح بينهما ما يهدى للكعبة ، ولم تكن تدنو منهما امرأة طامث - وكان الطائف إذا طاف بالبيت بدأ بإساف فاستلمه ، وإذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها ، حتى كان يوم الفتح فكسرها رسول الله ﷺ مع ما كسر من الأصنام ^(٦) . فخرج من نائلة عجوز سوداء شطّاء حبشية تخمش وجهها عريانة ناشرة الشعر تدعو بالويل والثبور ، فقيل لرسول الله ﷺ فى ذلك : فقال : « تلك نائلة قد أيسّت أن تعبد ببلادكم » ^(٧) . وعن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وإن بها ثلاثمائة وستين صنماً قد سدها ^(٨) لهم إبليس بالطعام - وفى رواية : حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً - وكان بيد رسول الله ﷺ قضيب - فطاف على راحلته وجعل يطعنهما -

(١) غير واضحة فى الأصل ، والتصويب من الأزرقى (١١٩/١) .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (١١٩/١)

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (١١٩/١) ، وسيرة ابن هشام (١٢٧/١) وأورده من طريق ابن إسحاق

بسند عن عائشة موقوفاً ، والبداية والنهاية (١٧٨/٢) .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى السيرة « بغي » . والله أعلم .

(٥) تاريخ مكة للأزرقى (١٢٢/١) ، ومغازى الواقدي (٨٤١/٢) .

(٦) تاريخ مكة للأزرقى (١١٩/١ ، ١٢٠) عن ابن إسحاق ، وما بين الاعتراضات عن عمرة .

(٧) مغازى الواقدي (٨٤١/٢) ، وتاريخ مكة للأزرقى (١٢٢/١) ، والروض الأنف (١٠٥/١) ،

وهو فى دلائل النبوة للبيهقى (٧٥/٥) بسند عن ابن أبى ، وكذا هو فى « البداية والنهاية »

(٣٠٠/٤ ، ٣٠١) .

(٨) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « سدها ، بالرصاص » والله أعلم .

ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾^(١) - فما منها صنم أشار إلى وجهه إلا وقع على دبره ، ولا أشار إلى دبره إلا وقع على وجهه حتى وقعت كلها^(٢) وأمر بهبل فكسر وهو واقف عليه . فقال الزبير بن العوام رضي الله عنه لأبي سفيان : يا أبا سفيان ابن حرب قد كسر هبل أما إنك قد كنت منه يوم أحد في غرور حين تزعم أنه قد أنعم عليك ، فقال أبو سفيان : دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى أن لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان^(٣) .

وقال ابن إسحاق : لما صلى النبي ﷺ / [٣١/ب] الظهر يوم الفتح أمر بالأصنام التي حول الكعبة فجمعت ثم حرقت بالنار وكسرت^(٤) ، ولم يكن في قريش رجل بمكة إلا وفي بيته صنم^(٥) . ويقال : إن إبليس رن ثلاث رنات : رنة حين لُعن فتغيرت صورته عن صورة الملائكة ، ورنة حين رأى رسول الله ﷺ قائماً بمكة ، ورنة حين افتتح رسول الله ﷺ^(٦) .

وقال ابن إسحاق : نصب عمرو بن لحي الخليفة بأسفل مكة ، وكانوا يلبسونها القلائد ويهدون لها الشعير والحنطة ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ويلقون عليها بيض النعام ، ونصب على الصفا صنماً يقال له : نهيك مجاود الريح ، ونصب على المروة صنماً يقال له : مطعم الطير^(٧) . وأما مناة وكانت صخرة هذيل^(٨) وخزاعة فأول من نصبها عمرو ابن لحي على ساحل البحر مما يلي قديد ، وكانت الأوس والخزرج وغسان من الأزد ومن دان دينها من أهل يثرب وأهل الشام كانوا يحجونها ويعظمونها ، فإذا طافوا بالبيت

(١) أخرجه البخارى : كتاب المظالم - باب هل تكسر الدنان التي فيها خمر أو تخرق الزقاق ح (٢٤٧٨ - فتح) ، ومسلم : كتاب الجهاد والسير - باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ح (١٧٨١) بنحوه .

(٢) سيرة ابن هشام (٨٤/٤ ، ٨٥) ، وتاريخ مكة للأزرقي (١٢٠/١ ، ١٢١) وما بين الاعتراضات رواية أخرى ، ومغازي الواقدي (٨٣٢/٢) ، والبداية والنهاية (٣٠١/٤) .

(٣) مغازي الواقدي (٨٣٢/٢) ، وتاريخ مكة للأزرقي (١٢٢/١) .

(٤) تاريخ مكة للأزرقي (١٢١/١) .

(٥) تاريخ مكة للأزرقي (١٢٣/١) ولكنه عن الواقدي ، كما في مغازي الواقدي (٨٧٠/٢) بسنده عن سعيد بن عمرو الهذلي .

(٦) تاريخ مكة للأزرقي (١٢٣ ، ١٢٤/١) ، ومغازي الواقدي (٨٤١/٢ ، ٨٤٢) .

(٧) تاريخ مكة للأزرقي (١٢٤/١) .

(٨) تاريخ مكة للأزرقي (١٢٥/١) عن عماد بن السائب الكلبي .

وأفاضوا من عرفات. وفرغوا من منى لم يخلقوا رؤوسهم إلا عند مناة ، وكان^(١) يهلون لها ومن أهل لها لم يطف بين الصفا والمروة مكان^(٢) الصنمين اللذين عليهما ، وهما نهيك مجاود الريح ومطعم الطير ، وكان هذا الحى من الأنصار يهلون بمناة ، وكانوا إذا أهلوا بحج أو عمرة لم يظل أحد منهم سقف بيته حتى يفرغ من حجه أو عمرته ، فكان الرجل إذا أحرم لم يدخل بيته ، وإن كانت له فيه حاجة تسور من ظهر بيته لتلا يحف^(٣) رتاج الباب رأسه ، فلما جاء الله بالإسلام وهدم أمر الجاهلية أنزل فى ذلك : ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾^(٤) [٣٢/١] .

وأما اللات والعزى فكان بدء أمرهما فيما روى ابن عباس : أن رجلاً ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحاج إذا مروا فتلّت سويقهم - وكان ذا غنم - فسميت الصخرة اللات فمات ، فلما فقدته الناس قال لهم عمرو : إن ربكم كان اللات فدخل فى جوف الصخرة ، وكانت العزى ثلاث شجرات سمّرات^(٥) بنخلة ، وكان أول من دعى إلى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب ، وقال لهم عمرو : إن ربكم يصيف باللات لبرد الطائف ويشتو بالعزى لحر تهامة ، وكان فى كل واحدة شيطان يعبد ثم بعث رسول الله ﷺ بعد الفتح خالد بن الوليد إلى العزى يقطعها فقطعها ثم جاء فقال له النبى ﷺ : «ما رأيت فيهن؟» فقال : لا شىء قال : «ما قطعتهن فارجع فاقطع» فرجع فقطع فوجد تحت أصلها امرأة ناشرة شعرها قائمة عليهن كأنها تنوح عليهن فرجع فقال : إنى رأيت كذا وكذا قال : «صدقت»^(٦) . ويروى أن خالد بن الوليد خرج إلى العزى يهدمها فى ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهى إليها فهدمها ثم رجع إلى النبى ﷺ فقال : «أهدمت؟» قال : نعم يا رسول الله . قال : «هل رأيت شيئاً؟» قال : لا .

(١) فى تاريخ مكة للأزرقي « وكانوا » والله أعلم .

(٢) عند الأزرقي « لمكان » . والله أعلم .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « يحن » وهو الصواب . والله أعلم ، أى : يسر رأسه .

راجع لسان العرب مادتي « رتج » ، « جنن » .

(٤) سورة البقرة : الآية (١٨٩) . وراجع تفسير القرطبي (٣٤٥/٢) ، وتاريخ مكة للأزرقي

(١٢٤/١ ، ١٢٥) .

(٥) سمّرات جمع شرة - بضم الميم - : من شجر الطلح . لسان العرب مادة « سمر » .

(٦) تاريخ مكة للأزرقي (١٢٥/١ ، ١٢٦) ، وراجع البداية والنهاية (٣١٥/٤) ، ودلائل النبوة

للبيهقي (٧٧/٥) ، والدر المنثور (١٢٦/٦) ، وتفسير ابن كثير (٢٥٤/٤) ، والمجمع

(١٧٦/٦) وتفسير القرطبي (٩٩/١٧ ، ١٠٠) ، والحديث كذلك فى النسائي الكبرى

(٤٧٤/٦) عن أبى الطفيل بنحوه .

قال ﷺ : « فإنك لم تهدمها فارجع فاهدمها » فخرج خالد وهو متغيظ فلما انتهى إليها جرد سيفه فخرجت إليه امرأة عريانة ناشرة شعرها فجعل السادن يصيح بها فأقبل خالد بالسيف إليها فضربها فجزلها باثنتين ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، قال : / [٣٢/ب] « تلك العزى قد أيسست أن تعبد ببلادكم » . [فقال] ^(١) خالد : يا رسول الله ، الحمد لله الذى أكرمنا بك وأنقذنا بك [من الهلكة] ^(٢) ، لقد كنت أرى أبى يأتى إلى العزى بخير ماله من الإبل والغنم [فيذبحها] ^(٣) للعزى وقيم عندها ثلاثاً ثم ينصرف إلينا مسروراً ، ونظرت إلى ما مات أبى وإلى ذلك الرأى الذى يعاش فى فضله ، وكيف خدع حتى صار يذبح لما لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، فقال رسول الله ﷺ : « إن هذا الأمر إلى الله فمن يسره للهدى تيسر له ومن يسره للضلالة كان فيها » ^(٤) . وكان هدمها لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان ، وكان سادنها أفلح بن النضر السلمى من بنى سليم ، فلما حضرته الوفاة دخل عليه أبو هب يعوده وهو حزين ، فقال : ما لى أراك حزينا ؟ قال : أخاف أن تضيع العزى من بعدى . فقال له أبو هب : لا تحزن فأنا أقوم عليها بعدك . فجعل أبو هب يقول لكل من لقيه : إن تظهر العزى كنت قد اتخذت عندها يداً ، وإن يظهر محمد ﷺ على العزى وما أراه يظهر فابن أخى . فأنزل الله عز وجل ﴿ تَبْتَ يدا أبى هب وتب ﴾ ^(٥) .

وأما ذات أنواط : فكانت شجرة عظيمة خضراء بحنين ، يقال لها : « ذات أنواط » لكفار قريش ومن سواهم من العرب ، كانوا يعظمونها ويذبحون لها ويعكفون عندها يوماً ، وكان من حج منهم وضع زاده عندها ويدخل بغير زاد تعظيماً للحرم ، فلما ذهب رسول الله ﷺ إلى حنين قال له رهط من أصحابه فيهم الحارث بن مالك : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فكبر / [٣٣/أ] رسول الله ﷺ وقال : « هكذا قال قوم موسى : ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ قال إنكم قوم تجهلون » ^(٦) .

-
- (١) طمس بالأصل ، وتم استدراكه من أخبار مكة للأزرقي (١٢٧/١) . والله الحمد .
(٢) تاريخ مكة للأزرقي (١٢٧/١ ، ١٢٨) ، ومغازى الواقدي (٨٧٣/٣ ، ٨٧٤) عن سعيد بن عمرو الهذلي ، وتهذيب تاريخ دمشق (١٠١/٥ ، ١٠٢) .
(٣) سورة المسد : الآية (١) . وراجع تاريخ مكة للأزرقي (١٢٥/١ - ١٢٨) .
(٤) سورة الأعراف : الآية (١٣٨) . وراجع تاريخ مكة للأزرقي (١٢٩/١ ، ١٣٠) بعضه عن أبى واقد الليثي وبعضه عن ابن عباس ، وأخرجه الترمذى ح (٢١٨٠) كتاب الفتن : باب ما جاء لتزكبن سنن من كان قبلكم وقال : هذا حديث حسن صحيح . ١ هـ . وابن حبان ح (٦٧٠٢ - إحصان) ، وأحمد فى المسند (٢١٨/٥) .

[فصل]

مسيرة تبع إلى مكة

قال ابن إسحاق : سار تبع الأول إلى الكعبة فأراد هدمها وتخريبها ، وخزاعة يومئذ تلى البيت وأمر مكة ، فقامت خزاعة دونه فقاتلت عنه أشد القتال حتى رجع ثم تبع آخر كذلك ، «والتابعة»^(١) الذين أرادوا هدم الكعبة وتخريبها ثلاثة ، وقد كان قبل ذلك منهم من يسير في البلاد فإذا دخل مكة عظم الحرم والبيت ، فأما تبع الثالث الذي أراد هدم البيت إنما كان في أول زمان قريش ، وسبب مسيره إليه أن قومًا من هذيل من بنى لحيان جاؤوه فقالوا له : إن بمكة بيتًا يعظمه العرب جميعًا وتفدى إليه وتنحدر عنده وتحججه وتعتمره ، وإن قريشًا تليه وقد حازت شرفه وذكره وأنت أولى أن يكون ذلك البيت وشرفه لك ، فلو سرت إليه وخربته وبنيت بيتًا عندك ثم صرفت حاج العرب إليه كنت أحق به منهم ، قال : فأجمع السير إليه^(٢) ، فلما كان تبع بالدف^(٣) من جمدان^(٤) بين «أمج وعسفان»^(٥) ، دفت بهم^(٦) دوابهم وأظلمت عليهم الأرض ، فدعى أحبارًا كانوا معه من أهل الكتاب فسألهم ، فقالوا : هل هممت لهذا البيت بشيء ؟ قال : أردت أن أهدمه . قالوا : فانو له خيرًا أن تكسوه وتنحدر عنده ، ففعل فأنجحت عنهم الظلمة ، وإنما سمي الدف من أجل ذلك^(٧) .

وفي رواية قال له الأحبار : هل هممت لهذا البيت بسوء ؟ فأخبرهم بما قال له الهذليون وبما أراد أن يفعل فقالت الأحبار : والله / [٣٣/ب] ما أرادوا إلا هلاكك وهلاك قومك ، إن هذا بيت الله الحرام ولم يرده أحد قط بسوء إلا هلك . قال : فما الحيلة ؟ قالوا : تنوى له خيرًا أن تعظمه وتكسوه وتنحدر عنده وتحسن إلى أهله ففعل ،

(١) كذا في الأصل وعند الأزرقي «والتابعة» . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقي (١٣٢/١) .

(٣) الدف - بلفظ الدف الذي ينقر به - : موضع في جمدان من نواحي المدينة من ناحية عسفان .

معجم البلدان (٤٥٨/٢) .

(٤) جُمدان - بالضم ثم سكون - : جبل بين ينبع والعيص على ليلة من المدينة ، وقيل : واد بين ثنية

غزال وبين أمج . معجم البلدان (١٦١/٢) .

(٥) أمج - - بفتح أوله وثانيه - بلد من أعراض المدينة ، وعسفان بضم أوله وسكون ثانيه ثم فاء ،

وآخره نون - : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . راجع معجم البلدان (٢٤٩/١) ،

(١٢١/٤) .

(٦) أى : سارت بهم سيرًا ليئًا . راجع لسان العرب مادة «دفف» .

(٧) تاريخ مكة للأزرقي (١٣٢/١ ، ١٣٣) عن موسى بن عيسى المدني .

فأنجلت عنهم الظلمة وسكنت الريح وانطلقت بهم ركابهم ودوابهم ، فأمر تبع بالهذليين
فضربت رقابهم وصلبهم وإنما كانوا فعلوا ذلك حسداً لقريش على ولايتهم البيت^(١) .

قال السهيلي : روى نقلة الأخبار أن تبعاً لما عمد إلى البيت يريد إخراجه رمى بداء
تمخض منه رأسه قيحاً وصديداً ينثج ثجاً ، وأنتن حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه قيد رمح
- وقيل : بل أرسلت عليه ريح كثفت منه يديه ورجليه وجلده فأصابتهم ظلمة شديدة حتى
رقت^(٢) خيلهم ، فقال له : الجيران تُبُّ إلى الله مما نويت ففعل فبرئ من دائه وصح من
وجهه^(٣) . قال السهيلي : وأخلق بهذا الخبر أن يكون صحيحاً ، فإن الله تعالى يقول :
﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾^(٤) . أى : ومن يهم فيه بظلم وإن لم
يفعل عُذِّب تشديداً في حقه وتعظيماً لحرمة كما فعله الله بأصحاب الغيل أهلكهم قبل
الوصول إلى بيته^(٥) . انتهى . ثم سار تبع حتى قدم مكة فكان سلاحه بقُعَيْقَعَان فلذلك سمي
قعيقعان ، وكانت خيله بأحياد فلذلك سمي أحياد الجياد خيل تبع ، وكانت مطابخه في
الشَّعْب الذى يقال له : شعب عبد الله بن عامر بن كريض فلذلك سمي شعب المطابخ ،
فأقاما^(٦) بمكة أياماً ينحر فى كل يوم مائة بدنة ولا يرزأ هو ولا أحد من عسكره منها
شيئاً ، يردها الناس ويأخذون منها حاجتهم ثم يقع عليها / [٣٤/أ] الطير فيأكل ثم يتناولها
السباع إذا أمست لا يصد عنها إنسان ولا طائر ولا سبع ، يفعل ذلك كل يوم مدة مقامه
ثم كسا البيت كسوة كاملة كساه العَصَب^(٧) ، وجعل له باباً يغلق بضبة فارسية ، وهو
أول من كسا البيت كسوة كاملة ، أرى فى المنام أن يكسوها فكساها الأنطاع^(٨) ثم أرى
أن يكسوها فكساها الوصائل ثياب حبرة من عصب اليمى ، وهو أول من جعل لها باباً

(١) تاريخ مكة للأزرقي (١٣٣/١) عن ابن إسحاق ، ونحوه فى سيرة ابن هشام (٥٩/١ - ٦١) ،

والروض الأنف (٣٩/١ ، ٤٠) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الروض « دَقَّت » والله أعلم .

(٣) الروض الأنف (٣٩/١ ، ٤٠) .

(٤) سورة الحج : الآية (٢٥) .

(٥) الروض الأنف (٤٠/١) .

(٦) كذا فى الأصل وفى أخبار مكة للأزرقي « فأقام » . والله أعلم .

(٧) العَصَب : قال الخطابي فى المعالم (على حديث قلادة من عَصَب) : إن لم تكن الثياب اليمانية فلا

أدرى ما هو . ا هـ . وقال أبو موسى : هى العَصَب - بفتح الصاد - : وهى أطناب مفاصل الحيوانات

وهو شئء مدور ... إلخ . لسان العرب مادة « عصب » .

(٨) الأنطاع - جمع نَطْع - : وهو من الأدم (الجلد) معروف . لسان العرب مادة « نطع » .

يغلق ولم يكن يغلق قبل ذلك^(١).

قال القتيبي : كانت قصة تبع قبل الإسلام بسبعمائة عام^(٢).

[فصل]

مبتدأ حديث الفيل

كان من حديث الفيل ما ذكروا أن ملكاً من ملوك حمير يقال له : زرة ذو نواس، وكانوا قد تهودوا واستجمعت معه حمير على ذلك إلا أهل نجران فإنهم كانوا على النصرانية على أصل حكم الإنجيل ، ولهم رأس يقال له : عبد الله بن تامر^(٣) ، فدعاهم ذو نواس إلى اليهودية فأبوا فخيرهم فاختاروا المقتل ، فخذ لهم أخدماء وصنف لهم المقتل ، فمنهم من قتل صبراً ومنهم من أوقد له النار في الأخدماء فألقاه في النار إلا رجلاً من سبأ يقال له : دوس بن ثعلبان ، فهرب على فرس له يركض فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره ، فقال له : بعدت بلادك ونأت دارك عنا ، ولكن سأكتب إلى ملك الحبشة فإنه على ديننا فينصرك فكتب له إلى النجاشي يأمره بنصره ، فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلاً من الحبشة يقال له : أرياط ، وقال : إن دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها واسب ثلث نسائها وذرائعها وابعثهم إلى وغرب ثلث بلادها ، فلما دخلوا أرض اليمن تناوشوا بسباً^(٤) من / [٣٤/ب] قتال ثم ظهر عليهم ، ثم خرج ذو نواس على فرسه فاستعرض له البحر حتى لجج به فماتا جميعاً في البحر وكان آخر العهد به ، فدخلها أرياط فعمل ما أمره به النجاشي^(٥).

[فصل]

ذكر الفيل حين ساقته الحبشة

قال ابن إسحاق : لما ظهرت الحبشة على أرض اليمن كان ملكهم إلى أرياط وأبرهة ، وكان أرياط فوق أبرهة ، فأقام أرياط باليمن سنتين في سلطانه لا ينازعه أحد ثم نازعه أبرهة الحبشي الملك ، وكان في جند من الحبشة فأنحاز إلى كل واحد منهما من الحبشة طائفة ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فكان أرياط يكون بصنعاء ومخاليفها ، وكان

(١) تاريخ مكة للأزرقي (١٣٣/١ ، ١٣٤) .

(٢) الروض الأنف (٤١/١) .

(٣) كذا بالأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي « تامر » . والله أعلم .

(٤) كذا في الأصل ، وعند الأزرقي « شياً » . والله أعلم .

(٥) تاريخ مكة للأزرقي (١٣٤/١ ، ١٣٥) عن محمد بن إسحاق ، وسيرة ابن هشام (٧٣/١ - ٧٦)

وقال ابن هشام : الأخدماء : الحفر المستطيل في الأرض ، كالخندق والجدول ونحوه ، وجمعه أخدماء.

أبرهة يكون بالجند ومحاليفها ، فلما تقارب الناس ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى أرياط إنك «لاتضع»^(١) بأن تلقى الحبشة بعضهم ببعض فتفنيها بسبأ ، ولكن ابرز إلى وأبرز لك فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه أرياط أن قد صدقت وانصرف ، فخرج أرياط وكان رجلاً عظيماً طويلاً وسيماً وفي يده حربة له ، وخرج له أبرهة وكان رجلاً قصيراً حادراً^(٢) رحيماً دحداحاً^(٣) ، وكان ذا دين فى النصرانية وخلف أبرهة عبد له^(٤) يحمي ظهره يقال له : عتودة ، فلما دنا أحدهما من صاحبه رفع أرياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة يريد يأفوخه - بالهمز - فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته فبذلك سمى أبرهة الأشرم ، وحمل غلام أبرهة على أرياط من خلف فزرقه بالحربة فقتله ، فانصرف جند أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، وكان ما صنع أبرهة من قتله / [٣٥/أ] أرياط بغير علم النجاشي ملك الحبشة بأرض البسوم^(٥) من بلاد الحبشة، فلما بلغه ذلك غضب غضباً شديداً وقال : عدا على أميرى بغير أمرى فقتله ، ثم حلف النجاشي لا يدع أبرهة حتى يبطأ أرضه ويجز ناصيته، فلما بلغ ذلك أبرهة حلق رأسه ثم ملأ جراباً من تراب أرض اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشي وكتب إليه : أيها الملك إنما كان أرياط عبدك وأنا عبدك اختلطنا فى أمرك وكلنا طاعته لك إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة منه وأضبط ، وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك وبعثت به إليه مع جراب من تراب أرضى ليضعه تحت قدميه فيبر بذلك قسمه ، فلما انتهى ذلك إلى النجاشي كتب إليه أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى ، فأقام أبرهة باليمن ، وبنى أبرهة عند ذلك القلّيس^(٦) بصنعاء إلى جنب غُمدان^(٧) فبنى كنيسة وأحكمها وسمّاها القلّيس، وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة : إني قد بنيت لك

(١) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي « لا تصنع » والله أعلم .

(٢) الحادر : الممتلى لحماً وشحمًا مع ترارة . لسان العرب مادة « حدر »

(٣) الدحداح : القصير السمين . لسان العرب مادة « دحج » قال : وفى صفة أبرهة صاحب الفيل : كان قصيراً حادراً دحداحاً . اهـ .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي « عبدًا له » . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي « أكسوم » . والله أعلم .

(٦) القلّيس : سميت الكنيسة بذلك لارتفاع بنائها وعلوها . الروض الأنف (٦٣/١) .

(٧) غُمدان - بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وأخره نون : موضع بصنعاء ، به القصر الذى أراد بناءه

يشرح بن محصب . راجع معجم البلدان (٢١٠/٤) .

كنيسة لم يُن مثلها للملك كان قبلك ، «ولست بمبنية»^(١) حتى أصرف حاج العرب إليها^(٢) ويتركوا الحج إلى بيتهم ، فبنى القُلَيْس بحجارة قصر بلقيس صاحبة الصرح الذى ذكر فى القرآن فى قصة سليمان -عليه السلام- ، وكان سليمان - عليه السلام - حين تزوجها ينزل عليها فيه إذا جاءها ، فوضع الرجال «تسنعاً»^(٣) يناول بعضهم بعضاً الحجارة والآلة ، حتى نقل ما كان فى قصر بلقيس مما احتاج إليه من حجارة ورخام وآلة البناء ، وجَدَّ فى بنائه وكان مربعاً مستوئى التزييع ، وجعل طوله فى السماء ستين ذراعاً وكثفه^(٤) من داخله عشرة أذرع فى السماء ، فكان يصعد إليه / [٣٥/ب] بدرج الرخام ، وحوله سور بينه وبين القُلَيْس مائتا ذراع مطيف به من كل جانب ، وجعل بناء ذلك كله بحجارة يسميها أهل اليمن الجروب منقوشة مطبقة لا تدخل بين أطباقها الإبرة ، وجعل طول بنائه من الجروب عشرين ذراعاً فى السماء ، ثم فصل ما بين حجارة الجروب بحجارة مثلثة متداخلة بعضها ببعض ، حجرًا أخضر وحجرًا أحمر وحجرًا أبيض وحجرًا أصفر وحجرًا أسود ، فيما بين كل ساقين^(٥) خشب ساسم مدور الرأس غليظ الخشبة ناتئ على البناء ، فكان مفصلاً لهذا البناء على هذه الصفة ، ثم فصله برخام منقوش طوله فى السماء ذراعان ناتئ على البناء بذراع ، ثم فصل فوق ذلك الرخام بحجارة بيضاء لها بريق وكان هذا ظاهر حائط القُلَيْس ، وكان عرض حائطه ستة أذرع ، وكان له باب من نحاس عشرة أذرع طولاً فى أربعة أذرع عرضاً ، وكان المدخل منه إلى بيت فى جوفه طوله ثمانون ذراعاً فى أربعين ذراعاً معمولاً بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضة ، ثم يدخل من البيت إلى إيوان طوله أربعون ذراعاً عن يمينه وعن يساره عقود مضروبة بالسفيسف^(٦) مشجرة بين أضعافها كواكب الذهب ظاهرة ، ثم يدخل من الإيوان قبة ثلاثين ذراعاً فى ثلاثين ذراعاً منقوشة جدرانها بالسفيسف^(٧) والذهب والفضة ، وفيها رخامة مما يلى مطلع الشمس من

(١) كذا فى الأصل ، وفى سيرة ابن هشام «ولست بمبنية» . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقي (١/١٣٦ ، ١٣٧) ، وسيرة ابن هشام (١/٨٠ - ٨٢) ، والبداية والنهاية (٢/١٥٧ ، ١٥٨) عن ابن إسحاق .

(٣) لعلها هكذا بالأصل ، وعند الأزرقي «تسقا» . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي «وكبسه» . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي «ساقين» مثنى «ساف» وهو الصف . والله أعلم .

(٦) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي «السفيسف» وهى : قطع صغار ملونة من الرخام أو الحصباء أو الخرز أو نحوها ، يضم بعضها إلى بعض . المعجم الوسيط «فسافس» . وهو من العرب . والله أعلم .

البلق^(١) مربعة عشرة أذرع فى عشرة أذرع ، تغشى عين من نظر إليها من بطن القبة
تودى ضوء الشمس والقمر إلى داخل القبة ، وكان تحت الرخامة منبر من الأبنوس مفصل
بالعاج الأبيض ، ودرج المنبر من / [٣٦/أ] الساج ملبسة ذهباً وفضة ، وكان فى القبة أو
فى البيت خشبة ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً يقال لها : كعيب ، وخشبة من ساج
نحوها فى الطول يقال لها : امرأة كعيب يتبركون بها فى الجاهلية ، وكان أبرهة عند بناء
القليس قد أخذ العمال بالعمل أخذاً شديداً وكان قد آلى أن لا تطلع الشمس على عامل لم
يضع يده فى عمله فيؤتى به إلا قطع يده . قال : فتخلف رجل ممن كان يعمل فيه حتى
طلعت الشمس ، وكانت له أم عجوز فذهب بها معه لتستوبه من أبرهة فأنته وهو بارز
للناس فذكرت له علة ابنها واستوبته منه ، فقال : لا أكذب نفسى ولا أفسد على عمالى
فأمر بقطع يده ، فقالت له أمه : اضرب بمعولك اليوم فالיום لك وغداً لغيرك ليس كل
الدهر لك ، فقال : أدبوها ثم قال لها : إن لى هذا الملك أ يكون لغيرى ؟ قالت : نعم ،
وكان أبرهة قد أجمع أن يبنى القليس حتى يظهر على ظهره فيرى منه بحر عدن ، فقال : لا
أبنى حجراً على حجر بعد يومى هذا وأعياء^(٢) الناس من العمل ، فانتشر خبر بناء أبرهة هذا
البيت فى العرب^(٣) ، فدعا رجلان من بنى مالك بن كنانة فتيين^(٤) منهم فأمرهما أن يذهبا
إلى ذلك البيت الذى بناه أبرهة بصنعاء فيحدثا فيه فذهبا ففعلا ذلك ، فدخل أبرهة البيت
فرأى آثارهما فيه ، فقال : من فعل هذا ؟ فقليل له : رجلان من العرب من أهل البيت
الذى تحج إليه العرب بمكة لما أن سمعا قولك : أصرف إليها حاج العرب . جاءها ففعلا
فيها^(٥) - أى : أنها ليست لذلك بأهل - فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى
البيت حتى يهدمه - وبعث رجلاً كان عنده إلى بنى كنانة يدعوهم إلى حج تلك الكنيسة
فقتلت بنو كنانة ذلك / [٣٦/ب] الرجل ، فزاد ذلك أبرهة غضباً وحنقاً^(٦) - ثم أمر
الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج بالليل معه ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه
وظفطوا به ، ورأوا أن جهاده حق عليهم حين سمعوا أنه يريد يهدم الكعبة بيت الله الحرام ،

(١) البلق : سواد وبياض . لسان العرب « بلق » . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي « وأعفا » . والله أعلم .

(٣) تاريخ مكة للأزرقي (١٣٦/١ - ١٤٠) من أول قوله : « ويتركوا الحج » من قول محمد بن يحيى

قال : حدثني من أتى به من مشيخة أهل اليمن .

(٤) كذا فى الأصل ، وفوقها علامة إلحاق ولا يوجد شيء فى الهامش . والله أعلم .

(٥) أى : أحدثا فيها . من قول ابن هشام (٨٤/١) .

(٦) حنقاً أى : اشتد غيظه . المعجم الوسيط مادة « حنق » .

فخرج إليه رجل من أشراف اليمن من ملوك حمير يقال له : ذو نفر ، فدعا قومه ومن أحبابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ومجاهدته عن بيت الله وما يريد من هدمه وإخراجه فأجابوه إلى ذلك ، ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر وأتى به أسيراً فلما أراد قتله ، قال له ذو نفر : أيها الملك لا تقتلني فعسى أن يكون مقامى معك خيراً لك من قتلى ، فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق ، وكان أبرهة رجلاً حليماً ورعاً ذا دين فى النصرانية ، ومضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج إليه ، حتى إذا كان فى أرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبائل من خثعم ومن اتبعه من قبائل العرب فقاتله ، فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيراً فأتى به ، فقال له نفيل : أيها الملك لا تقتلني فإنى دليلك بأرض العرب ، فهاتان يداى على قبائل خثعم بالسمع والطاعة فأعفاه وخلقى سبيله وسار معه حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث^(١) فى رجال ثقيف ، فقال : أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون وليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذى تريد يعنون اللات ، إنما تريد البيت الذى بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه . فتجاوز عنهم وبعثوا معه أبا رغال مولى لهم يدلّه على مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزلهم «بالمغمّس»^(٢) - بفتح الميم / [٣٧/أ] الثانية وتشديدها - وقيل : بكسرها فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمت قبره العرب ، وهو قبره الذى يرجم بالمغمّس وهو الذى يقول فيه جرير بن الحطينا^(٣) :

إذا مات الفرزدق فارجموه . . . كرجم الناس قبر أبى رغال^(٤)

قال السهيلي : وروى أيضاً أن أبا رغال من ثمود ، وأنه كان بالحرم حين أصاب قومه الصيحة ، فلما خرج من الحرم أصابه من الهلاك ما أصاب قومه فدفن هناك ، ودفن معه غصنان من ذهب ، وذكر أن رسول الله ﷺ مر بالقبر وأمر باستخراج الغصنين منه فاستخرجا^(٥) . انتهى .

(١) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي « معتب » . والله أعلم .

(٢) بالمغمّس - بالضم ثم الفتح ، وتشديد الميم وفتحها : موضع قرب مكة فى طريق الطائف . معجم البلدان (١٦١/٥) ، والروض الأنف (٦٨/١) .

(٣) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي « الخطفى » وهو الصواب . والله أعلم

(٤) الشطر الثانى من البيت : كرجمكم لقبر أبى رغال . هكذا فى البداية والنهاية (١٥٩/٢) ، والروض الأنف (٦٧/١) ، وفى تاريخ مكة للأزرقي (١٤٣/١) كما ترمون قبر أبى رغال : والله أعلم.

(٥) الروض الأنف (٦٧/١) ، وراجع كلام ابن إسحاق فى البداية والنهاية (١٥٨/٢ ، ١٥٩) ، =

ولما نزل أبرهة المغمّس بعث رجلاً من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال «أهل الحرم»^(١) من قريش وغيرهم فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهتت قريش وخزاعة وكنانة وهذيل ومن كان في الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم بقتاله فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حُناطة الحميري إلى مكة ، فقالوا له : سل عن سيد أهل هذه البلدة وشريفهم ثم قل لهم : إن الملك يقول لكم : إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تتعرضوا لقتال فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن هو «لم»^(٢) يرد حربى فائتنى به ، فلما دخل حُناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها ف قيل له : عبد المطلب فأرسل إلى عبد المطلب فأخبره بما قال أبرهة ، فقال عبد المطلب : والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، وهذا بيت الله الحرام وبيت خليله / [٣٧/ب] إبراهيم - عليه السلام - ، فإن يمنعه فهو بيته وحرمة ، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع . فقال له حُناطة : فانطلق إليه فإنه قد أمرني أن آتيه بك ، فانطلق معه عبد المطلب وأردفه على بغلة له كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر وكان له صديقاً حتى دُل عليه وهو فى مجلسه فقال : يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال ذو نفر : وما غناء رجل أسير فى يدي ملك ينتظر أن يقتله بكرة وعشية ، ما عندى غناء من شىء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لى ، فأرسل إليه وأوصيه بك وأعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك وتكلمه بما بدا لك ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك ، قال : حسبى . فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب غير مكة يطعم الناس بالسهل والجبل والوحوش فى رؤوس الجبال ، وقد أصاب الملك له مائتي بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل فكلّم أنيس أبرهة فقال له : أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب غير مكة وهو سيدها وهو يطعم الناس بالسهل والجبل والوحوش فى رؤوس الجبال فأذن له عليك فليكلّمك ، فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوّسم رجل وأعظمه وأجمله فأذن له ، فلما دخل عليه وراه أبرهة أجله وكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة معه على سريره فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جنبه ، ثم قال لزوجانه

= وسيرة ابن هشام (٨٤/١ - ٨٧) ، وتاريخ مكة للأزرقى (١٤٠/١ - ١٤٣) ، وتفسير القرطبي (١٨٧/٢٠ ، ١٨٩) .

(١) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « أهل تهامة » . والله أعلم .
(٢) تكررت « لم » فى الأصل ، والصواب حذف أحدهما . والله أعلم .

قل له : ما حاجتك ؟ فقال له الترجمان : إن الملك يقول لك ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يرد عليّ الملك / [٣٨/٢] مائتي بعير أصابها لى . فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه قل له : قد كنت أعجبني حين رأيته ثم زهدت فيك حين كلمتني ، تكلمنى فى مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك وقد جئت أهدمه ولا تكلمنى فيه . قال عبد المطلب : إني أنا رب إبلى وإن للبيت رباً سيمنعه . قال : ما كان ليمنع منى . قال : أنت وذاك^(١) .

قال ابن إسحاق : وكان قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه «خناطه الحميرى» «يَعْمَر بن نفاشة»^(٢) بن عدى من بنى كنانة وهو يومئذ سيد بنى بكر ، «وخويلد بن وائلة» وهو يومئذ سيد هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم^(٣) ، ورد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي كان أصابها ، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز^(٤) فى شعف الجبال خوفاً عليهم من «معرة الجيش»^(٥) ، ثم أقام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وعلى جنده ، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهمَّ إن المرء يَمْنَع رَحْلَهُ فامْنَع جَلالَكَ^(٦)
لا يَغْلِبَنَّ صَليْهِم . . . وَمِحالَهُم^(٧) عَدُوًّا مِحالَكَ^(٧)
جروا جميع بلادهم . . . والفيل كى يسبوا عيالكَ^(٨)
عمدوا حمادك بكيدهم . . . جهلاً وما رقبوا جلالَكَ^(٧)

(١) تاريخ مكة للأزرقي (١٤٣/١ ، ١٤٤) ، وسيرة ابن هشام (٨٧/١ - ٨٩) والبداية والنهاية (١٥٩/٢ ، ١٦٠) ، والروض الأنف (٦٨/١ ، ٦٩) وتفسير القرطبي (٢٠ / ١٨٩ ، ١٩٠) عن ابن إسحاق ، وإن كان القرطبي لم يذكره عنه .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي « نفائة » والله أعلم .

(٣) جاء فى هذا الموضع « والله أعلم أكان ذلك أم لا » وراجع تاريخ مكة للأزرقي (١٤٥/١) ، وسيرة ابن هشام (٨٩/١) ، والروض الأنف (٦٩/١) والبداية والنهاية (١٦٠/٢) .

(٤) التحرز : التمتع . لسان العرب مادة « حرز » .

(٥) معرة الجيش : شدته .

(٦) حلالك - بكسر الحاء - جمع حِلَّة : وهى جماعة البيوت . المعجم الوسيط مادة « حَلَّ » .

(٧) المِحال : الكيد والقوة . المعجم الوسيط مادة « محل » .

(٨) هذا البيت ليس فى تاريخ مكة للأزرقي (١٤٥/١) ، ولا فى سيرة ابن هشام (٩٠/١) ، ولا فى البداية والنهاية (١٦٠/٢) .

إن كنت تاركهم وكعتنهم^(١) فأمر ما بدا لك
ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف
الجبال فحزروا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها ، وقال عبد المطلب أيضاً :
[٣٨/ب]

قلت والأشرم تردى خيله	∴	إن ذا الأشرم غر بالأشـرم
كاد يتبع فيمن ^(٢) جندت	∴	حمير والحى من ذاك قُـزـم ^(٣)
فانثنى عنه وفى أوداجـه	∴	جارج ^(٣) أمسك منه بالكـَظـم
نحن أهل الله فى بلدته	∴	لم يزل ذاك على عهد إبرهـم
نعبد الله وفيئنا شيمـة	∴	صلة القربى وإيفاء الذمـم
إن للبيت لرباً مانعاً	∴	من يردـه بآثام يُصـطـلـم ^(٤)

وقوله : إبرهـم يريد إبراهيم - عليه السلام - ولما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة
وهدم الكعبة وهياً فيله وعبأ جيشه وقدم فيله أمام جيشه ، وكان اسم الفيل محموداً^(٥)
وكان فيل النجاشى بعثه إلى أبرهة وكان فيلاً لم ير مثله فى الأرض عظماً وجسماً وقوة .
وقال مقاتل : لم يكن معهم إلا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال تعالى : ﴿ ألم تر
كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾^(٦) . وقال الضحاك : كانت الفيلة ثمانية غير الفيل
الأعظم . وقيل : اثنى عشر فيلاً . وقيل : ألف فيل . وقيل : إنما وُحِّد فى القرآن لوفاق
رؤوس الآى . وقيل : نسبهم إلى الفيل الأعظم . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن
حبيب الخثعمى حتى قام إلى جنب الفيل فالتقم أذنه فقال : ابرك محموداً وارجع راشداً من
حيث جئت فإنك فى بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك ، وخرج نفيل بن حبيب يشتد
حتى صعد فى الجبل ، فضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا رأسه بالطيرزين^(٧) فأبى فأدخلوا

-
- (١) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي وابن كثير فى البداية والنهاية « قبلتنا » . والله أعلم .
(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي وغيره « فيما .. قدم » والله أعلم .
(٣) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي « جارج » . والله أعلم .
(٤) يُصطلم : يستأصل ويباد . المعجم الوسيط « صلمة » .
(٥) أخبار مكة للأزرقي (١٤٥/١ ، ١٤٦) ، وسيرة ابن هشام (٨٩/١ - ٩١) ، والروض الأنف
(٦٩/١ - ٧١) ، والبداية والنهاية (١٦٠/٢) ، وتفسير القرطبي (١٩٠/٢٠ ، ١٩١) .
(٦) سورة الفيل : الآية (١) ، وقول مقاتل ، حكاه القرطبي بقوله : قال الأكترون . والله أعلم .
(٧) الطيرزين : قال البكرى : الأصل فيه - بفتح الباء - ومعناه شجر قطع بفأس . اهـ . من الروض
(٧٢/١) ، وحكى فيه كذلك سكون الباء ، وقال أبو ذر : آلة معقفة من حديد . شرح السيرة -

مواجههم^(١) تحت مراقبة^(٢) ومرافقه فدفعوه^(٣) بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك ، [٣٩/أ] وأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس - وفى رواية : فوق العدسة ودون الحمصة - بتشديد الميم وتخفيفها - فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم - فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت^(٤) ، فذلك قوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾^(٥) . أى : أقاطيع كالإبل المؤبلة يتبع بعضها بعضاً^(٦) ، واحدها إبالة^(٧) . وقيل : متفرقة^(٨) . يقال : جاءت الخيل أبابيل - أى متفرقة - ومن هاهنا وهاهنا . قال أبو عبيد : لا واحد لها^(٩) . وقيل : واحدها إنبول كعجول ، أو إنبيل كسككين ، أو أبولة وهى الحزمة الكبيرة من الخطب^(١٠) ، شبهت الطير بها لكثرتها واجتماعها .

وقال ابن عباس : لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب . وقال عكرمة : كان لها رؤوس كرؤوس السباع لم تر قبل ذلك ولا بعده . وقال ربيع : لها أنياب

- (٩١/١) . والله أعلم .

(١) كذا فى الأصل ، وعند الأزرعى « محاجنهم » والمحسن : عصا معقفة الرأس كالصولجان . لسان العرب « حجن » . والله أعلم .

(٢) مراقبة : ما رق من أسفل البطن ولان . لسان العرب « مرق » .

(٣) كذا فى الأصل ، وعند الأزرعى « فبزغوه » أى : أدموه كما فى الروض الأنف (٧٢/١) . والله أعلم .

(٤) تاريخ مكة للأزرعى (١٤٦/١) ، وسيرة ابن هشام (٩٢/١) ، والروض الأنف (٧١/١) ، والبداية والنهاية (١٦٠/٢ ، ١٦١) ، وتفسير القرطبي (٢٠ / ١٩١ ، ١٩٢) عن ابن إسحاق .

(٥) سورة الفيل : الآية (٣) .

(٦) نقله القرطبي فى تفسيره (١٩٧/٢٠) عن ابن عباس ومجاهد . وقوله : كالإبل المؤبلة عن إسحاق ابن عبد الله بن الحارث بن نوفل .

(٧) قال القرطبي : قال الفراء : لا واحد له من لفظه ، وزعم الرؤاسي - وكان ثقة - أنه سمع فى واحدها « إبالة » مشددة ، وحكى الفراء « إبالة » مخففاً . تفسير القرطبي (١٩٨/٢٠) .

(٨) نقله القرطبي فى تفسيره (١٩٧/٢٠) عن ابن مسعود وابن زيد والأخفش . قال النحاس : وهذه الأقوال متفقة... إلخ .

(٩) تاج العروس مادة « أبيل » (١٩٩/٧) .

(١٠) راجع تاج العروس مادة « أبيل » ، وتفسير القرطبي (١٩٧ / ٢٠) .

كأنياب السباع . وقال سعيد بن جبير : طير خضر لها مناقير صفر . وقالت عائشة - رضى الله عنها - : هى أشبه شئ بالخطاطيف . وقيل : أشباه الوطاويط وكانت حمرا . وقيل : سودا . وقيل : بيضاء . وقال أبو الجوزاء : أنشأها الله فى ذلك الوقت^(١) . وقوله تعالى : ﴿ ترميهم بحجارة من سجيل ﴾^(٢) . أى : من طين مطبوخ بالنار كما يطبخ الآجر مكتوب فيها أسماء القوم^(٣) . وقيل : معرب من سنك وكل ، فسنك هو الحجر وكل هو الطين والماء^(٤) . وقيل : من سجيل أى من السماء ، وهى الحجارة التى نزلت على قوم لوط . وقيل : من الجحيم وهى سجين ثم أبدلت اللام نونا^(٥) . قال الزمخشري : وسجيل كأنه علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجيناً [٣٩/ب] علم لديوان أعمالهم ، كأنه قيل : بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون ، واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال ؛ لأن العذاب موصوف بذلك ، كقوله : ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان ﴾^(٦) . ﴿ وأرسل عليهم ﴾^(٧) .

قال ابن مسعود : وصاحت الطير ورمتهم ، وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر ، وإن وقع على رأسه خرج من دبره^(٨) . فقوله : ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾^(٩) . أى : كزرع قد أكل حبه وبقي تبته .

ويروى : أن الحجر كان يقع على أحدهم فيخرج كل ما فى جوفه فيبقى كقشر الخنطة إذا خرجت منه الحبة^(١٠) . ويروى : أنها لم تصيبهم كلهم لكنها أصابت من

(١) راجع هذه الأقوال فى تفسير القرطبي ، وابن كثير ، والطبري ، وهى موجودة كلها فى تفسير البغوى (٥٢٨/٤ ، ٥٢٩) .

(٢) سورة الفيل : الآية (٤) .

(٣) تفسير القرطبي (١٩٨/٢٠) .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند ابن كثير وابن هشام « سنج وجل فسنج ... وجل » والله أعلم . وراجع تفسير ابن كثير (٥٥١/٤) ، وسيرة ابن هشام (٩٥/١) ، ومع الروض الأنف (٧٤/١) ، وفى كل هذه (سنج جل) والذى فى الكشف (٢٣٤/٤) : (سنكل) .

(٥) تفسير القرطبي (١٩٨/٢٠) .

(٦) سورة الأعراف : الآية (١٣٣) .

(٧) سورة الفيل : الآية (٣) ، وراجع الكشف (٢٣٤/٤) فإلى هنا انتهى النقل من الكشف .

(٨) تفسير البغوى (٥٢٩/٤) ، وتفسير القرطبي (١٩٩/٢٠) .

(٩) سورة الفيل : الآية (٥) .

(١٠) تفسير القرطبي (١٩٩/٢٠) ، وتفسير ابن كثير (٥٥٢/٤) ، وتفسير البغوى (٥٢٩/٤) .

شاء الله منهم . وقيل : هلك القوم جميعاً فلما رأت الحبشة ذلك خرجوا هارين
يتدرون^(١) التي منه جاءوا ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن ،
وقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من عذابه :

أين المفر والإله الطالب . . والأشرم المغلوب غير الغالب

وقال نفيل أيضاً في ذلك :

ألا حييت عنا يارديننا . . نعمناكم مع الإصباح عينا
ردنيه لو رأيت ولن تريه . . لدى جنب المحصب ما رأينا
إذا لعذرتني وحمدت أمرى . . ولم تأسى على ما فات بينا
حمدت الله إذ عاينت طيرا . . وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل . . كأن على للجيشان ديننا

ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال ، وقد خرج القوم وماج بعضهم في بعض ،
فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل ، وبعث الله على أبرهة داءً في
جسده [٤٠/أ] فجعل تتساقط أنامله ، كلما سقطت أنملة أتبعها مدة من قيح ودم
فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير ممن بقى من أصحابه وما مات حتى انصدع صدره
عن قلبه^(٢) ثم هلك ، وأقام بمكة ضعف الجيش وبعض من ضمه العسكر فكانوا بمكة
يعتملون ويرعون لأهل مكة . انتهت قصة أصحاب الفيل^(٣).

قال مقاتل بن سليمان : إن السبب الذي جر حديث أصحاب^(٤) هو أن فتية من
قريش خرجوا تجاراً إلى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر في سند حقف
من أحقافه ببيعة للنصارى تسميها قريش «الهيكل» ، ويسميها النجاشي وأهل أرضه
«الماسرجسان» ، فنزل القوم في سندها فجمعوا حطباً وأججوا ناراً وشبوا لحماً ، فلما
ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فعمجت الرياح فاضطرم الهيكل ناراً ، وانطلق
الصريخ إلى النجاشي فأخبره فأسف عند ذلك غضباً للبيعة فبعث أبرهة لهدم الكعبة^(٥).

(١) في الأصل إلحاق ولا يوجد في المامش أثره ، والذي عند الأزرقى وابن كثير « يتدرون الطريق » .
وبه يستقيم المعنى . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (١٤٦/١ ، ١٤٧) ، وسيرة ابن هشام (٩٢/١ ، ٩٣) ، والروض الأنف
(٧١/١ ، ٧٢) ، والبداية والنهاية (١٦١/٢) ، وتاريخ الطبري (١٣٦/٢ ، ١٣٧) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (١٤٧/١) .

(٤) كذا في الأصل ، وعند القرطبي والبغوي « أصحاب الفيل » وبه يتم المعنى . والله أعلم .

(٥) تفسير القرطبي (١٩٢/٢٠ ، ١٩٣) عن الكلبي ومقاتل ، وتفسير البغوي (٥٢٧/٤) عن مقاتل =

وقال فيه : وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي ، كان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلاً نبيلاً عاقلاً ، وكان لعبد المطلب خليلاً فقال عبد المطلب يا أبا مسعود : هذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك فماذا عندك ؟ فقال أبو مسعود لعبد المطلب : اعمد إلى مائة من الإبل فاجعلها حرماً لله وقلدها نعلاناً ثم أثبتها في الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ، ففعل مثل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها فجعل عبد المطلب يدعو ، فقال أبو مسعود : إن لهذا البيت رباً يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن بصحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام ، فلما [٤٠ / ب] رأى تبع ذلك كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزوراً فانظر نحو اليمن هل ترى شيئاً ؟ فنظر عبد المطلب فقال : أرى طيراً بيضاً نشأت من شاطئ البحر وحلقت على رؤوسنا فقال : هل تعرفها ؟ قال : والله ما أعرفها ما هى بنجدية ولا غربية ولا شامية وإنها لطير بأرضنا غير مؤنسة^(١) . قال : ما قدرها ؟ قال : أشباه اليعاسيب^(٢) ، فى مناقيرها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل يكسع بعضها بعضاً ، أمام كل دفعة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى إذا حازت عسكر القوم ركبت فوق رؤوسهم ثم أمالت الطير ما فى مناقيرها على من تحتها ، مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم رجعت من حيث جاءت - وقيل : كان على كل حجر مكتوباً « من أطاع الله نجح ومن عصاه غوى » - فلما أصبحت الخطأ من ذروة الجبل فمشيا فلم يؤنسا أحداً ، ثم مشيا فلم يسمعا حساً فقالا : بات القوم سامدين^(٣) فأصبحوا نياماً ، فلما دنوا من عسكر القوم إذا هم خامدون ، وكان الحجر يقع على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع فى دماغه ، ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الأرض من شدة وقعه ، فأجذ عبد المطلب فأساً وحفر حتى أعماق فى الأرض فملأه من الذهب الأحمر والجوهر الجيد وحفر لصاحبه فملأه ، ثم قال لأبى مسعود : هات خاتمك فاختر إن شئت أخذت حفرتى وإن شئت حفرتك وإن شئت فهما لك . فقال أبو مسعود : اختر لى على نفسك . فقال عبد المطلب : إنى لم أك أن أجعل المتاع فى حفرتى فهى لك . وجلس كل واحد منهما على حفرتة ونادى عبد المطلب

- وعند البغوى « فهاجت الرياح » بدلاً من « فعمت الرياح » . والله أعلم .

(١) أى : غريبة .

(٢) جمع يعسوب : وهى ملكة النحل . « المعجم الوسيط » .

(٣) كذا فى الأصل ، وعند البغوى « سامرين » أى : من السمر وهو التحدث مع المجلس ليلاً . المعجم الوسيط . والله أعلم .

فى الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا بذلك ذرعاً ، وساد عبد المطلب بذلك / [٤١/أ] قريشاً فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود فى غنى من ذلك المال إلى أن ماتا^(١) .

وقال الواقدى بإسناده : وجه النجاشى أرياط بأربعة آلاف إلى اليمن فغلب عليها فأكرم الملوك واستذل الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له : أبرهة الأشرم أبو يكسوم فدعا إلى طاعته فأجابوه فقتل أرياط وغلب على اليمن ، فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج قال : أين يذهب الناس ؟ فقالوا : يحجون بيت الله بمكة . قال : مم هو ؟ قالوا : من حجارة . قال : فما كسوته ؟ قالوا : الوصائل . قال : والمسيح لأبنين لكم خيراً منه . فبنى لهم بيتاً عمله بالرخام الأبيض والأسود والأحمر والأصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر ، وجعل له أبواباً عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصّعها بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة وجعل لها حجائباً ، وكان يوقد بالمندل ويلطخ صدره بالمسك حتى يطيب الجواهر ، وأمر الناس بحججه فحججه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون ويتنسكون ، فأمهل نفيل الخثعمى حتى كان ليلة من الليالى ولم ير أحداً يتحرك جاء بعذرة فلطخ بها قبلته وألقى فيه الجليف ، فأخير أبرهة بذلك فغضب غضباً شديداً وقال : إنما فعل هذا العرب غضباً لبيتهم لأنقضه حجراً حجراً . وكتب إلى النجاشى يخبره بذلك ويسأله أن يبعث إليه بفيله محموداً^(٢) ، وكان فيلاً لم ير مثله فى الأرض عظماً وجسماً وقوة فبعث به إليه فغزا البيت كما ذكرنا إلى أن قال : أقبلت الطير من البحر مع كل طائر حجران فى رجليه وحجر فى منقاره ، فقذفت الحجارة عليهم لا تصيب شيئاً إلا هشمته وإلا نفط ذلك الموضع ، وكان ذلك أول ما روى الجدرى والحصباء بأرض العرب ذلك / [٤١/ب] العام ، وأول ما روى بها من أمر الشجر من الحرمل^(٣) والخنظل والعُشْر^(٤) فى ذلك العام فأهدتهم الحجارة ، وبعث الله سيلاً آتياً فذهب بهم إلى البحر فآلقاهم فيه ، وولى أبرهة ومن بقى معه هراباً ، فجعل أبرهة يسقط عضواً عضواً حتى مات ، وأما محمود فيل النجاشى فربض^(٥) ولم يشجع على الحرم فنجا ، وأما الآخر فشجعت فحصبته وهلك^(٦) .

(١) تفسير البغوى (٥٢٧/٤ ، ٥٢٨) ، وفى تفسير القرطبى (١٩٣/٢٠) نحوه .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الطبرى « محمود » والله أعلم .

(٣) الحرمل : نبات صحراوى ، من الفصيلة الرطريطية ، يستعمل فى الطب . « المعجم الوسيط » .

(٤) العُشْر : شجر له صمغ ، وفيه حراق مثل القطن يقتدح به . لسان العرب مادة « عشر » .

(٥) ربض : طوى قوائمه ولصق بالأرض وأقام . « المعجم الوسيط » والمعنى هنا : أنه ثبت ولم يتحرك . والله أعلم .

(٦) تاريخ الطبرى (١٣٧/٢ - ١٣٩) من عدة طرق عن ابن عباس .

قال الأزرقى : وقال بعض المكين : أول ما كانت بمكة حمام اليمام الحرمية ذلك الزمان ، يقال : إنها من نسل الطير التي رمت أصحاب الفيل حين خرجت من البحر من جدة^(١).

وقال الكلبي : لما أهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم إلا أبرهة أبو يكسوم ، فسار وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فأخبره بما أصابهم ، فلما استتم كلامه رماه الطائر فسقط ميتاً فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه .

وقال الواقدي : كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي ﷺ وآمن به^(٢). وقال القرطبي في «التفسير» : وكان أصحاب الفيل ستين ألفاً لم يرجع منهم إلا أميرهم رجع ومعه شزيمة لطيفة ، فلما أخبروا بما رأوا أهلكوا^(٣).

وقال السهيلي : فلما هلك ومزقت الحيشة كل ممزق وأقفر ما حول هذه الكنيسة فلم يعمرها أحد ، وكثرت حولها السباع والحيات ، وكان كل من أراد أن يأخذ شيئاً منها «أصابته الجن»^(٤) فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوى قناطير من المال ، لا يستطيع أحد أن يأخذ منها شيئاً إلى زمن «أبي العباس السفاح» ، فذكر له من أمرها وما يتهيب من جنها وحياتها فلم يرعه ذلك وبعث إليها «أبا العباس بن الربيع» / [٤٢/أ] عامله على اليمن معه أهل الحزم والجلادة^(٥) فخرّبها وحصلوا منها مالاً كثيراً ، بيع ما أمكن بيعه من رخامها وآلاتها ، فعفى بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها ، وكان الذي يصيبهم من الجن ينسبونه إلى كعيب وامراته^(٦) أصيب الذي كسرهما بجذام فافتن بذلك رعاع الناس وطغاتهم^(٧).

واختلفوا في تاريخ عام الفيل : قال مقاتل : كان أمر الفيل قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة^(٨). وقيل : بثلاثين .

(١) تاريخ مكة للأزرقى (١٤٨/١) .

(٢) راجع تفسير القرطبي (١٩٣/٢٠) .

(٣) (١٩٣/٢٠) .

(٤) تكررت في الأصل .

(٥) أى : الصبر على المكروه .

(٦) في الروض الأنف (٦٣/١) : صنمين كانت الكنيسة عليهما ، فلما كسر كعيب وامراته أصيب ... إلخ .

(٧) الروض الأنف (٦٣/١) ، والطعام : أرذال الناس وأوغادهم . المعجم الوسيط .

(٨) تفسير القرطبي (١٩٤/٢٠) ، وتفسير البغوى (٥٢٨/٤) .

وقال عبيد بن عمير والكلبي : كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة^(١) . وقال الآخرون : بل كانت قصة الفيل في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ وعلى هذا أكثر العلماء وهو الأصح^(٢) يدل عليه ما روى عن عبد الملك بن مروان أنه قال لقيث بن أشيم^(٣) الكنانى الليثي : يا قُبَاث أنت أكبر سنًا أم رسول الله ﷺ ؟ قال : رسول الله ﷺ أكبر منى وأنا أسن منه ، ولد رسول الله ﷺ عام الفيل^(٤) ، ووقفت بى أمى على روث الفيل أخضر ، وروى خرء الطير أخضر محيلاً - أى : قد أتى عليه حول - . ويدل عليه أيضاً ما روى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس^(٥) . وقيل : بعد خمسين يوماً من الفيل^(٦) . وقيل : بعد قدوم أصحاب الفيل بشهرين وكان لعشرين من نيسان . وقيل : بعد قدومهم بخمس وخمسين ليلة .

وقول عبد المطلب : لاهم إن المرء يمنع رحله إلى آخره . حذفت الألف واللام من (الهم) واكتفى بما بقى كما تقول : لاه أبوك تريد الله أبوك قاله السهيلي^(٧) ، والحلال بالكسر : القوم الحلول في المكان يريد بهم سكان الحرم . قال / [٤٢/ب] السهيلي : والحلال أيضاً : متاع البيت ، وجائز أن يستعيره هاهنا^(٨) ، وقوله : فبرك الفيل : فيه نظر ؛ لأن الفيل لا يبرك فيحتمل أن يروكه سقوطه على الأرض لما جاءه من أمر الله ، ويحتمل أن يكون فعْل فَعَّلَ البارك الذى يلزم موضعه لا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك . قال : سمعت من يقول إن فى الفيلة صنفاً منها يبرك كما يبرك الجمل ، فإن صح وإلا فتأويله ما

(١) تفسير القرطبي (١٩٤/٢٠) ، وهو فى تفسير البغوى (٥٢٨/٤) عن الكلبي فقط .

(٢) تفسير القرطبي (١٩٤/٢٠) وصدره بقوله : والصحيح ، وتفسير البغوى (٥٢٨/٤) وصدره بقوله : والأكثر .

(٣) كذا فى الأصل ، وعند القرطبي « أسيد » والصواب ما فى الأصل ، كما ضبطه ابن حجر وغيره راجع التقريب ، وهو بتخفيف الباء . والله أعلم .

(٤) تفسير القرطبي (١٩٥/٢٠) وباقى القصة تختلف عما هنا . والله أعلم .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (١٢٥/١) ، وتاريخ مكة للأزرقي (١٤٨/١ ، ١٤٩) ، وسيرة ابن هشام (٩٧/١ ، ٩٨) ، والبداية والنهاية (١٦٢/٢) ، وتفسير القرطبي (١٩٥/٢٠) وقد صرح ابن إسحاق فيه بالسماح .

(٦) تفسير القرطبي (١٩٤/٢٠) ونقله عن الماوردي من كتاب « أعلام النبوة » .

(٧) الروض الأنف (٧٠/١) وهو معناه لا بلفظه ، وعند السهيلي : « لله أبوك » وهو الصواب . والله أعلم .

(٨) الروض الأنف (٧٠/١) .

قدمناه^(١) .

قال السهيلي : وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلاً فهلكت كلها إلا عموداً وهو فيل النجاشي من أجل أنه أبى من التوجه إلى الحرم^(٢) . قال : وقال ابن عباس : كان أصغر الحجارة كراس الإنسان وكبارها كالإبل ، وكانت قصة الفيل في أول المحرم من سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين^(٣) . وقوله : «فضربوا رأسه بالطيرزين» بفتح الباء هذا هو الأصل كما ذكره البكري في المعجم والطير هو الفأس ، وقد تسكن الباء ؛ لأن العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعباً ولا تقرها على حال قاله ابن جنى . وروى يونس عن ابن إسحاق : أن الفيل ربح فجعلوا يقسمون بالله أنهم رادوه إلى اليمن فيحرك لهم أذنيه كأنه يأخذ عليهم بذلك عهداً ، فإذا أقسموا له قام يهرول فيردونه إلى مكة فيربض ، فيحلفون له فيحرك لهم أذنيه كالمؤكد عليهم القسم ففعلوا ذلك مراراً ، وفي رواية : أنهم استشعروا العذاب في ليلة ذلك اليوم ؛ لأنهم نظروا إلى النجوم كالحلة إليهم تكاد تكلمهم من اقترابها منهم ففزعوا لذلك^(٤) .

قال المرجاني في «بهجة النفوس» : وأقبلت الطير من ناحية البحر يوم الاثنين . قال القرطبي في تفسيره : قال علماؤنا : كانت قصة الفيل فيما يعد من معجزات النبي ﷺ وإن كان قبله . قال : وقال أبو صالح : ورأيت في بيت أم هانئ بنت أبي طالب نحواً من قفيزين من / [٤٣/أ] تلك الحجارة سوداء مخططة بحمرة^(٥) .

فإن قيل : كيف منع أصحاب الفيل من الكعبة قبل مصيرها قبله ومنسكاً ، ولم يمنع الحجاج من هدمها وقد صارت قبله ومنسكاً حين أحرقها ونصب المنجنيق عليها^(٦) ؟ فالجواب : إن فعل الحجاج كان بعد استقرار الدين فاستغنى عن آيات تأسيسه ، وأصحاب الفيل كانوا قبل ظهور النبوة فجعل المنع منها آية لتأسيس النبوة وبجىء الرسالة ، وأحاب الزمخشري عنه : بأن الحجاج ما قصد التسليط على البيت وإنما تحصن به ابن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه ، ولما قصد التسليط عليه أبرهة ففعل به ما فعل على أن رسول الله ﷺ قد أُنذر بهدمها ، فصار الهدم آية بعد ما كان المنع آية ، وقد عاصر رسول الله ﷺ في

(١) الروض الأنف (٧١/١ ، ٧٢) .

(٢) الروض الأنف (٧٢/١) .

(٣) في يوم الأحد السابع عشر من المحرم كما ذكره في الجامع اللطيف (٢٣٥/١) .

(٤) الروض الأنف (٧٢/١ ، ٧٣) من أول قول ابن عباس .

(٥) تفسير القرطبي (١٩٥/٢٠) .

(٦) أجاب الحافظ في الفتح (٥٣٩/٣) عن هذه المسألة ، بكون ذلك يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة ، وأنه علامات النبوة لقوله ﷺ لن يستحل هذا البيت إلا أهله فراجعه فإنه مهم . والله أعلم .

زمان نبوته بعد هجرته جماعة شاهدوا الفيل منهم : «حكيم بن حزام» ، «وحويطب ابن عبد العزى» ، «نونفل بن معاوية» ؛ لأن كل واحد من هؤلاء عاش مائة وعشرين سنة ستين فى الجاهلية وستين فى الإسلام .

قال كمال الدين الدميرى فى كتابه «حياة الحيوان» : إذا دخل إنسان على من يخاف شره فليقرأ ﴿كهيعص﴾^(١) ، ﴿حم عسق﴾^(٢) وعدد حروف الكلمتين عشر يعقد لكل حرف إصبعًا من أصابعه يبدأ بإبهام اليد اليمنى ويختم بإبهام اليد اليسرى ، فإذا فرغ عقد جميع الأصابع ، قرأ فى نفسه سورة الفيل فإذا وصل إلى قوله : «ترميهم» كرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح فى كل مرة إصبعًا من الأصابع المعقودة ، فإذا فعل ذلك أمن شره وهو عجيب مجرب^(٣) . وكنية الفيل أبو الحجاج وأبو الحرمان وأبو دغفل وأبو كلثوم وأبو مزاحم ، والفيلة أم شبل ، وفى «ربيع الأبرار» كنية فيل الحبشة أبو العباس ، وقد [٤٣/ب] ألغز فى اسم الفيل ف قيل :

ما اسم شىء تركبه من ثلاث . . . وهو ذو أربع تعالى الإله

قيل تصحيفه ولكن إذا ما . . . عكسوه يكون لى ثلثاه

وهو لا يتلاقح إلا فى بلاده ومعادنه وإن صار أهلكًا ، وهو إذا اغتلم^(٤) أشبه الحمل فى ترك الماء والعلف حتى تنورم رأسه ولم يكن لسواسه غير الهرب منه ، والذكر ينزو^(٥) إذا مضى له من العمر خمس سنين ، وزمان نزوه الربيع ، والأنثى تحمل سنتين فإذا حملت لا يقربها الذكر ولا يلمسها ولا ينزو عليها إلا بعد ثلاث سنين ، وقيل : تحمل سبع سنين ، ولا ينزو إلا على فيلة واحدة وله عليها غيرة شديدة ، وإذا تم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها ؛ لأنها تلد وهى قائمة ولا فواصل لقوائمها فتلد ، والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيات ، ويزعم أهل الهند أن لسان الفيل مقلوب لولا ذلك لتكلم ، وفيه من الفهم ما يقبل به التأديب ويفعل ما تأمره من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والبشر فى حالتى السلم والحرب ، وفيه من الأخلاق أنه يقاتل بعضه بعضًا والمقهور منهما يخضع للقاهر ، وأهل الهند يعظمونه ؛ لما اشتمل عليه من الخصال المحمودة من علو سمكه

(١) سورة مريم : الآية (١)

(٢) سورة الشورى : الآية (١ ، ٢) ، وكتب فى الأصل كلمة واحدة وهو خطأ .

(٣) حياة الحيوان (١٩٣/٢) .

(٤) هكذا فى حياة الحيوان (١٨٨/٢) ، وهو من الغلطة : أى هياج شهوة النكاح . « لسان العرب »

مادة « غلم » . والله أعلم .

(٥) ينزو : من « نزا » وهو الوثوب .

وعظم صورته وبديع منظره وطول خرطوميه وسعة أذنه ، وطول عمره وثقل حمليه وخفة
وطئه فإنه ربما مرّ بالإنسان ولا يشعر به لحسن خطوه واستقامته ، ولطول عمره حكى
أرسطو أن فيلاً ظهر أن عمره أربعمئة سنة واعتبر ذلك بالموسم^(١) . وبينه وبين السنور
عداوة طبيعية حتى أن الفيل يهرب منه ، كما أن السبع يهرب من الديك الأبيض ،
وكالعقرب وأنها متى رأت الوزغة ماتت .

وذكر القزويني أن فرج الفيلة / [٤٤/أ] تحت بطنها^(٢) ، فإذا كان وقت الضراب
ارتفع وبرز للفحل حتى يتمكن من إيتانه فسبحان من لا يعجزه شيء عن شيء^(٣) .
ولما رد الله سبحانه الحبشة عن مكة وأصابهم ما أصابهم من النقمة ، أعظمت
العرب قريشاً ، وقالوا : أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فجعلوا يقولون في
ذلك الأشعار ، ويذكرون فيها ما صنع الله تعالى بالحبشة وما دفع عن قريش من كيدهم ،
ويذكرون الأشرم والفيل ومساقه إلى الحرم وما أراد من هدم البيت واستحلال حرمة^(٤) .

[فصل]

ذكر بناء قريش الكعبة في الجاهلية

كانت الكعبة قبل أن تبنيتها قريش وضماً^(٥) يابساً ليس بمدر^(٦) تبروه^(٧) العناق ،
وكان بابها بالأرض ولم يكن لها سقف وإنما تدلى الكسوة على الجدر من خارج وتربط من
أعلى الجدر من بطنها ، وكان في بطن الكعبة عن يمين من دخلها جب^(٨) يكون فيه ما
يهدى للكعبة من مال وحلية كهيئة الخزانة ، وكان على ذلك الجب حية تحرسه بعثه الله
منذ زمن جرهم ، وذلك أنه عدا على ذلك الجب قوم من جرهم فسرقوا مالها وحليتها مرة
بعد مرة ، فبعث الله تعالى تلك الحية فحرس الكعبة وما فيها خمسمائة سنة ، ثم لم تزل
كذلك حتى بنت قريش الكعبة ، وكان قرنا الكبش الذي ذبحه إبراهيم - عليه السلام -

(١) كذا في الأصل ، وفي حياة الحيوان « بالموسم » وهو من الفراسة ، تقول : توسمت فيه الخير أى :
تفرست . لسان العرب مادة « وسم » .

(٢) جاء في حياة الحيوان المطبوع (١٨٨/٢) : « إبطها » وهو تحريف . والله أعلم .

(٣) حياة الحيوان للدميري (١٨٨/٢) من أول قوله : وكنية الفيل .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (١٤٨/١) عن بعض المكين .

(٥) كذا في الأصل وهو من الوضم : خشبة أو بارية يوضع عليها اللحم ، وعند الأزرقى « رضماً » من
الرضم وهو الحجارة البيض . لسان العرب مادة « وضم » .

(٦) المَدَر : الطين المزج المتماسك ، والقطعة منه مدرة . « المعجم الوسيط » .

(٧) كذا في الأصل ، وعند الأزرقى « تنزوه » من الوقوع والوطء . والله أعلم .

(٨) الجب : البئر الواسعة « المعجم الوسيط » .

معلقين في بطنها بالجدر تلقاء من دخلها ويطيبان إذا طيب البيت ، وكان فيها معاليق من حلية كانت تهدى للكعبة ، وسبب بناء قريش الكعبة أن امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت من مجمرتها شرارة فاحتزقت كسوتها ، وكانت الكسوة عليها ركامًا بعضها فوق بعض فلما احتزقت الكعبة توهنت جدرانها من كل جانب وتصدعت [٤٤/ب] ، وكانت السيول متواترة فجاء سيل عظيم وهى على تلك الحال فدخل الكعبة وصدع جدرانها وأحافها^(١) ، ففزعت من ذلك قريش فزعًا شديدًا وهابو هدمها وخشوا إن ينسوها أن ينزل عليهم العذاب ، فبينما هم على ذلك ينتظرون ويتشاورون إذ أقبلت سفينة للروم حتى إذا كانت بالشَّعْبِيَّة^(٢) - بضم الشين المعجمة - وهى يومئذ ساحل مكة قبل جدة فانكسرت فسمعت بها قريش ، فركبوا إليها فاشتروا خشبها ، وأذنوا لأهلها أن يدخلوا مكة فيبيعوا ما معهم من متاعهم على أن لا يعشروهم^(٣) ، وكانوا يعشرون من دخلها من تجار الروم ، كما كانت الروم تعشر من دخل منهم بلادها ، وكان فى السفينة رومى نجار بناء يسمى باقوم^(٤) .

قال السهيلي : وقال ابن إسحاق : وكان بمكة نجار قبلى ، وذكر غيره أنه كان عالجًا فى السفينة وأن اسم ذلك النجار باقوم وكذلك أيضًا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله ﷺ من طرفاء الغابة ولعله أن يكون هذا^(٥) . انتهى كلامه .

فلما قدموا بالخشب مكة قالوا : لو بنينا بيت ربنا فاجتمعوا لذلك وتعاونوا وترافدوا فى النفقة ، وربعوا قبائل قريش أرباعًا ، ثم اقترعوا عند هبل فى جوف الكعبة على جوانبها ، فطار قدح بنى عبد مناف وبنى زهرة على الوجه الذى فيه الباب وهو الشرقى ، وطار قدح بنى عبد الدار وبنى أسد بن عبد العزى وبنى عدى بن كعب على الشق الذى يلى الحجر وهو الشق الشامى ، وطار قدح بنى سهم وبنى جمح وبنى عامر بن لوى على ظهر الكعبة وهو الشق الغربى ، وطار قدح بنى تميم وبنى مخزوم وقبائل من قريش ضموا معهم على الشق اليمانى الذى يلى الصفا فنقلوا الحجاره ، ورسول الله ﷺ يومئذ غلام لم ينزل عليه الوحي ينقل معهم الحجاره على [٤٥/أ] رقبته ، فبينما هو ينقلها إذا انكشفت

(١) عند الأزرقى « وأحافهم » . والله أعلم .

(٢) الشَّعْبِيَّة : مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز ، وقد كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة . معجم البلدان (٣٥٠/٣ ، ٣٥١) .

(٣) من عشر المال ، أى : أخذ عُشْرَه مَكْسًا . المعجم الوسيط .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (١٥٩/١ ، ١٦٠) عن ابن أبى نجيح عن أبيه .

(٥) الروض الأنف (٢٢٥/١) .

نمرة كانت عليه فنودى يا محمد عورتك وذلك أول ما نودى - والله أعلم - فم رويت لرسول الله ﷺ عورة بعد ذلك ، ولُجج^(١) برسول الله ﷺ من الفزع حين نودى فأخذه العباس بن عبد المطلب فضمه إليه ، وقال : لو جعلت نمرتك على عاتقك تعتل^(٢) الحجارة . قال : ما أصابنى هذا إلا من التعرى فشدد رسول الله ﷺ إزاره وجعل ينقل معهم ، وكانوا ينقلون بأنفسهم تبرراً وتبركاً بالكعبة ، فلما اجتمع لهم ما يريدون من الحجارة والخشب وما يحتاجون إليه ، عَدَّوْا على هدمها فخرجت لهم الحية التى كانت فى بطنها تحرسها سوداء الظهر بيضاء البطن رأسها مثل رأس الجدى تمنعهم كلما أرادوا هدمها ، وكانت لا يدنو أحد من بئر الكعبة إلا رفعت ذنبها وكشفت - أى : صرَّت - ، فلما رأوا ذلك اعتزلوا عند مقام إبراهيم - عليه السلام - وهو يومئذ فى المكان الذى هو فيه اليوم ، فقال لهم الوليد بن المغيرة : يا قوم أَلستم تريدون بهدمها الإصلاح . قالوا : بلى . قال : فإن الله - عز وجل - لا يهلك المصلحين ، ولكن لا تدخلوا فى عمارة بيت ربكم إلا من طيب أموالكم ، ولا تدخلوا فيه مالاً من رباً ولا مالاً من مسيس^(٣) ولا مهر بغى وجنبوه الخبيث من أموالكم ، فإن الله - عز وجل - لا يقبل إلا طيباً . ففعلوا ثم وقفوا عند المقام فقاموا يدعون ربهم ويقولون : اللهم إن كان لك فى هدمها رضى فأئمه وأشغل عنا هذا الثعبان . فأقبل طائر من جو السحاب كهيفة العُقاب^(٤) ظهره أسود وبطنه أبيض ورجلاه صفراوان والحية على جدار البيت فافرة فاها فأخذ برأسها ، وفى رواية / [٤٥/ب] فغرز مخالبه فى رأسها حتى انطلق بها يجرها وذنبها أعظم من كذا وكذا ، فطار بها حتى أدخلها أحياد الصغير ، فقالت قريش : إنا لنرجوا أن يكون الله سبحانه قد رضى عملكم وقبل نفقتكم فاهدموه فهابت قريش هدمه ، فقالوا : من يبدأ فيهدم ؟ فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدأكم فى هدمه أنا شيخ كبير ، فإن أصابنى أمر كان قد دنا أجلى ، وإن كان غير ذلك لم يزرأ بى^(٥) ، فعلا البيت وفى يده عتلة يهدم بها فتزعزع من تحت رجله فقال : اللهم لم نزع^(٦) إنما أردنا الإصلاح . وجعل يهدمها حجراً حجراً بالعتلة فهدم يومه ذلك ، فقالت

(١) لُجج : صرع وسقط من قيام . المعجم الوسيط .

(٢) لعلها هكذا فى الأصل ، وعند الأزرقي «تقيلك» . والله أعلم .

(٣) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي «ميسر» . والله أعلم .

(٤) العُقاب : طائر من كواسر الطير ، قوى المخالب مسرول ، له منقار قصير أعقف ، حاد البصر .

المعجم الوسيط .

(٥) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي «يرزأنى» أى يصيبنى . والله أعلم .

(٦) نزع : نتتهى . راجع لسان العرب مادة «نزع» ، وفى تاريخ مكة للأزرقي (١٦٢/١) : وفى

هامشه (نزع ، نزع ، نزع) والله أعلم .

قريش : نخاف أن ينزل به العذاب إذا أمسى . فلما أمسى لم ير بأساً ، فأصبح الوليد غادياً على عمله فهدمت قريش معه حتى بلغوا الأساس الذى رفع عليه إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - القواعد من البيت فأبصروا حجارة كأنها الإبل الخلف^(١) ، لا يطيق الحجر منه ثلاثون رجلاً يحرك الحجر منها فترتج جوانبها قد تشبك بعضها ببعض ، فأدخل الوليد بن المغيرة عتلة بين حجرين فانفلقت منه فلقة فأخذها أبو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم فنزت من يده ثم عادت فى مكانها ، وطارت برقعة كادت أن تخطف أبصارهم ورجفت مكة بأسرها ، فلما رأوا ذلك أمسكوا عن أن ينظروا إلى ما تحت ذلك ، فلما جمعوا ما أخرجوا من النفقة قلت النفقة عن أن تبلغ لهم عمارة البيت كله ، فتشاوروا فى ذلك وأجمع رأيهم عن أن يقصروا عن القواعد ويحجروا ما يقدرون عليه من البيت ويتركوا بقيته فى الحجر عليه جدار مدار يطوف الناس من ورائه ، ففعلوا ذلك وبنوا فى بطن / [٤٦/٤] الكعبة أساساً يبنون عليه من شق الحجر ، وتركوا من ورائه من فناء البيت فى الحجر ستة أذرع وشبراً فبنوا على ذلك ، فلما وضعوا أيديهم فى بنائها ، قالوا : ارفعوا بابها من الأرض واكبسوها حتى لا تدخلها السيول ولا ترقى إلا بسلم ، ولا يدخلها إلا من أردتم ثم إن كرهتم أحداً دفعتموه ، ففعلوا ذلك وبنوها بساق^(٢) من حجارة وساق^(٣) من خشب بين الحجارة حتى انتهوا إلى موضع الركن فاختلفوا فى وضعه ، وكثر الكلام فيه وتنافسوا فى ذلك فقالت بنو عبد مناف وزهرة : هو فى الشق الذى وقع لنا . وقالت بنو تميم ومخزوم : هو فى الشق الذى وقع لنا . وقالت سائر القبائل : لم يكن الركن مما استهمنا عليه . فقال أبو أمية بن المغيرة : يا قوم إنما أردنا البر ولم نرد الشر ، فلا تحاسدوا ولا تنافسوا فإنكم إن اختلفتم نسيت أموركم وطمع فيكم غيركم ، ولكن حكموا بينكم أول من يطلع عليكم من هذا الفج . قالوا : رضينا وسلمنا فطلع رسول الله ﷺ عليه وشاحاً^(٤) ثم قالوا : هذا الأمين قد رضينا به فحكموه ، فبسط رداءه ثم وضع فيه الركن ودعا من كل ربع رجلاً فأخذوا بأطراف الثوب ، فكان من بنى عبد مناف عتبة بن ربيعة ، وكان فى الربع الثانى أبو ربيعة^(٥) بن الأسود وكان أسن القوم ، وفى الربع الثالث العاص

(١) الخلف : جمع خَلْفَة ، وهى الناقة الحامل . لسان العرب مادة « خلف » .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « بساف - وساف » وهو الصواب ، والساف هو : الصف من اللبن

أو الحجارة فى البناء ، عند أهل العراق . لسان العرب « دمك » .

(٣) تننية وشاح وهو نسيج عريض يشد على العاتق . راجع لسان العرب مادة « وشح » .

(٤) عند الأزرقى « أبو زمعة » والله أعلم .

ابن وائل ، وفى الربع الرابع حذيفة^(١) بن المغيرة ، فرفع القوم الركن وقام النبى ﷺ على الجدر فوضعه هو بيده ، فذهب رجل من أهل نجد لئنال النبى ﷺ حجراً يشد به الركن ، فقال العباس بن عبد المطلب ﷺ : لا ، فناول العباس النبى ﷺ حجراً فشده به الركن^(٢) . وفى رواية : أمر بالركن فوضع فى ثوب ثم / [٤٦/ب] أمر سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية الثوب ثم ارتقى ، وأمرهم بالركن أن يرفعوه إليه فرفعوه إليه فكان هو الذى وضعه^(٣) .

قال الكازرونى^(٤) فى سيرته : وكان وضعه ﷺ يوم الاثنين فلما وضعه غضب النجدى قال : واعجباه لقوم أهل شرف وعقول وسن وأموال ، عمدوا إلى أصغرهم سناً وأقلهم مالاً فرأسوه عليهم فى مكرمتهم كأنهم خدم له ، أما والله ليفوتهم سبقاً وليقسمن عليهم حظوظاً . ويقال : إن هذا النجدى هو إبليس لعنه الله .

فبنوا حتى بلغوا أربعة أذرع وشبيراً ثم كبسوها ووضعوا بابها مرتفعاً على هذا الذرع رفعوها بمدماك^(٥) على خشب ومدماك حجارة حتى بلغوا السقف ، فقال لهم باقوم الرومى : أتحبون أن تجعلوا سقفها «منكساً»^(٦) أو مسطحاً . قالوا : بل ابن بيت ربنا مسطحاً . قال : فبنوه مسطحاً وجعلوا فيه ست دعائم فى صفين ، كل صف ثلاث دعائم من الشق الشامى الذى يلى الحجر إلى الشق اليمانى ، وجعلوا ارتفاعها من خارجها من الأرض إلى أعلاها ثمانية عشر ذراعاً ، وكانت قبل ذلك تسعة أذرع ، فزادت قريش «فى السماء»^(٧) فى ارتفاعها فى السماء تسعة أذرع أخرى ، وبنوها من أعلاها إلى أسفلها بمدماك من حجارة ومدماك من خشب ، فكان الخشب خمسة عشر مدماكاً والحجارة ستة عشر مدماكاً ، وجعلوا ميزابها يسكب فى الحجر ، وجعلوا درجة من خشب فى بطنها فى الركن الشامى يصعد فيها إلى ظهرها ، وزوقوا سقفها وجدرانها من بطنها ودعائمها ، وجعلوا فى دعائمها صور الأنبياء وصور الشجر وصور الملائكة ، وكان فيها صورة إبراهيم - عليه السلام - خليل الرحمن شيخ يستقسم بالأزلام ، وصورة عيسى ابن مريم

(١) عند الأزرقى «أبو حذيفة» .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (١٦٠/١ - ١٦٤) ، وراجع سيرة ابن هشام (٢٤٩/١ - ٢٥٤) .

(٣) سيرة ابن هشام (٢٥٤/١ ، ٢٥٥) بنحوه ، والروض الأثف (٢٢٨/١) .

(٤) هو على بن محمد بن محمود بن أبى العز بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم الكازرونى ثم البغدادى ، الشافعى ، من تصانيفه روضة الأريب فى التاريخ ، والسيرة النبوية . توفى ٦٩٧ هـ ، راجع معجم المؤلفين (٢٣٢/٧) .

(٥) مدماك : الصف من اللبن أو الحجارة فى البناء . لسان العرب «دمك» .

(٦) عند الأزرقى «مكبساً» . والله أعلم .

(٧) ليست عند الأزرقى (١٦٤/١) .

وأمه ، وصور الملائكة - عليهم السلام - / [٤٧/أ] فلما كان يوم الفتح دخل رسول الله ﷺ فأرسل الفضل بن عباس بن عبد المطلب فجاء بماء من زمزم ثم أمر بشوب قبل بالماء وأمر بطمس تلك الصور فطمست ، ووضع ﷺ كفيه على صورة عيسى ابن مريم وأمه - عليهما السلام - وقال : «**امحوا جميع الصور إلا ما تحت يدي**» فرفع يده عن عيسى وأمه ، ونظر إلى صورة إبراهيم فقال : «**قاتلهم الله جعلوه يستقسم بالأزلام** ، ما لإبراهيم وللأزلام»^(١) . وجعلوا لها باباً واحداً فكان يغلق ويفتح ، وكانوا قد أخرجوا ما كان في الجب من حلية ومال وقرني الكيش وجعلوه عند أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عبد الدار بن قصي ، وأخرجوا هبل ونصب عند المقام حتى فرغوا من بناء البيت وردوا ذلك المال في الجب وعلقوا فيه الحلية وقرني الكيش وردوا الجب في مكانه مما يلي الشق الشامي ونصبوا هبل على الجب كما كان قبل ذلك ، وجعلوا له سلماً يصعد فيه إلى بطنها ، وكسوها حين فرغوا من بنائها حبرات ثمانية ، وعن مشافع بن شيبة بن عثمان أن النبي ﷺ قال : «**يا شيبة امح كل صورة فيه إلا ما تحت يدي**» قال : فرفع يده عن عيسى ابن مريم وأمه^(٢) .

(١) قوله : ووضع رسول الله ﷺ كفيه على صورة عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام ، وقال «**امحوا** **إلا ما تحت يدي** ..» هذه الزيادة لا تصح عن النبي ﷺ ، ولعلها موضوعة من قبل أعداء الإسلام ، وذلك لعدة أمور منها :

(الأول) ما ثبت في البخاري وغيره عن ابن عباس قال : دخل النبي ﷺ البيت فوجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم فقال : أما لهم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، هذا إبراهيم مصور فما له يستقسم ح (٣٣٥١ - فتح) .

(الثاني) ما ذكره النووي في شرح مسلم (٨٨/٩) من كونه ﷺ لم يدخل الكعبة في عمره القضاء، وقال العلماء : وسبب عدم دخوله ﷺ ما كان في البيت من الأصنام والصور ، ولم يكن المشركون يتركونه لتغييرها ، فلما فتح الله تعالى عليه مكة دخل البيت وصلى فيه وأزال الصور قبل دخوله . اهـ . وهذا يشمل جميع الصور بلا استثناء .

(الثالث) ما ثبت في صحيح البخاري ح (٣٣٥٢ - فتح) أنه ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت . والله الحمد .

(٢) قوله : إلا ما تحت يدي قال : فرفع يده . إلخ غير ثابت عن النبي ﷺ ، والحديث في تاريخ مكة للأزرقي (١٦٨/١) وهو في المعجم الكبير للطبراني (٢٩٩/٧) عن شيبة بلفظ «**يا شيبة أكفني** هذه ... ولم يذكر قوله : إلا ما تحت يدي ... إلخ ، وكذلك بنحوه في التاريخ الكبير للبخاري (٧٠/٨) ولم يذكره كذلك ، وفي المجموع (٢٩٥/٣) : ومسافع لم أجد من ترجمه . اهـ . بل هو مترجم في تهذيب الكمال (٤٢٢/٢٧) وغيره وفي الأصل مشافع وهو تصحيف . والله أعلم .

وعن جابر بن عبد الله قال : زجر النبي ﷺ عن الصور ، وأمر عمر بن الخطاب زمن الفتح أن يدخل البيت فيمحو ما فيه من صورة ولم يدخله حتى مُجى^(١). وعن الحسن أن النبي ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أمر عمر بن الخطاب أن يطمس على كل صورة فيها^(٢). وعن ابن أبي تجرة عن أمه قالت : أنا أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يضع الركن بيده فقلت : لمن الثوب الذي وضع فيه الحجر ؟ قالت / [٤٧/ب] للوليد بن المغيرة . ويقال : فحمل الحجر في كساء رومى كان للنبي ﷺ^(٣) روى جميع ذلك الأزرقى^(٤). ويُروى : أن الطائر الذي اختطف الحية هو العقاب^(٥) . وعن ابن عباس : أن هذه الحية هي الدابة التي تكلم الناس قبل يوم القيامة^(٦) قال السهيلي : واسمها أفضى^(٧). وقيل : إن الدابة التي تكلم الناس هي فصيل ناقة صالح ، وهو الأصح كما ذكره القرطبي ؛ لما روى أبو داود عن حذيفة قال : ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال : « لها ثلاث خرجات من الدهر : فتخرج من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تكمن زماناً طويلاً ، ثم تخرج خرقة أخرى دون ذلك فيفشو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية - أي مكة - ثم بينا الناس في المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب»^(٨) . الحديث ففي قوله : ترغو . دليل على أنها الفصيل . قال القرطبي : وذلك أن الفصيل لما قُتلت الناقة هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه ، ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج بإذن الله تعالى ، وقيل : إنها الجساسة .

-
- (١) أخرجه أبو داود : كتاب اللباس - باب في الصور ح (٤١٥) ، والمسند (٣/ ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٨٣ ، ٣٩٦) ، وأخبار مكة للأزرقي (١/ ١٦٨) ، ويشهد له ما أخرجه البخاري ح (٣٣٥٢ - فتح) عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحييت .. إلخ .
(٢) أخبار مكة للأزرقي (١/ ١٦٨) ومراسيل الحسن ضعيفة .
(٣) أخبار مكة للأزرقي (١/ ١٧٢) .
(٤) أخبار مكة للأزرقي (١/ ١٦٤ - ١٧٢) من أول قول الكازروني .
(٥) الروض الأنف (١/ ٢٢٥) .
(٦) الروض الأنف (١/ ٢٢٥) عن محمد بن الحسن المقرئ عن ابن عباس ، والتذكرة (ص ٧٨٧) .
(٧) المصدر السابق .

- (٨) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٠٦٩) ، ونعيم بن حماد في الفتن (ص ٤٠١) عن أبي سريعة ، وهو حذيفة بن أسيد الغفاري وقال القرطبي في التفسير (٢٣٦/١٣) : وقد رفع الإشكال في هذه الدابة ما ذكرناه من حديث حذيفة ، فليعتمد عليه . اهـ . أي هذا الحديث ، وخروج الدابة ثابت في الكتاب كما في سورة النمل : الآية (٨٢) ، وكذا السنة كما في صحيح مسلم ح (٢٩٤١) عن ابن عمر مرفوعاً .

واختلفوا في صفتها فقيل : إنها دابة مرغية^(١) الشعر ذات قوائم ، طولها ستون ذراعاً . وقيل : على خلقة الآدميين وهي في السحاب وقوائمها في الأرض . وقيل : جمعت من خلق كل حيوان ؛ رأسها رأس ثور ، وعين^(٢) عين خنزير ، وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيل^(٣) ، وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاصرة هر ، وذنبها ذنب كبش ، وقوائمها قوائم بعير ، بين كل مفصل ومفصل اثني عشر ذراعاً بذراع آدم - عليه السلام - يخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان ، فتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء بعصا موسى فيبيض وجهه / [٤٨/] ، وتنكت في وجه الكافر نكتة سوداء بخاتم سليمان فيسود وجهه^(٤) . وقيل : ليس لها ذنب^(٥) . وقيل : ليس لها وبر وريش . ولها ثلاث خرجات آخرهن بين الركن والمقام كما تقدم لا يخرج ثلثاها^(٦) .

قال المرجاني في «بهجة النفوس» : وفي الركن العراقي من حيال البيت صدع مستطيل فلعله المشار إليه .

واختلف في أى موضع تخرج ، فقيل : من جبل الصفا يتصدع فتخرج منه^(٧) ، أو من تهامة^(٨) ، أو من الطواف ، أو من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح ، أو من الطائف ، أو من جباد ، أو من بين الركنين ، أو من صخرة في شعب أجياد^(٩) ، أو من بحر سدوم^(١٠) ، وتخرج قبل يوم التروية بيوم . وقيل : يوم عرفة . وقيل : يوم النحر . وقد تقدم في باب الفضائل عن ابن إسحاق : أن قريشاً وجدت في الركن كتاباً بالسريانية وفيه :

(١) كذا في الأصل ، وعند القرطبي في تفسيره « مرغبة » من الرغب وهو : الشعيرات الصفراء على ريش الفرخ . لسان العرب « رغب » .

(٢) هكذا في الأصل ، والصواب «وعينها» كما يقتضيه السياق . والله أعلم .

(٣) أيل : الوعل ، وهو تيس الجبل أى ذكر الأروى ، وهو جنس من المعز الجبلية ، له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدين . راجع المعجم الوسيط « أيل » ، « وعل » .

(٤) تفسير القرطبي (٢٣٥/١٣ ، ٢٣٦) عن الماوردي والتعلبي ، وكذلك التذكرة (ص ٧٨٧) .

(٥) المصدر السابق عن علي بن أبي طالب .

(٦) تفسير القرطبي (٢٣٥/١٣ ، ٢٣٦) من أول قوله : فقيل إنها دابة ... إلخ .

(٧) تفسير القرطبي (٢٣٦/١٣) عن عبد الله بن عمر موقوفاً ، والتذكرة (ص ٧٨٧) .

(٨) تفسير القرطبي (٢٣٧/١٣) ، وكذلك التذكرة (ص ٧٨٧) عن قتادة .

(٩) المصدر السابق عن عبد الله بن عمرو .

(١٠) المصدر السابق عن وهب بن منبه .

«أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض إلى آخره»^(١) . وعن الزهري قال : إن قريشًا حين بنوا الكعبة وجدوا فيه حجرًا وفيه ثلاثة صفوح ؛ في الصفح الأول : «أنا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر» إلى آخر كلام ابن إسحاق المتقدم في الفضائل. وفي الصفح الثاني : «أنا الله ذو بكة خلقت الرحم واشتقت لها اسمًا من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته» . وفي الصفح الثالث : «أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه»^(٢) . وحضر سيدنا رسول الله ﷺ بناء قريش وله خمس وثلاثون سنة . وقيل : خمس وعشرون سنة. حكاهما النووي^(٣) .

[فصل]

ذكر الوقت الذي كانوا يفتحون فيه الكعبة وأول من خلع النعل عند دخولها
عن عمرو الهذلي قال : رأيت قريشًا يفتحون البيت في الجاهلية يوم الاثنين والخميس، وكان حجابهم يقعدون عند بابه فيرتقى الرجل إذا كانوا لا يريدون / [٤٨/ب] دخولهم فيدفع ويطره وربما عطب ، وكانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء يعظمون ذلك ويضعون نعالهم تحت الدرجة^(٤) . وأول من خلع الخف والنعل فلم يدخلها بهما الوليد بن المغيرة ؛ إعظامًا لها فجرى ذلك سنة^(٥) . ويروى أن فاختة بنت زهير بن حرب بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى وهي أم حكيم بن حزام دخلت الكعبة وهي حامل ، فأدركها المخاض فيها فولدت حكيمًا في الكعبة فحملت في نطع^(٦) ، وأخذ ما تحت مثيرها^(٧) فغسل عند حوض زمزم^(٨) .

-
- (١) سيرة ابن هشام (٢٥٣/١) ، والروض الأنف (٢٢٧/١) .
 - (٢) الروض الأنف (٢٢٧/١) .
 - (٣) في شرح مسلم (٨٩/٩) .
 - (٤) تاريخ مكة للأزرقي (١٧٤/١) .
 - (٥) ذكره في تاريخ مكة للأزرقي (١٧٤/١) عن الواقدي عن أشياخه .
 - (٦) النطع : بساط من الجلد . المعجم الوسيط .
 - (٧) المثير : الموضع تلد فيه المرأة . القاموس المحيط مادة « ثير » ، وذكر في تاج العروس القصة .
 - (٨) هذه الرواية عن عبد الله بن أبي سليمان عن أبيه ، كما في تاريخ مكة للأزرقي (١٧٤/١) ، وفيه من أول كلام عمرو الهذلي ... إلخ .

[فصل]

ذكر بناء الزبير^(١) الكعبة وما زاد فيها وما نقص منها الحجاج

عن ابن جريج قال : سمعت غير واحد من حضر ابن الزبير حين هدم الكعبة وبنائها فقالوا : لما أبطأ عبد الله بن الزبير عنبيعة يزيد بن معاوية وتخلف وحشى منهم لحق بمكة؛ ليمتنع بالحرم، وجمع مواليه وجعل يظهر عيب يزيد بن معاوية ويشتمه ويذكر شره الخمر وغير ذلك ، ويجمع الناس إليه فيقوم فيهم بين الأيام فيذكر مساوئ بنى أمية فيطنب في ذلك ، فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فأقسم لا يؤتى به إلا مغلولاً فأرسل إليه رجلاً من أهل الشام في خيل من «أهل»^(٢) الشام فعظم على ابن الزبير القضية ، وقال : لأن يستحل الحرم بسببك فإنه غير تاركك ولا تقوى عليه وأقسم أن لا يؤتى بك إلا مغلولاً وقد عملت لك غلاً من فضة وتليس فوقه الثياب وتير قسم أمير المؤمنين فالصلح خير عاقبة وأجمل بك وبه، فقال : دعوني أياماً حتى أنظر في أمرى فشاور أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق في ذلك فأبت عليه أن يذهب مغلولاً وقالت : يا بنى عش كريماً ومت كريماً ، ولا تمكن بنى أمية من نفسك فتلعب بك فالموت أحسن من هذا ، فأبى أن يذهب إليه في غل وامتنع في مواليه ومن يألف إليه من أهل مكة فكان / [٤٩/أ] يقال لهم : الزبيرية ، فبينما يزيد على بعثة الجيوش إليه إذ أتى يزيد خبر أهل المدينة وما فعلوا بعامله ومن كان بالمدينة من بنى أمية وإخراجهم إياهم منها إلا من كان من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فجهز إليهم مسلم ابن عقبة المرى في أهل الشام وأمره بقتال أهل المدينة فإذا فرغ من ذلك سار إلى ابن الزبير بمكة ، وكان مسلم مريضاً في بطنه الماء الأصفر فقال له يزيد : إن حدث بك الموت فول الحصين بن نمير الكندى على جيشك ، فسار حتى قدم المدينة فقاتلوه فظفر بهم ودخلها وقتل من قتل منهم ، وأسرف في القتل فسمى بذلك مسرفاً ، ونهب المدينة ثلاثاً ، وسار إلى مكة فلما كان ببعض الطريق حضرته الوفاة فدعا الحصين بن نمير فقال له : يا بردعة الحمار لولا أكره أنى أتزود عند الموت معصية أمير المؤمنين ما وليتك ، انظر إذا قدمت مكة فاحذر أن تمكن قريشاً من أذنك فتقول^(٣) فيها لكن لا يكن إلا الوقاف ثم العفاف^(٤) ثم الانصراف ، فتوفى مسلم المسرف ومضى الحصين بن نمير إلى مكة فقاتل ابن الزبير بها أياماً

(١) كذا في الأصل ، والصواب « ابن الزبير » كما عند الأزرقى . والله أعلم .

(٢) كذا في الأصل ، وبهامشه بخط مخالف « خيل » وهو ما ذكره الأزرقى . والله أعلم .

(٣) عند الأزرقى « فتبول » . والله أعلم .

(٤) عند الأزرقى « الوقاف ثم الثفاف » والوقاف : الذى لا يستعجل فى الأمور ، والثفاف : الحاذق

الفهم . راجع لسان العرب « وقف » ، « تقف » . والله أعلم .

وجمع ابن الزبير أصحابه فتحصن بهم فى المسجد الحرام وحول الكعبة ، فضرب أصحاب ابن الزبير خياماً يكتنون بها من حجارة المنجنيق ويستظلون فيها من الشمس ، وكان الحصين بن نمير قد نصب المنجنيق على أخشى مكة وهما أبو قبيس والأحمر فكان يرميهم بها فتصيب الحجارة الكعبة حتى تحرق كسوتها عليها ، فصارت كأنها جيوب النساء فوهن الرمي بالمنجنيق الكعبة ، فذهب رجل من أصحاب ابن الزبير يوقد ناراً فى بعض تلك الخيام مما يلى الصفا بين الركن الأسود والركن اليماني ، والمسجد يومئذ ضيق صغير ، فطارت شرارة فى الخيمة فاحترقت وكان فى ذلك اليوم رياح شديدة ، والكعبة يومئذ مبنية بناء قريش مدماك من ساج / [٩٤/ب] ومدماك من حجارة من أسفلها إلى أعلاها وعليها الكسوة ، فطارت الرياح بلهب تلك النار فاحترقت كسوة الكعبة ، واحترق الساج الذى بين البناء ، وكان احتراقها يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول قبل أن يأتى نعى يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوماً ، وجاء نعيه فى هلال شهر ربيع الآخر ليلة الثلاثاء سنة أربع وستين ، وكان توفى لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، وكانت خلافته ثلاثة سنين^(١) وسبعة أشهر ، فلما احترقت الكعبة واحترق الركن الأسود وتصدع ، كان ابن الزبير بعد ذلك ربطه بالفضة وضعفت جدران الكعبة حتى أنها لتنقض من أعلاها إلى أسفلها ويقع الحمام عليها فيستأثر^(٢) حجارتها وهى مجردة موهنة من كل جانب ، ففرع لذلك أهل مكة وأهل الشام جميعاً والحصين بن نمير محاصر ابن الزبير ، فأرسل ابن الزبير رجالاً من أهل مكة من قريش وغيرهم منهم عبد الله بن خالد بن أسيد ورجال من بنى أمية إلى الحصين فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة وقالوا : إن ذلك منكم رميتموها بالنفط . فأنكروا ذلك وقالوا : قد توفى أمير المؤمنين فعلى ماذا تقاتل ؟ ارجع إلى الشام حتى تنظر ماذا يجمع عليه رأى صاحبك يعنون معاوية بن يزيد وهل يجمع الناس عليه ؟ فلم يزالوا به حتى لان لهم ورجع إلى الشام ، فلما أدبر جيش الحصين بن نمير وكان خروجه من مكة لخمس ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ، دعا ابن الزبير وجوه الناس وأشرفهم فشاوورهم^(٣) فى هدم الكعبة ، فأشار عليهم^(٤) ناس قليلون بهدمها وأبى كثير من الناس هدمها ، وكان أشدهم إباءً عبد الله بن عباس قال له : دعها على ما أقرها رسول الله ﷺ فإنى أخشى أن يأتى / [٥٠/أ] بعدك من يهدمها ، فلا تزال

(١) عند الأزرقي « ثلاث سنين » . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي « فتتأثر » . والله أعلم .

(٣) عند الأزرقي « فشاوورهم » . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي « عليه » وبه يتم السياق . والله أعلم .

تهدم وتبنى فيتهاون الناس بحرمتها ولكن أرفعها فقال ابن الزبير: والله ما يرضى أحدهم أن يرفع بيت أبيه وأمه فكيف أرفع بيت الله تعالى ؟ وكان ممن أشار عليها^(١) بهدمها جابر ابن عبد الله وعبد بن نعيم^(٢) وعبد الله بن صفوان بن أمية ، فأقام أياماً يشاور وينظر ثم أجمع على هدمها ، وكان يجب أن يكون^(٣) هو الذى يجب أن يردها على ما قال رسول الله ﷺ على قواعد إبراهيم وعلى ما وصفه رسول الله ﷺ لعائشة ، فأرادا أن ينيها بالورس^(٤) ويرسل إلى اليمن فى ورس يشتري له ، ف قيل : إن الورس يذهب ولكن ابنها بالقصة^(٥) فسأل عن القصة ، فأخبر أن قصة صنعاء هى أجود القصة فأرسل إلى صنعاء بأربعمائة دينار يشتري له بها قصة ويكترى عليها وأمر بتشجيج^(٦) ذلك ثم سأل رجلاً من أهل العلم بمكة من أين أخذت قريش حجارتها فأخبروه مبلغها ، فنقل له من الحجارة قدر ما يحتاج إليه ، فلما اجتمعت وأراد هدمها خرج أهل مكة إلى منى وأقاموا بها ثلاثاً ؛ فرقاً أن ينزل عليهم عذاب بهدمها ، فأمر ابن الزبير بهدمها فلم يجزئ على ذلك أحد ، فلما رأى ذلك علاها هو بنفسه فأخذ المعول وجعل يهدمها ويرمى بحجارتها ، فلما رأوا أنه لم يصبه شيء اجترأوا فصعدوا وهدموا وأرقى ابن الزبير فوقها عبيداً من الجيش^(٧) فهدموها رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشى الذى قال فيه رسول الله ﷺ : « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة »^(٨) . وقال مجاهد : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : كأنى به أصيلع أفيدع^(٩) قائم عليها يهدمها بمسحاته . وقال مجاهد : فلما هدم ابن الزبير الكعبة جئت أنظر هل أرى الصفة التى قال عبد الله بن عمرو ؟ فلم أرها فهدموا وأعانهم

(١) راجع الهامش السابق .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « عبيد بن عمرو » . والله أعلم .

(٣) ملحقة من الحاشية ، والسياق يتم بدونها . والله أعلم .

(٤) الورس : نوع من الخشب النضار الأصفر ، شبه بالورس لصفوته . راجع لسان العرب « ورس » ،

والذى فى لسان العرب « الورسى » بدلاً من « الورس » . والله أعلم .

(٥) القصة : حجارة من الجص . لسان العرب مادة « قصص » .

(٦) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « بتشجيج » أى : تيسيره وتنجيذه . المعجم الوسيط .

(٧) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « عبيداً من الحبش » وهو الصواب . والله أعلم .

(٨) أخرجه البخارى : كتاب الحج - باب قول الله تعالى ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام ﴾ الآية

ح (١٥٩١ - فتح) ، ومسلم : كتاب الفتن وأشراف الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل

بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ح (٢٩٠٩) عن أبى هريرة مرفوعاً .

(٩) أفيدع تصغير أفدع : وهو من الفدع : عوج فى المفاصل كأنها قد فارقت مواضعها ، وأكثر ما

يكون فى رسغ اليد أو القدم . المعجم الوسيط « فدع » ولسان العرب .

الناس فما ترجلت^(١) / [٥٠/ب] الشمس حتى ألصقوها بالأرض كلها من جوانبها ، وكان هدمها يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة أربع وستين ، ولم يقرب ابن عباس مكة حين هدمت الكعبة حتى فرغ منها ، وأرسل إلى ابن الزبير لا تدع الناس بغير قبلة انصب لهم حول الكعبة الخشب واجعل عليها الستور حتى يطوف الناس من ورائها ويصلون إليها ، ففعل ذلك ابن الزبير وقال ابن الزبير: أشهد لسمعت عائشة - رضى الله عنها - تقول : قال رسول الله ﷺ : «إن قومك استقصروا فى بناء البيت وعجزت بهم النفقة فتركوا فى الحجر منها أذرعاً ، ولولا حداثة قومك بالكفر لهدمت الكعبة وأعدت ما تركوا منها ، ولجعلت لها بابين موضوعين بالأرض ، باباً شرقياً يدخل منه الناس ، وباباً غربياً يخرج منه الناس ، وهل تدريين لم كان قومك رفعوا بابها ؟» قالت : قلت : لا . قال : «تعزراً أن لا يدخلها إلا من أرادوا ، فكان الرجل إذا كرهوا أن يدخلها يدعونه أن يرتقى حتى إذا كاد أن يدخلها دفعوه فسقط ، فإن بدا لقومك هدمها فهلمى لأريك ما تركوا فى الحجر منها» فأراها قريباً من سبعة أذرع^(٢) . فلما هدم ابن الزبير الكعبة وسواها بالأرض كشف عن الأساس أساس إبراهيم - عليه السلام - فوجده داخل فى الحجر نحواً من ستة أذرع وشر ، كأنها أعناق الإبل أخذ بعضها بعضاً كتشبيك الأصابع بعضها ببعض ، يحرك الحجر من القواعد فتحرك الأركان كلها ، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرفهم وأشهدهم على ذلك الأساس ، قال : فأدخل رجل من القوم - كان أيداً - يقال له : عبد الله بن سمطع^(٣) العدوى عتلة كانت فى يده فى ركن من أركان البيت فترعزت الأركان كلها جميعاً ، ويقال : إن مكة رجفت رجفة شديدة حين زعزع الأساس ، وخاف الناس خوفاً شديداً حتى ندم كل من كان أشار / [٥١/أ] على ابن الزبير بهدمها وأعظموا ذلك إعظاماً شديداً وسقط فى أيديهم ، فقال لهم ابن الزبير: اشهدوا ثم وضع البناء على ذلك الأساس ، ووضع جدار باب الكعبة على مدماك من الشاذروان^(٤) اللاصق بالأرض ، وجعل الباب الآخر بإزائه فى ظهر الكعبة مقابله ،

(١) ترجلت : ارتفعت . المعجم الوسيط « رجل » .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب العلم - باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا فى أشد منه ح (١٢٦ - فتح) وانظر أطرافه ، ومسلم : كتاب الحج - باب نقض الكعبة وبنائها ح (١٣٣٣) وانظر باقى طرقه ، عن عائشة مرفوعاً بنحوه .

[فائدة] فى صحيح مسلم فحوى قصة ابن الزبير فى هدم الكعبة فراجعه فى الموضوع المشار إليه .

والله أعلم .

(٣) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي « مطيع » . والله أعلم .

(٤) الشاذروان : هو بناء لطيف جداً ملصق بجائط الكعبة وارتفاعه عن الأرض فى بعض المواضع نحو -

وجعل عتبته على الحجر الأخضر الذى فى الشاذروان الذى فى ظهر الكعبة قريباً من الركن اليماني . وكان البناءون يبنون من وراء الستر ، والناس يطوفون من خارج ، فلما ارتفع البنيان إلى موضع الركن ، وكان ابن الزبير حين هدم البيت جعل الركن فى ديباجة وأدخله فى تابوت وقفل عليه ووضعه عنده فى دار الندوة ، وعمد إلى ما كان فى الكعبة من حلية وثياب وطيب فوضعه فى خزانة الكعبة فى دار شيبه بن عثمان حتى أعاد بناءها ، فلما بلغ البناء موضع الركن أمر ابن الزبير بموضعه ، فنقر فى حجرين من المدماك الذى تحته وحجر من المدماك الذى فوقه بقدر الركن وطريق^(١) بينهما ، فلما فرغوا منه أمر ابن الزبير ابنه عباد بن عبد الله بن اربير وجبير بن شيبه بن عثمان أن يجعلوا الركن فى ثوب ، وقال لهم ابن الزبير : إذا دخلت فى صلاة الظهر فاحملوه واجعلوه فى موضعه فأنا أطول الصلاة ، فإذا فرغتم فكبروا حتى أخفف صلاتي ، وكان ذلك فى حر شديد فلما أقيمت الصلاة وكبر ابن الزبير وصلى بهم ركعة خرج عباد بالركن من دار الندوة وهو يحمله ومعه جبير ابن [مطعم]^(٢) شيبه بن عثمان فخرقا به الصفوف حتى أدخلاه فى الستر الذى دون البناء ، وكان الذى [وضعه]^(٣) فى موضعه هذا عباد بن عبد الله بن الزبير وأعانه عليه جبير بن شيبه ، وقيل : الذى وضعه فى موضعه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، ذكره الزبير بن أبى بكر^(٤) ، فلما قرروه فى موضعه / [٥١/ب] وطريق عليه الحجران كبيروا فأخف ابن الزبير صلاته وسمع الناس بذلك ، وغضب فيه رجال من قريش حين لم يحضرهم ابن الزبير ، وقالوا : والله لقد رُفِع فى الجاهلية حين [وقع] بنته قريش فحكموا فيه أول من يدخل عليهم من باب المسجد ، فطلع رسول الله ﷺ جعله فى رداءه ، ودعا رسول الله ﷺ من كل قبيلة من قريش رجلاً فأخذوا بأركان الثوب ثم وضعه رسول الله ﷺ فى موضعه^(٥) . وفى رواية ذكرها الأزرقى : أن ابن الزبير وضع الحجر الأسود فى موضعه هو بنفسه^(٦) .

= شيرين ، وفى بعضها نحو شير ونصف وعرضها فى بعضها نحو شيرين ونصف ، وفى بعضها نحو شير ونصف . تهذيب الأسماء واللغات (١٧٢ ، ١٧١/٣) .

(١) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « وطوبى » . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، والصواب حذفها . والله أعلم .

(٣) ليست فى الأصل ، والسياق يقتضيها وهى عند الأزرقى (٢٠٨/١) . والله أعلم .

(٤) الروض الأنف (٢٢٨/١) عنه .

(٥) تاريخ مكة للأزرقى (٢٠٨/١) .

(٦) تاريخ مكة (٢١٨/١) عن عكرمة بن خالد وأبى جعفر .

وكان الركن قد تصدع من الحريق ثلاث فرق فانشطت^(١) منه شظية كانت عند بعض آل شيبة بعد ذلك بدهر طويل ، فشدّه ابن الزبير بالفضة إلا تلك الشظية من أعلاه ، موضعها بين في أعلى الركن ، طول الركن ذراعان قد أخذ عرض جدار الكعبة ومؤخر الركن داخله في الجدر مضرس على ثلاثة رؤوس . قال ابن جريج : فسمعت من يصف لون مؤخره الذي في الجدر قال بعضهم : هو مورد . وقال بعضهم : هو أبيض كالفضة . وكانت الكعبة يوم هدمها ابن الزبير ثمانية عشر ذراعاً في السماء ، فلما أن بلغ ابن الزبير بالبناء ثمانية عشر ذراعاً وجرت بحال الزيادة التي زاد من الحجر فيها ، واستسمح^(٢) ذلك إذا^(٣) صارت عريضة لا طول لها فقال : قد كانت قبل قريش تسعة أذرع حتى زادت قريش فيها تسعة أذرع طولاً في السماء ، فأنا أزيد فيها تسعة أذرع أخرى ، فبناها سبعة وعشرين ذراعاً في السماء ، وهي سبعة وعشرون مدماً وعرض جدارها ذراعان ، وجعل فيها ثلاث دعائم ، وكانت قريش في الجاهلية جعلت فيها ست دعائم ، وأرسل ابن الزبير إلى صنعاء فأتى من رخام بها يقال له : / [أ/٥٢] البلق فجعله في الروازن^(٤) التي في سقفها للضوء ، وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعاً واحداً ، فجعل لها ابن الزبير مصراعين ، طولهما أحد عشر ذراعاً من الأرض إلى منتهى أعلاه اليوم ، وجعل الباب الآخر الذي في ظهرها بإزائه على الشاذروان الذي على الأساس مثله ، وجعل ميزابها يسكب في الحجر ، وجعل لها درجة في بطنها في الركن الشامي من خشب منفرجة يصعد فيها إلى ظهرها .

فلما فرغ ابن الزبير من بناء الكعبة جعلها من داخلها وخارجها من أعلاها إلى أسفلها وكساها القباطي ، وقال : من كانت لي عليه طاعة فليخرج فليعتن من التنعيم ، فمن قدر وأن ينحر بدنه فليفعل ، ومن لم يقدر فليذبح شاة ، ومن لم يقدر فليصدق بقدر طوله ، وخرج ماشياً وخرج الناس معه مشاة حتى اعتنوا من التنعيم شكراً لله سبحانه ، ولم ير يوم كان أكثر عتيقاً ولا أكثر بدنة منحورة ولا شاة مذبوحة ولا صدقة من ذلك اليوم ، ونحّر ابن الزبير مائة بدنة ، فلما طاف بالكعبة استلم الأركان الأربعة جميعاً وقال : إنما كان ترك استلام هذين الركنين الشامي والركن الغربي ؛ لأن البيت لم يكن تاماً . فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير إذا طاف الطائف استلم الأركان جميعها ،

(١) انشطت : تفرقت وتطايرت . راجع لسان العرب « شظى » .

(٢) استسمح : استفتح . المعجم الوسيط .

(٣) عند الأزرقي « إذ » وهو الصواب . والله أعلم .

(٤) الروازن - جمع روزنة - وهي الكوة غير النافذة . المعجم الوسيط .

ويدخل البيت من هذا الباب ويخرج من الباب الغربى وأبوابه لاصقة بالأرض ، حتى قتل ابن الزبير رضي الله عنه ودخل الحجاج مكة وكتب كتاباً إلى عبد الملك بن مروان: أن ابن الزبير زاد فى البيت^(١) على ما كان عليه فى الجاهلية . فكتب إليه عبد الملك بن مروان : أن سُد بابها الغربى الذى فتحه ابن الزبير ، واهدم ما كان زاد فيها من الحجر ، واكبسها به على ما كانت عليه . فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبراً مما يلى الحجر ، وبنها على أساس قريش الذى كانت / [٥٢/ب] استقصرت عليه ، وكبسها بما كان هدم منها ، وسد الباب الذى فى ظهرها ، وترك سائرهما ولم يحرك منه شيئاً ، فكل شئ فيها بناء ابن الزبير إلا الجدار الذى فى الحجر فإنه بناء الحجاج ، وسد الباب الذى فى ظهرها وما تحت عتبة الباب الشرقى الذى يدخل منه اليوم إلى الأرض أربعة أذرع وشبر ، كل هذا بناء الحجاج ، والدرجة التى فى بطنها اليوم والبابان اللذان عليهما^(٢) اليوم هما أيضاً من عمل الحجاج فلما فرغ الحجاج من هذا كله وفد بعد ذلك الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : ما أظن ابن الزبير سمع من عائشة - رضى الله عنها - ما كان يزعم أنه سمع منها فى أمر الكعبة . فقال الحارث : أنا سمعته من عائشة . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : سمعتها تقول : قال لى رسول الله ﷺ : «إن قومك استقصروا فى بناء البيت ، ولولا حادثة عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا ، فإن بدا لقومك أن يبنوه فهلوى لأريك ما تركوا منه» فأراها قريباً من سبع أذرع . وقال رسول الله ﷺ : «وجعلت لها بابين موضوعين على الأرض ، باباً شرقياً يدخل الناس منه ، وباباً غربياً يخرج الناس منه»^(٣) .

قال عبد الملك بن مروان : أنت سمعتها تقول هذا . قال : نعم . فجعل ينكت منكساً بقضيب فى يده ساعة طويلة ثم قال : وددت والله أنى كنت تركت ابن الزبير وما تحمّل من ذلك .

قال ابن جريج : وكان الباب الذى عمله ابن الزبير طوله فى السماء أحد عشر ذراعاً ، فلما كان الحجاج نقص من الباب أربع^(٤) أذرع وشبراً ، وعمل لها هذين البابين وطولهما ستة أذرع وشبر ، فلما كان فى خلافة الوليد بن عبد الملك بعث إلى واليه على

(١) فى تاريخ مكة للأزرقي (٢١٠/١) زيادة وهى : « ما ليس منه وأحدث فيه باباً آخر ، فكتب إليه يستأذنه فى رد البيت » وهى زيادة تفيد معنى . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي « عليها » ، وهو الصواب . والله أعلم .

(٣) تقدم تخريج .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي « أربعة » وهو الجادة . والله أعلم .

مكة خالد بن عبد الله القشيري^(١) بستة وثلاثين ألف دينار ، فضرب منها على باب [٥٣/أ] الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التي في جوفها^(٢) .

قال الأزرقى : فكل ما على الميزاب وعلى الأركان في جوفها من الذهب فهو من عمل الوليد بن عبد الملك ، وهو أول من ذهب البيت في الإسلام ، فأما ما كان على الباب من عمل الوليد بن عبد الملك من الذهب فإنه رق وتفرق ، فرفع ذلك إلى أمير المؤمنين محمد بن الرشيد في خلافته فأرسل إلى سالم بن الجراح عامل كان له بثمانية عشر ألف دينار ؛ ليضرب بها على صفائح الذهب على بابي الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها من الثمانية عشر ألف دينار ، فضرب عليه الصفائح التي هي عليه اليوم والمسامير وحلى باب الكعبة وعلى القبارين^(٣) والعتب ، وذلك كله من عمل محمد بن هارون الرشيد ، ولم يقلع في ذلك بابي الكعبة ولكن ضرب عليهما الصفائح والمسامير وهما على حاطهما^(٤) .

قال الأزرقى : وأخبرني المثنى بن جبير الصواف أنه حين فرقوا ذهب باب الكعبة وجد فيه ثمانية عشر ألف مثقال فزادوا عليه خمسة عشر ألف دينار ، وأن الذي على الباب من الذهب ثلاثة وثلاثون ألف دينار . وقالوا أيضًا : أنه لما قلع الذهب عن الباب ألبس الباب ثوبًا أصفر^(٥) .

قال ابن جريج : وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام^(٦) الأحمر والأخضر والأبيض الذي في بطنها مؤزرًا به جدرانها وفرشها بالرخام وأرسل به من الشام ، فجميع ما في الكعبة من الرخام فهو من عمل الوليد بن عبد الملك ، وهو أول من فرشها بالرخام وأزر به جدرانها ، وهو أول من زحرف المساجد^(٧) . انتهى ما ذكره الأزرقى .
وأهل مكة يعتمرون في كل ليلة سبع وعشرين من رجب من كل سنة وينسبون هذه العمرة إلى ابن الزبير .

(١) كذا في الأصل ، والصواب كما ذكره الأزرقى « القسرى » . والله أعلم .

(٢) أخبار مكة للأزرقى (٢١١/١ ، ٢١٢) .

(٣) كذا في الأصل ، وعند الأزرقى « الفيارين » وهما حديدتان يكتنفان لسان الميزان . راجع القاموس « فار » . والله أعلم .

(٤) أخبار مكة للأزرقى (٢١٢/١) .

(٥) أخبار مكة للأزرقى (٢١٢/١) .

(٦) تكررت في الأصل .

(٧) ذكر هذا الفصل الأزرقى في تاريخ مكة (٢٠١/١ - ٢١٣) .

قال المحب الطبري^(١) : ولا يعد أن يكون بناء الكعبة امتد إلى هذا [٥٣/ب] التاريخ ، وقد تقدم هذا في باب العمرة . وذكروا أن هارون الرشيد سأل مالك بن أنس رحمته الله عن هدمها وردها إلى بناء ابن الزبير للأحاديث في ذلك . فقال مالك : نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك ، لا يشاء أحد إلا نقضه وبناه ، فتذهب هيئته من صدور الناس . هكذا ذكر النووي^(٢) أن السائل لمالك بن أنس هو هارون الرشيد . وقال السهيلي^(٣) : إن السائل هو أبو جعفر المنصور .

وقال الشافعي : أحب أن لا تهدم الكعبة وتبنى لئلا تذهب حرمتها . وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : «استمتموا من هذا البيت فإنه يهدم موتين ويرفع في الثالثة»^(٤) . رواه الطبراني . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»^(٥) . وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : «كأنى به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً»^(٦) . رواه البخاري . وفي حديث آخر رواه الحافظ أبو موسى الأصفهاني في غريبه : «لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو

(١) هو أحمد بن عبد الله بن محمد الحافظ أبو العباس ، محب الدين الطبري ثم المكي ، شيخ الحرم ، وحافظ الحجاز بلا مدافعة (٦١٥ - ٦٩٤ هـ) وله كتاب في السيرة النبوية . راجع طبقات الشافعية (١٨ / ٢٠) ، والمنهل الصافي (٣٤٢/١ - ٣٤٩) ، والبداية والنهاية (١٣ / ٣٦١) ، والعبر (٣٨٢/٥) ، والعقد الثمين (٦١/٣ - ٧٢) وغيرها من المصادر ، وراجع قوله هذا في القرى .

(٢) في شرح صحيح مسلم (٨٩/٩) .

(٣) الروض الأنف (٢٢٢/١) ، وأما ابن ظهيرة فقال : روى أن هارون الرشيد أو أباه المهدي أو جده المنصور سأل مالك بن أنس الجامع (ص ٩٢) .

(٤) أخرجه الطبراني والبيزار كما في مجمع الزوائد (٢٠٦/٣) وقال : رجاله ثقات . اهـ . وهو في كشف الأستار (١٠٧٢) وقال : لم نسمع أحداً يحدث به إلا الحسن بن قزعة ، عن سفيان ، وقد روى عن ابن عمر موقوفاً . اهـ . بل هو عند الحاكم من طريق عمرو بن عون عن سفيان بن حبيب ، وابن حبان في صحيحه (٦٧٥٣) ، وابن خزيمة (٢٥٠٦) ، والحاكم (٤٤١/١) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . اهـ .

(٥) تقدم تخريجه .

(٦) أخرجه البخاري : كتاب الحج - باب هدم الكعبة ح (١٥٩٥ - فتح) .

السويقتين»^(١) . فقولہ : «كأنى به» فى معنى أبصر به على معنى هذه الصفة ، «والسويقتين» تصغير الساقين وهى مؤنثة فلذلك ظهرت التاء فى تصغيرها ، وإنما صغر الساقين ؛ لأن الغالب على سوق الحبشة الدقة والحموشة^(٢) ، أى : يخربها رجل من الحبشة له ساقان دقيقتان ، وأسود وأفحج حالان عن خبر كأن ، وكأن وإن لم تكن بفعل فإنه شبه به ، وإذا قيد منصوبه أو مرفوعه بالحال كان تقييداً باعتبار معناه الذى أشبه الفعل ، وأفحج بالفاء ثم الحاء المهملة ثم الجيم : الذى يتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه ويتفحج ساقاه ومعناه : يتفرج^(٣) ، والفحج بجيمين فتح ما بين / [أ/٥٤] الرجلين وهو أقبح من الفحج^(٤) ، ويقلعها فى معنى الحال والضمير للكعبة ، ومن صفة ذى السويقتين أنه أصمع أفيدع أصيلع ، والأصمع - بالصاد المهملة ثم الميم ثم العين المهملة - : الصغير الأذن من الناس وغيرهم^(٥) ، والأفيدع - تصغير أفدع ، بالفاء ثم العين المهملتين - : وهو المفرج الرسغ من اليد أو الرجل^(٦) ، والأصيلع - تصغير الأصلع - : وهو الذى انحسر الشعر عن رأسه^(٧) ، وفى حديث حذيفة الطويل عنه ﷺ : «كأنى بجيشى أفحج الساقين ، أزرق العينين ، أفطس الأنف ، كبير البطن ، وأصحابه ينقضونها حجراً حجراً ويتناولونها حتى يرموا بها فى البحر - يعنى الكعبة -» . رواه ابن الجوزى ، وهو حديث فيه طول .

وعن على بن أبى طالب : استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه ، فكأنى برجل من الحبشة أصعل أصمع حمش الساقين قاعد عليها وهى تهدم^(٨) . رواه أبو عبيد القاسم بن سلام . قال الأصمعى : قوله : أصعل . هكذا يروى ، قال : وأما كلام

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٣٧١/٥) عن سهل بن حنيف عن رجل من الصحابة ، والبيهقى فى السنن الكبرى (١٧٦/٩) عن سهل عن عبد الله بن عمرو ، وكذا أخرجه أبو داود : كتاب . الملاحم - باب النهى عن تهيج الحبشة ح (٤٣٠٩) مرفوعاً عندهم .

(٢) راجع المجموع المغيث فى غريب القرآن والحديث (١٥٢/٢) وهو بنحوه ، والنهاية لابن الأثير (٤٢٣/٢) .

(٣) راجع لسان العرب مادة « فحج » .

(٤) راجع لسان العرب مادة « فحج » .

(٥) لسان العرب مادة « صمع » .

(٦) لسان العرب مادة « فدع » .

(٧) لسان العرب مادة « صلغ » .

(٨) أخرجه عبد الرزاق (١٣٧/٥) ، والأزرعى (٢٧٦/١) ، والفاهى (١٩٤/١ ، ٣٥٩) ، وأورده أبو عبيد فى الغريب (٤٥٤/٣) ، وزاد الحافظ فى الفتح (٥٣٨/٣) رواية يحيى الحماني له فى مسنده عن على مرفوعاً .

العرب فهو صعل بغير ألف : وهو الصَّغِيرُ الرأس ، وكذلك الحبشة كلهم^(١) ، وحَمَش السَّاقِين - بالحاء المهملة - أى : دقيقهما . وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «يباع لرجل بين الركن والمقام ، وأول من يستحل هذا البيت أهله ، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً ، وهم الذين يستخرجون كنزه»^(٢) . رواه أبو داود الطيالسي .

وذكر الحلبي : أن ذلك يكون في زمن عيسى - عليه السلام -^(٣) . وذكر أبو حامد في كتاب «مناسك الحج» له وغيره ، ويقال : لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد ، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض ، فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة ليس لها أثر ، وهذا إذا أتى عليها [٥٤/ب] سبع سنين لم يحجها أحد ، ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة واحدة ، ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ، ثم يخرج الدجال وينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب تقرب ولادتها^(٤) . انتهى .

وقال غير الحلبي : إن خرابه يكون بعد رفع القرآن وذلك بعد موت عيسى ابن مريم - عليهما السلام - وصححه بعض متأخري العلماء^(٥) . والله أعلم .
واعلم أن حاصل ما ذكرنا في بناء الكعبة فيما تقدم من الروايات أنها بنيت سبع مرات : أولاهن : بناء الملائكة أو آدم على الخلاف المتقدم ، الثانية : بناء إبراهيم عليه السلام على القواعد الأولى ، الثالثة : بناء العمالقة ، الرابعة : بناء جرهم ، الخامسة : بناء قريش من الإسلام بخمسة أعوام وقد حضر النبي ﷺ هذا البناء كما ذكرنا ، السادسة : بناء عبد الله

(١) راجع كلام الأصمعي في غريب الحديث لأبى عبيد (٤٥٤/٣) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٩١/٢ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٥١) ، وأبو داود الطيالسي (٢٣٧٣) ، وابن أبي شيبة (٥٢/١٥ ، ٥٣) ، والحاكم (٤٥٢/٤ ، ٤٥٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . اهـ . وتعقبه الذهبي بقوله : ما خرجاه لابن سميان شيئاً ولا روى عنه غير ابن أبي ذؤب وقد تكلم فيه . اهـ . وقال الهيثمي في الجمع (٢٩٨/٣) : في الصحيح بعضه ورواه أحمد ، ورجاله ثقات . اهـ . وقد صحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند (٣٦/١٥) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٨٨) .

(٤) راجع إحياء علوم الدين (٢٤٢/١) .

(٥) كذلك صححه ابن ظهيرة في الجامع (ص ٨٨) .

ابن الزبير حين احترقت فى عهده بشررة طارت من أبى قبيس فوقعت فى أستارها فاحترقت. وقيل : إن امرأة أرادت أن تحمّرَها فطارت شررة من الجمرة فى أستارها فاحترقت ، السابعة : بناء الحجاج بن يوسف الثقفى وهو الشىء الذى من ناحية حجر إسماعيل الذى هو موجود اليوم .

وذكر السهيلي : أن بناءها كان خمس مرات وعدّ أولاهن : بناء شيث بن آدم عليهما السلام^(١) ، قال : وكانت قبل أن يبنها شيث خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم^(٢) ، قال : وقد قيل : إنه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين ؛ لأن السيل كان صدع حائطه ولم يكن بنياناً إنما كان إصلاحاً لما وهى منه ، وجداراً بنى بينه وبين السيل بناء عامر الحاذر ، وقد تقدم هذا الخبر^(٣) . انتهى . ويقال : إن قصى بن كلاب جدد بناءها بعد إبراهيم - عليه السلام - وسقفها بخشب الروم وجريد النخل ثم بنتها قريش .

[فصل]

ذكر الجب الذى كان فى الكعبة وما لها الذى كان فيه

عن [٥٥/١] مجاهد قال : كان فى الكعبة على يمين من دخلها جب عميق حفره إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - حين رفعوا القواعد ، وكان فيه ما يهدى للكعبة ليس لها سقف ، فسرق منها مال على عهد جرهم مرة بعد مرة ، وكان جرهم ترتضى لذلك رجلاً يكون عليه يحرسه ، فبينما رجل ممن ارتضوه عندها إذ سولت له نفسه فنظر حتى إذا انتصف النهار وقامت المجالس وتقلصت الظلال وانقطعت الطرق - ومكة إذ ذاك شديدة الحر - بسط رداءه ثم نزل فى البئر فأخرج ما فيها فجعله فى ثوبه ، فأرسل الله - عز وجل - عليه حجراً من البئر فحسبه ، حتى راح الناس فوجدوه فأخرجوه وأعادوا ما وجدوا فى ثوبه من البئر فسميت بذلك البئر الأخسف ، فلما أن خسف بالجرهمى وحسبه الله، بعث الله عند ذلك ثعباناً فأسكنه فى ذلك الجب فى بطن الكعبة أكثر من خمسمائة سنة ، يحرس ما فيه فلا يدخله أحد إلا رفع رأسه وفتح فاه ، فلا يراه أحد إلا دعر منه ، وكان ربما يشرف على جدار الكعبة فأقام كذلك فى زمن جرهم وزمن خزاعة وصدرًا من عصر قريش حتى اجتمعت قريش فى الجاهلية على هدم البيت وعمارته فجاء عقاب فاختطفه ثم طار به نحو أحياد الصَّغير^(٤) .

(١) الروض الأنف (٢٢١/١) .

(٢) المصدر السابق (٢٢٢/١) .

(٣) المصدر السابق (٢٢٢/١) وفيه « عامر الجارود » بدلاً من « عامر الحاذر » . والله أعلم .

(٤) تاريخ مكة للأزرقي (٢٤٤/١ ، ٢٤٥) .

وعن شقيق عن شيبة - يعنى ابن عثمان - قال : قعد عمر بن الخطاب فى مقعدك الذى أنت فيه فقال : لا أخرج حتى أقسم مال الكعبة . قلت : ما أنت بفاعل ؟ قال : بلى لأفعلن . قلت : ما أنت بفاعل . قال : لم ؟ قلت : لأن رسول الله ﷺ رأى مكانه هو وأبو بكر وهما أحوج منك إلى المال فلم يحركاه فقام فخرج^(١) . رواه أبو داود والطيالسى بهذا اللفظ ، والبخارى والنسائى بنحوه ، وفى رواية للبخارى عن أبى وائل قال : جلست مع شيبة على الكرسي فى الكعبة فقال : لقد جلس هذا المجلس عمر فقال : لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته . قلت إن صاحبك لم يفعل . قال : هما / [٥٥/ب] المرءان اقتدى بهما^(٢) .

قال المحب الطبرى : لما أخبر شيبة أن النبى ﷺ وأبا بكر لم يتعرضا للمال ، رأى عمر أن ذلك الصواب وكأنه رأى حينئذ أن ما جعل فى الكعبة يجرى بجرى الوقف عليها فلا يجوز تغييره ، أو رأى ذلك تورعاً حين أخبر أنه تركه صاحبه مع رؤيته جواز إنفاقه فى سبيل الله ؛ لأن صاحبيه إنما تركاه للعذر الذى تضمنه حديث عائشة^(٣) . انتهى .

قال الأزرقى : وذكروا أن النبى ﷺ وجد فى الحبّ الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للكعبة - للبيت - . وأن على بن أبى طالب عليه السلام قال : يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يحركه ، ثم ذكر لأبى بكر فلم يحركه . وعن محمد بن يحيى قال : حدثنى بعض الحجة فى سنة ثمان وثمانين ومائة أن ذلك المال بعينه فى خزانة الكعبة ثم لا أدري ما حاله بعد^(٤) .

قال الأزرقى : وحدثنى جدّى وغيره من مشايخ أهل مكة وبعض الحجة أن الحسين ابن على^(٥) العلوى عمد إلى خزانة الكعبة فى سنة مائتين فى الفتنة حين أخذ الطالبيون ، فأخذ مما فيها مالاً عظيماً ونقله إليه وقال : ما تصنع الكعبة بهذا المال ، موضوعاً لا

(١) أخرجه أبو داود (السجستانى) : كتاب المناسك - باب فى مال الكعبة ح (٢٠٣١) ، وابن ماجه : كتاب المناسك - باب مال الكعبة ح (٣١١٦) ، وبنحوه أخرجه البخارى : كتاب الحج - باب كسوة الكعبة ح (١٥٩٤ - فتح) ، وأحمد (٤١٠/٣) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ح (٧٢٧٥ - فتح) ، والأزرقى فى تاريخ مكة (٢٤٥/١) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٩٣) .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (٢٤٦/١ ، ٢٤٧) .

(٥) فى تاريخ مكة للأزرقى : ابن الحسن .

ينتفع به نحن أحق به ، نستعين به على حربنا^(١) .

ويروى أن مال الكعبة كان يدعى الأبرق ولم يخالط مالا قط إلا محقه ، ولم يرزأ أحد منه إلا بان النقص فى ماله وأدنى ما يصيب صاحبه أن يشدد عليه الموت^(٢) . حتى أن فتى من الحجبة حضرته الوفاة فاشتد عليه الموت جدًّا فمكث أيامًا ينزع نزغًا شديدًا حتى رأوا منه ما غمهم وأحزنهم من شدة كربه ، فقال أبوه : يا بنى لعلك أصبت من هذا الأبرق شيئًا - يعنى : مال الكعبة - قال : نعم يا أبت أربعمئة دينار . فقال أبوه : اللهم إن هذه الأربعمئة دين عليّ فى أنفس مالى للكعبة أؤديها إليها ثم انحرف إلى أصحابنا / [٥٦/أ] فقال : اشهدوا أن للكعبة عليّ أربعمئة دينار . فسرى عن الغلام ثم لم يلبث الفتى أن مات^(٣) .

[فصل]

ذكر من كسا الكعبة فى الجاهلية

عن أبى هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه : نهى عن سب أسعد الحميرى - وهو تبع - وهو أول من كسا الكعبة^(٤) كسوة كاملة كساه العصب^(٥) ، وجعل له بابًا يغلق بضبة ولم يكن يغلق قبل ذلك^(٦) . ويروى أن تبعًا أرى فى المنام أن يكسوها فكساها الأنطاع ، ثم أرى أن يكسوها فكساها الوصائل - وهى ثياب حبرة من عصب اليمن^(٧) -

(١) تاريخ مكة للأزرقي (٢٤٧/١) .

(٢) المصدر السابق (٢٤٧/١ ، ٢٤٨) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقي (٢٤٧/١) عن عبد الله بن زرارة بن مصعب ، والجامع اللطيف (ص ٤٩) .

(٤) تاريخ مكة للأزرقي (٢٤٩/١) من طريق إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى عن همام بن منبه عن أبى هريرة به مرفوعًا ، وأورده فى الدر المنثور (٣١/٦) وعزاه إلى ابن مردويه ، وابن عدى فى الكامل (٢٢٤٦/٦) ، والتمهيد (٤٧/ ١٠) من طريق الواقدي عن معمر عن همام عن أبى هريرة به مرفوعًا فى الكامل والتمهيد ، وعزاه فى فتح البارى (٥٣٦/٣) إلى الحارث بن أبى أسامة .

(٥) العصب : ضرب من برود اليمن ، سمى عصبًا لأن غزله يعصب أى يدرج ثم يصبغ ثم يحاك ، وليس من برود الرقم . لسان العرب مادة «عصب» .

(٦) جاء فى تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٠/١) عن ابن جريح نحوه .

(٧) تاريخ مكة للأزرقي (٢٤٩/١ ، ٢٥٠) عن ابن إسحاق .

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال : بلغنا أن تبعاً أول من كسا الكعبة الوصائل^(١) .
ويروى أن تبعاً لما كسا البيت المسوح والأنطاع^(٢) انتفض البيت فزال ذلك عنه ،
وفعل ذلك حين كساه الخَصَف^(٣) ، فلما كساه الملاء^(٤) والوصائل قبلها ، ثم كساها الناس
بعد تبع فى الجاهلية^(٥) .

وقال ابن جريج : وقد زعم بعض علمائنا أن أول من كسا الكعبة إسماعيل
- عليه السلام^(٦) - ، وكانت الكعبة فى الجاهلية تكسى كسًى شيئاً من وصائل وأنطاع
وكرار وخز ونمارق عراقية ، وإذا بُلى منها شيء أخلف مكانه ثوب آخر ، ولا ينزع مما
عليها شيء من ذلك^(٧) .

[فصل]

ذكر من كساها فى الإسلام وطبها وخدمها

كساها سيدنا رسول الله ﷺ الثياب اليمنية ثم أبو بكر وعمر وعثمان
- رضى الله عنهم - القباطى^(٨) ، ومعاوية وابن الزبير ومن بعدهم^(٩) .
وعن ابن جريج قال : كانت الكعبة فيما مضى إنما تكسى يوم عاشوراء إذا ذهب
آخر الحاج حتى كانت بنو هاشم فكانوا يعلقون عليها القمص يوم الزوية من الدياج ؛
لأن يرى الناس ذلك عليها بهاءً وجمالاً فإذا كان يوم عاشوراء علقوا الإزار^(١٠) . ويروى

(١) المصنف (٩٢٣٠) ضمن حديث طويل له .

(٢) المسوح - جمع مِسْح - وهو : كساء من الشعر ، والأنطاع - جمع نَطْع - وهو : بساط من جلد .
راجع المعجم الوسيط .

(٣) الخَصَف : شيء ينسج من الخوص والليف ، وهو أيضاً ثياب غلاظ . راجع الروض الأنف
(٤٠/١) .

(٤) الملاء - جمع مَلَاء - وهى : الملحفة أو ما يفرش على السرير . المعجم الوسيط .

(٥) راجع الروض الأنف (٤٠/١) .

(٦) مصنف عبد الرزاق (١٥٤/٥) رقم (٩٢٣٠) .

(٧) راجع تاريخ مكة للأزرقي (٢٥١/١) فقد أدخل كلام عمر بن الحكم السلمى فى كلام ابن أبى
مليكة . والله أعلم .

(٨) القُباطى - جمع قُبطية - وهى : ثياب من كتان بيض رقاق ، وكانت تنسج بمصر ، وهى منسوبة إلى
القُبط [على غير قياس] . المعجم الوسيط . وسأتى معناها فى كلام المصنف رحمه الله تعالى .

(٩) راجع تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٣/١) ، وراجع هذا الفصل فى الجامع اللطيف
(ص ١٠٤ - ١١١) .

(١٠) تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٢/١) .

أن عثمان أول من ظاهر بها كسوتين القباطى والبرود ، وكان عمر يكسوها من بيت المال^(١).

ويروى أن معاوية بن أبى سفيان كان / [٥٦/ب] يكسوها كسوتين : كسوة عمر عليه السلام القباطى ، وكسوة ديباج ، فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء وتكسى القباطى فى آخر شهر رمضان^(٢) . وكان ابن عمر يُجلل بُدنه القُباطى والأَنماط والحُلل ثم يبعث بها إلى الكعبة يكسوها إياها^(٣) . أخرج مالك . والقَبَاطى - بفتح القاف - : جمع قبطية بضم القاف : وهو ثوب رقيق أبيض من ثياب مصر كأنه منسوب إلى القبط ، والضم فيه من تغيير النسب ، والضم خاص بالثياب ، وأما فى الناس فقبطى بكسر القاف لا غير^(٤) . والأَنماط ضرب من البُسط واحدها نمط .

وعن ابن عمر أنه كان يفعل ذلك فلما كساها الأمراء كان إذا نحر كساها المساكين^(٥).

واختلفوا فى أول من كساها الديباج ، ف قيل : عبد الله بن الزبير . وقيل : يزيد ابن معاوية . وقيل : عبد الملك بن مروان^(٦) . وكان الناس قبل ذلك يهدون البدن عليها الحِبرَات^(٧) ثم يبعثون بالحِبرَات إلى البيت كسوة^(٨) . ويروى أن أول عريية كست الكعبة الحرير والديباج نُتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب^(٩) - وهى بقاء منقوطة باثنتين من فوق ، وبعضهم يصحفها بقاء مثلثة - قاله السهيلي .

(١) تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٣/١) وليس فيه أن عثمان كسى الكعبة البرود . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٣/١ ، ٢٥٤) عن أبى نجيح .

(٣) الموطأ : كتاب الحج - باب العمل فى الهدى حين يساق ح (١٤٦) ، ومعنى يجلل أى : يكسوها الجلال وهى ما يجعل على ظهر البعير ، ما تغطى به الدابة لتصان .

(٤) راجع النهاية مادتي « قبط » ، « نمط » .

(٥) فى الموطأ (٣٧٩/١) عن مالك أنه سأل عبد الله بن دينار ما كان عبد الله بن عمر يصنع بجلال بُدنه حين كسيت الكعبة هذه الكسوة ؟ قال : كان يتصدق بها .

(٦) تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٣/١) .

(٧) الحِبرَات - جمع حبرة - وهى ثوب من قطن أو كتان مخطط كان يصنع باليمن . المعجم الوسيط .

(٨) تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٤/١) عن محمد بن على .

(٩) الروض الأنف (٤٢/١) ونقله عن جماعة ولم يذكر منهم إلا الدارقطنى ، وهو فى المؤلف والمختلف له (٤٦٦/١) ، والمنمق (ص ٣٦ ، ٣٧) ، وقصة ذلك أن العباس ضل وهو صبي فنذرت إن وجدته ، أن تكسو البيت الحرام ، فوجدته ففعلت ، وراجع فتح البارى (٥٣٧/٣) . والله أعلم .

وكان المأمون يكسوها ثلاث مرات فيكسوها الديباج الأحمر يوم التزوية ، والقباطي يوم هلال رجب ، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان^(١) . ويروى أنه ابتداء الكسوة بالأبيض سنة ست عشرة ومائتين حين سأل عن أحسن ما يكون في الكعبة فقبل له : الديباج الأبيض^(٢) . قال الأزرقى : وأول من خلق جوف الكعبة ابن الزبير ، وأول من دعا على الكعبة عبد الله بن شيبه ويُلقب الأعجم دعا لهشام بن عبد الملك^(٣) وكان خليفة^(٤) . انتهى .

وذكر الواقدي عن أشياخه : أن عبد الملك بن مروان لما ولى كان يبعث إليها كل سنة بالطيب والحجارة^(٥) ، وكان عبد الله بن الزبير يعمّر الكعبة الشريفة في كل يوم برطل من الطيب / [٥٧/] ويوم الجمعة برطلين^(٦) . وأجرى لها معاوية الطيب لكل صلاة ، فكان يبعث بالطيب والحجر والخُلُق في الموسم وفي رجب ، وأخدمها عبيدًا بعث بهم إليها فكانوا يخدمونها ، ثم اتبعت ذلك الولاة بعد^(٧) .

وعن ابن جريج قال : كان معاوية أول من طيب الكعبة بالخلوق والحجر ، وأجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال^(٨) . وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : كسوة الكعبة على الأمراء^(٩) . وعنهما قالت : لطيب الكعبة أحب إلى من أن أهدي لها ذهبًا وفضة^(١٠) . وعنهما قالت : طيبوا الكعبة البيت فإن ذلك من تطهيره^(١١) . أخرجهن الأزرقى . وكسوة الكعبة الآن سوداء من حرير ، وبطانتها من كتان أبيض ، وهى أربعة وأربعون شقة كل شقة بطول الكعبة سبعة وعشرون ذراعًا : منها عشر شقاق ما بين

(١) تاريخ مكة للأزرقى (٢٥٥ / ١) .

(٢) المصدر السابق (٢٥٥ / ١) وفيه أنه سنة ست ومائتين ، وتاريخ مكة للفاكهى (٢٣٣ / ٥) ، وفتح البارى (٥٣٧ / ٣) .

(٣) فى تاريخ مكة للأزرقى (٢٥٣ / ١) لعبد الملك بن هشام .

(٤) المصدر السابق (٢٥٣ / ١) ، وسبب تسمية عبد الله بن شيبه بالأعجم لأنه كان فى لسانه ثقل قاله الزبير وراجع العقد الثمين (١٧٦ / ٥) .

(٥) تاريخ مكة للأزرقى (٢٥٥ / ١) .

(٦) المصدر السابق (٢٥٧ / ١) عن هشام بن عروة .

(٧) المصدر السابق (٢٥٣ / ١ ، ٢٥٤) عن أبى نجیح .

(٨) تاريخ مكة للأزرقى (٢٥٤ / ١) .

(٩) المصدر السابق (٢٥٤ / ١) .

(١٠) المصدر السابق (٢٥٧ / ١) .

(١١) المصدر السابق (٢٥٧ / ١) .

الركنين اليمانيين ، واثنى عشر شقة ما بين الركن اليماني والغربي ، وعشر ما بين الغربي والشامي وهو جانب الخطيم ، واثنى عشر شقة ما بين الركن الشامي إلى الركن الأسود وهو جانب وجه الكعبة بعد ، والكسوة الآن طراز مُدَوَّر بالكعبة بين الطراز إلى الأرض قريب من عشرين ذراعاً ، وعرض الطراز ذراعان إلا شيئاً يسيراً ، مكتوب في الطراز على جانب وجه الكعبة بعد البسملة : ﴿ إن أول بيت وضع للناس - إلى قوله - غنى عن العالمين ﴾^(١) . صدق الله العظيم . وبين الركنين اليمانيين مكتوب بعد البسملة : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام - إلى قوله - بكل شيء عليم ﴾^(٢) . صدق الله العظيم . وبين الركن اليماني والغربي مكتوب بعد البسملة : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل - إلى قوله - التواب الرحيم ﴾^(٣) . صدق الله العظيم . وبين الركن الغربي والشامي مكتوب بعد البسملة : كما أمر بعمل هذه الكسوة الشريفة الفقير إلى الله تعالى السلطان فلان اسم ملك مصر .

[فصل]

ما جاء في تجريد الكعبة

عن أبي نجیح قال : كان / [٥٧/ب] عمر بن الخطاب ينزع ثياب الكعبة في كل سنة فيقسمها على الحاج^(٤) . ويروى أن أول من جرد الكعبة وكشفها شيبة بن عثمان^(٥) . ويروى أنه دخل على عائشة فقال : يا أم المؤمنين تجتمع على الكعبة الثياب فتكثر ، فيعمد إلى بيار فيحفرها ويعمقها فتدفن فيها ثياب الكعبة ؛ لكيلا يلبسها الحائض والجنب . قالت عائشة - رضى الله عنها - : ما أصبت وبئس ما صنعت لا تعدد لذلك ، فإن ثياب الكعبة إذا نزع عنها لا يضرها من لبسها من حائض أو جنب ولكن بعها واجعل ثمنها في سبيل الله والمساكين وابن السبيل^(٦) . رواه الأزرقي .

وحج المهدي أمير المؤمنين سنة ستين ومائة فرفع إليه أنه قد اجتمع على الكعبة كسوة كثيرة حتى أنها قد أثقلتها ، ويخاف على جدرانها من ثقل الكسوة فجردها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيئاً ثم ضمخها من خارجها وداخلها بالغالية من أسفلها إلى أعلاها

(١) سورة آل عمران : الآيتين (٩٦ ، ٩٧) .

(٢) سورة المائدة : الآية (٩٧) .

(٣) سورة البقرة : الآيتين (١٢٧ ، ١٢٨) .

(٤) تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٨/١ ، ٢٥٩) .

(٥) المصدر السابق (٢٥٩ / ١ ، ٢٦٠) عن ابن أبي مليكة وعبد الحميد بن جبير بن شيبه .

(٦) المصدر السابق (٢٦١ / ١ ، ٢٦٢) عن علقمة بن أبي علقمة عن أمه .

من جوانبها كلها ، وصعد على ظهر الكعبة بقوارير الغالية فجعل يفرغها على جدران الكعبة من خارج من جوانبها كلها ، وعبيد الكعبة قد خرطوا فى البيكار^(١) الذى يخاط عليها ثياب الكعبة ، ثم أفرغ عليها ثلاث كسى من قباطى وخز وديساج ، والمهدى قاعد على ظهر المسجد مما يلى دار الندوة^(٢) .

[فصل]

ما جاء فى أسماء الكعبة وأن لا يُبنى بيت يشرف عليها

إنما سميت الكعبة كعبة لوجهين : الأول : لأنها مربعة ، وأكثر بيوت العرب مدورة ، وعند أهل اللغة كل بيت مدور مربع فهو مكعب ، وكعبة بفتح الكاف ، وكان فى خثعم بيت يسمونه كعبة اليمانية . قال سعيد بن سالم : قال ابن جريج : وكان ابن الزبير بنى الكعبة على ما بناها إبراهيم - عليه السلام - قال : وهى مكعبة على خلقة الكعب ؛ فلذلك سميت الكعبة .

قال الأزرقى : وكان الناس يبنون بيوتهم / [٥٨/] مدورة تعظيماً للكعبة ، وأول من بنى بيتاً مربعاً حميد بن زهير ، فقالت قریش : ربع حميد بن زهير بيتاً إما حياة وإما موتاً^(٣) .

الثانى : لعلوها ونتوها ونشورها على الأرض ، فكل ناتئ بارز كعب ، مستديراً كان أو غير مستدير ، ومنه كعب ثدى الجارية وكعب القدم وكعب القناة^(٤) . ومن أسمائها البيت وهو اسم علم على الكعبة - زادها الله تشريفاً وتكريماً - سميت بذلك لأنها ذات سقف وجدار وهى حقيقة البيت وإن لم يكن به ساكن ، ويسمى البيت الحرام لتحريم الله إياها ؛ لقوله ﷺ : «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس»^(٥) . أو لأن حرمتها انتشرت فأريد بالتحريم سائر الحرم ، كما قال - عز وجل - : ﴿ هدينا بالغ الكعبة ﴾^(٦) . وأراد الحرم . ويسمى البيت العتيق وتقدم فى باب الفضائل سبب تسميتها

(١) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « البكار » .

(٢) المصدر السابق (٢٦٢/١ ، ٢٦٣) عن غير واحد من مشيخة أهل مكة وجد الأزرقى ، وقد خلط المصنف بين الأثرين . والله أعلم .

(٣) تاريخ مكة (٢٧٩/١ ، ٢٨٠) عن ابن أبى نجيح ، والجامع اللطيف (ص ٢٦) .

(٤) راجع مشارق الأنوار (٣٤٣/١) ، والجامع اللطيف (ص ٢٦) .

(٥) أخرجه البخارى : كتاب العلم - باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ح (١٠٤ - فتح) ، ومسلم :

كتاب الحج - باب تحريم مكة وصيدها .. ح (١٣٥٤) ، وأحمد فى المسند (٣١/٤) ،

(٣٨٥/٦) عن أبى شريح العدوى مرفوعاً .

(٦) سورة المائدة : الآية (٩٥) .

بذلك . قال الأزرقى : وكان يدعى البيت قادسيًا ، ويدعى بادراً ، ويدعى القرية القديمة^(١) . انتهى . ويسمى بكة على قول ، وأما مكة فهي القرية . وذكر صاحب المشارق : من أسمائها البنية وبنية إبراهيم ، وبنية أبي طالب . وعن شيبه بن عثمان : أنه كان يشرف فلا يرى بيتاً مشرفاً على الكعبة إلا أمر بهدمه^(٢) . وعن يوسف بن ماهك قال : كنت جالساً مع عبد الله بن عمرو بن العاص فى ناحية المسجد الحرام إذ نظرت إلى بيت مشرف على أبي قبيس فقال : أبيت ذلك ؟ قلت : نعم . قال : إذا رأيت بيوتها - يعنى بذلك مكة - قد علت أخشيبها ، وفجرت بطونها أنهاراً فقد أزف الأمر^(٣) .

قال الأزرقى : وحدثنى جدّى قال : لما أن بنى العباس بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس عليه السلام داره التى بمكة على الصيارفة حيال المسجد الحرام ، أمر قوامه أن لا يرفعوها فيشرفوا بها على الكعبة ، وأن يجعلوا أعلاها / [٥٨/ب] دون الكعبة فتكون دونها ؛ إعظماً للكعبة أن تشرف عليها ، فلم تبق بمكة دار لسلطان ولا غيره حول المسجد تشرف على الكعبة إلا هدمت وخربت إلا هذه الدار فإنها على حالها إلى اليوم^(٤) .

[فصل]

ذكر أول من استصبح حول الكعبة وفى المسجد الحرام

عن مسلم بن خالد الزنجى قال : بلغنا أن أول من استصبح لأهل الطواف فى المسجد الحرام عقبة بن الأزرق بن عمرو الغسانى ، وكانت داره لاصقة بالمسجد الحرام من ناحية وجه الكعبة ، والمسجد يومئذ ضيق ليس بين جدر المسجد وبين «المسجد الحرام»^(٥) المقام إلا شىء يسير ، فكان يضع على حرف داره مصباحاً كبيراً يستصبح فيه فيضىء له وجه الكعبة والمقام وأعلى المسجد . وأول من أجرى للمسجد قناديل وزيتاً معاوية بن أبى سفيان^(٦) . فلم يزل يضع عقبة بن الأزرق ذلك المصباح على حرف الدار حتى كان خالد ابن عبد الله القسرى فوضع مصباح زمزم مقابل الركن الأسود فى خلافة عبد الملك بن مروان ، ودخلت تلك الدار فى المسجد حين وسعه ابن الزبير ثم المهدي الأول ، فرفع ذلك

(١) تاريخ مكة (٢٨٠/١) وفيها « قادساً .. ناذراً » وهو الصواب ، ومعنى « قادس » مأخوذ من التقديس ، أى التطهير ، يعنى أنها تطهر من الذنوب . ذكره ابن ظهيرة فى الجامع (ص ١٥٨) ، وفيه (ص ١٦١) تسميتها « نادرة » . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (٢٨٠/١) ، والجامع اللطيف (ص ٢٦) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٢٨٢/١) ، وكذا الجامع اللطيف (ص ٢٦) .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (٢٨٢/١ ، ٢٨٣) ، وكذا الجامع اللطيف (ص ٢٦ ، ٢٧) .

(٥) ليست فى تاريخ مكة للأزرقى (٢٨٦/١) ، وكأنه مضروب عليها فى الأصل .

(٦) تاريخ مكة للأزرقى (٢٨٦/١) .

المصباح الذى كان يوضع على حرف الدار^(١). وكان عمر بن عبد العزيز يأمر الناس ليلة هلال المحرم يوقدون النار فى فجاج مكة ويضعون المصابيح للمعتمرين مخافة السرقة^(٢).

قال الأزرقى : فلم يزل مصباح زمزم على عمود طويل مقابل الركن الأسود الذى وضعه خالد بن عبد الله القسرى ، فلما كان محمد بن سليمان على مكة فى خلافة المأمون فى سنة ست عشرة ومائتين وضع عموداً طويلاً مقابله بجذاء الركن الغربى ، فلما ولى مكة محمد بن داود جعل عمودين طويلين أحدهما بجذاء الركن اليماني والآخر بجذاء الركن الشامى ، فلما ولى هارون الواثق بالله أمر بعمد من / [٥٩] شبه^(٣) طوال عشرة فجعلت حول المطاف ؛ ليُستصبح عليها لأهل الطواف ، وأمر بثمان ثريات^(٤) كبار يستصبح فيها وتعلق فى المسجد الحرام فى كل وجه اثنتان^(٥) .

قال الأزرقى : وأول من استصبح بين الصفا والمروة خالد بن عبد الله القسرى فى خلافة سليمان بن عبد الملك^(٦) ، وكان حول الطواف عشرة أعمدة من صفر يُستصبح بها على أهل الطواف بعث بها الواثق العباسى^(٧) . انتهى كلامه .

وأما عددها اليوم فاثنتان وثلاثون إسطوانة ثمانية عشر منها آجر محصص ، وأربعة عشر منها حجارة منحوتة دقيقة ، وبين كل واحدة من الأساطين خشبة ممدودة راكبة عليها وعلى التى بإزائها لأجل القناديل التى تعلق فيها للاستصباح ، وكان فى موضع هذه الأساطين قبل ذلك أحشاش على صفة الأساطين ، وسبب عملها هو الاستضاءة بالقناديل على الطائفين حول الكعبة . قال عز الدين بن جماعة : والأساطين التى حول المطاف الشريف أحدثت للاستضاءة بالقناديل التى تعلق بينها بعد العشرين وسبعمائة ، وكانت من خشب ثم جعلت من حجارة سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، ثم ثارت ريح عاصفة سنة إحدى وخمسين وسبعمائة «فألثمتها»^(٨) ثم جددت فيها . انتهى .

(١) تاريخ مكة للأزرقى (٢٨٦/١ ، ٢٨٧) عن أبى الحسن بن القاسم بن عقبة بن الأزرق .

(٢) المصدر السابق (٢٨٧/١) عن عطاء بن أبى رباح .

(٣) الشبه : النحاس الأصفر .

(٤) الثُرَيَّات - جمع ثريا - هى مجموعة المصابيح التى يسميها الناس : النجفة (وهى محدثة) المعجم الوسيط .

(٥) تاريخ مكة للأزرقى (٢٨٧/١) .

(٦) المصدر السابق (٢٨٧/١) عن جد الأزرقى .

(٧) المصدر السابق (٢٨٧/١ ، ٢٨٨) .

(٨) هكذا فى الأصل ، ولعلها «فألثمتها» . والله أعلم .

وذكر ابن محفوظ أن إحداث هذه الأساطين المذكورة فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة . والله أعلم .

[فصل]

ذكر ذراع الكعبة من داخل وخارج

قد تقدم أن طول الكعبة فى السماء سبع وعشرون ذراعًا ، وقد ذكر الأزرقى فى ذرعها من داخلها وخارجها ^(١) . قال عز الدين بن جماعة : وحررت أنا ارتفاعها ومقدار ما بين أركانها وغير ذلك لما كنت مجاورًا بمكة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، فكان ارتفاعها من أعلى الملتزم إلى أرض الشاذروان ثلاثة / [٥٩ ب] وعشرون ذراعًا ونصف ذراع وثلث ذراع ، وبين الركن الذى فيه الحجر الأسود وبين الركن الشامى ويقال : العراقى من داخل الكعبة ثمانية عشر ذراعًا وثلث وربع وثمان ، ومن خارجها ثلاثة وعشرين ذراعًا وربع ذراع ، وارتفاع باب الكعبة الشريفة من داخلها ستة أذرع «وقيراطان» ^(٢) ، ومن خارجها خمسة أذرع وثلث ، وعرضه من داخلها ثلاثة أذرع وربع وثمان ، ومن خارجها ثلاثة أذرع وربع ، وعرض العتبة نصف ذراع وربع ، وارتفاع الباب الشريف عن أرض الشاذروان ثلاثة أذرع وثلث وثمان ، وارتفاع الشاذروان عن أرض المطاف ربع وثمان ، وعرضه فى هذه الجهة نصف وربع ، وذرع الملتزم وهو ما بين الركن والباب من داخل الكعبة ذراعان ومن خارجها أربعة وسدس ، وارتفاع الحجر الأسود عن أرض المطاف ذراعان وربع «وسدس» ^(٣) ، وبين الركن الشامى والغربى من داخل الكعبة خمسة عشر ذراعًا وقيراطان ، ومن خارجها ثمانية عشر ونصف وربع ، وبين الغربى واليمانى من داخلها ثمانية عشر ذراعًا وثلثا ذراع وثمان ذراع ، ومن خارجها ثلاثة وعشرون ذراعًا ، وبين اليمانى والركن الأسود من داخلها خمسة عشر ذراعًا وثلث ذراع ، ومن خارجها تسعة عشر - بتقديم التاء على السين - وربع ، وذرع دائر الحجر من داخله من الفتحة إلى الفتحة أحد وثلاثون وثلث ، ومن خارج من الفتحة إلى الفتحة سبعة وثلاثون ونصف وربع وثمان ، ومن الفتحة إلى الفتحة على الاستواء سبعة عشر ذراعًا ، ومن صدر دائر الحجر من داخله إلى جدار البيت تحت الميزاب خمسة عشر ذراعًا ، وعرض جدار الحجر ذراعان / [٦٠ أ] وثلث ذراع ، وارتفاعه عن أرض المطاف مما يلى الفتحة التى من جهة المقام ذراع وثلثا ذراع وثمان ذراع ، وارتفاعه مما يلى الفتحة الأخرى ذراع وثلث ونصف وثمان ، وارتفاعه من وسطه ذراع

(١) راجع تاريخ مكة للأزرقى (٢٨٨/١ - ٢٩٢) .

(٢) تكررت فى الأصل .

(٣) كتبت فى الهامش ، ولعلها هنا ، ولا يبدو علامة إلحاق . فאלله أعلم .

وثلاث ذراع ، وسعة ما بين جدار الحجر والشاذروان عند الفتحة التى من جهة المقام أربعة أذرع وثلاث ، وعرض الشاذروان فى هذه الجهة نصف ذراع ، والخارج من جدار الحجر فى هذه الجهة عن مسامطة الشاذروان نصف ذراع وربيع ذراع وثمان ، وسعة الفتحة الأخرى أربعة أذرع ونصف ، وعرض الشاذروان فى هذه الجهة ثلثا ذراع ، والخارج من جدار الحجر فى هذه الجهة عن مسامطة الشاذروان نصف ذراع وثلاث ذراع .
قال عز الدين : كل ذلك حررته بذراع القماشى المستعمل فى زماننا بمصر . انتهى كلامه .

قال الأزرقى : وذرع عرض بعد جدار الكعبة ذراعان ، والكعبة لها سقفان أحدهما فوق الآخر ، وكانت غير مسقفة فى عهد إبراهيم -عليه السلام^(١)- وفى سقف الكعبة أربع روازن^(٢) نافذة من السقف الأعلى إلى السقف الأسفل للضوء ، وعلى الروازن رخام ، وكان ابن الزبير أتى به من صنعاء يقال له : البلق وبين السقفين فرجة ، وذرع التحجير الذى فوق ظهر سطح الكعبة ذراعان ونصف ، وذرع عرض «جدار»^(٣) التحجير كما يدور ذراع ، وفى التحجير ملبن مربع من ساج فى جدران سطح الكعبة ، كما يدور فيه حلق حديد تشد فيها ثياب الكعبة ، وكان أرض سطح الكعبة بالفسيفساء ، ثم كانت تتلف^(٤) عليهم إذا جاء المطر فقلعته الحجة بعد سنة المائتين وشيدوه بالمرمر المطبوخ والجص ، وميزاب الكعبة فى وسط الجدر الذى يلى الحجر يسكب فى بطن الحجر ، وذرع طول الميزاب أربع^(٥) أذرع ، وسعته ثمانى^(٦) أصابع فى ارتفاع مثلها ، والميزاب ملبس صفائح / [٦٠/ب] ذهب داخله وخارجة ، وكان الذى جعل عليه الذهب الوليد ابن عبد الملك ، وذرع مسيل الماء فى الجدر ذراع وسبعة عشر إصبعا^(٧) .

[فصل]

ذكر ما يدور بالحجر الأسود من الفضة

وكان ابن الزبير أول من ربط الركن الأسود بالفضة لما أصابه الحريق ، ثم كانت الفضة قد رقت ونزعت حول الحجر الأسود حتى خافوا على الركن أن ينقض ، فلما اعتمر

(١) راجع تاريخ مكة للأزرقى (٢٨٨/١ - ٢٩٠) .

(٢) روازن - جمع روزنة - وهى الكوة غير النافذة . المعجم الوسيط .

(٣) عند الأزرقى «جدر» . والله أعلم .

(٤) عند الأزرقى «تكف» . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، والصواب «أربعة» وهو عند الأزرقى . والله أعلم .

(٦) كذا فى الأصل ، والصواب «ثمانية» وهو عند الأزرقى . والله أعلم .

(٧) تاريخ مكة للأزرقى (٢٩٠/١ ، ٢٩١) .

أمير المؤمنين هارون الرشيد وجاور في سنة تسع وثمانين ومائة أمر بالحجارة التي بينها الحجر الأسود فثقت بالماس من فوقها وتحتها ثم أفرغ فيها الفضة^(١).

وذكر المسيحي : أن في سنة أربعين وثلاثمائة قلع الحجة الحجر الأسود وكان «بضه منير»^(٢) وجعلوه في الكعبة خوفًا عليه ، وأحبوا أن يجعلوا له طوقًا من فضة يشد به كما كان قديمًا في عهد ابن الزبير ، فأصلحه صائغان حاذقان وعملا له طوقًا من فضة وأحكامه، قال : وعن محمد بن نافع الخزاعي : أن مبلغ ما على الحجر الأسود من الطويق وغيره ثلاثة آلاف وتسعة وتسعون درهماً على ما قيل . انتهى .

قيل : والحلية التي على الحجر الأسود الآن غير الحلية المتقدمة ؛ لأن داود بن عيسى ابن فليته الحسني أمير مكة أخذ طوق الحجر الأسود قبيل عزله من مكة في سنة خمس وثمانين وخمسائة أو في التي بعدها على ما ذكر غير واحد من أهل التواريخ ، وهذا يقتضي أن يكون قلع الحجر الأسود ليعمل له طوق يصونه^(٣).

[فصل]

ما جاء في مقام إبراهيم عليه السلام

المقام في اللغة : موضع قدم القائم . ومقام إبراهيم : هو الحجر الذي وقف عليه إبراهيم . واختلفوا في المراد من المقام في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٤) . فقال الجمهور : هو الحجر المعروف . وقيل : البيت كله مقام إبراهيم ؛ لأنه بناه وقام في جميع أقطاره . وقيل : مكة كلها . وقيل : الحرم كله . والصحيح [٦١/أ] قول الجمهور^(٥).

وفي سبب وقوفه عليه أقوال ؛ أحدها : إنه وقف عليه لبناء البيت قاله سعيد بن جبير . الثاني : إنه جاء من الشام فطلب ابنه إسماعيل فلم يجده فقالت له زوجته : انزل فأبى . فقالت : دعني أغسل رأسك ، فأثته بحجر فوضع رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ، ثم رفعته وقد غابت رجله فيه ، فوضعت تحت الشق الآخر وغسلته فغابت رجله فيه ،

(١) المصدر السابق (٣٤٥/١) عن جد الأزرقى ، قال : وكان الذي عمل ذلك ابن الطحان مولى ابن المشعل . والله أعلم .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها « بضه منير » والله أعلم .

(٣) أى من السرقة وغيرها وراجع الجامع اللطيف (ص ٣٧ ، ٣٨) .

(٤) سورة آل عمران : الآية (٩٧) .

(٥) راجع تفسير ابن كثير (١٦٨/١ ، ١٦٩) وتفسير القرطبي (١١٢/٣ ، ١١٣) وصحح ما

صححه المصنف وقد ثبت في البخارى ح (٣٩٥ - فتح) أنه ﷺ صلى خلف المقام ركعتين ، وكذا

صححه ابن حجر كما في الفتح (٥٩٥/١) .

فجعلله الله تعالى من الشعائر ، وهذا مروى عن ابن مسعود وابن عباس - رضى الله عنهم - . الثالث : إنه وقف عليه فأذن فى الناس بالحج^(١) .

قال الأزرقى : لما فرغ من التأذين أمر بالمقام فجعله قبلة ، فكان يصلى إليه مستقبل الباب ثم كان إسماعيل بعدُ يصلى إليه إلى باب الكعبة^(٢) . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : رأيت المقام فيه أصابعه وأخمص قدميه والعقب غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم^(٣) . وعن قتادة فى قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾^(٤) . قال : إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها ، ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثره وأصابعه فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى انحلولق وانماح . وعن نوفل بن معاوية الديلى قال : رأيت المقام فى عهد عبد المطلب مثل المهابة ، والمهابة : خرزة بيضاء .

[فصل]

ما جاء فى موضع المقام وكيف رده عمر إلى موضعه هذا

اختلفوا هل كان فى عهد النبى ﷺ ملصقاً بالبيت ، أو فى موضعه الآن ؟ والصحيح أنه كان فى عهد النبى ﷺ ملصقاً بالبيت .

روى الأزرقى عن المطلب بن أبى وداعة السهمى قال : كانت السيول تدخل المسجد الحرام من باب بنى شيبه قبل أن يردم / [٦١ / ب] عمر بن الخطاب الردم الأعلى ، وكان يقال لهذا الباب : باب السيل ، وكانت السيول ربما رفعت المقام عن موضعه وإلى وجه الكعبة . حتى جاء سيل فى خلافة عمر بن الخطاب يقال له : سيل أم نهشل ، وسمى بذلك ؛ لأنه ذهب بأم نهشل ابنة عبيدة ابن أبى «حجيحة»^(٥) فماتت فيه ، فاحتمل المقام من موضعه هذا فذهب به حتى وجد بأسفل مكة ، فأتى به فربط فى أستار الكعبة فى وجهها ، وكتب فى ذلك إلى عمر رضي الله عنه فأقبل عمر فرعاً ، فدخل بعمره فى شهر رمضان وقد عفى^(٦) موضعه وعفاه السيل ، فدعا عمر بالناس فقال : أنشد الله عبداً عنده علم فى هذا المقام أين موضعه ؟ فقال المطلب بن أبى وداعة : عندى ذلك فقد كنتُ أخشى عليه

(١) الجامع اللطيف (ص ٣٠) .

(٢) تاريخ مكة (٣٠ / ٢) .

(٣) تاريخ مكة للفاكهى (٤٥٠ / ١) .

(٤) سورة البقرة : الآية (١٢٥) .

(٥) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى «أحبيحة» . والله أعلم .

(٦) كذا فى الأصل وعند الأزرقى «غيبى» . والله أعلم .

هذا ، فأخذت قدره فى موضعه إلى الركن ، ومن موضعه إلى باب الحجر ومن موضعه إلى زمزم بميقاط^(١) وهو عندى فى البيت . فقال له عمر : فاجلس عندى وأرسل إليها . فأتى بها فمدّها فوجدّها مستوية إلى موضعه هذا ، فسأل الناس وشاورهم فقالوا : نعم هذا موضعه . فلما استثبت ذلك عمر وحق عنده أمر به فأعلم ببناء ربضه تحت المقام ثم حوله فهو فى مكانه هذا إلى اليوم^(٢) .

وروى الأزرقى أيضاً عن ابن أبى مليكة أنه قال : موضع المقام هو الذى به اليوم ، وهو موضعه فى الجاهلية وفى عهد النبى ﷺ وأبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - إلا أن السيل ذهب به فى خلافة عمر فجعل فى وجه الكعبة حتى قدم عمر ﷺ فرده بمحضر من الناس^(٣) .

ونقل الأزرقى عن عروة بن الزبير أن المقام كان عند صقع^(٤) البيت فأما موضعه الذى هو موضعه فموضعه الآن ، وأما ما يقول الناس : إنه كان هنالك موضعه فلا^(٥) . انتهى كلام الأزرقى .

وقال مالك فى «المدونة» : كان المقام فى عهد إبراهيم - عليه السلام - / [٦٢/أ] فى مكانه اليوم ، وكان أهل الجاهلية الصقوه بالبيت خيفة السيل وكان ذلك فى عهد النبى ﷺ وعهد أبى بكر ، فلما ولى عمر ﷺ رده بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حين أخبروه^(٦) . وحكى سند عن أشهب عن مالك : أن الذى حمل عمر على ذلك - والله أعلم - ما كان النبى ﷺ يذكره من كراهية تغيير مراسيم إبراهيم - عليه السلام - ومنه قوله ﷺ لعائشة : «لولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة»^(٧) . فرأى عمر أن ذلك ليس فيه تغيير لمكان ما رآه من مراسيم إبراهيم - عليه السلام - انتهى . وفى هذا مناقضة ظاهرة لما ذكره الأزرقى عن ابن أبى مليكة ، وأما ما ذكره المطلب

(١) المقاط - بكسر الميم - : الحبل الصغير الشديد القتل . لسان العرب «مقط» وذكر القصة شاهداً ،

وفى الأصل بياء بعد الميم . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (٣٣/٢ ، ٣٤) ، والجامع اللطيف (ص ٣١) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٣٥/٢) ، والجامع اللطيف (ص ٣٢) .

(٤) الصقع ويقال : السقع والسين أحسن : الناحية من البيت . لسان العرب «سقع» ، والذى فى تاريخ

مكة للأزرقى «سقع» وله وجه : وهى آثار فى الدار تخالف من سوادها سائر لون الأرض . والله أعلم :

(٥) تاريخ مكة للأزرقى (٣٥/٢) .

(٦) الجامع اللطيف (ص ٣٢) .

(٧) تقدم تخريجه .

ابن أبى وداعة فيحتمل أمرين ؛ أحدهما : أن يكون قول عمر : أنشد الله عبداً عنده علم فى هذا المقام أين موضعه ؟ أى : الذى كان عليه فى عهد النبوة وهو المتبادر إلى الفهم ؛ لأنه كان بحثاً عن السنة وقافاً عندها ، وكذلك فهمه ابن أبى مليكة فأثبت لذلك أن موضعه اليوم هو الموضع الذى كان فيه فى عهد النبوة ، وأن إلصاقه بالبيت إنما كان لعارض السيل .

الاحتمال الثانى : أن يكون عمر سأل عن موضعه فى زمن إبراهيم - عليه السلام - ليرده إليه لعلهم أن رسول الله ﷺ كان يؤثر مراسيم إبراهيم - عليه السلام - ويكره تغييرها ، ويكون سبيله ﷺ فى تقرير المقام ملصقاً بالبيت إلى أن توفى ﷺ سبيله فى تقرير ما كان من الكعبة فى الحجر تأليفاً لقريش فى عدم تغيير مراسيمهم ، فلذلك سأل عمر عن مكان المقام فى زمن إبراهيم - عليه السلام - ليرده إليه .

وعلى هذا التأويل فلا مناقضة بين ما رواه المطلب والإمام مالك فيكون الجمع بينهما أولى من ترك أحدهما . ويكون ابن أبى مليكة قال / [٦٢/ب] ما قاله فهماً من سياق ما رواه المطلب والإمام مالك أثبت ما أثبتته جازماً به ، فلا يكون ذلك إلا عن توقيف فكان الجمع أولى^(١) قاله المحب الطبرى . ويروى أن رجلاً يهودياً أو نصرانياً كان بمكة فأسلم يقال له : جريح ففقد المقام ذات ليلة فوجد عنده أراد أن يخرج به إلى ملك الروم فأخذ منه وضربت عنقه^(٢) . وعن عبد الله بن السائب وكان يصلى بأهل مكة قال : أنا أول من صلى خلف المقام حين رد فى موضعه هذا ، ثم دخل عمر ﷺ وأنا فى الصلاة فصلى خلفى صلاة المغرب^(٣) .

[فصل]

ما جاء فى الذهب الذى على المقام ومن جعله عليه

أول ما حُلِّيَ المقام فى خلافة المهدي العباسى سنة إحدى وستين ومائة كما ذكره الفاكهى^(٤) . وروى الأزرقى عن عبد الله بن شعيب قال : ذهبت أرفع المقام فى خلافة المهدي فائتلم قال : وهو من حجر رخو يشبه السنان فحشينا أن يتفتت ، فكتبنا فى ذلك إلى المهدي فبعث إلينا بألف دينار فضبينها بها المقام أسفله وأعلاه ، ولم يزل ذلك الذهب عليه حتى ولى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله فجعل عليه ذهباً فوق ذلك الذهب

(١) وقال ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف (ص ٣٢) : وصحح ابن جماعة ما قاله مالك . والله أعلم .

(٢) الجامع اللطيف (ص ٣٢) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٣٦/٢) .

(٤) تاريخ مكة للفاكهى (٤٧٥/١ ، ٤٧٦) .

أحسن من ذلك العمل في مصدر الحاج سنة ست وثلاثين ومائتين^(١)، ثم إن الذهب الذي حُلِّيَ به المقام في خلافة المتوكل لم يزل عليه إلى أن أخذه جعفر بن الفضل ومحمد بن حاتم في سنة إحدى وخمسين ومائتين، وضرباه دنانير وأنفقاها على حرب إسماعيل العلوي فيما ذكروا، وبقي الذهب الذي عمل في خلافة المهدي إلى سنة ست وخمسين ومائتين ثم قلع وضم إليه ذهب آخر وحُلِّيَ المقام بذلك كله، وكان في المقام حلية من فضة مع الذهب فراد فيها في هذا التاريخ أمير مكة علي بن الحسين الهاشمي العباسي، وكان سبب ذلك أن الحجة ذكروا لعل بن الحسين المذكور أن / [٦٣] المقام قد وهى ويخاف عليه، وسأله أن يجدد عليه ويضربه حتى يشتد، فأجابهم إلى ما سأله وقلع ما على المقام من الذهب والفضة، فإذا هو سبع قطع ملصقة وزال عنها الإلصاق فالزم إلصاقه بالعقاقير، وركب عليه من حلية الذهب والفضة ما يزيده شدة ويستحسنه الناظر فيه، وكان ابتداء عمل ذلك في المحرم سنة ست وخمسين ومائتين والفراغ منه في ربيع الأول منها، وكان جملة ما في الطوقين اللذين عملا في المقام باللحوم التي فيهما ألفى مثقال ذهباً إلا ثمانية مثاقيل^(٢). انتهى كلام الفاكهي مختصراً.

قال الشيخ سعد الدين الإسفرائيني في كتاب «زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال»: وفي سنة تسع وخمسين وسبعمائة في زمان القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد ابن محب الدين الطبري قاضي مكة سُرق الذي كان عليه فعمل عليه الفضة وهى عليه إلى الآن. انتهى.

[فصل]

ذكر ذراع المقام

ذكر الأزرقى: أن ذراع المقام ذراع، وأن القدمين داخلان فيه سبع أصابع^(٣). وقال عز الدين بن جماعة: وحررت لما كنت بمكة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة مقدار ارتفاعه من الأرض فكان نصف ذراع وربيع ذراع وثمان ذراع بالذراع المستعمل في زماننا، بمصر في القماش، وأعلى المقام مربع من كل جهة نصف ذراع وربيع ذراع، وموضع «عرض»^(٤) القدمين في المقام ملبّس بفضة، وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط من

(١) إلى هنا انتهى المقول من تاريخ مكة للأزرقى (٣٦/٢)، وراجع تاريخ مكة للفاكهي (٤٧٦/١).

(٢) تاريخ مكة للفاكهي (٤٧٧/١ - ٤٧٩).

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٣٨/٢).

(٤) كذا في الأصل. والله أعلم.

ذراع القماش^(١)، والمقام اليوم فى صندوق من حديد حوله شباك من حديد ، عرض الشباك عن يمين المصلى ويساره خمسة أذرع وثمان ذراع ، وطوله إلى جهة الكعبة خمسة أذرع إلا قيراطين ، وخلف الشباك المصلى وهو محوز بعمودين من حجارة وحجرين من جانبي المصلى ، وطول المصلى خمسة أذرع وسدس ذراع ، ومن صدر الشباك الذى داخله المقام إلى شاذروان الكعبة / [٦٣/ب] عشرون ذراعًا وثلاث ذراع وثمان ذراع ، كل ذلك بالذراع المتقدم ذكره . انتهى كلام ابن جماعة .

[فصل]

ما جاء فى إخراج جبريل زمزم لأم إسماعيل «ويروى لها»^(٢)

لما كان بين هاجر أم إسماعيل وبين سارة امرأة إبراهيم ما كان أقبل إبراهيم - عليه السلام - بهاجر وابنها إسماعيل - وهو صغير يرضعها^(٣) - حتى قدم بهما مكة ، ومع أم إسماعيل شنة فيها ماء تشرب منه وتدر على ابنها وليس معها زاد^(٤) - وفى رواية : ومعها جراب فيه تمر وسقاء فيه ماء وليس بمكة أحد وليس لها ماء - فعمد بهما إبراهيم إلى دوحة فوق زمزم فوضعهما عندها ، ثم توجه إبراهيم خارجًا على دابته فتبعته أم إسماعيل حتى وافى إبراهيم بكدا ، فقالت له أم إسماعيل : إلى من تركها وولدها ؟ قال : إلى الله - عز وجل - قالت : رضيت بالله - وفى رواية : قالت له : أين تذهب وتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ ؟ فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها فقالت : آله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا - ثم رجعت تحمل ابنها - فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونها استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه وقال : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع - حتى بلغ - يشكرون ﴾^(٥) . وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل حتى فنى ماء شنها فانقطع درها^(٦) ، فجاج ابنها فاشتد جوعه حتى نظرت إليه أمه يتشطح فخشيت أم إسماعيل أن يموت ، فقالت : لو تغيب عنه حتى يموت ولا أدرى بموته . فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ، فاستقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدًا فلم تر أحدًا ، فهبطت

(١) راجع كلام ابن جماعة هذا إلى هنا فى الجامع اللطيف (ص ٣١) .

(٢) كذا فى الأصل وليست عند الأزرقى .

(٣) فى تاريخ مكة للأزرقى (٣٩/٢) «ترضعه» وصححه من الطبعة الأوربية ، وقال المحقق : وفى جميع الأصول «يرضعها» . أى : كما هنا . والله أعلم .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (٣٩/٢) عن عبد الله بن عباس .

(٥) سورة إبراهيم : الآية (٣٧) وهذه الرواية فى صحيح البخارى ح (٣٣٦٤ - فتح) .

(٦) أى : انقطع در اللبن من ثديها لطفلها .

من الصفا وقالت : لو مشيت بين هذين الجبلين تعللت حتى يموت الصبي ولا أراه . فمشيت بينهما أم إسماعيل حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعى الإنسان المجهود [٦٤/١] حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت فلم ترَ أحدًا ففعلت ذلك سبع مرات ، فلذلك شرع السعى بينهما سبعا ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت : صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضًا فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فخرج لها جبريل فاتبعته حتى وصل عند زمزم فبحث بعقبه أو بجناحه حتى ظهر الماء ، وتقول بيدها هكذا وتغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف فشربت وأرضعت ولدها ، وقال لها جبريل - عليه السلام - : لا تخافى الضيعة فإن ها هنا بيت الله - عز وجل - يئنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله تعالى لا يضيع أهله^(١). وفى الحديث أن النبى ﷺ قال : «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال : لو لم تغرف من الماء لكانت عينًا معينًا»^(٢).

قال القرطبى فى «تفسيره» : لا يجوز لأحد أن يتعلق بهذا فى طرح ولده وعياله بأرض مضیعة ، اتكالا على العزيز الرحيم ، واقتداء بفعل إبراهيم الخليل ، كما فعله غلاة الصوفية فى حقيقة التوكل ، قال : إبراهيم فعل ذلك بأمر الله تعالى ؛ لقوله فى الحديث : آله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . وقد روى أن سارة لما غارت من هاجر بعد أن ولدت لإسماعيل خرج بها إبراهيم - عليه السلام - إلى مكة فروى أنه ركب السراق هو وهاجر والطفل فجاء فى يوم واحد من الشام إلى مكة ، وأنزل ابنه وأمه هناك وركب منصرفًا من يومه ، وكان ذلك كله بوحي من الله - عز وجل - فلما ولى دعا^(٣). انتهى كلامه .

فبينما هاجر وابنها كذلك إذ مر ركب من جرهم قافلين من الشام فى الطريق السفلى ، فرأى الركب الطير على الماء فقال بعضهم : ما كان بهذا الوادى من ماء ولا أنيس فأرسلوا جريين لهم حتى أتيا أم إسماعيل فكلماها ، ثم رجعا / [٦٤/ب] إلى ركبهما فأخبراهم بمكانها ، فرجع الركب كلهم حتى حيوها فردت عليهم ، وقالوا : لمن هذا الماء ؟ قالت أم إسماعيل : هو لى . قالوا : أتأذنين لنا أن نسكن معك ؟ قالت : نعم . قال النبى

(١) تاريخ مكة للأزرقي (٣٩/٢ ، ٤٠) بنحوه ، والحديث فى صحيح البخارى ح (٣٣٦٤ - فتح)

تقدم تخريجه ، وراجع تفسير القرطبى (٣٦٨/٩ ، ٣٦٩) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الأنبياء - باب يزفون النسلان فى المشى ح (٣٣٦٤ - فتح) عن ابن عباس مرفوعًا .

(٣) تفسير القرطبى (٣٧٠/٩) .

ﷺ : « ألقى ذلك أُمّ إسماعيل ، وقد أحبت الأُنس » فنزلوا وبعثوا إلى أهلهم ، فقدموا وسكنوا تحت الدوح واعتشوا عليها العرش ، فكانت معهم هي وابنها^(١).

قال بعض أهل العلم : كانت جرهم تشرب من ماء زمزم فمكثت بذلك ما شاء الله أن تمكث ، فلما استخفت جرهم بالحرم وتهاونت بحرمة البيت ، وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها سرًا وعلانية وارتكبوا مع ذلك أمورًا عظامًا ، نضب ماء زمزم وانقطع فلم يزل موضعه يدرس ويتقادم وتمير عليه السيول عصرًا بعد عصر حتى غفى مكانه ، وسلط الله حزاعة على جرهم فأخرجتهم من الحرم ووليت عليهم الكعبة والحكم بمكة ، وموضع زمزم فى ذلك دثر لا يعرف ؛ لتقادم الزمان حتى بوأه الله لعبد المطلب بن هاشم لما أراد الله تعالى من ذلك فخصه به من بين قريش^(٢) . وقيل : إن جرهم دفنت زمزم حين ظعنوا من مكة واستولى عليها غيرهم .

قال السهيلي : ولما أحدث جرهم فى الحرم واستخفوا بالمناسك والحرم ، وبغى بعضهم على بعض واحترم ، تغور ماء زمزم واكتسم ، فلما أخرج الله جرهم من مكة بالأسباب التى ذكرناها ، عمد الحارث بن مضاض الأصغر إلى ما كان عنده من مال الكعبة وفيه غزالان من ذهب وأسياف قلعية^(٣) كان أهداها ساسان ملك الفرس ، وقيل : سابور ، وذكروا أن الأوائل من ملوك الفرس كانت تحج الكعبة إلى عهد ساسان أو سابور ، فلما علم ابن مضاض أنه مخرج منها جاء فى الليل حتى دفن ذلك فى زمزم وغطى عليها ، ولم تنزل دارسة عاقبًا أثرها حتى آن مولد المبارك / [٦٥/أ] الذى كان يستسقى بوجهه غيث السماء ، وتتفجر من بنائه ينابيع الماء صاحب الكوثر والحوض الرءاء ، فلما آن ظهوره أذن الله لسقيا أبيه أن تظهر ولما اندفن من مائها أن يجهر^(٤) ، فكان ﷺ قد سقت الناس بركته قبل أن يولد وسقوا بدعوته وهو طفل حين أجذب بهم البلد ، وذلك حين خرج به جده مستسقيًا لقريش ، وسقيت الخليفة غيوث السماء فى حياته الفينة بعد الفينة والمرة بعد المرة ، تارة بدعائه وتارة ببنائه وتارة بإلقاء سهمه ، ثم بعد موته ﷺ استشفع عمر بعمره إلى الله تعالى [إلى]^(٥) عام الرمادة وأقسم عليه به وبنبيه ، فلم يرح حتى قتلوا

(١) تاريخ مكة للأزرقي (٢ / ٤٠ ، ٤١) ، وهو معناه فى البخارى كما تقدم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقي (٢ / ٤١) .

(٣) قلعية : نسبة إلى قلعة ، قيل : إنها جبل بالشام ، أو هى معدن ينسب إليه الرصاص الجند . معجم البلدان (٣٨٩ / ٤) .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى الروض الأنف «تجهر» أى : تنقئ . والله أعلم .

(٥) « إلى » زائدة فى الأصل ، وليست فى الروض الأنف ، والصواب حذفها . والله أعلم .

المأزر واعتلقوا الحذاء وخلصوا الغدران ، وسمعت الرفاق المقبلة إلى المدينة في ذلك اليوم صائحا يصيح في السحاب : أتاك الغوث أبا حفص أتاك الغوث أبا حفص ، كل ذلك ببركة المبتعث بالرحمتين الداعى إلى الحياتين الموعود بهما على يديه فى الدارين^(١) . انتهى كلام السهيلي . وقال فى تفجير زمزم حبريل بالعقب دون أن يفجرهما باليد أو غيرها : إشارة إلى أنها لعقبه ورائته وهو محمد وأمه كما قال تعالى : ﴿ وجعلها كلمة باقية فى عقبه ﴾^(٢) . أى : فى أمة محمد^(٣) . انتهى .

[فصل]

ما جاء فى حفر عبد المطلب بن هاشم زمزم.

عن الزهرى قال : أول ما ذكر من أمر عبد المطلب بن هاشم جدّ رسول الله ﷺ أن قريشاً خرجت فارة من أصحاب الفيل وهو غلام شاب ، فقال : والله لا أخرج من حرم الله أبغى العز فى غيره فجلس عند البيت ، وأجلت عنه قريش فلم يزل ثابتاً فى الحرم حتى أهلك الله الفيل وأصحابه ، ورجعت قريش وقد عظم فيها بصيره وتعظيمه محارم الله تعالى ، فبينما هو فى ذلك وقد وُلد له أكبر بنيه - وهو الحارث بن عبد المطلب - فأدرك ، فأتى عبد المطلب فى المنام فقال له : احفر زمزم حبة الشيخ الأعظم [٦٥٧/ب] فاستيقظ فقل : اللهم بين لى . فأتى فى المنام مرة أخرى فقل له : لحفرتكم بين الفرث والدم فى مبحث الغراب فى قرية النمل مستقبلة الأنصاب الحمر . فقام عبد المطلب فمشى حتى جلس فى المسجد الحرام ينتظر ما سُمى له من الآيات . فنحرت بقرة بالخزورة^(٤) فانفلتت من جازرها بحشاشة نفسها حتى غلبها الموت فى المسجد فى موضع زمزم ، فجذرت تلك البقرة فى مكانها حتى احتمل لحمها ، فأقبل غراب يهوى حتى وقع فى الفرث فبحث عند قرية النمل ، فقام عبد المطلب فحفر هنالك فجاءته قريش فقالت لعبد المطلب : ما هذا الصنع ؟ إنا لم نكن «نريك»^(٥) بالجهل لم تحفر فى مسجدنا ؟ فقال عبد المطلب : إني لحافر هذه البئر ومجاهد من صدنى عنها . فطفق هو وابنه الحارث يحفران وليس له ولد يومئذ غيره ، فسفه عليهما ناس من قريش فنازعوهما وقتلوهما ، وتناهى عنه

(١) الروض الأنف (١٦٦/١) وتكملة كلامه ﷺ صلاة تصعد ولا تنفذ ، وتتصل ولا تنفصل ، وتقيم

ولا تريم ، إنه منعم كريم .

(٢) سورة الزخرف : الآية (٢٨) .

(٣) الروض الأنف (١٦٦/١) .

(٤) الخزورة : وكانت سوق مكة ، كانت ببناء دار أم هانئ ابنة أبى طالب التى كانت عند الحناتين .

وقيل غير ذلك . راجع تاريخ مكة للأزرقى (٢/٢٩٤) : من قول أبى الوليد .

(٥) كذا فى الأصل وعند الأزرقى (٤٣/٢) «نزنك» وهو الصواب . والله أعلم ..

ناس من قريش لما يعلمون من علو نسبه وصدقه واجتهاده في دينهم ، فلما اشتد عليه الأذى نذر إن وفي له عشرة من الولد أن ينحر أحدهم ، ثم حفر حتى أدرك سيوفاً دفنت في زمزم حين دفنت ، فلما رأت قريش أنه قد أدرك السيوف قالوا : يا عبد المطلب أجزنا مما وجدت . فقال عبد المطلب : هذه السيوف لبيت الله الحرام . فحفر ثلاثة أيام حتى انبط الماء في القرار ثم بحرهما حتى لا ينزف ثم بنى عليها حوضاً ، فطفق هو وابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج ، فيكسره ناس من حسدة قريش بالليل فيصلحه عبد المطلب حين يصبح ، فلما أكثروا فساده دعا عبد المطلب ربه فأرى في المنام فقيل له : قل اللهم لا أحلها لغتسل ، ولكن هي للشارب حل وبل ثم كفيتهم ، فقام عبد المطلب ، فنادى بالذي أرى ثم انصرف ، فلم يكن يفسد حوضه ذلك عليه أحد من قريش إلا رمى في جسده بداء حتى تركوا حوضه ، ثم تزوج عبد المطلب النساء فولدت له عشرة رهط ، فقال : اللهم [٦٦/أ] إني كنت نذرت لك نحر أحدهم ، وإني أقرع بينهم فأصعب بذلك من شئت فأقرع بينهم فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب وكان أحب ولده إليه ، فقال : اللهم عبد الله أحب إليك أم مائة من الإبل ، ثم أقرع بينه وبين المائة الإبل فكانت القرعة على المائة من الإبل فنحرها عبد المطلب^(١) . وعن علي بن أبي طالب قال : قال عبد المطلب : إني لنائم في الحجر أتاني آت فقال : احفر طيبة . قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني فرجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال : احفر برة . قال : قلت : وما برة ؟ ثم ذهب عني فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال : احفر زمزم . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال : لا تنزف ولا تدم^(٢) تسقى الحجيج الأعظم ، وهي بين الفرت والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل . قال : فلما أبان له شأنها ودل على موضعها وعرف أنه قد صدق ، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ليس له يومئذ غيره ، فحفر فلما بدا لعبد المطلب الطي كبر ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب إنها بعمر إسماعيل وإن لنا فيها حقاً ، فأشركنا معك فيها . فقال عبد المطلب : ما أنا بفاعل إن هذا إلا خصصت به دونكم وأعطيت من بينكم . قالوا : فأنصفنا فإننا غير تاركيك حتى نحاكمك . قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه . قالوا : كاهنة بنى سعد بن هذيم . قال :

(١) تاريخ مكة للأزرقي (٤٢/٢ - ٤٤) .

(٢) أي أن هذا برهان عظيم ، لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط ، وقد وقع فيها حبشى فنزحت من أجله ، فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين ، أقواها وأكثرها ماء من ناحية الحجر الأسود . قاله السهيلي في الروض الأنف (١٧٠/١) .

نعم ، وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر، قال : والأرض إذ ذاك مفاوز^(١) فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض المفاوز بين الحجاز والشام فنى ماء عبد المطلب وأصحابه فظلموا حتى أيقنوا بالهلكة ، واستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا : إنا فى مفازة نخشى فيها على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ما «صنع»^(٢) القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه / [٦٦/ب] قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما شئت . قال : فإننى أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه لما بكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرتة ، ثم واروه حتى يكون آخره رجلاً فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً . قالوا : نعم ما أمرت به . فقام كل رجل منهم يحفر حفرتة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : إن إلقاءنا بأيدينا هلك للموت لعجز ألا نضرب فى الأرض ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد فارتحلوا ، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ومن معهم من قريش ينظرون إليهم وما هم فاعلون ، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت انفجرت تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشربوا وأسقوا حتى ملأوا أسقيتهم ثم دعى القبائل التى معه من قريش ، فقال : هلم^(٣) إلى الماء فقد سقانا الله تعالى فاشربوا وأسقوا . فشربوا وسقوا فقالت القبائل التى نازعته : قد والله قضى الله تعالى لك علينا يا عبد المطلب ، والله لا نخاصمك فى زمزم أبداً ، الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع ورجعوا معه ولم يعضوا إلى الكاهنة وحلوا بينه وبين زمزم^(٤) .

قال ابن إسحاق : هذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب فى زمزم ، وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر يحفر زمزم :

(١) المفاوز - جمع مفازة - وفى اشتقاق اسمها ثلاث أقوال :

أ - عن الأصمعى أنها سميت مفازة على جهة التفاؤل لراكبيها بالفوز والنجاة .

ب - عن أبى المكارم : لأن راكبيها إذا قطعها وجاوزها فاز .

ج - عن بعضهم : مهلكة لأنه يقال : فاز الرجل وفوز وفاد وفطس : إذا هلك .

راجع الروض الأنف (١ / ١٧١) .

(٢) كذا مصححاً من هامش الأصل ، وفى الأصل «فعل» . والله أعلم .

(٣) أى تعالوا ، وهى لغة أهل الحجاز ، وبها نزل القرآن الكريم ، وعند بنى تميم تلحقها الضمائر فيقول

هنا : هلموا . والله أعلم .

(٤) تاريخ مكة للأزرقي (٤٤/٢ - ٤٦) ، وسيرة ابن هشام (١ / ١٩٣ - ١٩٦) .

ادع بالماء الروى غير الكدر . . . لتسقى حجيج الله فى كل مير^(١)

ليس يخاف عنه شيء ما عمّر^(٢)

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش ، فقال : اعلّموا أنى قد أمرت أن أحفر زمزم . قالوا : فهل بين لك أين هى ؟ قال : لا . قالوا : فارجع إلى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت ، فإن يك حقاً من الله بين لك ، وإن يكن من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبد المطلب إلى مضجعه فنام فيه فأتى ، فقيل له : احفر زمزم إنك إن [٦٧/أ] حفرتها لن تندم ، وهى تراث^(٣) من أبيك الأعظم ، لا تنزف أبداً ولا تدم ، تسقى الحجيج الأعظم مثل نعام جافل^(٤) لم يقسم ينذر فيها ناذر لمنعم ، تكون ميراً وعقداً محكم ، ليست كبعض ما قد تغلم ، وهى بين الفرث والدم^(٥) .

قال ابن هشام : هذا الكلام والذى قبله فى حديث على فى حديث حفر زمزم «عند»^(٦) سجع وليس بشعر^(٧) . قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين قيل له ذلك قال : وأين هى ؟ قيل له : عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غداً . فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الخارث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين إساف وناثلة اللذين كانت قريش تذبح عندهما ، فجاء بالبعول فحفر فلما تهادى به الحفر ، فوجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسياً قلعية وأدراعاً ، فقالت له قريش : يا عبد المطلب فى هذا شرك وحق . قال : لا ، ولكن هلموا إلى أمر ينصف بينى وبينكم . فضرب عليها بالقداح قالوا : وكيف نصنع ؟ قال :

(١) مير - مفعول من البر . قاله أبو ذر الحخشنى فى شرح السيرة (١٩٦/١) ، وكذا فى الروض الأنف (١٧١/١) .

(٢) عمر - من العمر - أى : ما بقى ، ويروى : ما غير : أى ما بقى أيضاً ، وهو من الأضداد بمعنى بقى ومعنى ذهب . قاله أبو ذر الحخشنى فى شرح السيرة (١٩٦/١) .

(٣) أى : ميراث .

(٤) نعام جافل : الجافل الكثير الذى يجرى ويذهب ، وهو السريع أيضاً ، قاله أبو ذر الحخشنى فى شرح السيرة (١٩٧/١) ، والروض الأنف (١٧١/١) .

(٥) راجع كلام ابن إسحاق هذا فى سيرة ابن هشام (١٩٦/١ ، ١٩٧) ، والروض الأنف (١٦٨/١) .

(٦) فى السيرة «عندنا» وهو الصواب . والله أعلم .

(٧) السيرة (٩٧/١) ، والروض الأنف (١٦٨/١) ، وهو يشير إلى قوله : «لا تنزف ولا تدم» إلى قوله : «عند قرية النمل» . أفاده ابن هشام .

أجعل للكعبة قدحين^(١) ولى قدحين ولكم قدحين ، فمن خرج قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له . قالوا : أنصفت . فجعل قدحين أصفرين للكعبة ، وقدحين أسودين لعبد المطلب ، وقدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا القداح الذى يضرب بها عند هبل ، وقام عبد المطلب يدعوا الله - عز وجل - وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزاليين ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحاه قريش ، فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب فى الباب الغزاليين فكانت أول حلية حلته الكعبة^(٢) .

قال السهيلي : دل على زمزم بعلامات ثلاث : بنقرة الغراب الأعصم ، وأنها بين الفرث والدم ، عند قرية النمل ، ويروى أنه لما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قرية النمل وبنقرة الغراب / [٦٧/ب] ولم ير الفرث والدم ، فبينما هو كذلك نذت بقرة لجازرها فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام ونحرها فى الموضع الذى رسم لعبد المطلب فسال هناك الفرث والدم ، فحفر عبد المطلب حيث رُسم له ، ولم تخص هذه العلامات الثلاث بأن تكون دليلاً عليها إلا لحكمة إلهية ، وفائدة مشاكلة فى علم التعبير والتوسم الصادق - يعنى زمزم وماءها .

أما الفرث والدم : فإن ماءها طعام طعم وشفاء سقم وهى لما شربت له ، وقد تقرت من ماءها أبو ذر ثلاثين يوماً وليلة فسمن حتى تكثرت عُكَّته^(٣) ، فهى إذاً كما قال ﷺ فى اللبن : «إذا شرب أحدكم اللبن فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه ليس شيء يسد مسد الطعام والشراب إلا اللبن»^(٤) . وقال تعالى فى اللبن : ﴿من بين فرث

(١) القداح : قطعة من الخشب تعرض قليلاً وتسوى ، وتكون فى طول الفِتر أو دونه ، وتخط فيه حزوز تميز كل قدح بعدد من الحزوز ، وكان يستعمل فى الميسر . المعجم الوسيط .

(٢) سيرة ابن هشام (١٩٧/١ - ١٩٩) ، والروض الأنف (١٦٨/١ - ١٧١) ، وحديث حفر بئر زمزم فى مصنف عبد الرزاق (٩٧١٨) من طريق الزهري مرسلاً ، ودلائل النبوة للبيهقى (٩٣/١ - ٩٧) من حديث على بن أبى طالب ، وطبقات ابن سعد (٨٣/١ - ٨٥) .

(٣) العكن - جمع عُكَّته - : وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً . المعجم الوسيط .

(٤) أخرجه بنحوه أبو داود : كتاب الأشربة - باب ما يقول إذا شرب اللبن ح (٣٧٣٠) ، والترمذى : كتاب الدعوات - باب ما يقول إذا أكل طعاماً ح (٣٤٥٥) وقال : حديث حسن ، والنسائى فى الكبرى (٧٩/٦) ، وأحمد فى المسند (٢٢٠/١ ، ٢٢٥ ، ٢٨٤) ، والحميدى (٤٨٢) من حديث عمر بن حرملة عن ابن عباس ، وهو عند ابن ماجه ح (٣٣٢٢) من طريق عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس .

ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين ﴿١﴾. فظهرت هذه السقيا المباركة بين الفرث والدم وكانت تلك من دلائلها المشاكلة لمعناها .

وأما قوله : الغراب الأعصم : قال القتيبي : الأعصم من الغربان الذى فى جناحيه بياض . واعترض على أبى عبيد لقوله فى شرح الحديث : الأعصم الذى فى يديه بياض . وقال : كيف يكون للغراب يدان ؟ وأجاب عنه السهيلي وقال : إنما أراد أبو عبيد أن هذا الوصف لذوات الأربع ولذلك قال : إن هذا الوصف فى الغربان عزيز ، وكأنه ذهب إلى الذى أراد ابن قتيبة من بياض الجناحين ولولا ذلك لقال : إنه فى الغربان محال لا يتصور . قال السهيلي : وفى م . ابن أبى شيبه من طريق أبى أمامة عن النبى ﷺ ما يغنى عن قولهما وفيه الشفاء ، وذلك . أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «المرأة الصالحة فى النساء كالغراب الأعصم» . قيل : يا رسول الله وما الغراب الأعصم ؟ قال : «الذى إحدى رجليه بياض» . قال السهيلي : فالغراب فى التأويل فاسق وهو أسود ، فدللت نقرته عند الكعبة على نقرة الأسود / [٦٨/أ] الحبشى . بمعوله فى أساس الكعبة يهدمها فى آخر الزمان فكان نقر الغراب فى ذلك المكان يؤذن بما يفعله الفاسق الأسود فى آخر الزمان بقبلة الرحمن وسقيا أهل الإيمان ، وذلك عندما يرفع القرآن وتحميا عبادة الأوثان ، وفى الصحيح^(٢) : فى صفة الذى يخرب الكعبة أنه أفحج . وهذا ينظر إلى كون الغراب أعصم إذا تفحج تباعد فى الرجلين ، كما أن العَصَم اختلاف فيهما والاختلاف تباعد ، وقد عرف بذى السويقتين كما نعت الغراب بصفة فى ساقيه فتأمل ، فهذا من خفى علم التعبير ؛ لأنها كانت رؤيا وإن شئت كانت من باب الزجر والتوسم الصادق والاعتبار والفكر فى معالم حكمة الله ، فهذا سعيد بن المسيب حين حدث بمحدث البئر فى البستان ، وأن رسول الله ﷺ قعد على قفها^(٣) ، ودلى رجله فيها ، ثم جاء أبو بكر ففعل مثل ذلك ، ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك ثم جاء عثمان فانتبذ منهم ناحية وقعد حجرة^(٤) قال سعيد بن المسيب : فأولت ذلك قبورهم اجتمعت قبور الثلاثة وانفرد قبر عثمان ، والله تعالى يقول : ﴿إِنْ فى ذَلِكَ لآيَاتٍ للمتوسمين﴾^(٥) . فهذا من التوسم والفراصة الصادقة .

وأما قرية النمل : ففيها من المشاكلة والمناسبة أيضًا أن زمزم هى عين مكة التى

(١) سورة النحل : الآية (٦٦) .

(٢) من حديث ابن عباس ، كما فى البخارى ح (١٥٩٥) - فتح .

(٣) قُف البئر : الدكة التى تجعل حولها . لسان العرب «قف» .

(٤) أى : ناحية .

(٥) سورة الحجر : الآية (٧٥) .

يردها الحجيح والعمار من كل جانب فيحملون إليها البير والشعير وغير ذلك ، وهى لا تحرث ولا تزرع ؛ لقول إبراهيم : ﴿إلى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع﴾ . إلى قوله : ﴿وارزقهم من الثمرات﴾^(١) . وقرية النمل كذلك لأن النمل لا يحرث ولا يبنر وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفى مكة قال تعالى : ﴿قرية كانت آمنة مطمئنة يأتونها رزقها رغداً من كل مكان﴾^(٢) . مع أن لفظ قرية مأخوذ من قرئت الماء فى الحوض إذا جمعت . والرؤيا تعبر على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى ، فقد اجتمع اللفظ والمعنى فى هذا التأويل ، وقيل / [٦٨/ب] لعبد المطلب فى صفة زمزم : لا تنزف^(٣) أبداً ولا تدم . وهذا برهان عظيم لأنها لم تنزف من ذلك الوقت إلى يومنا قط ، وقد وقع فيها حبشى فنزحت من أجله فوجدوا ماءها يثور من ثلاث أعين أقواها وأكثرها ماء عين من ناحية الحجر الأسود ، روى هذا الحديث الدارقطنى . وقوله : ولا تدم أى لا تعاب ولا تلقى مذمومة من قولك : أذمته إذا وجدته مذموماً . وقيل : لا يوجد ماؤها قليلاً من قولهم : بئر ذمة إذا كانت قليلة الماء . ومنه حديث البراء فأتينا على بئر ذمة فنزلنا فيها أى قليلة الماء كذا قاله ابن الأثير^(٤) . وضعف السهيلي الوجه الأول وقال : قوله : ولا تدم فيه نظر وليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمها أحد ، فلو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه ولتضلع منها كل من يشربه ، وقد تقدم فى الحديث أنه لا يتضلع منها المنافق فماؤها إذا مذموم عندهم ، وقد كان خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق يذمها ويسميها أم جعلان ، واحتفر بئراً بخارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك ، وجعل يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها دون زمزم ، جراءة منه على الله تعالى وقلة حياء منه ، وهو الذى يفصح ويعلن بلعن على ﷺ على المنبر^(٥) . قال السهيلي : وإنما ذكرنا هذا ليعلم أنها قد ذمت قال : فقله إذا : لا تدم من قولهم بئر ذمة أى قليلة الماء ، فهو من أذمت البئر إذا وجدتها ذمة كقولك : أكذبت الرجل إذا وجدته كاذباً ، قال تعالى :

(١) سورة إبراهيم : الآية (٣٧) .

(٢) سورة النحل : الآية (١١٢) .

(٣) نزفت البئر : إذا نزع ماؤها كله .

(٤) النهاية (١٦٩/٢) ، والحديث الذى ذكره عن البراء أورده بسنده السهيلي فى الروض الأنف

(١٧٠/١) ، وأخرجه أحمد فى المسند (٢٩٢/٤ ، ٢٩٧) ، والطبرانى الكبير (٢٦/٢) ، وقال فى

المجمع (٣٠٠/٨) : هو فى الصحيح باختصار كثير فى غزوة الحديبية ، ورجاله رجال الصحيح .

(٥) الروض الأنف (١٧٠/١) .

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ ﴾^(١). قال : فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله : لا تذم^(٢). انتهى كلام السهيلي وهذا لفظه .

وقوله : ادعوا بالماء الروى غير الكدر ، يقال : ماء روى بالقصر ، ورواء بالفتح والمد. وقوله : يسقى حجاج الله فى كل مبر : هو مفعول من البر يريد فى مناسك الحج ومواضع الطاعة . وقوله : مثل نعام جافل لم يقسم : الجافل من [أ/٦٩] جفلت الغنم إذا انقلعت بحملها ، ولم تقسم أى لم تتوزع ولم تتفرق . وقوله : ليس يخاف منه شىء ما عمر : أى ما عمر هذا الماء فإنه لا يؤذى ولا يخاف منه ما يخاف من المياه إذا أفرط فى شربها بل هو بركة على كل حال^(٣). قال السهيلي : فعلى هذا يجوز أن يحمل قوله : لا تنزف ولا تذم - أى لا تذم عاقبة شربها - وهذا تأويل سافح أيضاً إلى ما قدمنا من التأويل وكلاهما صحيح فى صفتها^(٤). انتهى .

وكان حفر عبد المطلب لها قبل مولد النبى ﷺ على ما ذكره ابن إسحاق فى السيرة^(٥) عن على ، وفى تاريخ الأزرقى أن حفر [عبد]^(٦) المطلب لززم كان بعد قصة أصحاب الفيل^(٧) ، فعلى هذا يكون حفر [عبد]^(٦) المطلب لها بعد مولد النبى ﷺ والله أعلم .

ويروى أن أبا طالب عم النبى ﷺ عالج زمزم ، وكان النبى ﷺ ينقل فى علاجه الحجارة وهو غلام^(٨) رواه البزار فى مسنده بإسناد ضعيف .

[فصل]

ذكر علاج زمزم فى الإسلام

قال الأزرقى : كان قد قل ماؤها جذاً حتى كانت تجم^(٩) فى سنة ثلاث وعشرين

(١) سورة الأنعام : الآية (٣٣) .

(٢) الروض الأنف (١٧٠/١) .

(٣) الروض الأنف (١٧١/١ ، ١٧٢) .

(٤) الروض الأنف (١٧٢/١) .

(٥) لعله يقصد ما تقدم من حديث حفر البئر فيه أن عبد المطلب كان معه ابنه الحارث ولم يكن له ولد غيره ، وعليه فتكون هذه الحادثة قبل مولد النبى ﷺ يقيناً . والله أعلم . وراجع السيرة (١٩٤/١) .

(٦) ليست فى الأصل ، والصواب إثباتها . والله أعلم .

(٧) لعله يشير بذلك إلى رواية الزهرى المرسلة ، راجع تاريخ مكة (٤٢/٢) .

(٨) أخرجه البزار ، كما فى كشف الأستار (٤٥/٢) عن ابن عباس ، وقال الهيثمى فى الجمع

(٢٨٧/٣) : وفيه النظر أبو عمر وهو مذكور .

(٩) تجم - يقال : جمت البئر : تراجع ماؤها بعد الأخذ منها . المعجم الوسيط .

وأربع وعشرين ومائتين ، فضرِبَ فيها تسع^(١) أذرع سحًا في الأرض في تقوير^(٢) جانبها ، ثم جاء الله بالأمطار والسيول في سنة خمس وعشرين ومائتين فكثر ماؤها ، وكان سالم ابن الجراح قد ضرب فيها في خلافة هارون الرشيد أذرعًا وضرب فيها في خلافة المهدي ، وكان عمر بن ماهان قد ضرب فيها ، وكان ماؤها قد قل حتى كان رجل يقال له : محمد ابن مشير من أهل الطائف يعمل فيها فقال : أنا صليت في قعرها^(٣) . انتهى كلامه . وأما العيون التي في قعرها فثلاث كما تقدم ؛ عين حذاء الركن الأسود ، وعين حذاء الصفا وأبى قبيس ، وعين حذاء المروة^(٤) .

[فصل]

ذكر فضل زمزم وخواصها

قد تقدم في باب الفضائل الأحاديث / [٦٩/ب] الواردة في فضائلها منها : أن ماءها لما شرب له^(٥) كما ثبت في الأحاديث الصحيحة ، وقد شربه جماعة من العلماء والصالحين «لما قصد»^(٦) جليلة وحوائج جزيلة فنالوها ، من ذلك أن «الإمام الشافعي»^(٧) شربه للعلم فكان فيه غاية وللرمي فكان يصيب العشرة من العشرة والتسعة من العشرة^(٨) ، ومن ذلك ما حكاه القرطبي عن أبي عبد الله محمد بن علي الترمذي عن أبيه

(١) كذا في الأصل ، والصواب «تسعة» . والله أعلم .

(٢) تقوير : توسيع . المعجم الوسيط .

(٣) تاريخ مكة (٦١/٢) .

(٤) أى كما نقله سابقًا عن السهيلي في الروض (١٧٠/١) ، وراجع أخبار مكة للفاكهى (٧٤/٢) ، وتاريخ مكة للأزرقي (٦١/٢) .

(٥) أخرجه ابن ماجه : كتاب المناسك - باب الشرب من زمزم ح (٣٠٦٢) ، وأحمد في المسند (٣٥٧/٣) عن جابر بلفظ «ماء زمزم لما شرب له» ، وأحمد في المسند كذلك (٣٧٢/٣) بلفظ «... لما شرب منه» ، وأخبار مكة للفاكهى (٢٧/٢) باللفظين ، وتاريخ مكة للأزرقي (٥٢/٢) باللفظ الأول ، والحديث قال عنه السخاوى في المقاصد برقم (٩٢٨) : سنده ضعيف . اهـ . ثم ذكر له شواهد ، وحسن ما قاله الحافظ ابن حجر في حديث معاوية أنه لما شرب له ، فإن الحافظ قال عنه : أنه حسن مع كونه موقوفًا . اهـ ، ويشهد له كذلك حديث أبي ذر رفعه في مسلم أنه طعام طعم ، زاد الطيالسى «وشفاء سقم» ، وقد صححه كما قال السخاوى ابن عيينة ، والدمياطى والمنذرى . وبالجمله فقد جربه جماعة من الكبار وذكروا أنه صح . اهـ . ما ذكره السخاوى ملخصًا ببعض التصرف ، وراجع الجامع اللطيف (ص ٢٦١ - ٢٦٣) فإنه مفيد . والله أعلم .

(٦) طمس بالأصل ، ولعلها هكذا . والله أعلم .

(٧) راجع الجامع اللطيف (ص ٢٦٦) .

قال : دخلت الطواف في ليلة مظلمة فأخذني التبول فأشغلني فجعلت اعتصر حتى آذاني ، وخفت إن خرجت من المسجد أن أظأ بعض تلك الأقدار وذلك أيام الحاج ، فذكرت الحديث وهو أنه لما شرب له ، فدخلت زمزم فتضلعت منه فذهب عني إلى الصباح . ومن ذلك أن رجلاً شرب سويقاً فيه إبرة وهو لا يشعر بها ، فاعتزضت في حلقه وصار لا يقدر يطبق فمه وكاد يموت ، فأمره بعض الناس بشرب ماء زمزم وأن يسأل الله تعالى فيه الشفاء ، فشرب منه شيئاً بجهد وجلس عند إسطوانة من المسجد الحرام فغلبته عيناه فنام وانتبه وهو لا يحس من الإبرة شيئاً وليس به بأس^(١). هذا ملخص ما ذكره الفاكهي في فضائل مكة .

ومن ذلك أن أحمد بن عبد الله الشريفي الفراش بالحرم الشريف المكي شربه للشفاء من العمى فشفي^(٢). ولا التفات إلى ما ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وأن حديث : «ماء زمزم لما شرب له» . موضوع^(٣) بل قد صح من طرق لما قد ذكرناه في باب الفضائل ، وأما حديث «الباذنجان لما أكل له» . فهو حديث موضوع كما ذكره ابن قيم الجوزية^(٤). ومن فضائله : أنه لا يتضلع منه المنافقون^(٥). «وأن آية ما بيننا وبينهم هو التضلع»^(٦). ومنها : أن من شرب منه حرم الله جسده على النار . ومنها : أن الله تعالى يرفع المياه العذبة قبل يوم القيامة غير زمزم وتغور المياه غير زمزم قاله الضحاك بن مزاحم^(٧). ومنها : / [٧٠/] أن النظر إليها عبادة^(٨). ومنها : أنها طعام طعم وشفاء سقم ، يؤيده قضية

(١) أخبار مكة للفاكهي (٣٥/٢) عن أحمد بن محمد بن حمزة بن واصل عن أبيه أو عن غيره من أهل

مكة ، والجامع اللطيف (ص ٢٦٤ ، ٢٦٥) .

(٢) الجامع اللطيف (ص ٢٦٥) .

(٣) ذكره في الجامع اللطيف (ص ٢٦٧) .

(٤) كما في المنار المنيف (ص ٥٤) .

(٥) تاريخ مكة للأزرقي (٥٢/٢) عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ «التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق» وعن غيره نحوه .

(٦) أخرجه ابن ماجه : كتاب المناسك - باب الشرب من زمزم (٣٠٦٦) عن ابن عباس مرفوعاً «إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم» قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣٤/٣) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، رواه الدارقطني في سننه ، والحاكم في المستدرک ... ورواه البيهقي في سننه الكبرى عن الحاكم فذكره . ١ هـ . وراجع أخبار مكة للفاكهي (٢٨/٢) ، والجامع اللطيف (ص ٢٦٢) .

(٧) تاريخ مكة للأزرقي (٥٩/٢) ، وأخبار مكة للفاكهي (٦٧/٢) .

(٨) أخبار مكة للفاكهي (٤١/٢) عن مكحول مرسلاً ، والجامع اللطيف (ص ٢٦٣) .

إسلام أبي ذر الثابتة في الصحيح وأنه أقام شهراً بمكة لا قوت له إلا ماء زمزم فسمن حتى تكسرت عكن بطنه^(١)، وكان أهل الجاهلية يغدون بعيالهم فيشربون منها فيكون صبوخاً لهم وكانوا يعدونها عوناً على العيال وكانت تسمى شباعة^(٢). وعن عكرمة بن خالد قال : بينما أنا ذات ليلة في جوف الليل عند زمزم إذا بنفر يطوفون عليهم ثياب بيض لم أر بياض ثيابهم لشيء قط ، فلما فرغوا صلوا قريباً مني فالتفت بعضهم فقال لأصحابه : اذهبوا بنا نشرب من شرب الأبرار . قال : فقاموا فدخلوا زمزم فقلت : والله لو دخلت على القوم فسألتهم ، فقلت فدخلت فإذا ليس فيها أحد من البشر^(٣). وعن رباح مولى لآل الأحنس أنه قال : أعتقني أهلي فدخلت من البادية إلى مكة فأصابني فيها جوع شديد حتى كنت أكونم الحصباء ثم أضبع كبدي عليه قال : فقلت ذات ليلة إلى زمزم فنزعت فشربت لبناً كأنه لبن غنم مستوحمة أنفاساً - وفي رواية : مكثت ثلاثة أيام لا أحد شيئاً أكله فأنيبت زمزم فبركت على ركبتى مخافة أن أسقى وأنا قائم فيرفعني الدلو من الجهد فجعلت أنزع قليلاً قليلاً حتى أخرجت الدلو فشربت ، فإذا أنا بصريف اللبن بين ثناياي ، فقلت : لعلى ناعس فضربت بالماء على وجهي وانطلقت وأنا أجد قوة اللبن وشبعه . والصريف : اللبن ساعة يصرف عن الضرع^(٤). وعن عبد العزيز بن أبي رواد أن راعياً كان يرعى وكان من العباد فكان إذا ظمى وجد فيها لبناً وإذا أراد أن يتوضأ وجد فيها ماء^(٥). ومنها : «أن الاطلاع فيها يحط الأوزار والخطايا». رواه الفاكهي^(٦) عن النبي ﷺ مرسلًا من رواية مكحول - وفي رواية أخرى : الطهور [٧٠/ب] منها يحبط الخطايا . ومنها : أنه خير ماء على وجه الأرض^(٧) كما روى عن النبي ﷺ في الحديث المتقدم في الفضائل، كيف

(١) أخرجه مسلم : كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي ذر ح (٢٤٧٣) ، وأحمد في المسند (١٧٤/٥ ، ١٧٥) وفيهما أنه «طعام طعم» ، وليس فيهما «شفاء سقم» بل هو زيادة عند أبي داود الطيالسي (٤٥٧) ، وراجع تاريخ مكة للأزرقي (٥٠/٢ ، ٥٣) عن أبي ذر وغيره ، وأخبار مكة للفاكهي (٣٧/٢) .

(٢) راجع تاريخ مكة للأزرقي (٥١/٢ ، ٥٢) ، وأخبار مكة للفاكهي (٣٦/٢) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقي (٥١/٢) .

(٤) راجع تاريخ مكة للأزرقي (٥٣/٢ ، ٥٤) ، وأخبار مكة للفاكهي (٣٨/٢ ، ٣٩) .

(٥) تاريخ مكة للأزرقي (٥٤/٢) ، وأخبار مكة للفاكهي (٣٩/٢) .

(٦) أخبار مكة (٤١/٢) .

(٧) أخبار مكة للفاكهي (٤١/٢) عن ابن عباس ، والطبراني الكبير (٩٨/١١) وقال في الجمع (٢٨٦/٣) ورجاله ثقات وصححه ابن حبان . اهـ . وهو في الطبراني الأوسط كذلك برقم

(٣٩١٢) ، (٨١٢٩) .

وقد اختص بأن غسل منه بطن سيدنا رسول الله ﷺ على ما ثبت في الصحيحين^(١) في حديث المعراج بعد البعثة ، وفي ذلك دليل على فضيلة ماء زمزم على غيره من المياه إذ غسل منه هذا المحل الجليل في هذا الوطن الرفيع .

قال ابن أبي جمرة لقائل أن يقول : لِمَ لم يغسل بماء الجنة الذي هو أطيب وأبرك ؟ والجواب : أنه لو غسل بماء الجنة دون استقراره بالأرض لم يبق لأمته أثر بركته ، فلما غسل بماء زمزم وهو مما استقر من ماء السماء بالأرض على ما قاله ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ ﴾^(٢) . فقال : كل ما في الأرض إنما هو مما ينزل من السماء . وقد جاء في الأثر : أن ما من مطر ينزل إلا وفيه مزاج من الجنة أو بعضه مع زوائد .

فوائد جمّة ؛ منها : ما ذكرناه من إبقاء البركة للأمة . ومنها : أنه خص مقره بهذه الأرض المباركة . ومنها : أنه خص به الأصل المبارك وهو إسماعيل - عليه السلام - ومنها : أنه خص بما لم يخص به غيره من المياه بأن جعل فيه لهاجر أم إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - غذاءً ، فكان يغنيها عن الطعام والشراب . ومنها : أن ظهوره كان بواسطة الأمين جبريل - عليه السلام - فكان أصلاً مباركاً في مقر مبارك بواسطة فعل أمين مبارك ، فاختص به هذا السيد المبارك فكان ذلك زيادة له في التشريف والتعظيم ، والله تعالى يفضل من يشاء من مخلوقاته حيواناً كان أو جماداً ، فجاء بالحكمة العجيبة في الملة الجليلة ملة إبراهيم بالمقال ، وفي الماء ملك إسماعيل بلسان الحال . انتهى كلامه .

وهل المراد بالبطن الذي غسل بزمن البطن نفسه أو ما في البطن وهو القلب ؟ قال ابن أبي جمرة : الظاهر أن المراد القلب ؛ لأنه جاء في / [٧١/أ] رواية أخرى ذكر القلب ولم يذكر البطن . وقال : ويمكن الجمع بينهما بأن يقال : أخبر ﷺ مرة بغسل البطن ولم يتعرض لذكر القلب ، وأخبر مرة بغسل القلب ولم يتعرض لذكر البطن ، فيكون الغسل قد حصل فيهما جميعاً معاً مبالغة في تنظيف المحل . انتهى .

وكان الشيخ سراج الدين البلقيني فيما يحكى عنه يفتي بأن ماء زمزم أفضل من ماء الكوثر^(٣) . ويذكر أن السلطان صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب كان إذا عاد من

(١) أخرجه البخاري : كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة ح (٣٢٠٧ - فتح) وكذلك ح

(٣٨٨٧ - فتح) ، ومسلم : كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض

الصلوات ح (١٦٤) عن مالك بن صعصعة مرفوعاً .

(٢) سورة المؤمنون : الآية (١٨) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٢٦٨) .

الغزو نفّض ثيابه من غبار الغزو على نطع وأمر من يجمعه ، وأن ذلك الغبار عجن بماء زمزم وجعل لبنة لطيفة وجعلت تحت رأسه فى قبره .

ومن خواص ماء زمزم أنها لم تنزف من ذلك الوقت إلى يومنا هذا ولم يذم . ومنها : أنه يبرد الحمى كما روينا عن النبي ﷺ^(١) فى باب الفضائل ومنها : أنه يذهب بالصداع كما ذكره الضحاك بن مزاحم^(٢) . ومنها : أنه يفضل مياه الأرض كلها طباً وشرعاً كما ذكره بدر الدين صاحب المصبرى فى تأليفه «نقل الكرام وهدية دار السلام» ، وأنشد لنفسه أبياتاً حسنة فى مدح ماء زمزم . ومنها : أن الاطلاع فيها يجلو البصر كما ذكره الطحاوى . ومنها : أن ماءها يخلو ليلة النصف من شعبان ويطيب على ما ذكره ابن الحاج المالكي فى منسكه . قال الضحاك بن مزاحم : بلغنى أنه سيأتى عليها زمان تكون أعذب من النيل والفرات^(٣) .

قال أبو محمد الخزاعى : وقد رأينا ذلك فى سنة إحدى وثمانين ومائتين وذلك أنه أصاب مكة أمطار كثيرة فسال واديتها بأسياىل عظام فى سنة تسع وسبعين ، وسنة [و]^(٤) ثمانين ومائتين فكثر ماء زمزم وارتفع حتى قارب رأسها ، فلم يكن بينه وبين شفتها العليا إلا سبع^(٥) أذرع أو نحوها ، وما رأيته قط كذلك ولا سمعت من يذكر أنه رآها كذلك ، وعذبت جداً حتى كان ماؤها أعذب من مياه مكة التى يشربها أهلها / [٧١/ب] ، وكنت أنا وكثير من أهل مكة نختار الشرب منها لعزوبته وإننا رأيناه أعذب من مياه العيون^(٦) . ومنها : أنه يكثر فى ليلة النصف من شعبان فى كل سنة بحيث إن البثر يغص بالماء على ما قيل ، لكن لا يشاهد هذا إلا الأولياء ، ومن شاهد ذلك الشيخ الصالح أبو الحسن على المعروف بكرباج على ما نقله بعضهم عن الشيخ فخر الدين النورى عنه^(٧) . ومنها : أن من حثى على رأسه ثلاث حثيات منها لم تصبه ذلة أبداً على ما وجد فى كتاب

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٢٩١/١) ، وابن أبى شيبة (٤٣٩/٧) وصحيح ابن حبان (٤٣٢/١٣) وأخبار مكة للفاكهى (٢٨/٢) ، والحديث أخرجه البخارى : كتاب بدء الخلق - باب صفة النار وأنها مخلوقة ح (٣٢٦١ - فتح) وفيه «فأبردوها بالماء أو قال بماء زمزم» شك همام (الراوى عن أبى حمزة) . ١ هـ . والحديث من رواية أبى حمزة عن ابن عباس .

(٢) أخبار مكة للأزرقي (٥٤/٢) .

(٣) أخبار مكة للأزرقي (٥٤/٢) ، والجامع اللطيف (ص ٢٦٩) .

(٤) الصواب حلقها . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، والصواب «سبعة» . والله أعلم .

(٦) أخبار مكة للأزرقي (٥٤/٢) .

(٧) الجامع اللطيف (ص ٢٦٩) .

الروم كما ذكره الفاكهي بسنده عن بعض ملوك الروم^(١). ومنها : أن ماءها يعظم في الموسم ويكثر كثرة بخارقة لعادة الآبار كما ذكره ابن عطية في «التفسير». وتقدم في باب الفضائل وفي الباب العاشر تمام ما يتعلق بزمن من فضائلها وآداب شربها ، وثبت أن النبي ﷺ عام حجة الوداع جاء زمزم فقال : «ناولوني دلوًا . فناولوه فشرب منها ثم مضى فمَجَّ في الدلو ثم أمر بما في الدلو فافترغ في البئر»^(٢). قال مسعر : مَجَّ في الدلو مسكًا أو أطيب من المسك .

[فصل]

ذكر ذرع بئر زمزم

قال الأزرقى : كان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها ستين ذراعًا ، ثم قل ماؤها حتى كانت تجم ، فضرب فيها تسع^(٣) أذرع سحًا في الأرض في تقوير جوانبها ، قال : فغورها من رأسها إلى الجبل أربعون ذراعًا ذلك كله ببيان ، وما بقى فهو جبل منقور وهو تسعة وعشرون ذراعًا ، قال : وذرع حنك زمزم في السماء ذراعان وشير ، وذرع تدوير فم زمزم أحد عشر ذراعًا ، وسعة فم زمزم ثلاثة أذرع وثلثا ذراع ، وأول من عمل الرخام على زمزم وعلى الشباك وفرش أرضها بالرخام أمير المؤمنين أبو جعفر في خلافته ثم عملها المهدي في خلافته ثم غيرت في خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله سنة عشرين ومائتين ، وكانت مكشوفة قبل ذلك إلا قبة صغيرة على موضع البئر^(٤). وذكر الأزرقى في تاريخه / [٧٢/أ] صفة ما كانت عليه زمزم وحجرتها وحوضها قبل أن تغير في خلافة المعتصم بالله مما كان عمله المهدي في خلافته^(٥)، ثم ذكر ما غير من عمل زمزم في خلافة المعتصم بالله، وذرعها^(٦) إلى أن غيرت في خلافة الواثق بالله في سنة تسع وعشرين ومائتين^(٧) فمن أراد ذلك كله فليظفره ثمة . ومن الحجر الأسود إلى جدار الحجرة التي فيها بئر زمزم أحد وثلاثون ذراعًا بذراع القماش المتقدم ذكره ، وأما صفة الحجرة التي فيها بئر زمزم في زماننا هذا فهو بيت مربع ، سقف في جدرانه تسعة أحواض للماء ثلثاً من بئر زمزم يتوضأ

(١) أخبار مكة للفاكهي (٣٩/٢) ، والجامع اللطيف (ص ٢٦٩ ، ٢٧٠) .

(٢) أخبار مكة للأزرقى (٥٧/٢) ، وأخبار مكة للفاكهي (٥٤/٢) عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه ،

ونحوه عن ابن عباس في المسند (٣٧٢/١) ، وأخبار مكة للفاكهي (٥٥/٢) .

(٣) كذا في الأصل ، والصواب «تسعة» . والله أعلم .

(٤) تاريخ مكة (٦١/٢) .

(٥) المصدر السابق (١٠٠/٢ ، ١٠١) .

(٦) المصدر السابق (١٠١/٢ ، ١٠٤) .

(٧) المصدر السابق (١٠٤/٢ - ١٠٦) .

الناس منها ، والخلوة التي إلى جانب هذه الحجرة مما يلي اليمن عملت على ما هي عليه اليوم في سنة سبع وثمانمائة ، وكانت قبل ذلك على غير هذه الصفة ، وإنما بنيت على هذا الوضع الآن ؛ ليتوضأ الناس من الزبازيب التي عملت في أسفلها .

[فصل]

ذكر سقاية العباس بن عبد المطلب ﷺ

هذه السقاية إلى الآن حجرة مربعة عليها قبة كبيرة ساترة لجميعها ، والقبة من آجر معقود بالنورة ، وفي أسفل جدرانها خلاء الجنوب شبابيك من حديد تشرف على المسجد الحرام ، في كل جهة شباك ، وفي جانبها الشمالي من خارجها حوضان من رخام مفردين ، وباب السقاية بينهما ، وفي هذه الحجرة بركة كبيرة تملأ من بئر زمزم يسكب الماء من البئر في خشبة طويلة على صفة الميزاب متصلة بالجدار الشرقي في حجرة زمزم ، ويجري الماء منها إلى الجدار المذكور ثم إلى قناة تحت الأرض حتى تخرج في البركة من فوارة في وسطها ، وآخر وقت عُمرت فيه هذه السقاية سنة سبع وثمانمائة ، وسبب عمارتها في هذه السنة سقوط القبة التي كانت على هذه السقاية وكانت من عمل الجواد ، وكلام الأزرقي^(١) في أصل هذه السقاية مخالف ما هي عليه الآن ، وقد ذكر الأزرقي ذرع ما بينها وبين الحجر الأسود وغير ذلك من جوانب المسجد .

[فصل]

ذكر حد / [٧٢/ب] المسجد الحرام وما يتعلق بالنوم والوضوء فيه

وأول من أدار الصفوف حول الكعبة

عن أبي هريرة قال : إنا لنجد في كتاب الله تعالى أن حد المسجد الحرام من الخزورة إلى المسعى^(٢) . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أساس المسجد الحرام الذي وضعه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - من الخزورة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد . قال : والمهدى وضع المسجد على المسعى^(٣) . وعن عطاء بن أبي رباح قال : المسجد الحرام الحرم كله^(٤) . وأول من أدار الصفوف حول الكعبة خالد بن عبد الله القسري^(٥) ، وكان الناس يقومون قيام شهر رمضان في أعلى المسجد الحرام تركز حربة خلف المقام

(١) في تاريخ مكة (١٠٤/٢ - ١٠٦) ، وأخبار مكة للفاكهى (٨٧/٢) .

(٢) تاريخ مكة للأزرقي (٦٢/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (٨٧ ، ٨٦/٢) .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) تاريخ مكة للأزرقي (٦٢/٢) .

(٥) المصدر السابق (٦٥/٢) عن سفيان بن عيينة .

بربوة فيصللي الإمام خلف الحربة والناس وراءه ، فمن أراد صلى مع الإمام ومن أراد طاف وركع خلف المقام ، فلما ولي خالد بن عبد الله القسري مكة لعبد الملك بن مروان وحضر شهر رمضان أمر خالد القراء أن يتقدموا فيصلوا خلف المقام وأدار الصفوف حول الكعبة ، وذلك أن الناس ضاق عليهم أعلى المسجد فأدارهم حول الكعبة فقليل له : يقطع الطواف لغير المكتوبة . قال : فأنا أمرهم يطوفون بين كل ترويحين بسبع . فقليل له : إنه يكون في مؤخر الكعبة وجوانبها من لا يعلم بانقضاء طواف الطائف من مصلى وغيره فيتهيا للصلاة . فأمر عبيد الكعبة أن يكبروا حول الكعبة يقولون : الحمد لله والله أكبر فإذا بلغوا الركن الأسود في الطواف السادس سكتوا بين الركنين سكتة حتى يتهيا الناس ممن في الحجر ومن جوانب المسجد من مصلى أو غيره فيعرفون ذلك بانقطاع التكبير ، ويصلى ويخفف المصلي صلاته ثم يعودون إلى التكبير حتى يفرغوا من السبع ، ويقوم مسمع فينادي الصلاة رحمكم الله . وكان عطاء وعمرو بن دينار ونظراؤهم من العلماء يرون ذلك ولا ينكرونه^(١) . وعن ابن جريج قال : قلت لعطاء : إذا قل الناس في المسجد / [٧٣/] الحرام أحب إليك أن يصلوا خلف المقام أو يكونوا صفًا واحدًا حول الكعبة ؟ قال : أن يكونوا صفًا واحدًا حول الكعبة . وتلا : ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾^(٢)^(٣) . وعنه قال : قلت لعطاء : أتكره النوم في المسجد الحرام ؟ قال : بل أحبه^(٤) . وعن عطاء أنه كان يتوضأ في المسجد الحرام^(٥) . روى ذلك كله الأزرقى .

[فصل]

ذكر ما كان عليه المسجد الحرام وسعته وعمارته إلى أن صار على ما هو عليه الآن لما استخلف عمر بن الخطاب وكثر الناس ، وسع المسجد واشترى دورًا واتخذ للمسجد جدارًا قصيرًا دون القامة وكانت المصابيح توضع عليه^(٦) ، ثم اشترى عثمان في خلافته دورًا وهدمها ووسعه بها وبنى المسجد والأروقة^(٧) ، ثم زاد فيه ابن الزبير زيادة

(١) المصدر السابق (٦٥ / ٢ ، ٦٦) عن عبد الرحمن بن حسن بن القاسم بن عقبة الأزرقى عن أبيه .

(٢) سورة الزمر : الآية (٧٥) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٦٦ / ٢) .

(٤) المصدر السابق (٦٨ / ٢) .

(٥) المصدر السابق (٦٨ / ٢) .

(٦) تاريخ مكة للأزرقى (٦٨ / ٢ ، ٦٩) عن ابن جريج ، وأخبار مكة للفاكهي (١٥٧ / ٢ ، ١٥٨)

عن محمد بن عمر الواقدي .

(٧) تاريخ مكة للأزرقى (٦٩ / ٢) عن ابن جريج ، وأخبار مكة للفاكهي (١٥٨ / ٢) عن محمد بن

عبد الرحمن بن ثوبان .

كبيرة ثم عمّره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه لكن رفع جنداره وسقفه بالساج وعمّره عمارة حسنة ، ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك وحمل إليه أعمدة الرخام ، ثم زاد فيه أبو جعفر المنصور ، ثم زاد فيه المهدي بعده مرتين الزيادة الأولى سنة ستين ومائة والثانية سنة سبع وستين إلى سنة تسع وستين ومائة وفيها مات المهدي ، وكانت الكعبة في جانب فأحسب أن تكون متوسطة فاشترى من الناس الدور ووسطها واستقر الحال على ذلك إلى وقتنا هذا^(١).

[فصل]

ذكر عمل عمر بن الخطاب وعثمان - رضی الله عنهما -

عن ابن جريج قال : كان المسجد الحرام ليس عليه جدران محيطة ، إنما كانت الدور محدقة به من كل جانب غير أن بين الدور أبواباً يدخل منها الناس من كل نواحيه ، فضاقت على الناس فاشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دوراً فهدمها وهدم على «قرب»^(٢) من المسجد ، وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وتمنع من البيع ، فوضعت أثمانها في خزانة الكعبة حتى أخذوها بعد ، ثم أحاط عليه جداراً قصيراً ، ثم كثرت الناس في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه فوسع^(٣) [٧٣/ب] المسجد فاشترى من قوم وأبى آخزون أن يبيعوا فهدم عليهم فصيحوأ به ، فدعاهم فقال : إنما جرائكم على حلمي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد ، فأحدثت على مثاله فصحتم بي . ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كلمه فيهم عيد الله ابن خالد بن أسيد^(٤).

[فصل]

ذكر بنيان ابن الزبير وعبد الملك بن مروان

قال الأزرقى : كان المسجد الحرام محاطاً بجدار قصير غير مسقف ، إنما يجلس الناس حول المسجد بالغداة والعشي يتبعون الأفياء فإذا قلص الظل قامت المجالس^(٥) ، فزاد ابن الزبير في المسجد الحرام واشترى من الناس دوراً وأدخلها في المسجد ، وكان قد انتهى بالمسجد إلى أن أشرعه على الراوى مما يلي الصفا والراوى يومئذ في موضع المسجد اليوم ،

(١) راجع تاريخ مكة للأزرقى (٦٩/٢ - ٨١) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٥٩/٢ - ١٧٤) .

(٢) عند الأزرقى «من قرب» وهو أوضح . والله أعلم .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٦٨/٢ ، ٦٩) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٥٧/٢ ، ١٥٨) عن غير ابن

جريرج . وذكره عن الراوى في عمل عمر ، وعبد الرحمن بن ثوبان في عمل عثمان .

(٤) تاريخ مكة (٦٩/٢) عن جد الأزرقى ، وأخبار مكة للفاكهى (١٥٩/٢ ، ١٦٠) وذكر فيه

زيادة ابن الزبير .

ووسع المسجد من جميع نواحيه ، وكانت دار الندوة يومئذ داخلية في المسجد الحرام وبابها في وسط الصحن ، ولم يزل باب دار الندوة في موضعه حتى زاد أبو جعفر في المسجد فأخبره إلى ما هو عليه اليوم^(١). قال الأزرقى : سمعت من يذكر أن ابن الزبير كان سقفه فلا أدرى كله أم بعضه ، ثم عمره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه ولكنه رفع جدرانها وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة^(٢) ، كما ذكرنا ، وجعل في رؤوس الأساطين خمسين مثقالاً من ذهب في رأس كل إسطوانة^(٣). قال الأزرقى : وذلك زمان ابن الزبير^(٤).

[فصل]

ذكر عمل الوليد بن عبد الملك

عمر الوليد بن عبد الملك بن مروان المسجد الحرام وكان إذا عمل المساجد زخرفها فنقض عمل عبد الملك وعمل عملاً محكماً ، وهو أول من نقل إليه الأساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف ، وعلى رؤوس الأساطين الذهب على صفائح الشبه من الصفر ، وأزر المسجد بالرخام من داخله وجعل في وجه الطيقان في أعلاه الفسيفساء ، وهو أول من عمله في المسجد الحرام وجعل للمسجد شرافات ، وكانت هذه عمارة الوليد بن عبد الملك^(٥) . [٧٤/١]

[فصل]

عمل أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور

لم يعمر المسجد الحرام بعد الوليد بن عبد الملك أحد من الخلفاء ولم يزد فيه شيئاً حتى كان أبو جعفر أمير المؤمنين ، فزاد في شقه الشامى الذى فيه دار النخلة ودار الندوة فى أسفله ، ولم يزد عليه فى أعلاه ولا فى شقه الذى على الوادى ، فاشتري من الناس دورهم الملاصقة بالمسجد من أسفله حتى وضعه على منتهاه اليوم^(٦).

(١) تاريخ مكة للأزرقى (٦٩/٢ ، ٧٠) عن عبد الرحمن بن الحسن بن القاسم بن عقبة عن أبيه ، وما هنا مختصر .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (٧١/٢) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٧١/٢) عن سعيد بن فروة عن أبيه .

(٤) تاريخ مكة (٧١/٢) عن جد الأزرقى ، وقاله عقب قول زاذان بن فروخ : مسجد الكوفة تسعة أجرة ، ومسجد مكة تسعة أجرة وشيء . ١ هـ . والأجرة - جمع جريب - قال الأزهري : الجريب من الأرض مقدار معلوم الذراع والمساحة ، وهو عشرة أقدرة ، كل قفيز منها عشرة أعشاء ، فالعشير جزء من مائة جزء من الجريب . ١ هـ . لسان العرب «جرب» .

اريخ مكة للأزرقى (٧١/٢ ، ٧٢) عن جد الأزرقى .

المصدر السابق ، وأخبار مكة للفاكهى (١٦١/٢ ، ١٦٢) بنحوه .

[فصل]

ذكر زيادة المهدي الأولى

حج المهدي أمير المؤمنين سنة ستين ومائة فجرد الكعبة مما كان عليها من الثياب ، وأمر بعمارة المسجد الحرام وأمر أن يزداد في أعلاه ، واشترى ما كان في ذلك الموضع من الدور وأمر بأساطين الرخام فنقلت في السفن من الشام حتى أنزلت بجدة ثم جرت على العجل من جدة إلى مكة وجعلت أساطين ، ولما وضعها حفر لها أرباضاً^(١) على كل صف من الأساطين جداراً مستقيماً^(٢).

[فصل]

ذكر زيادة المهدي الثانية

ولما بنى المهدي المسجد الحرام وزاد الزيادة الأولى اتسع أعلاه وأسفله وشقه الذي يلي دار الندوة ، وضاق شقه اليماني الذي يلي الصفا فكانت الكعبة في شق المسجد ، وذلك أن الوادي كان داخلاً لاصقاً بالمسجد في بطن المسجد اليوم ، وكانت الدور وبيوت من ورائه في موضع الوادي اليوم ، وإنما كان يسلك من المسجد إلى الصفا في بطن الوادي ثم يسلك في زقاق ضيق حتى يخرج إلى الصفا من التفاف البيوت فيها بين الوادي والصفا ، وكان المسعى في موضع المسجد الحرام اليوم ، فلما حج المهدي سنة أربع وستين ومائة ورأى الكعبة في شق المسجد كره ذلك وأحب أن تكون متوسطة في المسجد ، فدعى المهندسين فشاورهم في ذلك فقدروا في ذلك فإذا هو لا يستوى لهم من أجل الوادي والسيول وقالوا : إن وادي مكة له سنيول جارفة وهو وادي حدور ، ونحن نخاف إن حولنا الوادي عن مكانه / [٧٤/ب] أن لا ينصرف لنا على ما نريد ؛ لأن وراءه من الدور والمساكن ما تكثر فيه المثونة ولعله أن لا يتم . فقال المهدي : لا بد لي أن أوسع حتى أوسط الكعبة في المسجد على كل حال ، ولو أنفقت فيه ما في بيوت الأموال وعظمت في ذلك نيته واشتدت رغبته فقدروا ذلك وهو حاضر ، ونصب الرماح على الدور من أول موضع الوادي إلى آخره ، ثم ذرعه من فوق الرماح حتى عرفوا ما يدخل في المسجد من ذلك وما يكون للوادي فيه فلما نصبوا الرماح على جنبتي الوادي على ما يدخل في المسجد من ذلك وزنوه مرة بعد مرة وقرروا ذلك ، ثم خرج المهدي إلى العراق وخلفوا الأموال فاشترؤا من الناس دورهم وأرسل إلى الشام وإلى مصر فنقلت أساطين الرخام في السفن حتى أنزلت

(١) أرباض - جمع رُبض - وهو أساس البناء . المعجم الوسيط .

(٢) تاريخ مكة للأزرقي (٧٤/٢ - ٧٨) وما ذكره هنا مختصراً ، وأخبار مكة للفاكهي

(١٦٥/٢ - ١٧١) بنحوه .

بجدة ثم نقلت على العجل من جدة إلى مكة ، ووضعوا أيديهم فهدموا الدور ، وبنوا المسجد منحدرًا حتى دخل دار أم هانئ بنت أبي طالب وكان عندها بئر جاهلية كان قصي حفرها فدخلت تلك البئر في المسجد ، فحفر المهدي عوضًا عنها البئر التي على باب البقالين التي في حدّ ركن المسجد الحرام اليوم - وتعرف هذه البئر اليوم ببئر حزورة^(١) - ثم مضوا في بنائه بأساطين الرخام وسقفه بالساج المذهب المنقوش حتى توفي المهدي سنة تسع وستين ومائة ، وقد انتهى إلى آخر منتهى أساطين الرخام من أسفل المسجد ، فاستخلف موسى أمير المؤمنين فبادروا اليوم^(٢) بإتمام المسجد وأسرعوا في ذلك ، وبنوا أساطينه بحجارة ثم طليت بالحص و عمل سقفه عملاً دون عمل المهدي في الإحكام والحسن ، فهذا جميع ما عمر في المسجد الحرام وأحدث فيه إلى اليوم^(٣).

[فصل]

ذكر ذرع المسجد الحرام

قال الأزرقى : ذرع المسجد الحرام مكسراً مائة ألف ذراع ، وعشرون ألف ذراع ، وذرع المسجد طولاً من باب بنى جمح إلى باب بنى هاشم الذى عنده / [٧٥/] العلم الأخضر مقابل دار العباس بن عبد المطلب أربعمئة ذراع وأربعة أذرع ، وعرضه من باب دار الندوة إلى الجدر الذى يلي الوادى عند باب الصفا ثلاثمئة ذراع وأربعمئة ذراع^(٤). انتهى كلامه .

قال عز الدين بن جماعة : ومساحة المسجد الحرام ستة أفدنة ونصف وربع ، والفدان عشرة آلاف ذراع بذراع العمل المستعمل فى البناء . عصر وهو ثلاثة أشبار تقريباً .

[فصل]

ذكر عدد أساطين المسجد الحرام التى بالرواقات غير الزياتين وغير الأساطين التى بصحن المسجد فى المسجد الحرام الآن غير الزياتين وغير أساطين المطاف الشريف

أربعمئة إسطوانة وتسعة وستون إسطوانة فى جوانبه الأربعة ، وعلى أبواب المسجد من داخله وخارجه سبعة وعشرون إسطوانة ، فيصير الجميع أربعمئة إسطوانة وستة

(١) ليست هذه الجملة من كلام الأزرقى ، بل هى من كلام المصنف - رحمه الله - .

(٢) كذا فى الأصل ، والصواب «القوام» كما عند الأزرقى . والله أعلم .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٧٨/٢ - ٨١) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٧١/٢ - ١٧٥) وذكر عقبه عمارة أبى أحمد الموفق بالله فى المسجد الحرام وتفسيره .

(٤) تاريخ مكة (٨١/٢ ، ٨٢) ، والصواب «وأربعة أذرع» كما ذكره الأزرقى . والله أعلم .

وتسعين إسطوانة - بتقديم التاء على السين - وما ذكرناه يزيد على ما ذكره الأزرقى^(١) في أساطين المسجد الحرام بعشرة أساطين ، وكل هذه الأساطين رخام ما عدا مائة إسطوانة وتسعة وعشرين إسطوانة فإنها حجارة منحوتة غالبيتها ، ومنها ثلاثة أساطين آجر بمحصر ، وتقدم ذكر عدد الأساطين التي بصحن المسجد الحرام ، وأما عدد أساطين زيادة دار الندوة فستة وستون إسطوانة في جوانبها الأربعة وكلها حجارة منحوتة ، وأما عدد أساطين زيادة باب إبراهيم فسبعة وعشرون إسطوانة حجارة منحوتة أيضاً ، وأما عدد طاقات المسجد الحرام وهي العقود التي على الأساطين بجوانبها الأربعة غير الزيادتين فأربعمائة طاق وأربعة وثمانون طاقاً ، وهذا يخالف ما ذكره الأزرقى^(٢) في عدد طاقات المسجد الحرام ، وكلامه يقتضى أنها تزيد على ما ذكرناه أربعة عشر طاقاً ، وأما عدد طاقات زيادة دار الندوة فثمانية وستون طاقاً ، وأما عدد طاقات / [٧٥/ب] زيادة باب إبراهيم فستة وثلاثون طاقاً ، وأما عدد شرافات المسجد التي تلى بطن المسجد فهي أربعمائة وثلاثة عشر شرافة ، وأما عدد قناديل المسجد الحرام الآن المرتبة فيه غالباً فثلاثة وتسعون قنديلاً - بتقديم التاء على السين - ويزاد في القناديل في شهر رمضان خصوصاً في العشر الآخر منه وفي الموسم ، وعدد قناديل المسجد الحرام الآن وسلسله تنقص كثيراً عما ذكره الأزرقى^(٣) في قناديل المسجد ؛ لأنه ذكر أن فيه من القناديل أربعمائة قنديل وخمسة وستين قنديلاً . انتهى .

[فصل]

ذكر عدد أبواب المسجد وأسمائها وصفتها

عدد أبوابه اليوم تسعة عشر باباً - بتقديم التاء على السين - تفتح على ثمانية وثلاثين طاقاً - الأول : باب بنى شيبة ويقال له : باب السلام . وهو باب بنى عبد شمس ابن عبد مناف وبهم كان يعرف في الجاهلية والإسلام عند أهل مكة فيه ثلاث طاقات . قال الأزرقى : وهو الذى يدخل منه الخلفاء ، قال : وفي عتبة هذا الباب حجارة طوال مفروش بها العتبة . قال : سألت جدى عنها فقلت : أبلغك أن هذه الحجارة الطوال كانت أوثاناً في الجاهلية تعبد ؟ فضحك . وقال : لا ، لعمرى ما كانت بأوثان ما يقول هذا

(١) في تاريخ مكة (٨٢/٢) ، وكذلك في أخبار مكة للفاكهى (١٨١/٢) ففيهما أن عددها أربعمائة وأربع وثمانون إسطوانة ، فتكون الزيادة اثنا عشر إسطوانة .

(٢) في تاريخ مكة (٨٤/٢) ، وكذا أخبار مكة للفاكهى (١٨٥/٢) والذى ذكره أن عددها أربعمائة طاقة وثمان وتسعون طاقة .

(٣) تاريخ مكة (٩٨/٢) .

إلا من لا علم له ، إنما هي حجارة كانت فضلت مما قلع القسرى لبركته التي يقال لها بركة
البردى بفم الثقبه ، وأصل ثبير كانت حول البركة مطروحة حتى نقلت حين بنى المهدي
المسجد فوضعت حيث رأيت^(١) . انتهى .

الثاني : باب النبي ﷺ ويعرف اليوم باب الجنائز ، وإنما قيل له باب النبي ﷺ ؛
لأنه ﷺ كان يخرج منه إلى بيت خديجة - رضى الله عنها - وفيه طاقان^(٢) .

الثالث : باب العباس بن عبد المطلب وعنده علم المسعى من خارج ، وفيه ثلاث
طاقات^(٣) ، وسماه صاحب النهاية وابن / [٧٦/أ] الحاج فى منسكه باب الجنائز ، ولعله
كانت الجنائز يصلى عليها فيه ، ويؤيد ذلك ما ذكر الفاكهى أنه يصلى على الجنائز فى
باب بنى شيبه وباب العباس وباب الصفا قال : وكان الناس فيما مضى يصلون على الرجل
المذكور فى المسجد الحرام^(٤) . انتهى . وأراد بالمذكور المشهور المعروف . وأما فى زماننا
هذا فيصلى على الموتى جميعهم داخل المسجد الحرام ، وبعض علماء الحنفية جاور بمكة
المشرفة وأوصى أن يصلى عليه عند باب الجنائز خارج المسجد فصلى عليه فيه ، والمشهور
من الناس اليوم يصلى عليه عند باب الكعبة الشريفة ، ويحكى أنهم كانوا يصلون عند باب
الكعبة على الأشراف وقريش ، ورأيناهم فى زماننا يصلون عند باب الكعبة على غيرهم من
الأعيان ، وبعض الناس نازع فى ذلك وزعم أنه لا يصلى عند باب الكعبة على غير
الأشراف وقريش وأنه لا يخرج غيرهم ، وإن كان من العلماء والأعيان من باب بنى شيبه ،
وهذا شىء لم يرد به أثر . ولو قيل : بأولوية إخراج الميت من باب الجنائز لكان له وجه ؛
لكونه باب النبي ﷺ وطريقه إلى باب زوجته خديجة - رضى الله عنها - وأما ما يفعله
الأشراف فى زماننا هذا من الطواف بالميت حول الكعبة الشريفة إسبوعاً فبدعة شنيعة
قبيحة ، لم ينقل عن السلف الصالح فعلها ، ويجب على ولي الأمر - وفقه الله تعالى -
إزالتها ؛ لأنه يكره إدخال الميت المسجد والصلاة عليه فيه ، بل يصلى عليه خارجه ، فضلاً
عن الطواف به ، وأما الصلاة على الموتى عند باب الكعبة فكلام الفاكهى يقتضى أن آدم
- عليه الصلاة والسلام - صلى عليه عند باب الكعبة . انتهى . ومن لا يصلى عليه اليوم
عند باب الكعبة يصلى عليه خلف مقام إبراهيم عند مقام الشافعى ، والفقراء الطرحى
يصلى عليهم عند باب الخزوة داخل المسجد الحرام / [٧٦/ب] أمام الرواق تجاه الركن

(١) تاريخ مكة (٧٧/٢ ، ٧٨) .

تاريخ مكة للأزرقى (٨٧/٢ ، ٨٨) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٨٩/٢) .

ريخ مكة للأزرقى (٨٨/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٨٩/٢) .

ريخ مكة للأزرقى (٩٧/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (٢٠٢/٢) .

اليمناني ، والظاهر أن ذلك لكونه بقرب الموضع الذي يغسلون فيه وكونه أقرب إلى موضع دفنهم . والله أعلم .

الرابع : باب عليّ وفيه ثلاث طاقات^(١) . وهذه الأبواب الأربعة في الشق الذي يلي المسعى وهو الشرقي .

الخامس : باب بنى عائذة . ويقال له اليوم : باب بازان وفيه طاقان^(٢) .

السادس : باب بنى سفيان بن عبد الأسد^(٣) . ويقال له اليوم : باب البغلة وفيه طاقان ، وسماه صاحب النهاية باب الحناطين .

السابع : باب الصفا . قال الأزرقى : وكان يقال له باب بنى عدى بن كعب ، كانت دور بنى عدى ما بين الصفا إلى المسجد فتحولت بنو عدى إلى دور بنى سهم وباعوا رباعهم ومنازلهم هناك . ويقال له اليوم : باب بنى مخزوم^(٤) . انتهى . وفيه خمس طاقات . الثامن : باب أجياد الصغير ، وفيه طاقان^(٥) .

التاسع : باب المجاهدية ، وفيه طاقان . ويقال له : باب الرحمة وهو من أبواب بنى مخزوم ، وكذا باب أجياد الصغير كما ذكره الأزرقى عنهما^(٦) .

العاشر : باب مدرسة الشريف عجلان بن رميثة ، وفيه طاقان . ويقال له : باب بنى تميم^(٧) . وسماه صاحب النهاية : باب العلافين .

الحادى عشر : باب أم هانئ بنت أبي طالب ، وفيه طاقان . وهذا الباب مما يلي دور بنى عبد شمس وبنى مخزوم^(٨) . ويقال لهذا الباب : باب الملاعة . ويقال له : باب

(١) تاريخ مكة للأزرقى (٨٨/٢) وسماه باب بنى هاشم ، وأخبار مكة للفاكهى (١٨٩/٢ ، ١٩٠) ولم يذكر اسمه ، وهو الباب الخامس عندهما ، ولم يذكر المصنف بأياً فى نفس هذه الجهة كان يسمى «باب دار القوارير» وهو الباب الثانى عند الأزرقى والفاكهى . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (٨٨/٢ ، ٨٩) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٠/٢) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٨٩/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٠/٢) وسماه «باب أبى سفيان بن عبد الأسد» .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (٨٩/٢ ، ٩٠) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٠/٢ ، ١٩١) .

(٥) تاريخ مكة للأزرقى (٩٠/٢) وقال هذا الباب من أبواب بنى مخزوم ، ولم يسميه بأجياد الصغير ، وكذلك فعل الفاكهى (١٩٣/٢) من أخبار مكة له .

(٦) تاريخ مكة (٩٠/٢) ، وكذلك الفاكهى فى أخبار مكة (١٩٣/٢ ، ١٩٤) .

(٧) تاريخ مكة للأزرقى (٩٠/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٤/٢) .

(٨) تاريخ مكة للأزرقى (٩١/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٤/٢) .

الفرج على ما وجد بخط الأقفشهرى^(١). وسماه صاحب النهاية^(٢) : باب أبى جهل . وهذه الأبواب السبعة فى الشق الذى يلى الوادى وهو الجانب اليمانى .

الثانى عشر : باب الخزورة وهو الذى تلى المنارة التى تلى أحياد الكبير ، وعامة مكة يسمونه باب عزورة بالعين ، وإنما هو بالحاء المهملة ، وفيه طاقان . قال الأزرقى : وهو يقال له : باب حكيم بن حزام وبنى الزبير بن العوام ، والغالب عليه باب الخزامية ؛ لأنه يلى خط الخزامى^(٣).

الثالث عشر : باب إبراهيم ، وفيه طاقان واحد / [٧٧/أ] كبير . وذكر أبو عبيد البكرى أن إبراهيم المنسوب إليه هذا الباب هو خياط كان عنده على ما قيل^(٤). ونسبه سعد الدين الإسفرائينى فى كتاب «زبدة الأعمال» فقال : إبراهيم الأصبهاني . وبعضهم نسبه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام^(٥). ولا وجه لخصوصيته دون الأبواب بالنسبة إليه . والله أعلم . قال الأزرقى : ويقال له : باب الخياطين^(٦).

الرابع عشر : باب بنى سهم^(٧) ويعرف اليوم بباب العمرة ، وفيه طاق واحد . وهذه الأبواب الثلاثة فى الجانب الغربى مما يلى خلف الكعبة .

الخامس عشر : باب السدة . وقال صاحب النهاية : باب سدة الرهوط . انتهى . ويقال له : باب عمرو بن العاص^(٨) ، وفيه طاقان واحد صغير .

السادس عشر : باب دار العجلة ، وفيه طاق واحد صغير^(٩).

السابع عشر : باب دار الندوة ، وفيه طاق واحد^(١٠).

الثامن عشر : باب زيادة دار الندوة . قال الأزرقى : وهو باب دار شيبة بن عثمان

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٢١٨ ، ٢١٩) .

(٢) لعل المصنف يقصد «ابن الأثير» صاحب الكامل فى التاريخ ، وهو أخو صاحب النهاية . والله أعلم .

(٣) تاريخ مكة (٩١/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٤/٢ ، ١٩٥) .

(٤) فى كتاب «المسالك والممالك» كما نقله الفاسى عنه وقال : إن العوام نسبوه إليه . راجع الجامع اللطيف (ص ٢١٨) .

(٥) وقع للحافظ أبى القاسم ابن عساكر وابن جبير وغيرهما من العلماء ، راجع الجامع اللطيف (ص ٢١٨) قال وهو بعيد لا وجه له . والله أعلم .

(٦) تاريخ مكة (٩٢/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٥/٢) .

(٧) تاريخ مكة للأزرقى (٩٣/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٦/٢) .

(٨) تاريخ مكة للأزرقى (٩٣/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٦/٢ ، ١٩٧) .

(٩) الأزرقى (٩٣/٢) ، والفاكهى (١٩٧/٢) .

(١٠) المصدرين السابقين .

يسلك منه إلى السوقية ، وفيه طاقان^(١).

التاسع عشر : باب الدرية ، وفيه طاق واحد صغير^(٢). وهذه الأبواب الخمسة فى الجانب الشامى مما يلى الخطيم فهذه جملة أبواب الحرم الآن ، وأسماؤها وصفاتها .

[فصل]

ذكر منارات المسجد الحرام وما وضع فيه لمصلحة المسجد الحرام الآن

خمس منائر منها أربعة فى أركانه ، وواحدة فى زيادة دار الندوة . وقال ابن حبير : إنه كان للمسجد الحرام سبع منائر عد منها هذه الخمس ، ثم قال : وأخرى على باب الصفا وهى أصغرها وهى علم لباب الصفا وليس يصعد إليها لضيقها ، قال : وعلى باب إبراهيم صومعة . انتهى . وهذه الصومعة باقية إلى الآن لكن أعلاها منهدم ، وعمر أبو جعفر المنصور من منائر المسجد الحرام منارة باب العمرة^(٣) ، وعمر ابنه المهدي المنارة التى على باب بنى شيبه والتى على باب على^(٤) ، وعمر الوزير الجواد^(٥) منارة باب العمرة فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، ويذكر أنه [٧٧/ب] عمر منائر المسجد الحرام ، وعمرت منارة الخزوة فى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر بعد سقوطها فى سنة إحدى وسبعين ، وفرغ من عمارتها فى الحرم سنة اثنين وسبعين وسبعمائة . وعمرت منارة باب بنى شيبه فى دولة الملك الناصر فرج صاحب مصر بعد سقوطها فى سنة تسع وثمانمائة^(٦) وعمرت فى سنة عشر وفى التى بعدها ، وجاءت عمارتها حسنة البناء . وذكر الفاكهى^(٧) منائر المسجد الحرام الأربع التى بأركانه الأربع وبدأ فى ذكرها بمنارة باب بنى سهم ، قال : وفيها يؤذن صاحب الوقت بمكة ، وثنى بمنارة باب الخزوة قال : وفيها يسحر المؤذن فى شهر رمضان ، وثلاث بمنارة باب على^(٨) ، وختم بمنارة بنى شيبه . انتهى . وهى الآن منارة صاحب الوقت خلّافاً لما ذكره الفاكهى^(٨) ،

(١) تاريخ مكة للأزرقى (٩٤/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٧/٢) .

(٢) الجامع اللطيف (ص ٢١٧) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٢٠٥) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) هو جمال الدين محمد بن على الأصفهاني ، وزير صاحب الموصل . راجع الجامع اللطيف

(ص ٢٠٥) .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٢٠٥) .

(٧) أخبار مكة (٢٠٢/٢ - ٢٠٣) ، وراجع الأزرقى (٩٧/٢ ، ٩٨) .

(٨) فى أخبار مكة (٢٠٣/٢) أن المنارة التى تلى باب بنى سهم ، هى التى يؤذن بها صاحب الوقت

ومراده بصاحب الوقت : رئيس المؤذنين ، وما ذكره المصنف هو ما ذكره الفاسى فى شفاء الغرام .

وفى جميع منائر المسجد الحرام الخمس يسحر المؤذنون فى شهر رمضان الآن ، وكلام الفاكهى كما قدمناه يقتضى أن المؤذن كان يسحر فى منارة باب الحزورة فقط ، وذكر أيضًا أنه كان يؤذن على منارة كبيرة عمرت فى رؤوس جبال مكة وظاهرها ، منها فى أبى قبيس أربع منارات ، ومنها فى الجبل الأحمر المقابل له منارتان ، ومنها فى العلق منارة . وقد ذكر الفاكهى^(١) بأوضح من هذا . وفى أبى قبيس وغيره من الجبال التى ذكرناها يسحر بعض الناس فى شهر رمضان ويؤذن ، ومما وضع فى المسجد الحرام وبُنِى فيه لمصلحته قبة كبيرة بين زمزم وسقاية العباس عليه السلام وعمرت فى زمن الناصر العباسى وكانت موجودة من قبل كما ذكره ابن عبد ربه فى العقد .

[فصل]

ومن ذلك المنابر التى يخطب عليها

وأول من خطب على منبر بمكة معاوية بن أبى سفيان - رحمه الله - قدم به من الشام سنة حج فى خلافته ، وهو منبر صغير على ثلاث درجات ، وكانت الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون يوم الجمعة على أرجلهم قيامًا فى وجه الكعبة وفى الحجر ، وكان ذلك المنبر الذى [٧٨/أ] جاء به معاوية ربما خرب فيعمر ولا يزداد فيه ، ولم يزل يخطب عليه حتى حج هارون الرشيد فى خلافته ، وموسى بن عيسى عامل له على مصر فأهدى له منبرًا عظيمًا فى تسع درجات منقوشًا فكان منبر مكة ، ثم أخذ منبر مكة القديم فجعل بعرفة حتى أراد الواثق بالله الحج فكتب ، فعمل له ثلاثة منابر : منبر بمكة ، ومنبر بمنى ، ومنبر بعرفة . هذا ما ذكره الأزرقى^(٢) من خبر المنابر . وذكر الفاكهى ذلك^(٣) وزاد : أن المنتصر بن المتوكل العباسى لما حج فى خلافة أبيه جعل له منبر عظيم ، فخطب عليه بمكة ، ثم خرج وخلفه بها^(٤) . انتهى . ثم جعل بعد ذلك عدة منابر للمسجد الحرام ؛ منها : منبر عمله وزير المقتدر العباسى وكان منبرًا عظيمًا استقام بألف دينار ولما وصل إلى مكة أحرق ؛ لأنه كان بعث به ليخطب عليه للخليفة المقتدى فمنع من ذلك المصريون ، وخطبوا للمنتصر العبيدى صاحب مصر وأحرقوا المنبر المذكور ، ومنها : منبر عمل فى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر فى سنة ست وستين وسبعمائة ، ومنها منبر بعث به الملك الظاهر برقوق صاحب مصر فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة وهو باق يخطب عليه الخطباء

(١) راجع أخبار مكة (٨٧/٢ ، ٨٨) .

(٢) تاريخ مكة (٩٩/٢ ، ١٠٠) عن عبد الرحمن بن حسن عن أبيه .

(٣) أخبار مكة (٥٨/٣ - ٦٢) .

(٤) المصدر السابق (٦٢/٣) .

إلى الآن ، وأصلح بعد وصوله إلى مكة غير مرة .

[فصل]

ومن ذلك المقامات^(١) التي هي الآن بالمسجد الحرام .

أما صفتها فإنها غير مقام الحنفى إسطوانتان من حجارة ، عليها عقد يشرف من أعلاه ، وفيه خشبة معترضة فيها خطاطيف للقناديل ، وما بين الإسطوانتين من مقام الشافعى لا بناء فيه ، وما بينهما من مقام المالكى والحنبلى مبنى بحجارة مبيضة بالنورة ، وفى وسط هذا البناء محراب ، وكان عمل هذه المقامات على هذه الصفة فى سنة سبع وثمانمائة لتبقى زماناً طويلاً . وأما صفة مقام الحنفى الآن : فأربع أساطين من حجارة منحوتة عليها سقف مدهون مزخرف بالذهب واللازورد ، / [٧٨ ب] وأعلى السقف مما يلي السماء مدكوك بالآجر مطلى بالنورة ، وبين الإسطوانتين المتقدمتين بناء فيه محراب مرخم ، وكان ابتداء عمله على هذه الصفة فى شوال أو فى ذى القعدة من سنة إحدى وثمانمائة ، وفرغ منه فى أوائل سنة اثنين وثمانمائة . وكان بعض الناس أنكر عمله على هذه الصفة ، وأفتى بهدمه جماعة ممن عاصروه^(٢) من علماء مصر ، وأفتى بعض علماء الحنفية بجواز بنائه وإبقائه على حاله وعدم تغييره ؛ لأن ذلك من باب التمكين لإقامة الصلاة وفيه مصلحة عظيمة لأهل المسجد ، وهى دفع الحر والبرد والمطر ، وإذا كان هذا سبيله فإنه يجوز إحداثه فى المسجد ، يؤيد ذلك ما ذكره قاضى خان فى الديات فى فضل ما يُحدث فى المسجد أن كل مسلم مندوب إلى عمارة المسجد ، وإلى ما كان من باب التمكين لإقامة الصلاة . انتهى .

قال الشيخ عز الدين بن فهد فى حاشيته على تاريخ الفاسى : رأيت بخط والدى ما صورته : أفتى جماعة من الحنفية من أهل العلم بجواز بنائه ؛ لما فيه من النفع لعامة المسلمين من الاستظلال من الشمس والاستكفاف من البرد ودفع المطر ، وأن حكمه كالأروقة والأساطين الكائنة بالمسجد الحرام ، وقد أخرج سقف مقام الحنفية الأمير سُودون المحمدي فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، وعمره أتقن مما كان ووضع عليه من أعلاه قبة من خشب زوج مبيضة بالحص ليس لها أثر من داخل سقف المقام ، وزاده فرشاً بحجارة حمراء رخوة تعرف بحجارة الماء ، ولم يكن هذا الفرش فيه ولا فى غيره من المقامات فيما تقدم ، وهذا

(١) ذكر هذه المقامات ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف (ص ٢٠٩) .

(٢) منهم الشيخ العلامة زين الدين الفارسكوى الشافعى ، وألف فيه تأليفاً حسناً ، والشيخ سراج الدين البلقينى ، وولده الإمام العلامة قاضى القضاة بالديار المصرية شيخ الإسلام جلال الدين وكان إذا ذكره متولياً ، وباقى القضاة ، وأفتوا بهدم هذا المقام وتعزيز من أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة . ذكره الفاسى ، ونقله عنه فى الجامع اللطيف (ص ٢٠٩) فراجع .

الفرش مستعل عن الأرض وله إزار مرتخ عليه من الحجارة الصلبة السود المنحوتة ، تدور على المقام من الجوانب الثلاثة فإن الجانب القبلى فيه جدر المحراب ، ثم فى سنة ثمان وخمسين وثمانمائة كشط ناظر المسجد الحرام الأمير طوعان دهان سقف المقام المذكور / [٧٩/أ] وزخرفه أحسن من زخرفته الأولى^(١) . انتهى .

قال الشيخ المذكور : والذى أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة قاضى مكة الشهاب ابن الضياء هكذا أخبرنى والذى رحمه الله .

وأما مواضعها من المسجد الحرام : فإن مقام الشافعى خلف مقام إبراهيم - عليه السلام - والحنفى بين الركن الشامى والغربى مما يلى الحطيم ، والمالكي بين الركن الغربى واليمانى ، والحنبل ي تجاه الحجر الأسود^(٢) .

وأما كيفية الصلاة بهذه المقامات فإنهم يصلون مرتين^(٣) الشافعى ثم الحنفى ثم المالكي ثم الحنبلى^(٤) . وكلام ابن جبير يقتضى أن المالكي كان يصلى قبل الحنفى ، ثم تقدم عليه الحنفى من بعد سنة تسعين وسبعمائة ، واضطرب كلام ابن جبير فى الحنفى والحنبل ؛ لأنه ذكر ما يقتضى أن كلاهما يصلى قبل الآخر^(٥) . وهذا كله فى غير صلاة المغرب . أما فيها فإنهم يصلونها جميعاً فى وقت واحد ثم بطل ذلك فى موسم سنة إحدى عشرة وثمانمائة بأمر الملك الناصر^(٦) ، وصار الشافعى يصلى بالناس المغرب وحده ، واستمر ذلك إلى أن ورد أمر الملك المؤيد أبى النصر شيخ صاحب مصر بأن يصلى الأئمة الثلاثة المغرب ، كما كانوا يصلون قبل ذلك ففعلوا ذلك ، وأول وقت فعل فيه ذلك ليلة السادس من ذى الحجة سنة «ست عشرة»^(٧) وثمانمائة ، وكذلك تجتمع الأئمة الثلاثة غير الشافعى على صلاة العشاء فى شهر رمضان فى وقت واحد ، ويجتمع أيضاً الأئمة الأربعة المذكورون وغيرهم من الأئمة الصغار والكبار بالمسجد الحرام فى صلاة التراويح فى حاشية المطاف وغيرها من المسجد ، وتعلو أصوات الأئمة والمكبرين خلفهم فيتشوش بذلك الطائفون والمصلون ،

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٢٠٩ ، ٢١٠) وقد أرخ ما حصل بعد ذلك حتى سنة تسعة وأربعين وتسعمائة .

(٢) الجامع اللطيف (ص ٢١٤ ، ٢١٥) .

(٣) كذا فى الأصل ، والصواب «مرتين» كما فى الجامع اللطيف . والله أعلم .

(٤) الجامع اللطيف (ص ٢١٣) .

(٥) ذكره الفاسى ، وراجع الجامع اللطيف (ص ٢١٤) .

(٦) هو الملك الناصر فرج بن برقوق الجركسى صاحب مصر . كما فى الجامع اللطيف (ص ٢١٤) . والله أعلم .

(٧) فى الجامع اللطيف «عشر» والله أعلم .

فيحصل للمصلين خلفهم لبس كبير بسبب التباس أصوات المبلغين واختلاف حركات المصلين ، ومع ذلك يكثر اللغط واللغو وأحاديث الدنيا من المستمعين غير المصلين ، / [٧٩/ب] ويجتمعون بذلك أمام كل إمام حلقاً وحلقاً وأفواجاً مستدبرين القبلة متوجهين إلى الإمام ، ويختلط الرجال بالنساء متزينات متعطرات فيزداد التشويش على الطائفتين ، وقل من يحصل له حضور في طواف أو غيره مع اجتماع مثل ذلك الجمع العظيم ، ويعظم ذلك في العشر الآخر من رمضان ليالي الختم فيجتمع فيها الجم العظيم من الرجال والنساء والصبيان ، ويهرع إليها الأعراب وأهل البوادي والأودية من قرى شتى خصوصاً ليلة الخامس والعشرين والسابع والعشرين من رمضان ، وبعد الفراغ من الختم يصعد صغير على منبر والجم الغفير تحته ، ويخطب ويعظهم بصوت عال ، بحيث يبلغ الطائفتين ويشوش عليهن ويجلس في الخطبة جلسات ، ويقرأ القراء الجالسون تحته عقيب كل جلسة عشرًا من القرآن بأصوات عالية وألحان متنوعة ، ويحصل في تلك الليالي الفتن بين الرجال والنساء ، وكل هذه بدع شنيعة ومنكرات قبيحة - وفق الله ولي الأمر لإزالتها ، وأثاب المتسبب في إطفاء رسومها^(١).

وفي صلاة التراويح خلف الصبيان اختلاف ، قال مشايخ العراق وبعض مشايخ بلخ: لا تجوز . وقال غيرهم : تجوز^(٢) . وعن نصر بن يحيى أنه سئل عنها قال : تجوز إذا كان ابن عشر سنين . وقال السرخسي : الصحيح أنها لا تجوز ؛ لأنه غير مخاطب وصلاته ليست بصحيحة على الحقيقة ، فلا تجوز إمامته كإمامة المجنون ، أما إذا أم الصبي الصبيان فإنه يجوز ؛ لأن صلاة الإمام مثل صلاة المقتدى . وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ﴾^(٣) . قال العلماء : يستحب أن ينور البيت الذي يقرأ فيه القرآن بتعليق القناديل ونصب الشموع ويزاد في شهر رمضان في أنوار المساجد^(٤) . انتهى .

وأما حكم صلاة الأئمة الثلاثة الحنفى والمالكي والحنبلي في المكتوبات / [٨٠/أ] على الصفة التي ذكرناها : فاجتمع أصحابنا على أن المسجد إذا صلى فيه جماعة بعد جماعة بغير أذان ثان فإنه يباح كذا ذكره شارح الجمع ؛ لأنه قال : قال أصحابنا : المسجد إذا

(١) وقد استجاب الله تعالى دعوة المصنف ، وأحمدت هذه البدع والمنكرات القبيحة . والله الحمد والمنة .

(٢) راجع المبسوط (١٤٩/٢) .

(٣) سورة النور : الآية (٣٦) .

(٤) (٢٧٥/١٢) .

كان له إمام معلوم وجماعة معلومون في محلة خاصة ، فصلى فيه أهله جماعة لا يباح تكرار الجماعة فيه بأذان ثان وإقامة ثانية . وقال الشافعي : مباح ذلك . قال : والتقيد بالمسجد المختص بالمحلة احتراز من الشارع ، والأذان الثاني احتراز عما إذا صلى في مسجد المحلة جماعة بغير أذان ثان حيث يباح إجماعاً . انتهى . وعن أبي سعيد أن رجلاً دخل المسجد وقد صلى رسول الله ﷺ بأصحابه فقال رسول الله ﷺ : «من يتصدق على هذا فيصلى معه ؟» فقام رجل من القوم فصلى معه^(١) . رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه . قال الترمذي : وهو قول غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم من التابعين ، وقالوا : لا بأس أن يصلى القوم جماعة في مسجد قد صلى فيه جماعة وبه يقول أحمد وإسحاق^(٢) . وأما وقت حدوثهم فلم يعرف تحقيقه وقد ذكر أن الحنفى والمالكي كانا موجودين في عام «سبعة»^(٣) وتسعين وأربعمائة ، وأما الحنبلى فلم يكن موجوداً فيها ، وقد ذكر أن الحنبلى كان موجوداً في عشر الأربعين وخمسمائة^(٤) . ولما حج مرجان خادم المقتفى العباسى قلع الخطيم الذى للحنابلة بمكة وأبطل إمامتهم بها على ما ذكر سبط ابن الجوزى في «المرآة» وذكر أنه كان يقول : قصدى أن أقنع مذهب الحنابلة .

[فصل]

ذكر درج الصفا والمروة

قال الأزرقى : كانت الصفا والمروة [^(٥)] يستند فيهما من سعى بينهما ، ولم يكن بينهما بناء ولا درج حتى كان عبد الصمد بن على في خلافة أبى جعفر المنصور فبنى درجهما / [٨٠/ب] التى هى اليوم درجهما ، فكان أول من أحدث بناءهما ثم كحل بعد ذلك بالنورة في خلافة المأمون^(٦) .

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/٣ ، ٤٥ ، ٦٤) ، وأبو داود : كتاب الصلاة - باب [فى] الجمع فى المسجد مرتين - ح (٥٤٧) ، والترمذي : أبواب الصلاة - باب ما جاء فى الجماعة فى مسجد قد صلى فيه مرة - ح (٢٢٠) .

(٢) سنن الترمذي (٤٢٩/١ ، ٤٣٠) .

(٣) كذا فى الأصل ، والصواب «سبع» . والله أعلم . وراجع الجامع اللطيف (ص ٢١٤) .

(٤) الجامع اللطيف (ص ٢١٤) .

(٥) كلمة غير واضحة فى الأصل ، والسياق يتم بدونها ، كما فى أخبار مكة للأزرقى . والله أعلم .

(٦) أخبار مكة (١٢٠/٢) عن جد الأزرقى وهو أحمد بن محمد .

[فصل]

ذكر آيات البيت الحرام زاده الله تشريفًا وتعظيمًا

تقدم في باب الفضائل ذكر أشياء من آيات الكعبة الشريفة بمجملته ونذكر جملة الآيات هنا مفصلة . فنقول : من آياتها : الحجر الأسود وما روى فيه «أنه من الجنة» ، وما أشربت قلوب العالم من تعظيمه قبل الإسلام . ومنها : بقاء بنائها الموجود الآن ولا يبقى هذه المدة غيرها من البنيان على ما يذكره المهندسون ، وإنما بقاؤها آية من آيات الله تعالى - وهذا معلوم ضرورة ؛ لأن الرياح والأمطار إذا تواترت على مكان حرب ، والكعبة المعظمة ما زالت الرياح العاصفة والأمطار العظيمة تتوالى عليها منذ بنيت إلى تاريخه وذلك سبعمائة سنة وتسعة وأربعون سنة ، ولم يحدث فيها بحمد الله تعالى تغير في بنائها ولا خلل ، وغاية ما حدث فيها انكسار فلقة من الركن اليماني وتحرك البيت مرارًا وذلك في سنة اثنين وتسعين وخمسمائة ، كما ذكره أبو شامة في «الذيل» وذكر ابن الأثير^(١) والمؤيد صاحب حمّاه في أخبار سنة خمس عشرة وخمسمائة : أن الركن اليماني تضعضع فيها . وذكر صاحب «المرآة» أن في سنة سبع عشرة وأربعمائة شعب البيت الحرام . وذكر أبو عبيد البكري : أن في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة انكسرت من الركن اليماني فلقة قدر إصبع . ولا تزال الكعبة الشريفة باقية إلى أن يأتي أمر الله وقضاؤه بتخريب الحبشى لها في آخر الزمان . ومنها : على ما قاله الجاحظ : إنه لا يرى البيت الحرام أحد ممن لم يكن رآه إلا ضحك أو بكى^(٢) . ومنها : وقع هيبته في القلوب . ومنها : كف الجابرة عنها مدى الدهر . ومنها : إذعان نفوس العرب وغيرهم قاطبة لتوقير هذه البقعة دون ناه ولا زاجر^(٣) ذكره ابن عطية . ومنها : كونها بواد غير ذى زرع ، والأرزاق / [٨١ /] من كل قطر تجيء إليها عن قرب وعن بعد . ومنها : الأمانة الثابتة فيها على قديم الدهر ، وأن العرب كانت يغير بعضها على بعض ويتخطف الناس بالقتل وأخذ الأموال وأنواع الظلم إلا في الحرم ، وابتنى على هذا أمن الحيوان فيه وسلامة الشجر ، وذلك كله للبركة التي خصها الله بها وللدعوة من الخليل - عليه السلام - في قوله : ﴿ اجعل هذا بلدًا آمنًا ﴾^(٤) . والعرب تقول : آمن من حمام مكة . تضرب المثل بها في الأمن ؛ لأنها لا تهاج

(١) الكامل (٣٠٤ / ٨) .

(٢) الجامع اللطيف (ص ٥١) .

(٣) الجامع اللطيف (ص ٥٠) .

(٤) سورة البقرة : الآية (١٢٦) .

ولا تضاد^(١). وحكى النقاش عن بعض العباد قال : كنت أطوف حول الكعبة ليلاً فقلت : يا رب إنك قلت : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾^(٢). فمما ذا هو آمن يا رب ؟ فسمعت ملكاً يكلمنى وهو يقول : من النار . فنظرت وتأملت فما كان فى المكان أحد^(٣). ومنها : حجر المقام وذلك أنه قام عليه إبراهيم - عليه السلام - وقت رفعه القواعد من البيت لما طال البناء ، فكلما علا الجدار ارتفع الحجر به فى الهواء ، فما زال يبنى وهو قائم عليه وإسماعيل يناوله الحجارة والطين حتى أكمل الجدار ، ثم إن الله تعالى لما أراد [إبقاء]^(٤) ذلك آية للعالمين لين الحجر ففرقت فيه قدما إبراهيم - عليه السلام - كأنها فى طين ، فذلك الأثر العظيم باق فى الحجر إلى اليوم ، وقد نقلت كافة العرب ذلك فى الجاهلية على مرور الأعصار كذا^(٥) قاله ابن عطية . وقال أبو طالب : وموطئ إبراهيم فى الصخر ، «وطئه» على قدميه حافياً غير ناعل . وما حُفِظ أن أحداً من الناس نازع فى هذا القول . وقال الزمخشري فى قوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٦) : إن فى مقام إبراهيم آيات كثيرة وهى أثر قدميه الشريفة فى الصخرة الصماء وإبداؤه دون سائر آيات الأنبياء - عليهم السلام - وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين أُلوف سنة^(٧). انتهى .

ومنها : أن الفرقة من الطير من [٨١/ب] الحمام وغيره يقبل حتى إذا كادت أن تبلغ الكعبة انفرت فرقتين ، فلم يعمل ظهرها شئ منها . ذكره الجاحظ^(٨) وأبو عبيد البكرى . وذكر مكى أن الطير لا يعلوه وإن علاه طير فإنما ذلك لمرض به فهو يستشفى بالبيت^(٩). انتهى . وأنشد فى ذلك :

والطير لا يعلو على أركانها . . إلا إذا أضحى بها متأماً^(١٠)

وقال ابن عطية : وهذا عندى ضعيف ، والطير يعاين أنها تعلوه ، وقد علاه العقاب

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٠ ، ٥١) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (٩٧) .

(٣) الجامع اللطيف (ص ٥١) .

(٤) طمس بالأصل ، ولعلها هكذا . والله أعلم .

(٥) راجع أخبار مكة للأزرقي (٣٠/٢) ، وتفسير ابن كثير (١٧٠/١) .

(٦) سورة آل عمران : الآية (٩٧) .

(٧) الكشف (٢٠٤/١) .

(٨) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٨) .

(٩) المصدر السابق ، ونقله عن جمع من العلماء منهم العز بن جماعة .

(١٠) المصدر السابق .

الذى أخذ الحية المشرفة على جداره وتلك كانت من آياته^(١). انتهى .

قال الثوريشتى فى «شرح المصاييح» : ولقد شاهدت من كرامة البيت المبارك أيام مجاورتى بمكة أن الطير كان لا يمر فوقه ، وكنت كثيراً أتدبر تخليق الطير فى ذلك الجو ، فأجدها مجتنبه عن محاذة البيت ، وربما انقضت من الجو حتى تدانت فطافت به مراراً ثم ارتفعت ، ثم قال : ومن آيات الله البينة فى كرامة البيت أن حمامات الحرم إذا نهضت للطيران طافت حوله مراراً من غير أن تعلوه ، فإذا وقفت عن الطيران وقعت على شرفات المسجد أو على بعض الأسطحة التى حول المسجد ، ولا تقع على ظهر البيت مع خلوها عما ينفرها ، وقد كنا نرى الحمامة إذا مرضت وتساقط ريشها وتنثر ترتفع من الأرض حتى إذا دنت من ظهر البيت ألقت بنفسها على الميزاب أو على طرف ركن من الأركان [فتبقى به]^(٢) زماناً طويلاً [حائمة]^(٣) كهيفة المتخشع لا حراك فيها ثم تنصرف منها بعد حين من غير أن تعلو شيئاً من سقف البيت^(٤). قال [بعض حجاجه]^(٥) : قد تدبرتها كرة بعد أخرى فلم [تختلف فيه كما]^(٥) قال سواه :

[كانت]^(٦) الطير [ممنوعة]^(٦) عن استعلاء البيت بالطبع ، فلا غرو أن يكون الإنسان ممنوعاً عنه بالشرع كرامة للبيت . انتهى كلامه .

ومنها : أن مفتاح الكعبة إذا وضع فى فم الصغير الذى / [٨٢/أ] ثقل لسانه عن الكلام يتكلم سريعاً بقدرة الله تعالى ذكر ذلك الفاكهى^(٧) ، وذكر أن المكيين يفعلونه . انتهى . وهو يفعل فى عصرنا هذا . ومنها : أنه لا يجىء سيل من الجبل فيدخل الحرم ، وإنما يخرج من الحرم إلى الحل ، وإذا انتهى سيل الحل إلى الحرم وقف ولم يدخل فيه ، ولا يدخل الحرم إلا سيل الحرم . وقال الأزرقى : ولا يسيل واد من الحل فى الحرم إلا من موضع واحد عند التنعيم عند بيوت غفار^(٨).

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٨ ، ٥٩) ، وفى هذا القول طمس بالأصل ، وقد أصلحناه من الجامع اللطيف وكذلك تفسير ابن عطية (١٦٧/٣) . والله الحمد .

(٢) غير واضحة فى الأصل ، وهى هكذا فى الجامع اللطيف . والله أعلم .

(٣) لعلها هكذا فى الأصل ، وليست فى الجامع اللطيف ، والسياق يتم بدونها . والله أعلم ..

(٤) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٩ ، ٦٠) ، وقد كان فى الأصل طمس كثير فأنمناه منه . والله الحمد .

(٥) غير واضحة فى الأصل لكثرة السواد ، ولعلها هكذا . والله أعلم .

(٦) طمس فى الأصل ، ولعلها هكذا . والله أعلم .

(٧) راجع الجامع اللطيف (ص ٤٩) . ونقل عنه قوله : إن ذلك مجرب .

(٨) تاريخ مكة (١٣٠/٢) ، وفى الأصل طمس ببعض الكلمات ، وأصلحناه من الأزرقى .

ومن آيات البيت والحرم : ائتلاف الطباء والسباع فيه حتى أن الطبقى يجتمع مع الكلب فى الحرم فإذا خرجا منه تنافرا . ويتبع الجارح للصيد فى الحل فإذا دخل الحرم تركه ذكره القرطبي وغيره^(١). وقد تقدم فى الفضائل أن الحيتان الكبار لم تأكل الصغار زمن الطوفان فى الحرم [تعظيماً له]^(٢). ومنها : فيما ذكر الناس قديماً وحديثاً أن المطر إذا كان ناحية الركن اليماني كان الخصب باليمن ، وإذا كان ناحية الركن الشامي كان الخصب بالشام ، وإذا هبط المطر من جوانبه الأربع فى العام الواحد أخصبت آفاق الأرض، وإن لم يصب جانباً منه لم يخصب ذلك الأفق الذى يليه فى ذلك العام ذكر ذلك القرطبي^(٣) وابن عطية وغيرهما . ومنها : [تعجيل الانتقام]^(٤) لمن عتى فيه . من ذلك قصة الرجل الذى كان فى الطواف فبرز له ساعد امرأة ، فوضع ساعده على ساعدها متلذذاً به فلصق ساعدهما^(٥) ، وقصة إساف لما فجر بنائلة فى البيت فمسحها حجرجين^(٦) . وقصة المرأة التى جاءت إلى البيت تعوذ به من ظالم فمد يده إليها فصار أشل^(٧) . وقصة الرجل الذى سالت عينه على خده من نظره إلى شخص فى الطواف استحسنته^(٨) . وقد تقدم كل ذلك فى الرقائق، ومن أعظم ذلك أمر تبع^(٩) . وما جرى لأصحاب الفيل ورمى طير الله عنه بحجارة السجيل^(١٠)، وذلك أمر لم يختلف كافة^(١١) العرب فى نقله وصحته إلى أن أنزله الله فى كتابه . / [٨٢/ب] ومنها : أن الكعبة تفتح بحضرة الجم الغفير من الناس ، فيدخلها الجميع متراحمين فيسعونهم بقدرة الله تعالى ، ولم يعلم أن أحداً مات فيها من الزحام إلا سنة إحدى

(١) راجع تفسير القرطبي (١٣٩/٤) ، وفى الأصل طمس ببعض الكلمات .

(٢) طمس بالأصل ، ولعله هكذا . والله أعلم ، وراجع أخبار مكة للأزرقي (١٣٢/٢) عن أبى نجيح .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٦٠) ، وتفسير القرطبي (١٣٩/٤) .

(٤) فى الأصل طمس ، وأصلحناه من الجامع اللطيف (ص ٥٧) والله الحمد .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٧) ، وبقية القصة : فقال له بعض الصالحين : ارجع إلى المكان الذى فعلت فيه فعاهد رب البيت أن لا تعود بإخلاص وصدق نية ، ففعل فعلى عنه ، وانفصل ساعده .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٧) وقد تقدمت قصتهما .

(٧) المصدر السابق .

(٨) راجع الجامع اللطيف (ص ٥١ - ٥٣) وقد تقدمت قصته .

(٩) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٥ - ٥٧) وقد تقدمت قصته .

(١٠) كافة : لا تستعمل مضافة ولا بالالف واللام . راجع تهذيب الأسماء واللغات (١١٦/٣ ، ١١٧) والقاموس المحيط (١٠٩٨) ، وعن بعضهم أنه قليل . والله أعلم .

وثمانين وخمسمائة مات فيها أربعة وثلاثون نفرًا^(١). قال ابن النقاش : والكعبة تسع ألف إنسان وإذا انفتح الباب في أيام الموسم دخلها آلاف كثيرة^(٢). انتهى . فعلى هذا الكعبة تتسع كما ورد أن منى تتسع كاتساع الرحم^(٣) وهى إحدى آياتها المتقدمة فى باب الفضائل . والثانية : إحقاق حصى الجمار على كثرة الرمى وطول الزمان . والثالثة : امتناع تخطى الطير الدور المشرفة بمنى على الجدران وغيرها وهى محروسة بحراسة القادر المقتدر . والرابعة : امتناع وقوع الذباب على الطعام فى أيام منى «على كل الزبل»^(٤) ونحوه مما يجمع الذباب فيحوم عليه فى «السماء»^(٥) ولا يقع فيه وقد تقدم ذلك كله فى الفضائل . ومنها : أن الماء لم يعلها زمن الطوفان ولكنه أقام حولها . ومنها : طواف سفينة نوح بالبيت أربعين يومًا كما ذكر ابن الجوزى^(٦) ، أو طاف بالبيت أسبوعًا كما ذكر القرطبي . وذكر الثعلبي فى «العرائس» : أنها طافت بالحرم أسبوعًا^(٧) كما تقدم ذلك فى الفضائل .

ومنها : أن جبال مكة متماثلة برؤوسها كالسجود للكعبة يرى هذا من يسير قاله ابن النقاش . قال : وفوقها جبال من ذهب وفضة وكنوز وجواهر وربما يكشف عن بعضها . ومنها : على ما قال ابن النقاش أيضًا : إن الكعبة تزداد فى طولها فى أوقات الصلوات ونصف الليل وليالى الأعياد ، ويوم عرفة يعطى الناس نور ، قال : ويخيل للواحد إذا كان فوقها كأنه فوق العالم كله وأنه قريب من السماء ، قال : وتحت القواعد بمجرة من النور كشف عنها مرة فسطح النور فى الحرم ، قال : وتحت الحرم مخوف ، قال : والطيب بمكة أطيب منه فى سائر الآفاق ، وظلال مكة أطيب من سائر الظلال ، والبركات فيها أعم وأشيع [٨٣/١] وتجيء إليها ثمرات كل شىء ، قال : والبدر ليلة أربعة عشر

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٧ ، ٥٨) وفيه أنهم كانوا : أربع وثمانون نفرًا . فإله أعلم .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٨) .

(٣) نقلها فى الجامع اللطيف (ص ٥٨) عن جده ، وفى أخبار مكة للأزرقي (١٧٩/٢) عن ابن عباس وفى الطبرانى الصغير والأوسط عن أبى الدرداء مرفوعًا نحوه ، قال الهيثمى فى المجمع (٢٦٥/٣) : وفيه من لم أعرفه .

(٤) فى الأصل طمس ، ولعله ما أثبتناه . والله أعلم .

(٥) فى مثير الغرام (ص ٣٠٩) عن ابن عباس ، وكذا الأزرقي (٥٢/١) .

(٦) العرائس (ص ٥٦) ، وقال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية - تعقيبًا على القول بأن السفينة طافت به أربعين يومًا أو نحو ذلك - : ولكن كل هذه الأخبار عن بنى إسرائيل ، وقد قررنا أنها لا تصدق ولا تكذب ، فلا يحتج بها ، فأما إن ردها الحق فهى مردودة . اهـ . وقد ذكر قبل ذلك أنه لم يجرى فى غير صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام .

ليس فيه سواد أحسن ما يكون وفيه كتابة بياض ، والشمس يوم عرفة من جدد النظر إليها رأى لها نوراً آخر وفيها كتابة بيضاء . انتهى كلامه .

ويذكر أن الشمس مكتوب فيها ولا يظلمون وفي القمر فتيلاً ، أما ما هو مكتوب في القمر فمشاهد محسوس لمن تأمله . ومنها على ما ذكره ابن عطية : زمزم في نبعها لهاجر بهمز جبريل - عليه السلام - بعقبه^(١) ، وفي حفر عبد المطلب لها آخرًا بعدد ثورها بتلك الرؤيا المشهورة وما نبع من الماء تحت خف ناقلته في سفره إلى منافرة قريش ومخاصمتها في أمر زمزم ، كما ذكره ابن إسحاق مستوعبًا وقدمناه^(٢) .

ومنها : على ما ذكره ابن عطية أيضًا : نفع ماء زمزم لما شرب له ، وأنه يعظم ماؤها في الموسم ويكثر كثرة خارقة لعادة الآبار . ومن الآيات ما روى : أن الحجاج بن يوسف نصب المنجنيق على جبل أبي قبيس بالحجارة والنيران فاشتعلت أستار الكعبة بالنار فجاءت سحابة من نحو جدة يسمع فيها الرعد ويرى البرق ، فمظرت فجاوز مطرها الكعبة والمطاف ، فأطفأت النار وأرسل الله عليهم صاعقة فأحرقت منجنيقهم فتداركوه^(٣) . قال عكرمة : وأحسب أنها أحرقت تحته أربعة رجال . فقال الحجاج : لا يهولنكم هذا فإنها أرض صواعق . فأرسل الله صاعقة أخرى فأحرقت المنجنيق وأحرقت معه أربعين رجلاً وذلك في سنة ثلاث وسبعين في أيام عبد الملك بن مروان^(٤) . وفي هذه السنة المذكورة دام القتال أشهر إلى أن قتل عبد الله بن الزبير بن العوام أمير المؤمنين في جمادى الأولى وطيف برأسه في مصر وغيرها وقتل معه جماعة ، وتوفيت أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين أم ابن الزبير بعد مصابه بيسير ، وفيها استوثق الأمر لعبد الملك بن مروان ، وولى الحجاج أمر الحجاز فنقض بعض الكعبة وأعادها إلى بنائها في زمن [٨٣/ب] النبي ﷺ وكانت قد تشعبت من المنجنيق ، وأصيب الحجر الأسود وأصلحوه ورفعوه ، وتوفي الحجاج بن يوسف الثقفي الطائفي في ليلة مباركة على الأمة ليلة سبع وعشرين من رمضان وله خمس وخمسون أو دونها ، وكان شجاعاً مقداماً مهيباً ذا هيبة ، فصيحاً بليغاً ، سفاكاً للدماء ، ولى الحجاز والعراق عشرين سنة . وفي «جامع الأصول» قال هشام ابن حسان : أحصى من قتل الحجاج صبراً فوجد مائة ألف وعشرين ألفاً . أخرجه

(١) راجع أخبار مكة للأزرقي (٢/ ٥٠) وفيه أنها هزمت جبريل بعقبه . قال أبو الوليد : والهزمة : الغمزة بالعقب في الأرض ، وقال : زمزم شقت من الهزمة . اهـ .

(٢) تقدم ، وراجع أخبار مكة للأزرقي (٢/ ٤٢ - ٤٩) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٠) .

(٤) المصدر السابق .

الترمذى^(١).

ومنها : ما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن أبا طالب قال فى الجاهلية لقرشى قتل هاشمياً خطأ وأنكر قتله : اختر منا إحدى ثلاث ؛ إن شئت أن تؤدى مائة من الإبل ، وإن شئت حلف خمسون من قومك أنك لم تقتله ، فإن أبيت قتلناك به . قال : فأتاه قومه فذكر لهم ذلك فقالوا : نلحف . فأتته امرأة من بنى هاشم كانت تحت رجل منهم قد ولدت له فقالت : يا أبا طالب أحب أن تخير ابنى هذا ولا تصير يمينه ، حيث تصير الإيمان - يعنى الموضع الذى كانوا يحلفون فيه ، وهو حطيم الكعبة ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر ؛ لأن الناس كانوا يحطمون هناك بالإيمان ويستجاب فيه الدعاء على الظالم للمظلوم ، فقل من دعا هنالك على ظالم إلا أهلك ، وقل من حلف هنالك إثماً إلا عجلت له العقوبة . فكان ذلك يحجز الناس عن الظلم ويتهيب الناس الإيمان هناك ، فلم يزل ذلك كذلك حتى جاء الله بالإسلام فأخر الله ذلك ؛ لما أراد إلى يوم القيامة ففعل أبو طالب ذلك وأتاه رجل منهم فقال : يا أبا طالب هذان بعيران فاقبلهما عنى ، ولا تصير يمينى حيث تصير الإيمان فقبلهما وجاءه ثمانية وأربعون رجلاً فحلفوا . قال ابن عباس : فوالذى نفسى بيده ما حال الحول ومن الثمانية والأربعين عين تطرف . وقال ابن عباس : إن ذلك أول قسامة فى الجاهلية كانت^(٢) . ويقال : أول من بغى من قريش بمكة فأهلكهم البغى بنو الشيبان بن عدى / [٨٤/أ] بن قصى .

ويروى أن خمسين رجلاً من بنى عامر بن لؤى حلفوا فى الجاهلية عند البيت على قسامة وحلفوا على باطل ثم خرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق نزلوا تحت صخرة ، فبينما هم قائلون إذ أقبلت الصخرة عليهم فخرجوا من تحتها يشتدون ، فانفلقت خمسين فلقة فأدركت كل فلقة رجلاً فقتلته^(٣) . ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل رجلاً من بنى سليم عن ذهاب بصره فقال : يا أمير المؤمنين كنا بنى ضبعاء عشرة وكان لنا ابن عم فكنا نظلمه ونضطهده ، فكان يذكرنا بالله والرحم أن لا نظلمه ، وكنا أهل جاهلية نركب كل الأمور فلما رأنا ابن عمنا لا نكف عنه ولا نرد ظلامته أمهل حتى إذا دخلت الأشهر الحرم انتهى إلى الحرم ، فجعل يرفع يديه إلى الله سبحانه ويقول :
لاهم أدعوك دعاء جاهدا . . . اقتل بنى الضبعاء إلا واحدا

(١) فى سننه (٤٣٣/٤) .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٦٠) مختصراً .

(٣) المصدر السابق (ص ٦٠ ، ٦١) ، وأخبار مكة للأزرقي (٤٢/٢) .

ثم اضرب الرجل فارمه قاعدا . . . أعمى إذا ما قيد عنى القائد^(١)
فمات إخوة لى تسعة فى تسعة أشهر فى كل شهر واحد ، فبقيت أنا فعميت وليس
يلائمنى قائد ورمى الله فى رجلى . فقال عمر : سبحان الله إن هذا هو العجب^(٢) . وقال
ابن عباس : سمعت عمر يسأل ابن عمهم الذى دعا عليهم قال : دعوت عليهم ليالى رجب
الشهر كله بهذا الدعاء فأهلكوا فى تسعة أشهر وأصاب الباقى ما أصابه^(٣) .
وروى عن حويطب بن عبد العزى أنه قال : كان فى الجاهلية فى الكعبة حلق أمثال
لجُم البهم يُدخل الخائف يده فيها فلا يريُّه أحد ، فلما كان ذات يوم ذهب خائف ليدخل
يده فيها فاجتذبه رجلا فشلت يمينه فأدركه الإسلام وإنه لأشمل^(٤) . وعن عبد المطلب بن
ربيعه بن الحارث قال : عدا رجل من بنى كنانة من هذيل فى الجاهلية على ابن عم له
مظلمة واضطهده ، فناشده بالله وبالرحم فعظم عليه فأبى إلا ظلمه ، فقال : والله لألحقن
بحرم الله والشهر الحرام فلأدعون / [٨٤/ب] الله عليك ، فقال له بزعمه مستهزئاً به :
هذه ناقتى فلانة فأنا أقعدك على ظهرها فاذهب فاجتهد . قال : فأعطاه ناقتة وخرج حتى
جاء الحرم فى الشهر الحرام فقال : اللهم إني أدعوك دعاء جاهد مضطر على فلان ابن
عمى لزميه بداء لا دواء له . قال : ثم انصرف فوجد ابن عمه قد رمى فى بطنه فصار مثل
الزرق فما زال ينتفخ حتى انشق^(٥) . قال عبد المطلب : فحدثت هذا الحديث ابن عباس
- رضى الله عنهما - فقال : أنا رأيت رجلاً دعا على ابن عمه بالعمى فرأيتُه يقاد
أعمى^(٦) . وعن ابن عباس قال : دعا رجل على ابن عم له استاق ذوداً له فخرج فطلبه حتى
أصابه فى الحرم ، فقال : ذودى . فقال اللص : كذبت ليس الذود لك . فقيل له : لا
سبيل لك عليه . فقام رب الذود بين الركن والمقام باسطاً يديه يدعو على صاحبه ، فما
برح من مقامه يدعو عليه حتى ذك^(٧) ، فذهب عقله وجعل يصيح بمكة مالى وللذود مالى

(١) ذكر ابن ظهيرة هذا البيت هكذا :

ثم اضرب الرجل فذره قاعدا . . . أعمى إذا ما قيد يعيا القائد

وذكره الأزرقى كما هنا دون لفظة «فارمه» فعنده «فذره» مثل ابن ظهيرة . والله أعلم .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٦١) ، وأخبار مكة للأزرقى (٢٦/٢) .

(٣) أخبار مكة للأزرقى (٢٦/٢) .

(٤) راجع الجامع اللطيف (ص ٦١) ، وأخبار مكة للأزرقى (٢٤/٢) ولجم البهم من اللحام فى فم

الدابة . والله أعلم .

(٥) أخبار مكة للأزرقى (٢٥/٢) والزُّوق : رمى الطائر بذرقه ، وإطعامه فرخه . راجع القاموس المحيط .

(٦) المصدر السابق .

(٧) ذله : تخير واندesh ، وفى أخبار مكة للأزرقى (٢٧/٢) «وَلَه» أى : ذهب عقله وتخبر من شدة -

ولفلان رب الذود ، فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع ذوده ودفعها إلى المظلوم فخرج بها وبقي الآخر مدلهًا حتى وقع من جبل فتردى فأكلته السباع^(١).

وروى الواقدي عن أيوب بن موسى : أن امرأة كانت في الجاهلية معها ابن عم لها صغير فكانت تخرج فتكسب عليه ثم تأتي فتطعمه من كسبها ، فقالت له : يا بني إني أغيب عنك وإني أخاف أن يظلمك ظالم ، فإن جاءك ظالم بعدى فإن لله تعالى بمكة بيتًا لا يشبه شيئًا من البيوت ولا يقاربه مفسد وعليه ثياب ، فإن ظلمك ظالم يومًا فعذ به فإن له ربًا سيمنعك . قال : فجاء رجل فذهب به فاسترقه قال : وكان أهل الجاهلية يعمرون أنعامهم فأعمر سيده ظهره ، فلما رأى الغلام البيت عرف الصفة ، فنزل يشتد حتى تعلق بالبيت ، وجاء سيده فمد يده إليه فيبيست ، فاستفتى في الجاهلية فأفتى بأن ينحر عن كل واحدة من يديه بدنة ففعل فأطلقت له يده ، ونزل الغلام وخلى / [٨٥] سبيله^(٢).

وعن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب وذكر ما كان يعاقب به من حلف على ظلم فقال : إن الناس اليوم ليركبون ما هو أعظم من هذا ، ولا تعجل لهم العقوبة مثل ما كانت لأولئك فما ترون ذلك ، فقالوا : أنت أعلم يا أمير المؤمنين قال : إن الله - عز وجل - جعل في الجاهلية إذ لا دين حرمة حرمتها وعظمها وشرفها ، وعجل العقوبة لمن استحل شيئًا مما حرم لينتهوا عن الظلم مخافة تعجيل العقوبة ، فلما بعث الله تعالى محمدًا ﷺ توعدهم فيما انتهكوا مما حرم بالساعة فقال : ﴿ والساعة أدهى وأمر ﴾^(٣). فأحر العقاب إلى يوم القيامة^(٤).

وعن طاووس قال : كان أهل الجاهلية لا يصنعون في الحرم شيئًا إلا عجل لهم ثم قد كان من أمر قد رأيتم يوشك أن لا يصيب أحد منهم شيئًا إلا عجل له حتى لو عادت به أمه سوداء لم يعرض لها أحد .

ومن الآيات ما روى عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن «كرز»^(٥) : أنه قدم مع جدته أم عبد الله بن عامر معتمرة فدخلت عليها صفية بنت شيبه فأكرمتها وأجازتها ، فقالت صفية : ما أدري ما أكرم به هذه المرأة أما دنياهم فعظيمة ، فنظرت حصاة مما كان

= الوجد . والله أعلم .

(١) أخبار مكة للأزرقي (٢/٢٦ ، ٢٧) وفيه «متوهمًا» بدلًا من «مدلهًا» وراجع الهامش السابق ليتضح

المعنى . والله أعلم .

(٢) أخبار مكة للأزرقي (٢/٢٧) .

(٣) سورة القمر : الآية (٤٦) .

(٤) الجامع اللطيف (ص ٦١) .

(٥) كذا بالأصل ، ولعل الصواب «كريز» . والله أعلم .

ينقد من الركن الأسود حين أصابه الحريق فجعلتها لها فى حق ثم قال^(١) لها : انظرى هذه الحصاة فإنها حصاة من الركن الأسود فاغليها للمرضى ، فإنى أرجو أن يجعل الله سبحانه لهم فيها الشفاء فخرجت فى أصحابها ، فلما خرجت من الحرم ونزلت فى بعض المنازل صرع أصحابها فلم يبق منهم أحد إلا أخذته الحمى ، فقامت وصلت ودعت ربها عز وجل ثم التفتت إليهم ، وقالت : ويحكم انظروا ماذا خرجتم به من الحرم ؟ فماذا الذى أصابكم إلا بذنب ؟ قالوا : ما نعلم خرجنا من الحرم بشيء . قال : قالت لهم : أنا صاحبة الذنب انظروا أمثلكم حياة وحركة . قال : فقالوا : لا نعلم أحداً منا أمثل من عبد الأعلى . قالت : فشدوا / [٨٥/ب] له رحله . ففعلوا ثم دعتهم فقالت : خذ هذه الحصاة التى فى هذا الحق ، فاذهب بها إلى أختى صفية بنت شيبه فقل لها : إن الله تبارك وتعالى وضع فى حرمة وأمنه أمراً لم يكن لأحد أن يخرج من حيث وضعه ، فخرجنا بهذه الحصاة فأصابتنا فيها بلية عظيمة فصرع أصحابنا كلهم ، فإياك أن تخرجيها من حرم الله عز وجل . قال عبد الأعلى : فما هو إلا أن دخلت الحرم فجعلنا نبعث رجلاً رجلاً . ومنها : أن الكعبة منذ خلقها الله تعالى ما خلعت من الطائف يطوف بها من جن أو إنس أو ملك أو طائر كما تقدم فى الفضائل ، وتقدم فيه قضية الحية التى رثيت طائفة بالبيت ، وكذلك الجمل طاف به يوم قتل ابن الزبير .

وعن أبى الطفيل قال : كانت امرأة من الجن فى الجاهلية تسكن ذا طوى ، وكان لها ابن ولم يكن لها ولد غيره وكانت تحبه حباً شديداً ، وكان شريفاً فى قومه ، فتزوج وأتى زوجته فلما كان يوم سابعه قال لأمه : إني أحب أن أطوف بالكعبة سبعا نهاراً . قالت له : أى بنى إني أخاف عليك سفهاء قريش . فقال : أرجو السلامة . فأذنت له فولى فى صورة جان ، فلما أدبر جعلت تعوده وتقول : أعينه بالكعبة المستورة ، ودعوات ابن أبى مخذرة ، وما تلا محمد من سورة ، إني إلى حياته فقيرة ، وإني بعيشه مسرورة . فمضى الجان نحو الطواف فطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين ثم أقبل منقلباً حتى إذا كان ببعض دور بنى سهم ، عرض له شاب من بنى سهم أحمر أزرق أحول أعسر فقتله ، فثارت بمكة غيرة حتى لم تر الجبال ، قال أبو الطفيل : وبلغنا أنه إنما تشور تلك الغيرة عند موت عظيم من الجان قال : فأصبح من بنى سهم موتى كثيرة من قتلى الجن فكان فيهم سبعون شيخاً أصلع سوى «الشاب»^(٢) . قال : فنهضت بنو سهم / [٨٦/أ] وحلفاؤها ومواليها وعبيدهم فركبوا الجبال والشعاب بالثنية ، فما تركوا حية ولا عقرباً ولا

(١) كذا بالأصل ، ولعل الصواب « قالت » . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقي «الشباب» . والله أعلم .

شيئاً يدب من الهوام على وجه الأرض إلا قتلوه ، فأقاموا على ذلك ثلاثاً فسمعوا في الليلة الثالثة على أبي قبيس هاتفاً يهتف بصوت جهورى يُسمع به من بين الجبلين : يا معشر قريش الله الله فإن لكم أحلاماً وعقولاً ، اعذرونا من بنى سهم فقد قتلوا منا أضعاف ما قتلنا منهم ، ادخلوا بيننا وبينهم بالصلح ، نعطيهم ويعطونا العهد والميثاق أن لا يعود بعضنا لبعض بسوء أبداً ، ففعلت قريش ذلك واستوثقوا للبعض من البعض فسميت بنو سهم «الغياطة»^(١) قتلة الجن^(٢) .

وعن محمد بن هشام السهمي قال : كنت بمال لي أحد به نخلاً وبين يدي جارية لي فارهة ، فصرعت قدامي فقلت لبعض خدمنا : هل رأيت هذا منها قبل هذا ؟ قالوا : لا . قال : فوقفت عليها فقلت : يا معشر الجن أنا رجل من بنى سهم ، وقد علمتم ما كان بيننا في الجاهلية من الحرب ، وما صرنا إليه من الصلح والعهد والميثاق أن لا يغدر بعضنا ببعض ، فإن وفيتم وفينا وإن غدركم غدركنا إلى ما تعرفون . قال : فأفاقت الجارية ورفعت رأسها فما عید إليها بمكره حتى ماتت^(٣) . ويروى أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان في جماعة جالسين بالمسجد الحرام بعدما ارتفع النهار وقلصت الأفياء ، وإذا هم ببريق أيم دخل من باب بنى شيبه فاشترأت أعينهم إليه ، فطاف بالبيت سبعاً وصلى ركعتين وراء المقام فقمنا إليه فقلنا : ألا أيها المعتمر قد قضى الله نسكك وإن بأرضنا عبيداً وسفهاء وإنا نخشى عليك منهم ، فكرم برأسه كومة بطحاء فوضع ذنبه عليها فسمما في السماء حتى غاب فما يُرى . قال أبو محمد الخزاعي : الأيم الحية الذكر^(٤) .

وقال الأزرقى : جاء طائر من ناحية أحياد الصغير لونه لون الحيرة بريشة حمراء وريشة / [٨٦/ب] سوداء ، دقيق الساقين طويلهما له عنق طويلة رقيق المنقار طويله ، كأنه من طير البحر يوم السبت يوم سبع وعشرين من ذى القعدة سنة ست وعشرين ومائتين حين طلعت الشمس ، والناس إذ ذاك في الطواف كثير من الحاج وغيرهم ، فوقع في المسجد الحرام قريباً من مصباح زمزم مقابل الركن الأسود ساعة طويلة ، ثم طار حتى صدم الكعبة في نحو صدرها بين الركن اليماني والأسود وهو إلى الركن الأسود أقرب ، ثم

(١) كذا في جميع أصول أخبار مكة للأزرقى كما قال محققه سوى (ح، هـ ، و) «الغياطة» بالعين المهملة . أخبار مكة (١٦/٢) ، وفي الجامع اللطيف (ص ٦٤) «الغياطة» . والله أعلم .

(٢) أخبار مكة للأزرقى (١٦، ١٥/٢) ، والجامع اللطيف (ص ٦٤، ٦٣) .

(٣) أخبار مكة للأزرقى (١٦/٢) .

(٤) أخبار مكة للأزرقى (١٧/٢) ، والجامع اللطيف (ص ٦٢) وقال صاحب النهاية (٨٦/١) الأيم والأين : الحية اللطيفة . والله أعلم .

وقع على منكب رجل محرم من الحاج من أهل خراسان فى الطواف عند الركن الأسود ، فطاف الرجل به أسابيع وعيناه تدمعان على خديه ، والطائر على منكبه الأيمن ، والناس يدنون منه وينظرون إليه وهو ساكن غير «متوحش»^(١) منهم ، ثم طار من قبل نفسه حتى وقع على يمين المقام ساعة طويلة وهو يمد عنقه ويقبضها إلى جناحه ، فأقبل فتى من الحجة فضرب بيده فيه فأخذه ؛ ليريه رجلاً منهم كان يركع خلف المقام فصاح الطير فى يده أشد الصياح وأوحشه لا يشبه صوته أصوات الطير ففزع منه ، فأرسله من يده فطار حتى وقع بين يدى دار الندوة ، ثم طار من قبل نفسه فخرج من باب المسجد الذى بين دار الندوة وبين دار العجلة نحو قعيقعان^(٢).

ويروى أنه أقبل طائران فى الجاهلية كأنهما نعمتان يسيران كل يوم ميلاً أو يزيدان حتى أتيا مكة فوقعا على الكعبة ، فكانت قریش تطعمهما وتسقيهما فإذا خف الطواف من الناس نزلا فدنيا^(٣) حول الكعبة حتى إذا اجتمع الناس طارا فوقعا على الكعبة فمكثا كذلك شهراً ونحوه ثم ذهبا^(٤).

ومن آيات الحجر الأسود : أنه أزيل عن مكانه غير مرة ثم رده الله إليه ، ووقع ذلك من جرهم وإياد والعماليق وخزاعة والقرامطة كذا ذكر عز الدين بن جماعة ، ولم أر ما ذكره عن العماليق ، وآخر من أزاله عن موضعه / [٨٧/أ] أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطى يوم التروية سنة سبع عشرة وثلاثمائة^(٥) لما سذكروه بعده .

واعلم أن ابتداء خروج القرامطة كان سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وكان أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطى رئيسهم فدخل البصرة فى الليل فى ألف وسبعمائة فارس ، نصبوا السلايليم على السور ونزلوا فوضعوا السيف فى البلد وأحرقوا الجامع ، وهرب خلق إلى الماء فغرقوا وسبوا الحريم ، والله المستعان^(٦).

(١) فى أخبار مكة للأزرقي «مستوحش» ، وفى الجامع اللطيف (ص ٦٣) كما هنا . والمعنى قريب . والله أعلم .

(٢) أخبار مكة للأزرقي (١٨، ١٧/٢) ، والجامع اللطيف (ص ٦٢، ٦٣) .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى الجامع اللطيف «فدغا» ومعناه كما ذكره ابن ظهيرة (ص ٦٢) : فسارا ، يدفون إليك دفيغ السور ، قال فى الصحاح : الدفيغ : الدبيب وهو السير اللين . اهـ . والله أعلم .

(٤) الجامع اللطيف (ص ٦٢) .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٨، ٣٧) .

(٦) العبر (١٤٧/٢) ، والكامل (١٧٥/٦) .

وفى سنة اثنتى عشرة فى الحرم عارض ركب العراقى ومعه ألف فارس وألف راجل فوضعوا السيف ، واستباحوا الحجيج وساقوا الجمال بالأموال والحريم ، وهلك الناس جوعاً وعطشاً، ونجا من نجا بأسوأ حال ، ووقع النوح والبكاء ببغداد وغيرها ، وامتنع الناس من الصلوات فى المساجد ^(١) ، وفى سنة ثلاث عشرة سار الركب العراقى ومعهم ألف فارس فاعتزضهم القرمطى وناوشهم القتال فردوا الناس ، ولم يحجوا ونزل القرمطى على الكوفة فقاتلوه فغلب على البلد فنهبه ^(٢) ، وفى سنة أربع عشرة لم يحج أحد من العراق خوفاً من القرامطة ونزح أهل مكة عنها خوفاً منهم ^(٣) . وفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة حج بالناس منصور الديلمى ودخلوا مكة سالمين ، فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطى فقتل الحجاج قتلاً ذريعاً فى المسجد وفى فجاج مكة ، وقتل أمير مكة ابن محارب ، وقلع باب الكعبة ، واقتلع الحجر الأسود وأخذه إلى هجر ، وكان معه تسعمائة نفس فقتلوا فى المسجد ألفاً وسبعمائة ، وصعد على باب البيت وصاح :

أنا بالله وبالله أنا . . . يخلق الخلق وأنيهم أنا

وقيل : إن الذى قُتل بفجاج مكة وظاهرها زهاء ثلاثين ألفاً وسبى من النساء والصبيان نحو ذلك ، وأقام بمكة ستة أيام ولم يحج أحد .

وقال محمد الأصبهانى / [٨٧/ب] : دخل قرمطى وهو سكران فصفر لفرسه فبال عند البيت ، وقتل جماعة ، وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسر منه ، ثم قلعه وبقي الحجر الأسود بهجر نيفاً وعشرين سنة ^(٤) ، ودُفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا هكذا ذكر الذهبى فى «العير» . وذكر غيره : أنه لما دخل مكة فى هذه السنة سفك الدماء حتى سال بها الوادى ، ثم رمى بعض القتلى فى زمزم وملأها منهم ، وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فتردى على رأسه ومات ، ثم انصرف ومعه الحجر الأسود وعلقه على الإسطوانة السابعة من جامع الكوفة ، يعتقد أن الحج ينتقل إليها ، واشتراه منه المطيع لله أبو القاسم . وقيل : أبو العباس الفضل بن المقتدر بثلاثين ألف دينار ، وأعيد إلى مكانه سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وبقي عندهم اثنين وعشرين سنة إلا شهراً ^(٥) . هكذا ذكر عز الدين بن جماعة

(١) العير (١٥١، ١٥٠/٢) ، والكامل (١٧٧/٦) ، وإتحاف الورى (٣٧٠/٢) .

(٢) العير (١٥٥، ١٥٤/٢) ، وإتحاف الورى (٣٧١/٢) .

(٣) العير (١٥٨/٢) ، وذكرها ابن فهد فى إتحاف الورى (٣٧١/٢) فى أخبار سنة ثلاث عشرة وثلثمائة . والله أعلم .

(٤) العير (١٦٨، ١٦٧/٢) ، والبداية والنهاية (١٧٢، ١٧١/١١) ، وإتحاف الورى (٣٧٥، ٣٧٤/٢) .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٧، ٣٨) ، والبداية والنهاية (١٧٢/١١) .

أن المطيع اشتراه من أبى طاهر القرمطى وفيه نظر ؛ لأن أبا طاهر مات قبل خلافة المطيع فى سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة بهجر من جدري - هلكه فلا رحم الله منه مغرز إبرة - على ما ذكره ابن الأثير^(١) وغيره . ولما أخذه القرمطى هلك تحته أربعون رجلاً ولما [حمل]^(٢) أعيد إلى مكانه حمل على قعود أعجف فسمن تحته^(٣) . قال المسبحى : كانت مدة كينونة الحجر الأسود عند القرمطى وأصحابه اثنين وعشرين سنة إلا أربعة أيام^(٤) . وفى كتاب «السير» من شرح الطحاوى لأبى بكر الرازى : استحقاق القتل لا يزول عن القرامطة المتسمية بالباطنية - لعنهم الله - بزعمهم أنهم مقرون بكلمة التوحيد والنبوة ؛ لأنهم ينقضون ذلك للحال بقولهم : إن للشرعية باطناً مراداً غير ما نقلته الأمة ، وكذلك أشباههم من معايير الملحددين^(٥) . انتهى . قال الذهبى فى «العبر» فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة : تقدم بعض الباطنية من البصريين فضرب الحجر الأسود بدبوس فقتلوه فى الحال . قال محمد / [١/٨٨] بن على بن عبد الرحمن العلوى : قام فضرب الحجر ثلاث ضربات . قال : إلى متى يعبد الحجر ؟ ولا محمد ولا على فيمنعنى محمد مما أفعله ، فإنى اليوم أهدم هذا البيت . فالتفأ أكثر الحاضرين وكاد أن يفلت ، وكان أحمر أشقر جسيماً طويلاً ، وكان على باب المسجد عشرة فوارس ينصرونه فاحتسب رجل ووجهه بخنجر ، ثم تكاثروا عليه فهلك وأحرق ، وقتل جماعة ممن اتهم بمعاونته واختبط الوفد ، ومال الناس على ركب البصريين بالنهب ، وتخشى وجه الحجر وتساقط منه شظايا يسيرة وتشقق ، وظهر مكسره أسمر يضرب إلى صفرة محبباً مثل الخشخاش ، فأقام الحجر على ذلك يومين ثم إن بنى شبيبة جمعوا الفقات وعجنوه بالمسك واللك وحشوا الشقوق وطلوها بطلاء من ذلك فهو بين لمن تأمله^(٦) . وذكر ابن الأثير : أن هذه الحادثة كانت فى سنة أربع عشرة وأربعمائة^(٧) . وذكر المسبحى : أن نافع بن محمد الخزاعى دخل الكعبة فيمن دخلها للنظر إلى الحجر الأسود لما كان فى الكعبة بعد رد القرامطة له ، وأنه تأمل الحجر الأسود فإذا

(١) راجع الكامل (٢٩٩/٦) .

(٢) كأنها مضروب عليها فى الأصل ، وليست فى الجامع اللطيف (ص ٣٨) والسياق يتم بدونها . والله أعلم .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٨) وقعود أعجف أى : هزيل . والله أعلم .

(٤) راجع البداية والنهاية (١٧٢/١١) .

(٥) ذكر الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (١٧٣/١١) هذا الكلام بمعناه .

(٦) راجع العبر (١١٠/٣) ، وكذلك البداية والنهاية (١٥/١٢) ، وإخفاف الورى

(٢/٤٤٨-٤٥٠) واللك : دهان للخشب . والله أعلم .

(٧) راجع الكامل (٣١٥، ٣١٤/٧) .

السواد فى رأسه ، دون سائره وسائره أبيض ، قال : وكان مقدار طوله فيما حررت مقدار عظم الذراع ، أو كالذراع المقبوضة الأصابع ، والسواد فى وجهه غير ماض فى سائره جميعه . انتهى . وما ذكره العلوى فى صفة نوى الحجر يخالف هذا . وقيل فى طوله أكثر مما ذكره الخزاعى .

ومن آياته : حفظ الله له من الضياع منذ أهبط إلى الأرض مع ما وقع من الأمور المقتضية لذهابه كالطوفان^(١) ، ودفن بنى إيلاد ، وكما وقع من جرهم وغيرهم كما قدمناه . ومنها : أنه لما حمل إلى هجر هلك تحته أربعون جملًا ، فلما أعيد حمل على قعود أعجم فسمن كما قدمناه . وقيل : هلك تحته ثلاثمائة بعير . وقيل : خمسمائة . ومنها : أنه يطفو على الماء إذا وضع فيه ولا يرسخ . ومنها : أنه لا يسخن من النار ، ذكر هاتين [٨٨/ب] الآيتين ابن أبى الدم فى «الفرق الإسلامية» فيما حكاه عنه ابن شاكر الكتبى المورخ ، ونقل ذلك عن بعض المحدثين ورفعاه إلى النبى ﷺ وهذه صفة المسجد الحرام والكعبة المشرفة - زادها الله تعالى شرفًا وتعظيمًا . / [٨٩/أ]

فصل^(٢)

فى ذكر الأماكن المباركة بمكة المشرفة وحرمتها وقربه التى يستحب زيارتها

والصلاة والدعاء فيها رجاء بركاتها

وهذه الأماكن مساجد ودور وجبال ومقابر . والمساجد أكثر من غيرها إلا أن بعض المساجد اشتهر باسم المولد ، وبعضها باسم الدار ، وسنذكر كلاً منها على حدة ، أما ما اشتهر باسم المسجد فمن ذلك : مسجد بقرب الجزيرة الكبيرة من أعلاها على يمين الهابط إلى مكة ويسار الصاعد منها يقال : إن النبى ﷺ صلى فيه المغرب على ما هو مكتوب فى حجرين بهذا المسجد^(٣) ؛ أحدهما بخط عبد الرحمن بن أبى حرمى وفيه : أنه عمر فى رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وفى الآخر : أنه عمر فى سنة سبع وأربعين وستمائة . وذكر الأزرقي فى المواضع التى يستحب فيها الصلاة بمكة منها : مسجد بأعلى مكة عند سوق الغنم عند قرن «مقلة»^(٤) قال : ويزعمون أن عنده بايع «النبى رسول الله» ﷺ الناس بمكة يوم الفتح^(٥) . انتهى . وزعم بعض أهل العصر أن هذا المسجد الذى ذكره الأزرقي هو الذى

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٤٧، ٤٨) .

(٢) كلمة «فصل» هنا من وضع المصنف - رحمه الله .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣١، ٣٣٢) .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقي «مسئلة» . والله أعلم .

(٥) أخبار مكة (٢/٢٠١) ، وقال ابن ظهيرة (ص ٣٣٨) : لا يعرف الآن . والله أعلم .

ذكرناه ، وإنما توهم هذا ؛ لأن المسجد الذى ذكرناه هو بلحف جبل وعنده الآن سوق الغنم . وقيل : ليس هذا التوهم صحيحاً ؛ لأن الجبل الذى عنده هذا المسجد هو المشرف على المروة ، ويسمى جبل الديلم كما ذكره الأزرقى^(١) ، وهو فى شق معلا مكة الشامى ، وأما قرن «مقلة»^(٢) الذى ذكره الأزرقى فقد ذكره فى شق معلا مكة اليمانى . والله أعلم . قال الأزرقى فى تعريف قرن «مقلة»^(٣) : هو قرن قد بقيت منه بقية بأعلى مكة قال : «ومقلة»^(٤) رجل كان يسكنه فى الجاهلية . وعن ابن جريج قال : لما كان يوم فتح مكة جلس رسول الله ﷺ على قرن «مقلة»^(٥) فجاءه الناس يباعونه بأعلى مكة عند سوق الغنم^(٦) . [٨٩/ب] ومن ذلك مسجد فوقه بأعلى مكة عند الردم عند بئر جبير بن مطعم يقال : إن النبى ﷺ صلى فيه^(٧) ، وهو يعرف اليوم بمسجد الراية^(٨) كما ذكره المحب الطبرى . قال الأزرقى : وقد بناه عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهم^(٩) - وعمره المعتصم بالله العباسى فى شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة ، وعمره فى زماننا الأمير قطبلك الحامى المنجلى عمارته التى هو عليها الآن فى أوائل سنة إحدى وثمانمائة . ومن ذلك مسجد بسوق الليل بقرب مولد النبى ﷺ يقال له : المختبى ، يزوره الناس كثيراً فى صبيحة اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول من كل سنة ، ولم أر أحداً تعرض لذكره ، ولا يعرف شيئاً من أخباره^(١٠) ومن ذلك مسجد بأسفل مكة ينسب لأبى بكر الصديق ، ويقال : إنه من داره التى هاجر منها إلى المدينة^(١١) .

ومن ذلك مساجد خارج مكة من أعلاها من ذلك مسجد بأعلى مكة يقال له :

-
- (١) أخبار مكة (٢٨٤/٢) وسماه جبل الديلمى . والله أعلم . قال : والديلمى مولد لمعاوية كان بنى فى ذلك الجبل داراً لمعاوية فسمى به ، والدار اليوم لخزينة بن حازم . ا هـ .
 - (٢) كذا فى الأصل وعند الأزرقى « مستقلة » . والله أعلم .
 - (٣) أخبار مكة (٢٧١، ٢٧٠/٢) .
 - (٤) أخبار مكة للأزرقى (٢٠٠/٢) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣١) .
 - (٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣١) .
 - (٦) إلى هنا انتهى كلام الأزرقى المنقول من أخبار مكة (٢٠٠/٢) .
 - (٧) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٢) ، وقوله : لم أر أحداً .. إلخ نقله ابن ظهيرة عن الفاسى ، ونقل عن الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن فهد - رحمه الله - أن هذا المحل معبد عثمان بن عفان ، وأن النبى ﷺ كان يختبئ فيه من الكفار . وعزاه إلى كتاب الكوكب المنير ، لنصر الله . ا هـ .
 - (٨) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٢) وقال : ويعرف الآن بدار الهجرة وهو بالقرب من بركة الماخن . ا هـ .

مسجد الجن . قال الأزرقى : وهو الذى يسميه أهل مكة مسجد الحرس - وعرفه الأزرقى بأنه مقابل للحجون بأعلى مكة وأنت مصعد على يمينك^(١) - وإنما سُمى مسجد الحرس ؛ لأن صاحب الحرس كان يطوف بمكة حتى إذا انتهى إليه وقف عنده ولم يجز حتى يتوافى عنده عرفاؤه وحرسه يأتونه من شعب عامر ، وإذا توافوا عنده رجع منحدرًا إلى مكة قال : وهو فيما يقال له : موضع الخط الذى خط رسول الله ﷺ لابن مسعود ليلة استمع عليه الجن ، قال : وهو يسمى مسجد البيعة . يقال : إن الجن بايعوا النبي ﷺ فى ذلك الموضع^(٢) . ومن ذلك مسجد يقال له : مسجد الشجرة بأعلى مكة مقابل مسجد الجن . يقال : إن النبي ﷺ دعا شجرة كانت فى موضعه - وهو فى مسجد الجن - يسألها عن شئ فأقبلت تخط بأصولها وعروقها / [٩٠/أ] الأرض حتى وقفت بين يديه ، فسألها عما يُريد ثم أمرها فرجعت حتى انتهت إلى موضعها^(٣) . ومن ذلك المسجد الذى يقال له : مسجد الإجابة على يسار الذهاب إلى منى فى شعب بقرب ثنية إذاخر ، وهو مسجد مشهور عند أهل مكة . يقال : إن النبي ﷺ صلى فيه^(٤) وهذا المسجد الآن منخرب جدًا وجدرانها ساقطة إلا القبلى ، وفيه حجر مكتوب فيه إنه مسجد الإجابة ، وإنه عمر فى سنة عشرين وسبعمائة . ومن ذلك المسجد الذى يقال له : مسجد البيعة . وهى البيعة التى بايع رسول الله ﷺ فيه الأنصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب على ما ذكره أهل السير وهذا المسجد بقرب العقبة التى هى حد منى من جهة مكة ، وهو وراء العقبة ييسر إلى مكة فى شعب على يسار الذهاب إلى منى^(٥) ، وفيه حجران مكتوب فى أحدهما إن المنصور العباسى أمر ببنيان هذا المسجد - مسجد البيعة - التى كانت أول بيعة بايع بها رسول الله ﷺ ، وفى الآخر ذكر أنه مسجد البيعة ، وأنه بنى فى سنة أربع وأربعين ومائة ، وعمره بعد ذلك المستنصر العباسى فى سنة تسع وعشرين وستمائة ، وهو الآن منخرب جدًا . ومن ذلك مسجد بمنى عند الدار المعروفة بدار النحر بين الجمرات الأولى والوسطى على يمين الصاعد إلى عرفة ، يقال : إن النبي ﷺ صلى فيه الضحى ونحر هديه على ما هو موجود فى حجر فيه مكتوب ذلك^(٦) ، وفيه أن الملك قطب الدين أبا بكر بن

(١) أخبار مكة (١٦٠/٢) عن أبى محمد الخزازى .

(٢) أخبار مكة (٢٠٠/٢ ، ٢٠١) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٢ ، ٣٣٣) .

(٣) أخبار مكة للأزرقى (٢٠١ / ٢) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٨) وقال : وقد دثر . اهـ .

(٤) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٣) وذكر أن تعريفه من الفارسى رحمه الله .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٣) وقد ذكره ابن ظهيرة ضمن المساجد التى فى منى وجهتها .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٣) وسماه مسجد النحر .

الملك المنصور صاحب اليمن أمر بعمارته فى ستة خمس وأربعين وستمائة. ومن ذلك المسجد الذى يقال له : مسجد الكبش. معنى على يسار الصاعد إلى عرفة «بلحف ثبير»^(١)، وهو مشهور. معنى ، والكبش الذى نسب هذا المسجد إليه هو الكبش الذى فُدى به إسماعيل أو إسحاق بن إبراهيم^(٢). وذكر الفاكهى خبراً عن على يقتضى أن هذا الكبش نحر بين / [٩٠/ب] الجنزرتين. معنى^(٣) ، ويؤيد هذا ما ذكره المحب الطبرى عن ابن عباس أن إبراهيم نحر الكبش فى المنحر الذى ينحر فيه الخلفاء اليوم . قال المحب الطبرى: وذلك فى سفح الجبل المقابل له - معنى : المقابل لثبير - وأشار المحب بذلك إلى الموضع الذى يقال له اليوم دار النحر. معنى فإن أمامها ينحر هدى صاحب اليمن ، وهو بقرب المسجد الذى تقدم ذكره قبل هذا المسجد^(٤). ومن ذلك مسجد الخيف وهو مسجد مشهور عظيم الفضل ، تقدمت فضائله^(٥) فى كتاب المناسك ، وتقدم تعريف موضع مصلى رسول الله ﷺ ، وأنه الأحجار التى بين يدى المنارة^(٦) وهذا الموضع معروف عند الناس إلى الآن . وذكر الأزرقى صفته وذعره وعدد أبوابه^(٧). والمنارة التى فيها الآن عمرها الملك المظفر صاحب اليمن فى سنة أربع وسبعين وستمائة وفيها عمر ما تشعث من مسجد الخيف ، ومن عمره والد

(١) اللّحف - بالكسر - : أصل الجبل . راجع القاموس «لحف» .

(٢) اختبار مكة للفاكهى (٤ / ١٨) ، والأزرقى (٢ / ١٧٥) والصواب أنه إسماعيل .

(٣) اختبار مكة للفاكهى (٤ / ٢٧٥) .

(٤) معنى - والله أعلم - : مسجد النحر المتقدم ذكره ، وهو الذى أشار إليه المصنف بقوله : ومن ذلك مسجد. معنى عند الدار المعروفة بدار النحر .. إلخ ، وراجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٣ ، ٣٣٤) فقد ذكر ما أورده المصنف هنا. معناه . والله أعلم . وذكر الأزرقى هذا المسجد فى اختبار مكة (٢ / ١٧٥) .

(٥) ذكر ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف (ص ٣٣٤) طرفاً من فضائله ، منها ما أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال : «صلى فى مسجد الخيف سبعون نبياً منهم موسى» وأخرجه أيضاً الأزرقى (٢ / ١٧٤) . ١٠ هـ . وقال الهيثمى فى الجمع (٣ / ٢٩٧) : وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط .

(٦) أورده الأزرقى (٢ / ١٧٤) عن جده ، وأعقبه بقوله : لم نزل نرى الناس وأهل العلم يصلون هنالك وقال ابن ظهيرة (ص ٣٣٥) : والمراد بالمنارة هى الصغيرة التى فى وسط المسجد الملاصقة لجدار القبة الكبيرة ، لا المنارة التى على الباب ، والمحراب الذى فى القبة هو موضع مصلاه ﷺ ؛ لأنه فى موضع الأحجار التى ذكرها الأزرقى . كذا نقله الجذد - رحمه الله - ١٠ هـ . ومراد ابن ظهيرة بالجد : جد ابن ظهيرة . والله أعلم .

(٧) راجع اختبار مكة للأزرقى (٢ / ١٨١ - ١٨٣) .

الخليفة العباسي الناصر واسمه مكتوب على بابه الكبير ، وعمره من قبل ذلك الجواد وزير صاحب الموصل ، وعمره في ستة وعشرين وسبعمائة تاجر دمشقي يقال له ابن المرجاني بأزيد من عشرين ألف درهم وعمر فيه بعد ذلك مواضع وهو الآن كثيراً تشعث . ومن ذلك مسجد عن يمين الموقف يعرف بمسجد إبراهيم . قال الأزرقى : وليس هو بمسجد عرفة الذى يصلى فيه الإمام بعرفة^(١) . ومن ذلك مسجد التنعيم حيث أمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن يعمر عائشة منه^(٢) ، وتقدم بعرفة فى الباب الرابع عشر . ومن ذلك مسجد بنى طوى نزل هنالك رسول الله ﷺ حين اعتمر وحين حج تحت سمره فى موضع المسجد^(٣) قال ابن الجوزى فى «المثير» : وبنته زبيدة^(٤) . ومن ذلك مسجد بأجياد ، وفيه موضع يقال له المتكى يقال : إن النبى ﷺ اتكى هناك^(٥) ذكره المحب الطبرى والأزرقى ، وقال : سمعت جدى أحمد بن / [٩١/أ] محمد ويوسف بن محمد بن إبراهيم يسألان عن المتكى وهل صح عندهما أن النبى ﷺ اتكى فيه ؟ فرأيتهما ينكران ذلك ، ويقولان : لم نسمع به من ثبت . قال : قال جدى : سمعت جماعة^(٦) من أهل العلم يقولون : إن أمر المتكى ليس بالقوى عندهم ، بل يضعفونه غير أنهم يثبتون أن النبى ﷺ صلى بأجياد الصغير لا يثبت ذلك الموضع ولا يوقف عليه . قال : ولم أسمع أحداً من أهل مكة يثبت أمر المتكى^(٧) . ومن ذلك مسجد على جبل أبى قبيس يقال له : مسجد إبراهيم . قال الأزرقى : سمعت يوسف بن محمد بن إبراهيم يسأل عنه هل هو مسجد إبراهيم خليل الرحمن - عليه السلام - ؟ فرأيت أنه ينكر ذلك ويقول : إنما قيل هذا حديثاً من الدهر ، ولم أسمع أحداً من أهل العلم يثبته^(٨) . قال الأزرقى : وسألت جدى عنه فقال لى : متى بنى هذا المسجد ؟ إنما بنى حديثاً من الدهر . ولقد سمعت بعض أهل العلم من أهل مكة يسأل عنه

(١) أخبار مكة للأزرقى (٢ / ٢٠٢) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٩) وذكر أنه لا يعرف الآن .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٦) ونقل خلافاً فى تسميته ، ثم أتبعه بفائدتين . فراجع إن شئت .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٨) ، وأخبار مكة للأزرقى (٢ / ٢٠٣) ، وذكر ابن ظهيرة أنه لا يعرف الآن .

(٤) أناده قبل ابن الجوزى الأزرقى ، كما فى أخبار مكة (٢ / ٢٠٣) ، وكتاب ابن الجوزى هو مثير الغرام (ص ٣٤٥) قال : وبنته زبيدة بأرج . والله أعلم .

(٥) أخبار مكة للأزرقى (٢ / ٢٠٢) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٨) .

(٦) قال فى أخبار مكة (٢ / ٢٠٢) الزنجى مسلم بن خالد ، وسعيد بن سالم القداح وغيرهما .

(٧) أخبار مكة للأزرقى (٢ / ٢٠٢) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٨) .

(٨) أخبار مكة (٢ / ٢٠٢) .

أهل المسجد - مسجد إبراهيم خليل الرحمن - فينكر ذلك ، ويقول : هل ^(١) هو مسجد إبراهيم القبيسي لإنسان كان في جبل أبي قبيس يسأل عنده ^(٢). انتهى . ومن ذلك مسجد بقرب مسجد الخيف من جانبه يعرف بمسجد المرسلات ، فيه نزل على النبي ﷺ سورة المرسلات ^(٣) ، وفيه غار وهو مشهور اليوم . بمعنى خلف مسجد الخيف ، أسفل الجبل مما يلي اليمن ، كذلك يآثره الخلف عن السلف ^(٤). وقد تقدم ذكره في الكتاب المشهور . ومن ذلك مسجد الجعرانة أحرم رسول الله ﷺ من هنالك ^(٥). وتقدم ذكره في الباب الرابع عشر من المناسك . ومن ذلك مسجد يقال له : مسجد الفتح بقرب الجموم من وادي مر يقال : إن النبي ﷺ صلى فيه ^(٦)، وعمر هذا المسجد أبو نعيم صاحب مكة على ما ذكر ، ثم السيد حناش بن راجح ، ويضه / [٩١/ب] في عصرنا ورفع أبوابه السيد الشريف حسن ابن عجلان صاحب مكة ، وذكر الأزرقى في تاريخه مساجد آخر غير معروفة الآن ^(٧) فاختصرناها .

وأما المواضع المباركة بمكة المعروفة بالمواليد : فاعلم أن هذه المواضع مساجد لكنها مشهورة عند الناس باسم المواليد فأفردت عن المساجد بالذكر لهذا المعنى ، ومنها : الموضع الذى يقال له : مولد النبي ﷺ وهو عند أهل مكة مشهور فى الموضع المعروف بسوق الليل . قال الأزرقى : البيت الذى ولد فيه رسول الله ﷺ هو فى دار محمد بن يوسف ، كان عقيل بن أبى طالب أخذه حين هاجر النبي ﷺ وفيه وفى غيره يقول النبي ﷺ عام حجة الوداع «وהל ترك لنا عقيل من ظل» ^(٨) فلم يزل بيده ويبد ولدته حتى باعه ولده من

-
- (١) كذا فى الأصل ، والصواب «بل» كما فى أخبار مكة (٢ / ٢٠٢) . والله أعلم .
 - (٢) أخبار مكة للأزرقى (٢ / ٢٠٢ ، ٢٠٣) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٢) ونقل عنه الأزرقى قوله لجده فى ذلك ، وأجاب عنه جواباً شافياً . فراجع فإنه مفيد . والله أعلم .
 - (٣) أخرجه البخارى : كتاب جزاء الصيد - باب ما يقتل المحرم من الدواب ح (١٨٣٠ - فتح) .
 - (٤) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٥ ، ٣٣٦) .
 - (٥) أخبار مكة للأزرقى (٢ / ٢٠٧) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٧) ، والجعرانة : بكسر الجيم وإسكان العين وتحفيف الراء وفتحها ، وقيل : بكسر الجيم والعين وفتح الراء المشددة لغتان حكاهما النووى فى تهذيب الأسماء واللغات (٣ / ٥٨ ، ٥٩) .
 - (٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٨) .
 - (٧) قد ذكر هذه المساجد ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف (ص ٣٣٨ ، ٣٣٩) .
 - (٨) أخرجه البخارى : كتاب الحج - باب توريث دور مكة وبيعها وشرائها - ح (١٥٨٨ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب النزول بمكة للحاج وتوريث دورها ح (١٣٥١) عن أسامة بن زيد ، لكن بلفظ «رباع ، دور ، منزل» . والله أعلم .

محمد بن يوسف أخ الحجاج فأدخله في داره التي يقال لها البيضاء ثم تعرف بدار ابن يوسف ، فلم يزل ذلك البيت في الدار حتى حجت الخيزران أم الخليفين موسى الهادي وهارون الرشيد فجعلته مسجداً تصلى فيه وأخرجته من الدار ، وأشرعته في الزقاق الذي على أصل تلك الدار يقال له : زقاق المولد^(١). قال الأزرقى : سمعت جدي ويوسف بن محمد يثبتان أمر المولد وأنه ذلك البيت لا اختلاف فيه عند أهل مكة ، وعن سليمان بن أبي مرحب مولى بني حشم^(٢) قال : حدثني ناس كانوا يسكنون ذلك البيت قبل أن تنزعه الخيزران من الدار ثم انتقلوا عنه حين جعل مسجداً ، قالوا : لا والله ما أصابنا فيه جائحة ولا حاجة فأخرجنا منه فاشتد الزمان علينا . رواه الأزرقى^(٣). وموضع سقطه ﷺ في هذا المسجد معروف حتى الآن ، وهو موضع مثل التنور الصغير .

قال السهيلي : ولد بالشعب وقيل : بالدار [٩٢/أ] التي عند الصفا ، وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخ الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت^(٤). انتهى . وهذا غريب وأغرب من هذا ما قيل : إن النبي ﷺ ولد بالردم . وقيل : بعسفان . ذكر هذين القولين مغلطاً في سيرته^(٥). والمراد بالردم : دور بني جمح بمكة على ما ذكر البكري ، وليس المراد منه الردم الذي بأعلى مكة ؛ لأن ذلك لم يكن إلا في خلافة عمر رضي الله عنه ، والمعروف من موضع مولده ﷺ ما سبق^(٤) . ومن عمّر هذا البيت الذي ذكرناه أولاً الناصر العباسي سنة ست وسبعين وخمسمائة ، ثم المظفر صاحب اليمن في سنة ست وستين وستمائة ، ثم حفيده الملك المجاهد على بن المؤيد سنة أربعين وسبعمائة وبعد ذلك غير مرة . ومنها : الموضع الذي يقال له : مولد على بن أبي طالب رضي الله عنه وهذا الموضع مشهور عند الناس بقرب مولد النبي ﷺ بأعلى الشعب الذي فيه المولد ولم يذكره الأزرقى ، وذكره ابن جبير . وعلى باب حجر مكتوب فيه هذا مولد أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، وفيه رُبى رسول الله ﷺ^(٦) ، وفي الحجر مكتوب إن الناصر العباسي أمر بعمله في سنة ثمان وستمائة . وقيل : وُلد على بن أبي طالب في جوف الكعبة . وهذا ضعيف عند العلماء

(١) أخبار مكة للأزرقى (٢ / ١٩٨) ، والجامع اللطيف (ص ٣٢٥ ، ٣٢٦) .

(٢) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقى (٢ / ١٩٩) «خثيم» . والله أعلم .

(٣) في أخبار مكة (٢ / ١٩٩) ، وراجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٦) .

(٤) الروض الأنف (١ / ١٨٤) ، وراجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٦) .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٦ ، ٣٢٧) .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٨) .

كما قاله النووي في «تهذيب الأسماء»^(١). والمعروف ما قدمناه . وفي هذا البيت موضع مثل التنور يقال : إنه مسقط رأس علي بن أبي طالب^(٢). قال سعد الدين الإسفرائيني في كتاب «زبدة الأعمال» : وفي جداره في الزاوية حجر مركب يقال : كان هذا الحجر يكلم النبي ﷺ^(٣) ومنها : الموضع الذي يقال له : موضع حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وهو بأسفل مكة بقرب باب الماحن [٩٢/ب] عند عين باذان^(٤). ومنها : الموضع الذي يقال له : مولد عمر بن الخطاب ؓ في الجبل الذي تسميه أهل مكة النوبى بأسفل مكة^(٥). ومنها : الموضع الذي يقال له : مولد جعفر بن أبي طالب في الدار المعروفة بداز أبي سعيد عند دار العجلة ، وعلى بابه حجر مكتوب فيه : هذا مولد جعفر الصادق ودخله النبي ﷺ^(٥)، وفيه أن بعض المجاورين عمره في صفر سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

وأما الدور المباركة بمكة : فاعلم أن بمكة دورًا مباركة معروفة عند الناس غالبها مساجد ، ولكنها اشتهرت بالدور عند أهل مكة فلذلك أفردناها بالذكر عن المساجد . منها : دار أم المؤمنين خديجة -رضى الله عنها - بالزقاق المعروف بزقاق الحجر ، ويقال له قديمًا : زقاق العطارين كما ذكره الأزرقى^(٦). ويقال لهذه الدار : مولد فاطمة -رضى الله عنها - ؛ لأن فيها ولدت^(٧). قال الأزرقى : كان يسكنها رسول الله ﷺ وخديجة ، وفيها ابنتى بخديجة ، وولدت فيها أولادها جميعًا ، وفيها توفيت ، فلم يزل النبي ﷺ فيها ساكنًا حتى خرج إلى المدينة مهاجرًا ، فأخذها عقيل بن أبي طالب ، واشترها منه معاوية وهو خليفة فجعلها مسجداً يصلى فيه وبنائها بناءها هذا ، وفتح معاوية فيها باباً من دار أبي سفيان بن حرب وهو قائم إلى اليوم وهى الدار التى قال فيها رسول الله ﷺ : «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»^(٨). قال الأزرقى : وفي بيت خديجة -رضى الله عنها -

(١) (١٦٦/١) فى ترجمة حكيم بن حزام .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٨) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٨) .

(٤) المصدر السابق ، وذكر أنه : غار لطيف فى أعلى الجبل المحاور لضريح الشيخ عبد الكبير بن يس الحضرمى ، وذكر أن الفاسى قال : ولا أعلم فى ذلك شيئاً يستأنس فيه .. إلخ . والله أعلم .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٩) .

(٦) أخبار مكة للأزرقى (٢ / ١٩٩) وذكره محققه فى الهامش . فالله أعلم ، وراجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٧) .

(٧) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠) .

(٨) أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير - باب فتح مكة ح (١٧٨٠) عن أبى هريرة مرفوعاً ، وراجع أخبار مكة (٢ / ١٩٩) ، والجامع اللطيف (ص ٣٢٧) .

هذا صفيحة من حجر مبني عليها في الجدر جدر البيت الذي يسكنه النبي ﷺ قد اتخذ قدام الصفيحة مسجداً ، وهذه الصفيحة مستقلة في الجدر من الأرض قدر ما يجلس تحتها الرجل، وذرعها ذراع في ذراع وشبر^(١). قال الأزرقى : سألت جدى / [٩٣/٢] ويوسف ابن محمد وغيرهما من أهل العلم من أهل مكة عن هذه الصفيحة ولم جعلت هناك، وقلت لهم : إنى أسمع الناس يقولون : إن رسول الله ﷺ كان يجلس تحت تلك الصفيحة فيستدرى بها من الرمي بالحجارة إذا جاءه من دار أبى لهب ودار عدى بن أبى الحمراء الثقفى ، فأنكروا ذلك وقالوا: لم نسمع بهذا من ثبت ، ولقد سمعنا من يذكرها من أهل العلم فأصبح ما انتهى إلينا من خبر ذلك أن أهل مكة كانوا يتخذون في بيوتهم صفائح من حجارة تكون شبه الرفاف ، يوضع عليها المتاع والشىء من الصبى والداجن يكون فى البيت، فقل بيت يخلو من تلك الرفاف^(٢). انتهى . وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد وفيها قبة يقال لها : قبة الوحى . قال سعد الدين الإسفرائينى وفي هذه القبة حفرة عند الباب يقول : كان يجلس النبي ﷺ فيها وقت نزول الوحى وجبريل - عليه السلام - يجلس فى محراب القبة . انتهى . وإلى جنبها موضع يزوره الناس معها يسمونه المختبئ^(٣)، ويتصل بهذه القبة أيضاً الموضع الذى ولدت فيه فاطمة - رضى الله عنها . قال سعد الدين الإسفرائينى : وفى بيت من بيوت هذه الدار حفرة مثل التنور يقولون : إنها مسقط رأس فاطمة - رضى الله عنها - . قال المحب الطبرى : هذه الدار أفضل الأماكن بعد المسجد الحرام^(٤). ومن عمرها الناصر العباسى ، وعُمر منها شىء فى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر ، وفى أول دولة الملك الناصر فرج صاحب مصر، ومما عُمر فى دولته قبة الوحى بعد سقوطها ، ويُذكر أن القبة التى كانت قبل هذه القبة من عمارة الملك المظفر صاحب اليمن ، وفى الرواق المقدم من هذه الدار مكتوب : إن المقتدر العباسى أمر بعمله ، وإلى جانب هذه الدار حوش كبير عمره / [٩٣/ب] الناصر العباسى ، ووقفه على مصالح دار خديجة - رضى الله عنها - على ما هو موجود فى حجر مكتوب فيه ذلك على باب الحوش ، وفيه أيضاً إن هذا الموضع مريد فاطمة - رضى الله عنها . ومنها : دار أبى بكر الصديق بزقاق الحجر ويقال له : زقاق المرفق أيضاً ، وهذه الدار معروفة مشهورة ، وعلى

(١) أخبار مكة (٢ / ١٩٩) .

(٢) أخبار مكة (٢ / ١٩٩ ، ٢٠٠) ، والجامع اللطيف (ص ٣٢٧ ، ٣٢٨) مختصراً .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٧) .

(٤) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٨) .

بابها حجر مكتوب فيه : إنها دار أبي بكر الصديق ﷺ^(١) وإنها عمرت بأمر الأمير الكبير نور الدين عمر بن علي بن رسول الملك المسعودي في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ويقابل هذه الدار حجر في جدار يقال : إنه الذي كلم النبي ﷺ علي ما ذكره ابن رشيد بضم الراء - في رحلته^(٢) نقلاً عن العلم أحمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني ، عن عمه سليمان بن خليل ، عن ابن أبي الصيف عن الميانشي عن كل من لقيه بمكة ، وذكر ذلك ابن جبير والناس يتبركون بمسح هذا الحجر إلى الآن . وذكر سعد الدين الإسفرائيني في كتاب «زبدة الأعمال» : أن أهل مكة يمشون في المواليد من دار خديجة إلى مسجد يقولون : نه كان دكان أبي بكر الصديق ﷺ كان يبيع فيه الخبز ، وأسلم فيه على يده عثمان بن عفان وطلحة والزبير وغيرهم من الصحابة قال وفي جدار هذا الدكان أثر مرفق رسول الله ﷺ يروى : أنه جاء دكان أبي بكر ذات يوم واتكئ على هذا الجدار ونادى بأبي بكر مرتين . قال : وفي هذا الزقاق حجر مركب على جدار يزوره الناس ويقولون : هذا الحجر سلم على رسول الله ﷺ ليالي بُعث^(٣) . انتهى . وروى الترمذي ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن ينزل علي»^(٤) . قال السهيلي في «الروض الأنف» : وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذي كان يسلم / [٩٤/أ] عليه هو الحجر الأسود . قال : وهذا التسليم الأظهر فيه أن يكون حقيقة ، وأن يكون الله أنطقه إنطاقاً كما خلق الحين في الجذع ، وليس من شرط الكلام الذي هو حرف وصوت الحياة والعلم والإرادة ؛ لأنه صوت كسائر الأصوات ، والصوت عرض في قول الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النظام فإنه زعم أنه جسم وجعله الأشعرى اصطكاً في الجواهر بعضها لبعض - فهو عنده من الأكوان^(٥) - وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفس الاصطكاك ولكنه معنى زائد عليه^(٦) . قال السهيلي : ولو قدرنا الكلام صفة قائمة بنفس الحجر ، والصوت عبارة عنه ، لم يكن بُدّ من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ، والله أعلم أي ذلك كان ، أكان كلاماً مقروناً بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمناً ، أم كان صوتاً

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٩) .

(٢) ملء العيبة (ص ١٣٠ ، ١٣١) .

(٣) الجامع اللطيف (ص ٣٢٩) مختصراً .

(٤) أخرجه مسلم : كتاب الفضائل - باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ح

(٢٢٧٧) ، والترمذي : كتاب المناقب - باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ ح (٣٦٢٤) عن

جابر بن سمرة .

(٥) ليست في الروض الأنف .

(٦) الروض الأنف (١ / ٢٦٧) .

بمجردًا غير مقرون بحياة ؟ وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة . وأما حنين الجذع فقد سمي حنيناً ، وحقيقة الحنين تقتضى شرط الحياة ، ويحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافاً فى الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ويعمرونها فيكون مجازاً من باب قوله : ﴿ واسأل القرية ﴾ ^(١) . والأول أظهر ^(٢) . انتهى كلامه .

قال المحب الطبرى فى أحكامه فى ذكر تسليم الحجر والشجر عليه ﷺ عن جابر بن سمرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ قبل أن أبعث ، وإني لأعرفه الآن » ^(٣) . أخرجه مسلم وأبو حاتم ، وأخرجه الترمذى وقال : « كان يسلم علىّ ليالى بعثت » . وقال : حسن غريب ^(٤) . وقال عياض : قيل : إنه الحجر الأسود . قال المحب الطبرى : والظاهر أنه غيره ، فإن شأن الحجر الأسود عظيم ، ولو كان إياه لذكر ولما أنكره ، قال : واليوم بمكة حجر عند أبنية تعرف بدكان أبى بكر ، أخبرنا شيخنا [٩٤/ب] أبو الربيع سليمان بن خليل أن أكابر أشياخ أهل مكة أخبروا أنه الحجر الذى كان يسلم عليه ﷺ . انتهى كلام الطبرى .

وقال المرجانى فى « بهجة النفوس » : قيل : هو الحجر الأسود . وقيل : الحجر المستطيل بباب دار أبى سفيان بزقاق الحجر . قال : وهذا الحجر على الدار باق إلى اليوم . انتهى . وهو كذلك باق إلى الآن . ومنها : دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى المعروفة بدار الخيزران التى عند الصفا ، والمقصود من زيارتها مسجد مشهور فيها ^(٥) . ذكره الأزرقي وذكر أن رسول الله ﷺ كان محتفياً فيه ، وأن فيه أسلم عمر بن الخطاب ^(٦) . وقال غيره : كان ﷺ مستتراً فيه فى بدء الإسلام ، وكان به اجتماع من أسلم من الصحابة ، وبه أسلم عمر بن الخطاب وحزمة وغيرهما ، ومنه ظهر الإسلام وله أيضاً فضل كثير ^(٧) ، قال [الأرقم] ^(٨) المرجانى : وأرقم بن أبى الأرقم اشترى المهدي داره بسبعة عشر ألف درهم ، ووهبها للخيزران أم الخليفين الهادى والرشيد .

(١) سورة يوسف : الآية (٨٢) .

(٢) الروض الأنف (١ / ٢٦٧) .

(٣) تقدم تخريجه ، وأخرجه أبو حاتم فى صحيحه ح (٦٤٨٢) .

(٤) راجع سنن الترمذى (٥ / ٢٩٣) وكذلك هو فى تحفة الأشراف (٢ / ١٥٤) .

(٥) أخبار مكة للأزرقي (٢ / ٢٠٠) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٠) .

(٦) أخبار مكة (٢ / ٢٠٠) .

(٧) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٠) .

(٨) كأنها مضروب عليها فى الأصل والصواب حذفها . والله أعلم .

قال سعد الدين الإسفرائيني : والمسجد الذى فى هذه الدار بنته جارية المهدي^(١) ، ومن عمر هذا المسجد الوزير الجواد ثم المستنصر العباسى ، وعمر فى آخر القرن الثامن بعض المجاورات . ومنها : دار العباس عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله التى بالمسعى المعظم ، وهى الآن رباط يسكنه الفقراء^(٢) . ومن الدور المباركة بمكة رباط الموفق بأسفل مكة^(٣) . وتقدم فى كتاب المناسك فى ذكر الأماكن المستجاب فيها الدعاء أنه يستجاب فيه الدعاء^(٤) . ومنها : معبد الجنيد بلحف الجبل الذى يقال له : الأحمر أحد أخشى مكة ، وهو مشهور عند الناس^(٥) . وقال سعد الدين الإسفرائيني : إنه معبد الجنيد ومعبد إبراهيم بن أدهم^(٦) .

وأما الجبال المباركة بمكة وحرمةها : فمنها : الجبل المعروف بأبى قبيس ، وهو الجبل المشرف على الصفا وهو أحد / [٩٥/أ] أخشى مكة ، والآخر الأحمر ، وإنما سمي أبا قبيس لثلاثة أوجه ؛ أحدهما : أنه سمي برجل من إباد يقال له : أبو قبيس بنى فيه فلما صعد البناء فيه سمي جبل أبى قبيس كذا ذكر الأزرقى^(٧) ، وقيل : إن هذا الجبل من مذبح ذكره ابن الجوزى . والثاني : أن الحجر الأسود استودع فيه عام الطوفان ، فلما بنى الخليل الكعبة نادى أبو قبيس : الركن منى بمكان كذا وكذا كما قدمناه . والثالث : سمي بقبيس ابن صالح رجل من جرهم كان قد وشى بين عمرو بن مضاى وبين ابنة عمه مئة ، فنذرت أن لا تكلمه وكان شديد الكلف بها ، فحلف ليقتلن قبيساً فهرب منه فى الجبل المعروف به وانقطع خبره ، فإما مات فيه وإما تردى منه ، وهو خبر طويل ذكره ابن هشام فى عبر السيرة . وصحح النووى فى «التهذيب» الوجه الأول ، وقال : إن الوجه الثانى ضعيف أو غلط^(٨) . وقال الأزرقى : الأول أشهر عند أهل مكة وكان يسمى فى الجاهلية الأمين ؛ للمعنى الذى ذكرناه فى الوجه الثانى وهذا مما يقويه ويرجح على الوجهين الأخيرين^(٩) .

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٠) .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٠) وقال : وفى جدارها أحد المبلين الأخضرين اللذين يسن الجرى بينهما حالة السعى .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٠) .

(٤) نقله ابن ظهيرة (ص ٣٣٠) عن الشيخ خليل المالكي وأنه كان يكثر إتيانه للدعاء . والله أعلم .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣١) وقال الفاسى - رحمه الله - : ويقال له الآن قعيقعان وجبل أبى الحارث أيضاً .

(٦) نقله ابن ظهيرة (ص ٣٣١) عن جده . والله أعلم .

(٧) أخبار مكة (٢ / ٢٦٦ ، ٢٦٧) .

(٨) تهذيب الأسماء واللغات (٣ / ١٠٨ ، ١٠٩) .

(٩) راجع أخبار مكة (٢ / ٢٦٦ ، ٢٦٧) ، والجامع اللطيف (ص ٣٤٠) .

والله أعلم . وعن مجاهد قال : أول جبل وضعه الله على الأرض حين مادت أبو قبيس ثم حدثت منه الجبال^(١) ذكره الأزرقى والواحدى ، وقبر آدم فيه على ما قال وهب بن منبه فى غار يقال له : غار الكنز وهو غير معروف الآن^(٢) . وقيل : إن قبره بمسجد الخيف بعد أن صلى عليه جبريل عند باب الكعبة حكاه الفاكهى عن عروة بن الزبير^(٣) ، وذكره ابن الجوزى فى «درياق القلوب» وقال : دفنته الملائكة به . وقيل : عند مسجد الخيف ذكره الذهبى ، وفى منسك الفارسى . وقيل : عند منارة مسجده ، وقيل : قبره فى الهند فى الموضع الذى أهبط إليه من الجنة وصححه الحافظ ابن كثير^(٤) . وقال الأزرقى : إن قبر آدم وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف فى بيت المقدس^(٥) . وقد تقدمت هذه الأقوال مع زيادة فوائد فى أوائل هذا [٩٥/ب] الباب . وفى أبى قبيس على ما قيل : قبر شيث بن آدم وأمه حواء^(٦) كذا ذكر الذهبى فى جزء ألفه فى تاريخ مدة آدم وبنيه ؛ لأنه قال : ودفن شيث مع أبويه فى غار أبى قبيس .

وتقدم فى باب الفضائل وغيره حديث الكتاب الموجود فى الركن وفيه : أن مكة لا تزول حتى يزول أحشباها . وتقدم فى أول الباب أن إبراهيم - عليه السلام - أذن فى الناس بالحج على أبى قبيس على أحد الأقوال . وقال ابن النقاش فى «فهم المناسك» : من صعد فى كل جمعة إلى أبى قبيس رأى الحرم مثل الطير يزهر ، وإن صعد إلى ثور أو حراء أو ثبير كان أثبت لنظره ومشاهدته ، وخصوصاً ليالى رجب وشعبان ورمضان وليالى الأعياد . وجبال مكة تسمى جبال فاران كذا وجد فى الفصل العشرين من السفر الخامس عن موسى - عليه السلام - أن الرب جاء من طور سيناء وأشرق من «ساعين»^(٧) واستعلن من جبال فاران . فمضى الله من طور سيناء هو إنزاله التوراة على موسى ، وإشراقه من «ساعين»^(٨) إنزاله الإنجيل على عيسى ؛ لأنه كان يسكن فى «ساعين»^(٩) أرض الخليل فى قرية ناصرة ، واستعلنه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد ﷺ ، وفاران هى جبال مكة فى قول الجميع^(١٠) .

(١) أخبار مكة للأزرقى (٢ / ٢٦٧) ، والجامع اللطيف (ص ٣٤٠) ونسبه كذلك لابن عباس . والله أعلم .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٠) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٠) ، وأنه لحد فى مسجد الخيف راجع الفاكهى (٤ / ٢٧١) .

(٤) راجع البداية والنهاية (١ / ٩٢) .

(٥) أخبار مكة (١ / ٧٣) .

(٦) كذا فى الأصل ، وفى تفسير القرطبي (١٥٩/١٣) «ساعير» وهو الصواب . والله أعلم .

(٧) راجع تفسير القرطبي (١٥٩/١٣) .

قال علماء التاريخ : جميع ما عرف فى الأرض من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلاً ، من أعجبها سرنديب^(١) ، وهو أقرب ذرا الأرض إلى السماء . وقيل : صخرة بيت المقدس أقرب ذرا الأرض من السماء بثمانية عشر ميلاً حكاه القرطبى . وطول جبل سرنديب مائتان وثيِّف وستون ميلاً ، فيه أثر قدم آدم وعليه شبه البرق ، لا يذهب شتاء ولا صيفاً ، وحوله الياقوت وفى واديه الماس ، وفيه العود والفلفل وذابة المسك وهر الزباد ، ووادى سرنديب متصل إلى قرب سيلان . وجبل الردم الذى / [٩٦/] فيه السد طوله سبعمائة فرسخ ، وينتهى إلى البحر المظلم^(٢) . وجبل قاف من زمردة خضراء محيط بالسماوات والأرض ، ومنه اخضرت السماء ، دائر بالأرض من وراء البحر المحيط والسماء عليه مقببة ، وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل .

وقال وهب : أشرف ذو القرنين على جبل فرأى تحته جبلاً صغيراً فقال له : ما أنت . قال : أنا قاف . قال : فما هذه الجبال حولك ؟ قال : هى عروقى وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقى ، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرنى فحركت عرقى ذلك فتزلزل تلك الأرض . فقال : يا قاف أخبرنى بشيء من عظمة الله تعالى . قال : إن شأن ربنا لعظيم ، وإن ورائى أيضاً مسيرة خمسمائة عام فى خمسمائة عام من جبال ثلج ، يحطم بعضها بعضاً لولا هى لاحتزقت من حر جهنم . قال المرجاني : واسم جبل قاف «عيلهن» . قال : ولأجل هذا الاسم منع استعمال تلك الحفيظة حكاه المازرى ، قال : ووراء قاف أرض بيضاء كافورية مثل الدنيا سبع مرات ، ومن خلفها السبعة الأبحر : أولها : يبطس ، الثانى : قيس ، الثالث : الأصم ، الرابع : المظلم ، الخامس : مايس ، السادس : الساكن ، السابع : الباكى وهى محيطة بعضها ببعض حكاها الكسائى .

قال وهب : خلقها الله فى اليوم الثالث . وعن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : «لما تجلّى الله لجبل طور سيناء تشظى منه شظايا ، فنزلت بمكة ثلاثة ، حراء وقديد وثور ، وبالمدينة أحد وعير وورقان»^(٣) . وعنه أيضاً قال : «صار لعظمة الله ستة أجبل ، فوقعت ثلاثة بالمدينة : أحد وورقان ورضوى ، ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء»^(٤) . وقيل : نزلت بمكة أربعة حراء وثبير وثور وقديد . انتهى .

(١) المدهش (ص ٥٨) .

(٢) راجع المدهش (ص ٥٨) ، وراجع معجم البلدان (٢١٥/٣ ، ٢١٦) .

(٣) أخبار مكة للأزرقي (٢٨١، ٢٨٠/٢) بإبدال «جبل قديد» بثبير . والله أعلم .

(٤) أورده فى الدر المنثور (١١٩/٣) وعزاه لأبى الشيخ ، وابن مردويه ، وابن أبى حاتم . اهـ وهو كذلك فى تفسير البغوى (١٩٨، ١٩٧/٢) ، وأورده ابن كثير فى تفسيره (الأعراف / ١٤٣) عن ابن -

قال المرجاني : ولم نعلم أن بحرم مكة جبلاً يقال له : قديداً ، إنما قديد بينهما وبينه مقدار أربعة أيام أو خمسة . / [٩٦/ب] والطور اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى ، وهو أحد جبال الجنة ، وعن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : «أربعة جبال من جبال ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة» . قيل : فما الأجل ؟ قال : «أحد جبل يحبنا ونحبه، والطور من جبال الجنة ، ولبنان من جبال الجنة - وخصيب من جبال الجنة وهو بالروحاء - والأنهار : النيل والفرات وسيحان وجيحان ، والملاحم : بدر وأحد والخندق وخيبر»^(١) . قال : التوربشتي شارح المصاييح وفي قوله ﷺ : «أربعة أنهار من أنهار الجنة» . الحديث وجهان ؛ أحدهما : أن نقول : إنما جعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنة ؛ لما فيها من السلاسة والعذوبة والهضم وتضمنها البركة الإلهية وتشرفها برود الأنبياء إليها وشربهم منها ، وذلك مثل قوله ﷺ في عجوة المدينة : «لها من ثمار الجنة»^(٢) . والآخر : أن نقول : يحتمل أنه سمي الأنهار التي هي أصول أنهار الجنة بتلك الأسماء ؛ ليعلم أنها في الجنة بمثابة الأنهار الأربعة في الدنيا ، أو لأنها مسميات بتلك المسميات فوق الاشتراك فيها . انتهى . والطور هو الذي أقسم الله تعالى به بقوله : ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾^(٣) . لفضله على الجبال إذ روى أن الله أوحى إلى الجبال أني مهبط على أحدكم أمرى - يريد رسالة موسى - فتطاولت كلها إلا الطور فإنه استكان لأمر الله وقال : حسبي الله . فأهبط الله الأمر عليه ذكره ابن عطية . وروى أن

- أبي حاتم بسنده ، وقال : وهذا حديث غريب ، بل منكر . اهـ . ، وذكره القرطبي في تفسيره (٥٨/١٧) . وهو في أخبار مكة للفاكهي (٨٢/٤) ، وقال ابن الجوزي في الموضوعات (١٢٠/١) : حديث موضوع لا أصل له .

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩ ، ١٨/١٧) ، وليس فيه «وخصيب من جبال الجنة وهو بالروحاء» ، وقال في المجموع (١٤/٤) وفيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف . اهـ . وقال الحافظ في التقریب ضعيف أفرط من نسبه إلى الكذب ، اهـ . وسقط من المصنف قوله «الجنة» من قوله ﷺ أربعة جبال من جبال .. إلخ وعند الطبراني «وحنين» بدلاً من «وخيبر» .

(٢) عن أبي هريرة مرفوعاً : «الكمة من المن وماؤها شفاء للعين ، والعجوة من الجنة ، وهي شفاء من السم» أخرجه الترمذي : كتاب الطب - باب ما جاء في الكمة والعجوة ح (٢٠٦٨) ، والنسائي في الكبرى : الأطعمة - الكمة (١٥٧/٤) ، وابن ماجه : كتاب الطب - باب الكمة والعجوة ح (٣٤٥٥) ، وأحمد في المسند (٢ / ٥١١ ، ٤٩٠ ، ٤٨٨ ، ٤٢١ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٢٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠١) وقال الترمذي : حديث حسن . اهـ . وكذا هو في تحفة الأشراف (١٣٤٩٦) عنه ، وجاءت بمعناه أحاديث أخرى عن جابر وأبي سعيد ورافع بن عمرو المزني . والله أعلم .

(٣) سورة الطور : الآية (١) .

الله تعالى أوحى إلى الجبال أن السفينة - أى سفينة نوح - ترسو على واحد منها فتناولت ، وبقي الجردى لم يتناول تواضعاً لله تعالى فاستوت السفينة عليه وبقيت عليه أعواده^(١) . وقال مجاهد : تشاخصت الجبال وتناولت لئلا ينالها الغرق ، فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعاً ، وتواضع / [أ/٩٧] الجردى فلم يغرق ورست السفينة عليه . ويقال : إن الجردى من جبال الجنة فلماذا استوت عليه . ويقال : أكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر : الجردى بنوح ، وطور سيناء بموسى ، وحراء بمحمد ﷺ ذكره القرطبي^(٢) . وقال : لما تواضع الجردى وخضع عز ، ولما ارتفع غيره واستعلا ذل ، وهذه سنة الله فى خلقه يرفع من يخشع ويضع من ترفع . ولقد أحسن القائل :

وإذا تذلل الرقاب «تخضعاً»^(٣) . . . منا إليك فعزّها فى ذلّها

ومن ذلك قصة «القصواء»^(٤) ناقة النبى ﷺ التى كانت لا تسبق فسبقها قعود لأعرابى يوماً ، فقال ﷺ : «إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً فى الدنيا إلا وضعه»^(٥) . انتهى . وبحرم مكة اثنا عشر ألف جبل ذكره الأزرقى فى الجبال ، وفى أبى قبيس انشق القمر للنبى ﷺ كما ذكره الحافظ قطب الدين الحلبي^(٦) ؛ لأنه قال : كان يرى نصفه على قيععان ونصفه الآخر على أبى قبيس . وذكر القطب أن أبا نعيم الحافظ روى بسنده إلى ابن عباس أن ذلك - يعنى انشقاق القمر - ليلة أربع عشرة فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة . انتهى . والصفا محسوب من أبى قبيس على ما ذكره العلماء فلا يضاد ما ذكره القطب من أن نصف القمر على أبى قبيس . وذكر القرطبي فى ذلك خبراً وقال : اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ وقالوا : إن كنت صادقاً فاشقق لنا القمر فرقتين ؛ نصف على أبى قبيس ونصف على قيععان . فقال لهم رسول الله ﷺ : «إن فعلت تؤمنون بى» . قالوا : نعم . وكانت تلك ليلة بدر فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا ، فانشق القمر فرقتين ورسول الله ﷺ ينادى المشركين : «يا فلان يا فلان / [٩٧/ب] اشهدوا»^(٧) . وأما كون الانشقاق وقع فى أبى قبيس فى الموضع الذى يقوله الناس

(١) راجع تفسير القرطبي (٤١/٩) .

(٢) فى تفسيره (٤٢، ٤١/٩) .

(٣) وعند القرطبي «تخشعاً» وهى بمعناها . والله أعلم .

(٤) عند البخارى «القصباء» وكذا هى فى تفسير القرطبي . والله أعلم .

(٥) أخرجه البخارى : كتاب الرقاق - باب التواضع ح (٦٥٠١-فتح) عن أنس بن مالك .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤١) .

(٧) راجع البداية والنهاية (١١٧/٣) ، وأورده عن أبى نعيم بسنده ، وعزاه فى الدر المنثور (١٣٣/٦) إلى أبى نعيم فى الحلية ، والقرطبي (١٢٧/١٧) عن ابن عباس .

اليوم فلم أر ما يدل على ذلك ، وقد اختلفت الأحاديث فى موضع انشقاق القمر ، وفى مسند عبد حميد والترمذى عن أنس أنه وقع بمكة^(١) . وفى صحيح مسلم حديث ابن مسعود أنه وقع بمنى^(٢) . وفى تفسير ابن عطية : قال ابن مسعود : رأيته انشق فذهب فرقة وراء جبل حراء . وقد تقدم فى الأماكن المستجاب فيها الدعاء أن الدعاء يستجاب فى أبسى قبيس^(٣) ، ومن عجائب ما ذكر القزوينى فى كتابه «عجائب المخلوقات» : من أنه يزعم الناس أن من أكل عليه الرأس المشوى يأمن أوجاع الرأس ، قال : وكثير من الناس يفعل ذلك^(٤) . انتهى .

قال قوام الدين فى «التبيين» شرح الأخسبكتى فى باب حروف المعانى : لما ذكر عن الشافعى رحمته الله أن الراو للترتيب ، وقال : قد أنكر عليه أصحابه فى هذا ؛ لأنه قول لم يقل به أحد لمخالفته لموضوع اللغة ، ثم قال قوام الدين : والعجب من الغزالى حيث قرع صفات الحسن البصرى وطعن على مالك وشنع على أبى حنيفة فى آخر منخوله^(٥) فقال : وأما أبو حنيفة فلم يكن مجتهداً ، لأنه لا يعرف اللغة وعليه يدل قوله : لو رماه بأبو قبيس . ثم غفل عن سهو إمامه ولقد صدقوا فى قولهم : حبك للشئى يعمى ويصم . والجواب عنه من وجوه :

أحدها : إنا نقول : لا نسلم أن أبا حنيفة تكلم بهذه الكلمة أصلاً وما ذاك إلا افتراء عليه ، فأى مسألة تعلقت بها وأى كتاب من كتب أصحابه حواها ، وأى دليل دل عليها ، والله والله إن بعض الظن لائم .

والثانى : فرضنا أنه تكلم بمثل هذه الكلمة لكن لا نسلم أنه أخطأ ؛ لأنه يجوز بطريق الحكاية مثل هذا لقوله :

وجدنا فى كتاب بنى تميم . . . أحق الخيل بالركض المعار

(١) عن أنس قال : «إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر» . أخرجه البخارى : كتاب المناقب - باب سؤال المشركين أن يريهم النبى ﷺ آية ح (٣٦٣٧ - فتح) ، ومسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب انشقاق القمر ح (٢٨٠٢) ، وعبد بن حميد ح (١١٨٤) ، والترمذى : كتاب التفسير - باب من سورة القمر ح (٣٢٨٦) .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب صفات المنافقين - باب انشقاق القمر - ح (٢٨٠٠) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٠) ، وذكره الفاكهى واستشهد لذلك بحكاية الوفد الذين استسقوا فيه فأجيب لهم وسقوا .

(٤) بهامش «حياة الحيوان» للدميرى (٢٣٢/١) .

(٥) قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء (٣٤٤/١٩) : وفى أواخر «المنحول» للغزالي كلام فيج نى إمام لا أرى نقله هنا . اهـ .

برفع القاف والراء . وكقولهم : قرأت ﴿سورة أنزلناها﴾^(١) . بضم سورة . وقولهم : بدأت بالحمد لله . بضم الدال ، / [٩٨/أ] ولا تنكر الحكاية ، وهو أن ينقل القول على ما كان إلا من لا يمس بعلم الإعراب أو من له مس من الجنون ، والجنون فنون .

والثالث : فرضنا أنه أخطأ كما زعم هذا القائل ، لكن لا نسلم أن الشخص لا يكون مجتهداً إذا أخطأ في شيء ؛ لأن القول بإصابة كل مجتهد ليس بمذهب المسلمين ، بل المجتهد يجوز له الخطأ والصواب ؛ لأنه ليس بمعصوم ، ثم نقول : هلا أورد الغزالي في كتابه ما أخذ أهل اللغة على إمامه في أشياء من الغلط ا .

الأول : قوله في «أحكام القرآن» : ﴿ذلك أدنى أن لا تعولوا﴾^(٢) . أى : لا تكثروا عيالكُم ، وإنما معناه لا تميلوا ، والثاني : قوله في كتابه هذا : إن الواو للترتيب ، وإنما هي لمطلق الجمع . والثالث : قوله في كتابه : ماء مالح ، وإنما هو ماء ملح ؛ لقوله تعالى : ﴿ملح أجاج﴾^(٣) . والرابع قوله : إذا أشلى كلبه - يريد به أغراه - وإنما يقال : أشلاه إذا استدعاه . والخامس : الغرم الهلاك ، وإنما الغرم اللزوم إلى غير ذلك^(٤) .

ثم الغزالي شنع في كتابه «المنحول» في أشياء من غير حجة على دعواه ولا دليل على ما خيل له ، والله إنا كنا نعتقده غاية الاعتقاد لأجل ما جمع في «إحيائه» من كلمات المشايخ بالنظر إلى الظاهر ، ثم لما رأينا طعنه على الكبار بلا إقامة برهان حصل بنا منه ما حصل ، ولقد صدقوا في قولهم : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . اللهم ارزقنا الصدق والوفاء ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا وهيب لنا من أمرنا رشداً . انتهى كلام قوام الدين وهذا لفظه .

ومنها : جبل حراء بأعلى مكة وهو ممدود ، ومنهم من يذهب فيه إلى التذكير فيصرفه ، ومنهم من يذهب فيه إلى التأنيث فيمنعه الصرف^(٥) . وهذا الجبل من مكة على ثلاثة أميال كما ذكره صاحب المطالع وغيره ، وهو مقابل لثبير والوادي بينهما ، وهما على يسار السالك إلى منى ، وحراء قبلي ثبير مما يلي شمال الشمس ، وأما ثور فمن جهة

(١) سورة النور : الآية (١) .

(٢) سورة النساء : الآية (٣) .

(٣) سورة الفرقان : الآية (٥٣) ، وسورة فاطر : الآية (١٢) .

(٤) قد تولى الرد على هذه المزاعم الإمام فخر الدين الرازي في كتابه « مناقب الشافعي » فراجع

فإنه مفيد . والله أعلم .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤١ ، ٣٤٢) .

الجنوب من على / [٩٨/ب] يمين الشمس ، «ويسمى هذا الجبل بعضهم جبل النور ، ولعمري إنه كذلك لكثرة مجاورة النبي ﷺ وتعبده فيه ، وما خصه الله فيه من الكرامة بالرسالة إليه ونزول الوحي فيه عليه ، وذلك فى غار فى أعلاه مشهور يآثره الخلف عن السلف - رحمهم الله - ويقصدونه بالزيارة»^(١) ، وأما ما ذكر الأزرقى فى تاريخه^(٢) فى ذكر الجبال : من أن النبي ﷺ أتى هذا الجبل واختبئ فيه من المشركين فى غار فى رأسه مشرف مما يلى القبلة . فقال بعض من عاصرناه : إن هذا ليس بمعروف ، والمعروف أن النبي ﷺ لم يختبئ من المشركين إلا فى غار ثور بأسفل مكة^(٣) . انتهى .

ويؤيد ما ذكره الأزرقى ما قاله القاضى عياض ثم السهيلي فى «الروض الأنف»^(٤) : أن قريشاً حين طلبوا رسول الله ﷺ كان على ثبير فقال له ثبير وهو على ظهره : اهبط عني يا رسول الله ، فإننى أخاف أن تقتل على ظهري فيعذبنى الله ، فناداه حراء إلى يا رسول الله . فيحتمل أن يكون النبي ﷺ اختبئ فيه من المشركين فى واقعة ثم اختفى فى ثور فى واقعة أخرى وهى خبر الهجرة .

وقال السهيلي فى حديث الهجرة : وأحسب فى الحديث أن ثوراً ناداه أيضاً لما قال له ثبير : اهبط عني . وهذا الغار الذى فى الجبل مشهور بالخير والبركة ؛ لحديث بدء الوحي الثابت فى الصحيحين^(٥) ، وأورد ابن أبى جمرة سؤالاً وهو : أنه لم يختص ﷺ بغار حراء فكان يخلو فيه ويتحدث دون غيره من المواضع ولم يبدله فى طول تحنثه ؟ وأجاب عن ذلك بأن هذا الغار له فضل زائد على غيره من قبل أن يكون فيه منزواً مجموعاً لتحنثه وهو يبصر بيت ربه والنظر إلى البيت عبادة ، فكان له اجتماع ثلاث عبادات وهى الخلوة والتحنث والنظر إلى البيت ، وجمع هذه الثلاث أولى من الاختصار على بعضها / [٩٩/] دون بعض ، وغيره من الأماكن ليس فيه ذلك المعنى ، فجمع له ﷺ فى المبادئ كل حسن بآدى^(٦) . انتهى . وعن ابن أبى مليكة قال : جاءت خديجة إلى النبي ﷺ بحميس وهو بحراء فجاءه جبريل فقال : يا محمد هذه خديجة قد جاءتك تحمل حيساً معها والله يأمرك أن تقرئها السلام وتبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، فلما أن رقت

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٢) .

(٢) أخبار مكة (٢/٢٨٨) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٢) .

(٤) راجع (١/٢٦٨) ، والجامع اللطيف (ص ٣٤٢) .

(٥) أخرجه البخارى ح (٣) ، ومسلم ح (١٦٠) عن عائشة .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٢) وأضاف أن هذا الجبل كان يختلئ فيه أجداده ﷺ ، ثم ذكر أن

هذا أحسن ما قيل . والله أعلم .

خديجة قال لها النبي ﷺ: «يا خديجة إن جبريل جاءني والله يقرئك السلام ، ويشرك بيبيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» . فقالت خديجة : الله السلام ومن الله السلام وعلى جبريل السلام^(١) . رواه الأزرقي . وذكر المرجاني في «بهجة النفوس» عجيبة قال : خرجت في بعض الأيام إلى زيارة حراء وكان يوم السبت الثاني من جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وكان يوم غيم فلما كان بعد الظهر سمعت لبعض تلك الأحجار فيه أصواتاً عجيبة فرفعت حجرتين منها في كل كف حجر ، فكنت أجد رعدة الحجر في يدي وهو يصيح ، ثم إنني رفعت يدي فصاحت كل واحدة من أصابعي أيضاً وكان محل الصياح قامة من الأرض فما كان على سمتها صاح وما كان أرفع من ذلك أو أخفض لم يتكلم فعلت أن ذلك تسبيح فدعوت الله تعالى بما تيسر فلما طلعت الشمس سكت فقسست الشمس فوجدت ظل كل شيء مثله ومثل ربه فقدرته بعد ذلك بالإسطرلان فكانت تلك هي الساعة العاشرة وكان صوت الحجر يسمع من مدى مائة خطوة قال : فذكرت ما رأيته لوالدي - رحمه الله - فقال : وأنا جرى لي بحراء شبه ذلك وذلك أنا كنا جماعة باتتين به وكانت ليلة غيم فقممت في أثناء الليل وإذا بإبريق للفقراء وشبه النار خارج منه وقد أضاء / [٩٩/ب] المكان من ذلك قال : فأيقظت الجماعة وكنت أفتح كفي فيبقى على رأس كل إصبع شعلة نار مثل الشمع قال : فوضعت عمامتي على عكاز ورفعته فأشعل كالشعل فذكرنا ذلك لبعض الصالحين فقال : مرت بكم سحابة السكون قال المرجاني : والصفتان واحدة إلا أنني رأيت ذلك نهاراً فكان ضوءاً وهم رأوه ليلاً فكان نوراً قال : ثم إنني صعدت الجبل أيضاً يوم السبت الثامن عشر من شوال سنة أربع وخمسين وسبعمائة وكان معي جماعة منهم [به]^(٢) فاتفق لي مثل ذلك ورآه الجماعة قال المرجاني : وحدثني والدي عن بعض من أدركه من كبراء وقته أنه كان يصعد معه إلى حراء في كل عام مرة فيلتقط ذلك الشخص من بعض الحجارة قال : فسألته عن ذلك فقال : أخرج منها نفقتي [به]^(٣) العام ذهباً إبريزاً . انتهى كلام المرجاني وله شعر أنشده في فضائل حراء وما اختص به من الكرامات وهو :

تأمل حراء في جمال محيها . . . فكم من أناس في حُلا حسنه تاهوا

(١) أخبار مكة للأزرقي (٢٠٤/٢) ، وعن أبي هريرة بنحوه ، أخرجه البخاري : كتاب مناقب الأنصار - باب تزوج النبي ﷺ خديجة وفضلها - رضى الله عنها - ح (٣٨٢٠ - فتح) ، ومسلم : كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل خديجة أم المؤمنين - رضى الله تعالى عنها - ح (٢٤٣٢) .
والقصب : اللؤلؤ الخوف ، والصخب : الصوت المختلط المرتفع ، والنصب : المشقة والتعب .
(٢) لعلها هكذا في الأصل . والله أعلم .

فمما حوى من هجا لعلياه زيرًا ..	يفرّج عنه الهم فى حال مرقاه
به خلوة الهادى الشفيح محمد ..	وفيه له غار له كان يرقاه
وقبلته للقدس كانت بغاره ..	وفيه أتاه الوحى فى حال مبداه
وفيه تجلى الروح بالموقف الذى ..	به الله فى وقت البداة سواه
وتحت تخوم الأرض فى السبع أصله ..	ومن بعد هذا اهتز بالسفل أعلاه
ولما تجلى الله قدس ذكره ..	لطور تشظى فهو إحدى شظاياه
ومنها ثبير ثم ثور بمكة ..	كذا قد أتى فى نقل تاريخ مبداه
وفى طيبة أيضًا ثلاثًا نعهما ..	فعيرًا وورقًا وأحدًا رويناه
ويقبل فيه ساعة الظهر من دعا ..	به وينادى من دعانا أجنبناه
وفى أحد الأقوال فى عقب حرا ..	أتى ثم قابيل لهايل غشناه
ومما حوى سرًا حوته صخوره ..	من التبر. إكسيرًا يقام سمعها/ [١٠٠/]
سمعت به تسبيحها غير مرة ..	وأسمعته جمعًا فقالوا سمعناه
به مركز النور الإلهى مثبتًا ..	فلله ما أحلى مقامًا بأعلاه

قيل : كان ﷺ يصلى فيه إلى القدس وقيل : إنما كان يصلى ذلك الوقت إلى الكعبة ثم انتقل إلى بيت المقدس ثم بعد ذلك تحول إلى الكعبة قالوا : وفى حراء رأى النبى ﷺ جبريل فى الخلقة الأولى له ستمائة جناح قد سد الأفق . ومنها جبل ثور بأسفل مكة وسماه البكرى أبا ثور والمعروف. فيه ثور كما ذكره الأزرقى^(١) والمحب الطبرى، وهو من مكة على ثلاثة أميال كما ذكره ابن الحاج وابن جبير وقلل البكرى : إنه على ميلين من مكة وإن ارتفاعه نحو ميل^(٢) . قال المرجاني : وسمى الجبل ثورًا وإنما اسمه المحل سمي بثور بن مناة بن طائخة ؛ لأنه كان ينزله . وصح أن النبى ﷺ وأبا بكر الصديق اختليا فيه فى غار به وهو مشهور يأتريه الخلف، عن السلف ، وهو الذى ذكره الله سبحانه فى القرآن فى قوله : ﴿ثانى اثنين إذ هما فى الغار﴾^(٣) وفى حديث الهجرة^(٤) أن النبى ﷺ وأبا بكر لحقا بغار فى جبل ثور بأسفل مكة فدخلاه وأمر أبو بكر ﷺ ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول

(١) أخبار مكة (٢٩٤/٢) .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٣) .

(٣) سورة التوبة : الآية (٤٠) .

(٤) ممن أخرج حديث الهجرة بنحو ما ذكره المصنف ، البخارى : كتاب الإحارة - باب استسجار

المشركين عند الضرورة .. إلخ ح (٢٢٦٣ - فتح) وراجع أطرافه - ح (٤٧٢) عن عائشة

- رضى الله عنها - .

الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخير وأمر عامر ابن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام بما يصلبهما فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش ومعهم يتسمع ما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبى بكر ثم يأتيهما إذا أمسى ويخبرهما الخبر وكان عامر ابن فهيرة مولى أبي بكر يرعى في رعيان أهل مكة فإذا أمسى أراح عليهما / [١٠٠/ب] غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة اتبع عامر ابن فهيرة أثره بالغنم حتى يعصى عليهم حتى إذا مضت الثلاث وسكن عنهم الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه بعيرهما وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتيهما وارتجلا الحديث بطوله ، وفي رواية : لما دخلا غار ثور أمر الله العنكبوت فنسجت على بابه والراء^(١) فنبت^(٢) وحمامتين وحشيتين فغشيتا على بابه فأقاما في الغار بضعة عشر يوماً ثم خرج منه ليلة الاثنين لأربع ليال خلون من شهر ربيع الأول على ناقته الجذعاء .

قالت أسماء : فمكثنا ثلاثاً لا ندرى أين وجه النبي ﷺ حتى أنشد رجل من الجن من أسفل مكة أبياتاً من الشعر وأن الناس يتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة .

ويروى أن أبا بكر لما خرج مع رسول الله ﷺ متوجهاً إلى الغار جعل يمشى طوراً أمامه وطوراً خلفه وطوراً عن يمينه وطوراً عن شماله قال : « ما هذا يا أبا بكر ؟ » قال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي أذكر الرصد فأحب أن أكون أمامك وأتخوف الطلب فأحب أن أكون خلفك وأحفظ الطريق يميناً وشمالاً فقال : « لا بأس عليك يا أبا بكر إن الله معنا » قال : وكان رسول الله ﷺ غير مخصر القدم يبطأ بجميع قدمه الأرض وكان حافياً فعفى رسول الله ﷺ فحمل رسول الله أبو بكر على كاهله حتى انتهى إلى الغار فلما وضعه ذهب النبي ﷺ ليدخل فقال أبو بكر : والذي بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخل فأسبره قبلك فدخل ﷺ فجعل يلتمس بيده في ظلمة الليل الغار مخافة أن يكون فيه شيء يؤذى رسول الله ﷺ فلما لم ير شيئاً دخل رسول الله ﷺ فكانا فيه ، فلما / [١٠١/أ]

(١) قال قاسم : هي شجرة معروفة ، وقال أبو حنيفة : من أغلاف الشجر ، وتكون مثل قامة الإنسان ، ولها خيطان وزهر أبيض تحشى به المخاض ، فيكون كالريش لخفته ولينه ، لأنه كالقطن . وراجع الروض الأنف (٢٣٢/٢) .

(٢) ذكر هذه الرواية قاسم بن ثابت في الدلائل . راجع الروض الأنف (٢٣٢، ٢٣١/٢) .

استقر بعض الإسفار رأى أبو بكر خرقاً فى الغار فآلقمه قدمه حتى الصباح مخافة أن يخرج منه هامة أو ما يؤذى رسول الله ﷺ^(١).

وعن مجاهد عن ابن عباس قال : كان أبو بكر ﷺ مع رسول الله ﷺ فى الغار فعطش أبو بكر عطشاً شديداً فشكى إلى رسول الله ﷺ ذلك فقال له رسول الله ﷺ : «أذهب إلى صدر الغار فاشرب» قال أبو بكر : فانطلقت إلى صدر الغار فشربت ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأزكى رائحة من المسك ثم عدت إلى رسول الله ﷺ فقال : شربت ؟ فقلت : شربت يا رسول الله فقال : «ألا أبشرك ؟» فقلت : بلى فذاك أبى وأمى يارسول الله قال ﷺ : «إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنان أن اخرق نهراً من جنة الفردوس إلى صدر الغار ليشرب أبو بكر» قال أبو بكر ﷺ : ولى عند الله هذه المنزلة ؟ قال ﷺ : «نعم وأفضل والذى بعثنى بالحق نبياً لا يدخل الجنة مفضل ولو كان له عمل سبعين نبياً»^(٢). وفى الصحيحين والترمذى عن أبى بكر ﷺ قال : نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رؤوسنا فقلت : يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدمه أبصرنا تحت قدميه فقال : «ياأبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(٣) وعن طلحة البصرى قال : قال رسول الله ﷺ : «لشت مع صاحبى - يعنى أبا بكر ﷺ - فى الغار بضعة عشر يوماً

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٢ / ٤٧٦ ، ٤٧٧) ، وعزاه فى الدر المنثور (٣ / ٢٤١) للبيهقى وابن عساكر ، وهو فى الإحياء (٢ / ٣٤٥) وقال العراقي فى تحريجه : بإسناد ضعيف ، وقصة الهجرة رواها البخارى من حديث عائشة بغير هذا السياق ، واتفق عليها الشيخان من حديث أبى بكر بلفظ آخر ، ولهما من حديثه قال : قلت يا رسول الله ﷺ لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، وأما قتاله لأهل الردة ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة : لما توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبى بكر كيف تقاتل الناس .. اهـ ، وأما حديث سد الحرق بقدمه فأخرجه أبو نعيم فى الحلية (١ / ٣٣) ، وعزاه السيوطى فى الدر (٣ / ٢٤٢) إلى ابن مردويه عن أنس ، والحديث الذى ذكره المصنف من رواية ضبة بن محصن العنزى عن عمر فى قصة ، وهو من مرسل ابن أبى مليكة عند أبى القاسم البغوى كما أفاده الحافظ فى الفتح (٧ / ٢٧٩) . والله أعلم .

(٢) فى الدر المنثور (٣ / ٢٤٢ ، ٢٤٣) وقال أخرجه ابن عساكر فى تاريخه بسند واه عن ابن عباس وذكره بنحوه .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب المهاجرين .. ح (٣٦٥٣) - فتح ومسلم : كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ح (٢٣٨١) والترمذى : كتاب تفسير القرآن - باب من سورة التوبة ح (٣٠٩٦) عن أنس أن أبا بكر حدثه

ومالنا طعام إلا ثمر البرير»^(١) قال أبو داود ^(٢) : البرير الأراك .

وقد ثبت في صحيح البخاري^(٣) أنهما مكثا في الغار ثلاثاً وهذا القول هو الراجح لإجماع أهل التاريخ عليه ويحتمل أن يكون كلا القولين صحيحاً ووجه الجمع أنهما مكثا في الغار ثلاثاً ويكون معنى الحديث : مكثت مع صاحبي مختفيين من المشركين في الطريق والغار بضعة عشر يوماً ويروى أن الله تعالى أمر شجرة ليلة / [١٠١/ب] الغار فثبتت في وجهه النبي ﷺ فسرتة وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيتهم «وهراوتهم»^(٤) وسيوفهم حتى إذا كانوا من النبي ﷺ بقدر أربعين ذراعاً تعجل رجل منهم لينظر في الغار فرأى الحمامتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له : لم تنظر في الغار ؟ فقال : رأيت حمامتين بفم الغار فعلمت أنه ليس فيه أحد فسمع النبي ﷺ ما قال فعلم أن الله تعالى قد درء عنه بهما فدعا لهما وسمت عليهما وفرض «أجزأهما»^(٥) وانحدرا في الحرم^(٦) رواه أبو مصعب المكي . وعن ابن عباس قال : استأجر المشركون رجلاً يقال له : كرز بن علقمة الخزاعي ففقا لهم الأثر حتى أتى بهم إلى ثور وهو بأسفل مكة فقال : انتهى إلى هاهنا أثره فما أدري أخذ يمينا أم شمالاً أم صعد الجبل

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٨٧ / ٣) ، عن طلحة وليس هو طلحة بن عبيد الله ، والحاكم في المستدرک (٣ / ١٤ ، ١٥) عن طلحة البصري ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ا هـ . قال الذهبي : صحيح سمعه جماعة من داود وهو في مسند أحمد . ا هـ . وفي المستدرک كذلك (٤ / ٥٤٨ ، ٥٤٩) عن طلحة النضري ، وقال فيه مثلما قال في الموضع السابق ، وقال الحافظ في الفتح (٧ / ٢٧٩) : لم يقع في رواية أحمد ذكر الغار ، وهي زيادة في الخبر من بعض رواته ، ولا يصح حمله على حالة الحجر لما في الصحيح .. إلخ .

(٢) كذا في الأصل ، والصواب «داود» وذلك لأن داود بن هند سأل أبا حرب بن الأسود الراوي عن طلحة ، عن معنى البرير فأجابه أبو حرب ، كذا وقع عند الحاكم في روايته . والله أعلم .

(٣) أخرجه البخاري : كتاب الإجارة - باب استئجار المشركين عند الضرورة ح (٢٢٦٣ - فتح) عن عائشة ، وفيه أنهما واعداه - أي الدليل صبيحة ليال ثلاث . والله أعلم .

(٤) كذا في الأصل ، وفي الرواية «هراوتهم» . والله أعلم .

(٥) كذا في الأصل ، والصواب «جزأهما» كما في الرواية . والله أعلم .

(٦) عزاه في الدر المنثور (٣ / ٢٤٢) إلى ابن سعد وابن مردويه عن ابن مصعب قال : أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يتحدثون . وذكره ابن سعد في الطبقات (١ / ٢٢٨ ، ٢٢٩) ، وأخرجه البزار ح (١٧٤١ - كشف) وقال البزار : لا نعلم رواه إلا عون ابن عمير ، وهو بصرى مشهور ، وأبو مصعب فلا نعلم حدث عنه إلا عوين ، وكان عوين ورباح أخوين . ا هـ .

فلما انتهوا إلى فم الغار قال قائل منهم : ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف : ما أربكم إلى الغار إن عليه لعنكبوتاً كان قبل ميلاد محمد ﷺ ثم جاء فبال في صدر الغار حتى سال بوله بين يدي النبي ﷺ وأبى بكر ، فنهى النبي ﷺ عن قتل العنكبوت وقال : «إنها لحيل من جنود الله تعالى»^(١) رواه عبد الملك بن محمد النيسابوري في كتاب «شرف المصطفى» .

وعن إبراهيم التيمي قال : لما دخل النبي ﷺ الغار دعا شجرة كانت على باب الغار فقال لها : ائتنى فأقبلت حتى وقفت على باب الغار قال : وكان الذي بال مستقبل الغار عطية بن أبي معيط . وفي كتاب «الدلائل» للسيرقسطي : لما دخل رسول الله ﷺ الغار أنبت الله تعالى على بابه الرءاء وهي شجرة معروفة ، قال أبو حنيفة : هي من أغلاف الشجر وتكون مثل قامة الإنسان ولها زهر أبيض يحشى منه المخاد وقيل : هي شجرة أم غيلان وفي مسند البزار^(٢) أن الله تعالى / [١٠٢/] أرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار وأن نسل حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين . ذكره السهيلي^(٣) . وفي حديث الهجرة وقوله ﷺ : «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(٤) .

فوائد منها : بيان فضل أبي بكر الصديق حيث قرنه النبي ﷺ بنفسه وقال : «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» معناه ثالثهما بالحفظ والعصمة والنصر والمعونة والتسديد وهو داخل في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٥) وقيل : هو معنى قوله : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٦) ومنها عظم قدر النبي ﷺ وارتفاع شأنه وتعالى رتبته ومكانه عن التأثير بنوائب الدنيا والتغير بمصائبها ومتاعبها حيث اهتم أبو بكر بوصولهم إلى باب الغار متبعين لأثرهما وخاف من اطلاعهم عليهما ولم يهتم ولم يبال بأمرهم رسول الله ﷺ وثبت جأش أبي بكر وأزال روعه وطمان نفسه على أن المفسرين ذكروا أن كثرة خوف أبي بكر ﷺ إنما كانت لرسول الله ﷺ لا لنفسه ، ويروى أنه قال لما خاف الطلب : يا رسول الله إن قتلت فأنا رجل واحد وإن أصبت

(١) أورد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٢٤٠) حديثاً عن محمد بن إبراهيم التيمي مرفوعاً ، وفيه ذكر العنكبوت والنهي عن قتلها وأنها من جند الله ، وقال : أخرجه أبو نعيم ، وحديثاً عن ابن عباس فيه ذكر القائف ، وهو عند ابن مردويه وأبى نعيم في الدلائل . والله أعلم .

(٢) أخرجه البزار ح (١٧٤١ - كشف) وفيه - أحسبه قال : فأصل كل حمام في الحرم من فراخهما .

أ هـ . وقد تقدم تخريج الحديث .

(٣) الروض الأنف (٢ / ٢٣٢) .

(٤) تقدم تخريجه .

(٥) سورة النحل : الآية (١٢٨) .

(٦) سورة التوبة : الآية (٤٠) .

هلكت الأمة وفيه بيان عظم توكل النبي ﷺ حتى فى هذا المقام . قال النووى : وفيه فضيلة لأبى بكر وهى أجل مناقبه من أوجه - أحدها : هذا اللفظ المعطى تكرمه وتعظيمه . وثانيها : بذل نفسه ومفارقة أهله وماله ورياسته فى طاعة الله ورسوله وملازمة النبي ﷺ ومعاداة الناس فيه . وثالثها : جعل نفسه وقاية عنه^(١) انتهى كلامه قيل : ورابعها تخصيص الله تعالى إياه فى أمر نبيه ﷺ باستصحابه دون غيره من سائر الناس ومن فوائد الحديث بيان كراهة المكث بين الكفار والفجار / [١٠٢/ب] والفساق الذين لا يتدينون بالحق ولا يمكن حملهم عليه ومنها جواز التحصن بالقلاع عند الخوف من العدو ومنها : أن تعهد الأسباب فى الحالت لا يقدح فى التوكل والاعتماد على الله تعالى ومنها : أنه يجوز الأخذ بالحزم وإظهار ظن 'سوء المتوقع من العدو' ، وليس ذلك من الظن المنهى عنه لأن أبا بكر رضى الله عنه قال : لأبصرنا تحت قدميه ولم ينكر عليه النبي ﷺ ومنها أنه يجوز المسافرة بالرفيق الواحد عند الحاجة بلا كراهة وإن ورد خير الرفقاء أربعة فإنه ﷺ لم يستصحب سوى أبى بكر ومنها أنه يجوز لأحد الرفيقين أن يظهر لصاحبه خوفه مما يخاف منه ليخفف عن نفسه بيث الشكوى وليكون صاحبه واقفاً على الحال مستعداً لما عساه أن يعرض . ومنها : أنه ينبغي للمشكوك إليه أن يسكن جأش الشاكى ويعده الجميل من الله تعالى ويحبه على حسن الظن به ومنها استعمال الأدب فى المخاطبات بذكر الإنسان بكنيته ونحو ذلك مما يتضمن الإكرام لقوله ﷺ : يا أبا بكر . ومنها : جواز التكنية بأبى فلان وإن لم يكن للمكنى ابن مسمى بذلك إذ لم يكن لأبى بكر ابن يسمى بكراً . وعن غالب بن عبد الله عن أبيه عن جده أنه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ قال لحسان بن ثابت : «قلت فى أبى بكر شيئاً قل : حتى أسمع» قال : قلت :

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد . . طاف العدو به إذ صاعد الجبال

وكان حب رسول الله قد علموا . . من الخلائق لم يعدل به بدلا

فتبسم رسول الله ﷺ وفى الحديث : بيان فضل جبل ثور بما خصه الله بهذه المزية الكريمة والمنقبة العظيمة من بين سائر الأطواد والأعلام حيث جعله متحصن خير الأنام وقلعة رسول الله وحببيه عليه أفضل الصلاة والسلام . وفيه : / [١٠٣/أ] بيان فضيلة هذا الغار الشريف على سائر المغائر حيث كان صدقاً لأشرف الجواهر ، وكهفاً لكهف الأنبياء والمرسلين وكنفاً لكنف الخلائق من الأولين والآخرين وأنشد للرافعى :

فخص بذكر الله خير مغار . . ولا تغافل عن هجوم مغار

وكن حذراً من غيره الله واستقم . . لديه لئلا تبتلى بصغار

(١) شرح صحيح مسلم (١٥٠ / ١٥) .

وقلت فى «تخليص الزبدة فى تخميس البردة» عند قوله : وما حوى الغار من خير
ومن كرم .. الأبيات :

فهو الذى ريقه يشفى من السقم . . . بتفله حلت الآبار فى الطعم
فاعجب لتغريد كالدُر منتظـم . . . وما حوى الغار من جود ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمى

لما رأوا غار ثور كلهم عمى . . . وصار بدر الدجى باللفظ محتفيا
وقال يا صاح لا تحزن فلن يريا . . . فالصدق فى الغار والصدق لم يريا
وهم يقولون ما بالغار من آدم

باض الحمام به والعشب قد لندلا . . . والعنكبوت أجادت نسجها خللا
وشجرة الرء رمت فى قلبهم عللا . . . ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم يحم

فكم أسود بنار الحرب عارفة . . . وفى مثاقفة بل فى مسابقة
وفى الدروع مع التجفاف خائفة . . . وقاية الله أغنت عن مضاعفة

من الدروع وعن عال من الأطم

قال المرجانى فى «بهجة النفوس» : وذكر بعض الحمالين أنه عرف رجلاً كان له
جماعة بين وأموال كثيرة وأنه أصيب فى ذلك كله فلم يحزن على شىء من ذلك لقوة
صبره، قال : فسألته عن ذلك فقال : إنه روى أن من دخل غار ثور الذى آوى إليه رسول
الله ﷺ وأبو بكر ﷺ وسأل الله تعالى أن يذهب عنه الحزن لم يحزن على شىء من
[١٠٣/ب] مصائب الدنيا وقد فعلت ذلك فما ترى منه .

قال المرجانى : والخاصة فى ذلك من قوله تعالى : ﴿ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ
يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾^(١) . قال : ورأيت بهذا الجبل حيواناً يسمى الخلقوم
له ألف كراع فى مائتى رجل ، ورأيت أيضاً بأرض الطائف ونخله وبالقدس من أرض
فلسطين . انتهى . والناس يدخلون غار جبل ثور من بابه الضيق ومن بابه المتسع وبعض
الناس يتجنب دخول من بابه الضيق ويقولون : من لم يدخل منه ليس لأبيه^(٢) . وقد وسع
الباب الضيق فى زماننا لأن بعض الناس انحبس فيه لما ولج فلم يقدر أن يخرج ولا يدخل
ومكث على ذلك قريباً من ليلة فراح إليه المجاورون ووسعوا له وقطعوا عنه الحجر من

(١) سورة التوبة : الآية (٤٠) .

(٢) قال ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف (ص ٣٤٣) : وهو باطل لا أصل له .

الجوانب فانفتح حتى اتسع الموضع^(١).

ومنها : جبل ثبير وهو جبل المزدلفة الذى على يسار الذهاب كما عرفه الأزرقى^(٢) وغيره وقد تقدم فى أول الباب الحادى عشر ضبطه وتعريفه وهو جبل مشهور عند أهل مكة.

قال القزوينى : إنه جبل مبارك يقصده الزوار^(٣) وتقدم النقل عن ابن النقاش أنه يستجاب الدعاء به^(٤) وتقدم أيضاً قبيل هذا أنه تعالى لما تجلّى للجبل تشظى منه شظايا فوقعت بمكة ثلاثة منها ثبير^(٥) قال السهيلي : ذكروا أن ثبيراً كان رجلاً من هذيل مات فى ذلك الجبل فعرف الجبل به^(٦).

ومنها : الجبل الذى يلحقه مسجد الخيف وفيه غار المرسلات يأثره الخلف عن السلف كما ذكره الحب الطبرى وعلى ذلك أدركنا الناس فى عصرنا يقولون فى أمره ويدل له الحديث الثابت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ فى غار بمنى إذ نزلت عليه : ﴿ والمرسلات عرفاً ﴾^(٧) الحديث . وقد تقدم ذكره فى الفضائل أول هذا الفصل .

[فصل]

ذكر السقايات بمكة المشرفة وحرمةا

وبمكة المشرفة عدة سقايات ويقال لها السبل منها / [١٠٤ /] سبل عطية بن ظهيرة وسبل قاسم الزانكى عند مسجد الراية ، وسبل أم الحسين بنت القاضى شهاب الدين أحمد بالمسعى وسبل ابن بفلحة عند عين بازان بالمسعى ، وسبل السيد حسن بن عجلان برباطه ، ومنها خارج مكة من أعلاها سبل أم سليمان المتصوفة ، وسبل عطية المطيبين فى طرف المقبرة من أعلاها وسبل القائد سعد الدين جبروه فى بستانه وسبل إمامه السيد

(١) قال ابن ظهيرة : أنه وسع فى حدود عام ثمانمائة ، راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٣) .

(٢) أخبار مكة (٢ / ٢٨٠) وسماء ثبير النصع ، وقال : وهو الذى كانوا يقولون فى الجاهلية إذا أرادوا أن يدفعوا من المزدلفة : أشرق ثبير ؛ كيما نغير ، ولا يدفعون حتى يرون الشمس عليه . اهـ ، وفى الجامع اللطيف (ص ٣٤٥) أن ثبير اسم لثمانية أماكن وذكر أن هذا يسمى ثبير الأثرة لكونه أعلاها وأطولها ، وهو على يسار الذهاب إلى عرفة . والله أعلم .

(٣) عجائب المخلوقات (١ / ٢٣٤ ، ٢٣٥) .

(٤) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٤) .

(٥) وقوله هنا «منها ثبير» يوافق رواية الأزرقى فتنبه . والله أعلم .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٥) .

(٧) تقدم تخريجه .

حسن بن عجلان وسبيل الست بطريق منى ويقال له : سبيل ابن مزنة باسم رجل كان فيه ، والست المنسوب إليها هذا السبيل هى أخت الملك الناصر حسن صاحب مصر ، وتاريخ عمارته لها سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وبمنى عدة سبل وفيما بين منى وعرفة عدة سبل أيضًا إلا أنها منخرية جدًا وبأسفل مكة مما يلي التنعيم عدة سقايات منها سبيل الزنجبيلى ويقال له : سبيل أبى راشد لتجديده له وسبيل المكين لتجديده له أيضًا ومنها سبيل السيدة زينب بنت القاضى أحمد الطبرى وهو الآن منخرّب معطل لخرابه ووجد فى حجر مكتوب ملقى فيه أن المقتدى العباسى ووالدته أمرا بعمارة هذه السقاية والآبار التى وراءها وتصدقًا بها فى سنة اثنين وثلاثمائة وسبيل دون هذا السبيل إلى مكة عمره الشهاب المكين فى سنة ثمان وثلاثمائة وإلى جانب ذلك حوض للبهائم وكان بمكة سقايات أكثر مما ذكرنا قال الفاكهى لما ذكر السقايات : وبمكة فى فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى منى ونواحيها ومسجد التنعيم نحو من مائة سقاية انتهى .

[فصل]

ذكر البرك بمكة وحرمها

فيها عدة برك : منها بركتان عند باب المعلى متلاصقان على يسار الخارج من مكة إلى المعلى جددتا فى دولة الملك الناصر حسن صاحب مصر سنة تسع وأربعين وسبعمائة ومنها بركتان متلاصقتان على يمين الخارج إلى المعلى إحداهما بلصق / [١٠٤ / ب] سور باب المعلى ببستان الصارم ، وكانتا معطلتين فعمرت إحداهما فى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وملئت من عين بازان ، ومنها بركتان عند مولد النبى ﷺ بسوق الليل ببستان المسلمين على ما ذكر ، ومنها بأسفل مكة بركة يقال لها : بركة المساجن وبحرم مكة مما يلي منى وعرفة عدة برك منها البركة المعروفة ببركة السلم ولم يعرف من أنشأها وجدها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر وعمر العين التى تصل إليها الماء من منى وذلك فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة وبطرف منى مما يلي المزدلفة وفى طريق عرفة عدة برك آخر معطلة أيضًا لخرابها وبعرفة عدة برك وغالبها الآن ممتلىء بالتراب حتى صار ذلك مساويًا للأرض وبعضها من عمارة العجوز والدة المقتدى وذلك خمس برك وتاريخ عمارتها سنة خمس عشرة وثلاثمائة وبعضها عمره المظفر صاحب إربل فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة وفيما بعدها وبعضها عمره أقبال الراى المستنصرى العباسى فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة واسم أقبال باق فى بعض البرك التى حول جبل الرحمة وعمر بعضها الملك نائب السلطنة بمصر فى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر .

[فصل]

ذكر الآبار بمكة وحرمها

ذكر الأزرقى^(١) - رحمه الله - شيئاً من خبر الآبار الجاهلية والإسلامية بمكة وحرمها وبعرفة ، وليس يعرف الآن مما ذكره إلا النادر ، وجملة ما احتوى عليه سور مكة من الآبار ثمانية وخمسون بئراً ، وكلها مسيلة إلا البئر التى فى بيت المطيبين بأعلى مكة والبئر التى فى بيت القائد زين الدين شكر مولى الشريف حسن بن عجلان والبئر التى فى بيت أحمد بن عبد الله الدورى الفراش بالحرم الشريف المكى والبئر التى فى البيت المعروف ببيت السقى بقرب بيت الدورى ولم يذكر فى ذلك الآبار التى لا ماء فيها .

ومن الآبار المعروفة بمكة مما [١٠٥ / أ] ذكره الأزرقى البئر التى برباط السدرة وتعرف بسجلة^(٢) حفرها هاشم بن عبد مناف وقيل : قصى قال الأزرقى : وهى البئر التى يقال لها : بئر جبير بن مطعم دخلت فى دار أمير المؤمنين بين الصفا والمروة فى أصل المسجد الحرام التى يقال لها : دار القوارير أدخلها حماد البربرى حين بنى الدار لأمير المؤمنين هارون الرشيد وكانت البئر شائعة فى المسعى يقال : إن جبيراً ابتاعها من ولد هاشم وقال بعض المكيين : وهبها له أسد حين ظهرت زمزم ويقال : وهبها عبد المطلب حين حفر زمزم واستغنى عنها لمطعم بن عدى وأذن له أن يضع حوضاً من آدم عند زمزم يستقى فيه منها ويسقى الحاج قال الأزرقى : وهو أثبت الأقاويل عندنا^(٣) انتهى كلامه . وأما الآبار التى بين باب المعلا ومنى فستة عشر بئراً فيها الماء : منها البئر المعروفة ببئر ميمون بن الحضرمى أخ العلاء بن الحضرمى وهى البئر التى فى السبيل المعروف بسبيل الست على ما ذكره عبد الرحمن بن «أبى»^(٤) حرمى فى حجر مكتوب بخطه فى هذا البئر يتضمن أن المظفر صاحب أربل عمرها سنة أربع وستمائة .

وقال الأزرقى : وكانت آخر بئر حفرت فى الجاهلية قال : وعن مجاهد وعطاء وغيرهما من أهل العلم فى قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَأْتِكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾^(٥) . قالوا : زمزم وبئر ميمون ابن الحضرمى^(٥) . وذكر بعض الناس أن بئر ميمون بطريق وادى مر الظهران قيل : وفيه نظر ومنها البئر المعروفة بصلاصل قال الأزرقى : وهى البئر التى بقم شعب البيعة عند

(١) راجع أخبار مكة (٢ / ٢١٤ - ٢٢٣) الآبار التى بمكة قبل زمزم ، (٢ / ٢٢٣ ، ٢٢٤) الآبار التى حفرت بعد زمزم فى الجاهلية ، (٢ / ٢٢٤ - ٢٢٧) الآبار الإسلامية .

(٢) راجع أخبار مكة للأزرقى (٢ / ٢١٧) .

(٣) كتبت فوق السطر ولعلها هنا . والله أعلم .

(٤) سورة الملك : الآية (٣٠) .

(٥) أخبار مكة (٢ / ٢٢٢) .

عقبة منى^(١) والناس يسمون البئر التى بقم هذا الشعب ببركة مهير ويسمون بصلاصل بئرًا فى الجانب الذى يكون على عين الذهاب إلى منى وهى بئر مشهورة عند الناس بقرب هذه البئر وذكر الأزرقى أنها من الآبار الإسلامية^(٢) وسميت صلاصل بصلاصل بن أوس بن محاسن بن معاوية بن شريف من بنى عمرو بن تميم قاله الفاكهى . وأما الآبار [١٠٥/ب] التى بمزدلفة فهى ثلاثة وأما الآبار التى بعرفة فهى آبار كثيرة والتى فيها الماء الآن ثلاثة آبار وبعض الآبار التى لا ماء فيها من عمارة المظفر صاحب إربل وبين عرفة ومزدلفة بئر يقال لها : السقيا^(٣) على يسار الذهاب إلى عرفة . وأما الآبار التى بظاهر مكة من أعلاها فيما بين بئر ميمون بن الحضرمى والأعلام التى هى حد الحرم فى طريق وادى نخلة فهى خمسة عشر بئرًا منها أربعة آبار تعرف بآبار العسيلة وفى رأس طى بعضها ما يقتضى أن المقتدى العباسى أمر بجفر بئرين منها وفى طى بعضها ما يقتضى أن العجوز والدة المقتدى عمرتها مع سقايات هناك والبئر الرابعة من آبار العسيلة جددتها بعدد ثورها بعض الأمراء المصريين فى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة وبقية الآبار لا ماء فيها إلا بئر لأبى بكر الحصار وهى تلى آبار العسيلة وأما الآبار التى بأسفل مكة فى جهة التنعيم فهى ثلاثة وعشرون بئرًا بجادة الطريق منها بئر الملك المنصور صاحب اليمن عند سبيله تعرف بالزاكية ومنها الآبار المعروفة بآبار الزاهر الكبير وبعض هذه الآبار من عمارة المقتدى العباسى ، وبقرب الشبيكة آبار أخر يقال لها : آبار الزاهر الصغير وهى ثلاثة آبار منها واحدة لا ماء فيها ولها قرنان فى أحدهما حجر مكتوب فيه تاريخ عمارتها وتعرف هذه الآبار ببطن ذى طوى على ما ذكره الأزرقى^(٤) فى تعريف ذى طوى وبأسفل مكة أيضًا بئر يقال لها : الطنبداوية وبأسفل مكة مما يلى باب الماجن عدة آبار منها بئر بقربه من خارجه وبئر بالشعب الذى يقال له : خم بخاء معجمة مضمومة وهو غير خم الذى يروى أن النبى ﷺ قال : عندي^(٥) غديره «من كنت مولاه فعلى مولاه»^(٦) . لأنّهما هذا عند الجحفة وذكرها الأزرقى فى الآبار التى

(١) أخبار مكة (٢/ ٢٢٦) .

(٢) أخبار مكة (٢/ ٢٢٤ - ٢٢٧) .

(٣) ذكره الأزرقى فى أخبار مكة (٢/ ٢٢٧) .

(٤) راجع أخبار مكة (٢/ ٢٢٦) وذكر من هذه الآبار : بئر بكار وبئر وردان .

(٥) كذا فى الأصل ، والصواب «عند» . والله أعلم .

(٦) أخرجه الترمذى : كتاب المناقب - باب مناقب على بن أبى طالب رضى الله عنه ح (٣٧١٣) ،

والنسائى فى الكبرى (٥/ ٤٥ ، ١٣٠) عن زيد بن أرقم ، وشك شعبة هل هو زيد بن أرقم أم أبو

سريعة حذيفة بن أسيد ؟ كما فى رواية الترمذى ، وقال الترمذى عقبه : حسن صحيح ، والذى فى

تحفة الأشراف (٣٦٦٧) عن الترمذى أنه قال : حسن غريب ، وقال الحافظ فى الفتح (٧/ ٩٣) -

ممكة قبل زمزم قال : وحفرها كلاب بن مرة^(١) . قال السهيلي : وهي من حممت البيت إذا كنسته ويقال : فلان مخوم القلب أى نقيه فكأنها سميت بذلك لنقاها / [١٠٦/أ] قال : وأما غدِير خم الذى عند الجحفة فسمى به لغِيضة عنده يقال لها : خم فيما ذكروا^(٢) انتهى.

[فصل] ذكر عيون مكة

قال الأزرقى : كان معاوية قد أجرى فى الحرم عيوناً واتخذ لها أحياءاً ، فكانت حوائط وفيها النخل والزرع ثم سردها الأزرقى وذكر أنها عشر عيون^(٣) ثم قال : وكان عيون معاوية قد انقطعت وذهبت فأمر أمير المؤمنين الرشيد بعيون منها فعملت وأحييت وصرفت فى عين واحدة ثم انقطعت هذه العيون فكان الناس بعد انقطاعها فى شدة من الماء وكان أهل مكة والحاج يلقون من ذلك المشقة حتى أن الراوية لتبلغ فى الموسم عشرة دراهم وأكثر وأقل فبلغ ذلك أم جعفر بنت أبى الفضل جعفر بن أمير المؤمنين المنصور فأمرت فى سنة أربع وتسعين ومائة بعمل بركتها التى بمكة فأجرت لها عيناً من الحرم فجرت بماء قليل فلم يكن فيه رى لأهل مكة وقد غرمت فى ذلك غرمًا عظيمًا فبلغها فأمرت المهندسين أن يجروا لها عيوناً من الحل وكان الناس يقولون : إن ماء الحل لا يدخل الحرم لأنه يمر على عقاب وجبال فأرسلت بأموال عظام ثم أمرت من يزن عينها الأولى فوجد فيها فساداً فأنشأت عيناً أخرى إلى جنبها وأبطلت تلك العيون فعملت عينها هذه بأحكام ما يكون العمل وعظمت فى ذلك رغبتها وحسنت نيتها ، فلم تزل تعمل فيها حتى بلغت ثنية جبل فإذا الماء لا يظهر فى ذلك الجبل فأمرت بالجليل فضرِب فيه وأنفقت فى ذلك من الأموال ما لم تكن تطيب به نفس أحد حتى أجارها الله تعالى لها وأجرت فيها عيوناً من الحل منها عين المشاش واتخذت لها بركاً تكون السيول إذا جاءت تجتمع فيها ثم أجرت لها عيوناً من حنين فصارت لها مكرمة لم تكن لأحد قبلها وطابت نفسها بأن أنفقت فيها ما لم تكن تطيب به نفس أحد ، فأهل مكة والحاج إنما يعيشون بها بقدرة الله تعالى ثم

= وهو كثير الطرق جداً ، وقد استوعبها ابن عقدة فى كتاب مفرد ، وكثير من أسانيد أصحاب وصحاح وحسان . والله أعلم .

(١) أخبار مكة (٢ / ٢١٤) .

(٢) الروض الأنف (١ / ١٧٤) .

(٣) وهى «حائط الحمام ، وحائط عوف ، وحائط الصفى ، وحائط مورش ، وحائط خرمان ، وحائط مقيصرة ، وحائط حراء ، وحائط ابن طارق ، وحائط فخ ، وحائط بلدح ، ثم أضاف حائطين اتخذت ببلدح ، هما حائط ابن العاص ، وحائط سفيان . أخبار مكة (٢ / ٢٢٧ - ٢٣٠) .

أمر أمير المؤمنين المأمون صالح بن العباس في سنة عشر ومائتين أن يتخذ له برك خمس في السوق [١٠٦/ب] لئلا يتعنى أهل أسفل مكة والثنية وأجيادين إلى بركة أم جعفر وأجرى عيناً من بركة أم جعفر من فضل مائها في عين تسكب في بركة البطحاء ثم تمضى إلى بركة عند الصفا ثم تمضى إلى بركة عند الحناطين ثم تمضى إلى بركة بفوهة سكة الثنية دون دار أويس ثم تمضى إلى بركة عند سوق الخطب بأسفل مكة ثم تمضى في سرب ذلك إلى «ماجن»^(١) أبى صلابة ، ثم إلى «الماجنين»^(٢) اللذين في حائط ابن طارق وبأسفل مكة وكان صالح بن العباس لما فرغ منها ركب بوجوه الناس إليها فوقف عليها حين جرى فيها الماء ونحر عند كل بركة جزوراً وقسم لحمها على الناس^(٣) انتهى كلام الأزرقى .

وذكر المسعودى في تاريخه مقدار ما صرفت زبيدة وهى أم جعفر بنت أبى الفضل المذكورة في عمارة هذه العين ، وذكر فيما ذكر وأحصى ألف ألف وسبعمائة ألف دينار نقل ذلك المسعودى عن محمد بن على المصرى الخراسانى الأخبارى والظاهر أن هذه هى عين مكة المعروفة اليوم بعين بازان - بياء موحدة وألفين بينهما زأى - لأنها في هذه الجهة التى ذكرها الأزرقى . والله أعلم .

وقد عمر هذه العين جماعة من الخلفاء والملوك ، منهم المستنصر العباسى فى سنة خمس وعشرين وستمائة وفى سنة أربع وثلاثين وستمائة ومنهم الأمير جوبان نائب السلطنة بالعراقين عن السلطان أبى سعيد بن خرييدا ملك التتر وذلك فى سنة ست وعشرين وسبعمائة ووصلت إلى مكة فى العشر الأخير من جمادى الأولى من هذه السنة وعم نفعها وعظم ، وكان جريانها هذا رحمة من الله تعالى لأمة نبيه ﷺ فإنهم كانوا فى جهد عظيم بسبب قلة الماء بمكة وعمرت مرات كثيرة فى عصرنا وفيما قبله ومن أحسن أمرها فى عصرنا وقام بعمارتهما وصرف عليها الأموال الجزيلة الشهاب بركوت المكين لأنه الذى يقوم بأمرها من سنة ثلاث عشرة إلى تاريخه وهو سبع عشرة ، ومن العيون التى أجريت بمكة عين أجراها الملك الناصر محمد بن / [١٠٧/ب] قلاوون صاحب مصر سنة ثمان وعشرين وسبعمائة فى مجرى عين بازان وتعرف هذه العين بعين جبل ثقبه وجملة المصروف عليها خمسة آلاف درهم وذلك على يد ابن هلال الدولة مشيد العمارة ومنها عين أجراها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة من منى إلى بركة السلم بطريق منى .

(١) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة «ماجل» وكلاهما صواب . والله أعلم .

(٢) فى أخبار مكة «الماجنين» وكلاهما صواب . والله أعلم .

(٣) أخبار مكة (٢٣٠/٢ - ٢٣٢) .

[فصل]

ذكر المطاهر التي تمكن^(١) بمكة المشرفة مطاهر

منها : مطهرة الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر عند باب بنى شيبه ، وتاريخ عمارتها سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وفيها وقفت ، ومنها مطهرة الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر عند باب الخزورة ولعل عمارته لها كانت فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وهى الآن معطلة ، ومنها مطهرة الأمير ضرغمش الناصرى أحد كبار الأمراء فى دولة الملك الناصر حسن صاحب مصر وهى فيما بين البيمارستان المستنصرى ورباط أم الخليفة وتاريخ عمارته لها سنة تسع وخمسين ثم عمرت بعد ذلك غير مرة ، ومنها مطهرة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر بالمسعى قبالة باب على أحد أبواب المسجد الحرام وكانت عمارتها فى سنة ست وسبعين وسبعمائة والمتولى لأمر عمارتها الأمير أبو بكر بن سنقر الجبالى وللإشراف عليها وقف بمكة ريع فوقها ودكاكين ووقف بضواحي القاهرة ، وتخربت ثم عمرها فى سنة سبع عشرة وثمانمائة ، ومنها مطهرة خلفها عمرتها أم سليمان المتصوفة صاحبة الزاوية بسوق الليل وفرغ من عمارتها فى سنة ست وتسعين وسبعمائة ، ومنها مطهرة الأمير زين الدين بركة العثمانى رأس نوبة النوب بالقاهرة وأحد مديرى المملكة بها وهى المطهرة التى بسوق العطارين بقرب باب بنى شيبه على يسار الخارج من الباب وبابها مقابل باب المطهرة الناصرية المذكورة ، ومنها مطهرة تنسب للأمير طنبا الطويل أحد الأمراء [١٠٧/ب] المقدمين بالديار المصرية عمرت فى أوائل عشر السبعين وسبعمائة وهى بأسفل مكة عند باب العمرة الآن ، والآن هى معطلة ، ومنها : مطهرة عند باب الخزورة يقال لها : مطهرة الواسطى ، ولم يعرف المنسوبة إليه ولا متى وقفت ، والله تعالى أعلم .

(١) تقرأ هكذا فى الأصل ، ولعل الصواب « تمكنت » . والله أعلم .

الباب الثانى

فى تاريخ المدينة وما يتعلق بالمسجد النبوى
الشرىف والحجرة المقدسة والمنبر الشرىف
وزيارة النبى ﷺ ومزارات المدينة
والجوار بها وآداب الرجوع .
وفيه عشرة فصول

الفصل الأول
فى أول ساكنى المدينة
وسكنى اليهود الحجاز
ثم نزول الأوس والخزرج بالمدينة .

ذكر أول من نزل المدينة الشريفة

قال أهل السير : أول من نزل المدينة بعد الطوفان قوم يقال لهم صعل وفالح ، فغزاهم داود - عليه السلام - فأخذ منهم مائة ألف عذراء ، ثم سلط الله عليهم الدود فى أعناقهم فهلكوا ، فقبورهم هذه التى فى السهل والجبل^(١) ، وداود - عليه السلام - هو من ولد يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، بينه وبين يهوذا عشرة آباء^(٢) ، عاش مائة سنة^(٣) ، وقيل : مائة وأربعين ، وقيل : سبعين ، وكان يدعو إلى شريعة موسى - عليه السلام - لأن الزبور لم يكن فيه أحكام فكان خمسين ومائة سورة : فى خمسين ذكر ما يلقون من يختصر وأهل بابل ، وفى خمسين ذكر ما يلقون من أهل إيلون ، وفى خمسين مواعظ وحكم^(٤) ، وكان يقرأه بسبعين لحناً^(٥) . وكل كتاب يكون غليظ الكتابة يقال له : زبور . وقيل : الزبور : كل كتاب يصعب الوقوف عليه من الكتب الإلهية . وقيل : الزبور : الكتاب المقصور على الحكمة الإلهية العقلية دون الأحكام الشرعية . ونزل عليه الزبور بالعبرانية^(٦) ، وكان مدة ملكه أربعين سنة^(٧) ، كان يبيع الدرع بأربعة آلاف وهو أول من عمل الدرع^(٨) ، قال الله تعالى : ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾^(٩) . الآية ..

قال أهل السير : وكان سكنى العماليق غزة وعسقلان وساحل بحر الروم وما بين مصر وفلسطين / [١٠٨/أ] ثم سكنوا مكة والمدينة والحجاز كله وعتوا ، فبعث إليهم موسى جنداً من بنى إسرائيل فقتلوهم . وعن زيد بن أسلم قال : بلغنى أن ضبعاً رثيت وأولادها رابضة فى حجاج غير رجل من العماليق قال : ولقد كان يمضى فى ذلك الزمان أربعمئة سنة وما يسمع بجنابة ، وكان جالوت من العماليق وكان عُوج وأمه عناق من العماليق اللذين كانوا بأريحا ..

(١) راجع الدرة الثمينة (ص ٣٥) .

(٢) راجع قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٤٨٠) .

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٤٩٣) . عن قول الحسن

(٤) قصص الأنبياء للثعلبي (ص ٢٧٩ ، ٢٨٠) .

(٥) قصص الأنبياء للثعلبي (ص ٢٨٠) ، واللحن هو اللغة والنحو . والمراد أنه كان يقرأ الزبور بسبعين لغة . والله أعلم .

(٦) قصص الأنبياء للثعلبي (ص ٢٧٩) .

(٧) قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٤٩٢) .

(٨) راجع الوسائل فى معرفة الأوائل للسيوطى (ص ٥٨) .

(٩) سورة سبأ : الآية (١٠) .

عن ابن عمر قال : كان طول عُوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلاثمائة وثلاثين ذراعًا وثلاثي ذراع بذراع الملك ، وعاش ثلاثة آلاف سنة ، وأخذ إحدى بنات آدم لصلبه ، وهى أول من تغنى على وجه الأرض فهلكت ، كان كل أصبع من أصابعها ثلاثة أذرع فى ذراعين ، ولدت حواء على أثرها قابيل ثم هابيل .

قال ابن قتيبة فى «تأويل مختلف الحديث» : ومن العجب أن عُوجًا كان فى زمن موسى - عليه السلام - وله هذا الطول ، وفرعون ضده فى القصر على ما ذكره الحسن قال : ما كان طول فرعون إلا ذراعًا وكانت لحيته ذراعًا . وقيل : كان طوله ذراعين ، وكان لفرعون موسى من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال ، فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والياقوت ، طمس الله عليها فصارت حجارة ؛ لقول موسى : ﴿رَبِّنا اطمس على أموالهم﴾^(١) . وفرعون أول من غضب بالسواد .

ذكر سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق

اعلم أن موسى - عليه الصلاة والسلام - لما أهلك فرعون وطئ الشام وأهلك من بها ، وبعث بعثًا من اليهود إلى الحجاز وأمرهم أن لا يستبقوا من العماليق أحدًا بلغ الحل ، فقدموا فقتلوهم وقتلوا ملكهم وكان يقال له : الأرقم بن أبى الأرقم ، واستجبوا ابنًا له شابًا وقدموا به فقبض موسى - عليه السلام - قبل قدومهم ، فنلقتهم بنو إسرائيل فوجدوا الغلام معهم ، فقالوا لهم : إن هذه لمعصية منكم لما خالفتم من أمر نبيكم ، والله لا تدخلوا علينا بلادنا وحالوا بينهم وبين الشام فرجعوا فسكنوا الحجاز ، وكانت الحجاز إذ ذاك أشجر بلاد الله / [١٠٨/ب] وأطهرها ، قالوا : وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق ، وكان جميعهم بزهرة بين الحرة والسافلة مما يلى القف ، وكانت لهم الأموال بالسافلة ، ونزل جمهورهم بمكان يقال له يشرب بمجتمع السيول سيل بطحان والعقيق وسيل قناة مما يلى زغابة ، وخرجت قريظة وإخوتهم بنو هذل وهم بنو الخزرج والنضير بن النحام ابن الخزرج وقيل : قريظة والنضير أخوان وهما بنو أبناء الخزرج بن الصريخ فخرجوا بعد هؤلاء فتبعوا آثارهم فنزلوا بالعالية على واديين يقال لهما : مذيئب ومهروز ، فنزلت بنو النضير على مذيئب واتخذوا عليه الأموال ، ونزلت قريظة وهذل على مهروز واتخذوا عليه الأموال ، وكانوا أول من احتفر بها البنايا واغتسروا الأموال وابتنى الآطام والنازل ، فكان جميع ما ابتنى اليهود بالمدينة من الآطام تسعًا وخمسين أطمًا ، والآطام : الحصون واحدها

(١) سورة يونس : الآية (٨٨) .

أطم^(١). قال الخطابي : هو بناء من الحجارة ، ومثله الآجام^(٢) والعياص. ثم نزل أحياء من العرب على يهود وذلك أنه كان بالمدينة قرى وأسواق من يهود بنى إسرائيل وكان قد نزلها عليهم أحياء من العرب وابتنوا معهم الأظام والمنازل قبل نزول الأوس والخزرج وهم بنو أنيف حتى من بلى ، ويقال : إنهم لمن بقية العماليق وبنو مرثد حتى من بلى ، وبنو معاوية ابن الحارث بن بهية من بنى قيس بن عيلان ، وبنو الجذمي حتى من اليمن ، وكان جميع ما ابتنى العرب من الأظام بالمدينة ثلاثة عشر أطمًا^(٣) .

ذكر نزول الأوس والخزرج المدينة

لم تنزل اليهود الغالبة على المدينة حتى جاء سيل العرم ، وكان منه ما كان وما قص الله في كتابه ، وذلك أن أهل مأرب - وهى أرض سبأ - كانوا آمنين فى بلادهم تخرج المرأة بمغزلها لا تنزود شيئاً تبيت فى قرية وتقبل فى أخرى حتى تأتى الشام ، ولم يكن فى أرضهم حية ولا عقرب ولا ما يؤذى ، فبعث الله إليهم ثلاثة عشر نبياً فكذبوهم وقالوا : ﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾^(٤) فسلط الله عليهم سيل / [١٠٩] العرم - وهو السيل الشديد الذى لا يطاق - وقيل : العرم اسم الوادى . وقيل : اسم المياه . وذلك أن الله بعث عليهم جرذاً يسمى الخلد - والخلد هو الفأر الأعمى - فنقب السد من أسفله حتى دخل السيل عليهم فغرقت أرضهم . وقيل : أرسل عليهم ماء أحمر فخرب السد وتمزق من سلم منهم فى البلاد ، وكان السد فرسخاً فى فرسخ بناه لقمان الأكبر العادى للدهر على زعمه ، وكان يجتمع إليه مياه اليمن من مسيرة شهر ، وتقدم فى الباب قبل هذا قضية طريفة الكاهنة وما قالت لقومها وأنها قالت لهم : من كان منكم يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى الحبل فليلحق بيثرب ذات النخل . فلحق بها الأوس والخزرج فوجدوا الأظام والأموال والقوة لليهود فعاملوهم زماناً فصار لهم مالاً وعدداً ، فمكث الأوس والخزرج معهم ما شاء الله ثم سألوهم أن يعقدوا بينهم وبينهم حوازاً وحلفاً يأمن به بعضهم من بعض ، ويمتنعون به ممن سواهم ، فتعاقدوا وتحالفوا واشترکوا وتعاملوا ، فلم يزلوا على ذلك زماناً طويلاً حتى قويت الأوس والخزرج وصار لهم مال وعدد فلما رأت قريظة والنضير حالهم خافوهم أن يغلبوهم على دورهم وأمواهم فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف الذى كان بينهم ، وكانت قريظة والنضير أعز وأكثر فأقامت الأوس والخزرج فى منازلهم

(١) الأظام : جمع أطم - بضم تين - بناء مرتفع كالحصون . راجع النهاية لابن الأثير (٥٤/١) .

(٢) الآجام : جمع أجم - بضم تين - الحصن . القاموس المحيط مادة «أجم» .

(٣) راجع الدرر الثمينة (ص ٣٦ - ٣٩) .

(٤) سورة سبأ : الآية (١٩) .

وهم خائفون أن تجليهم يهود حتى نجم^(١) منهم مالك بن العجلان أخو بنى سالم بن عوف ابن الخزرج^(٢).

ذكر قتل اليهود واستيلاء الأوس والخزرج على المدينة

لما نجم مالك بن العجلان سودة الجنان عليهما فبعث هو وجماعة قومه إلى من وقع بالشام من قومهم يخبرونهم حالهم، ويشكون إليهم غلبة اليهود لهم، وكان رسولهم الرمق ابن زيد بن امرئ القيس أحد بنى سالم بن عوف بن الخزرج، وكان قبيحًا ذميًا، شاعرًا بليغًا، فمضى حتى قدم الشام على ملك من ملوك غسان الذين ساروا من يثرب إلى الشام يقال له أبو حبيلة من ولد حفنة بن عمرو بن عامر. وقيل: أحد بنى حشم بن الخزرج، وكان قد أصاب ملكًا بالشام / [١٠٩/ب] وشرقًا، فشكا إليهم الرمق حالهم وغلبة اليهود لهم وما يتخوفون منهم وأنهم يخشون أن يخرجوهم، فأقبل أبو حبيلة في جمع كثير لنصرة الأوس والخزرج، وعاهد الله أن لا يبرح حتى يخرج من بها من اليهود وينظم أو يصيرهم تحت أيدي الأوس والخزرج، فسار وأظهر أنه يريد اليمن حتى قدم المدينة - وهى يومئذ يثرب - فلقبه الأوس والخزرج وأعلمهم ما جاء به فقالوا: إن علم القوم ما تريد تحصنوا فى آطامهم فلم نقدر عليهم، ولكن ندعوهم للقائك وتلطفهم حتى يأمنوك ويطمئنوا فتمكن منهم، فصنع لهم طعامًا وأرسل إلى وجوهم ورؤسائهم فلم يبق من وجوهم أحد إلا آتاه، وجعل الرجل منهم يأتى بحاشيته وحشمه رجاء أن يحبوه الملك، وكان قد بنى لهم حيزًا وجعل فيها قومًا وأمرهم من دخل عليهم منهم أن يقتلوه حتى أتى على وجوهم ورؤسائهم، فلما فعل ذلك عزت الأوس والخزرج بالمدينة، واتخذوا الديار والأموال وانصرف أبو حبيلة وتفرقت الأوس والخزرج فى عالية المدينة وسافلها، وكان منهم من جاء إلى عفاء من الأرض لا ساكن فيه فنزله، ومنهم من لجأ إلى قرية من قراها واتخذ الأموال والآطام، وكان ما ابتنوا من الآطام مائة وسبعة وعشرين أطمًا، وأقاموا كلمتهم واحدة وأمرهم مجتمع، ثم دخلت بينهم حروب عظام وكانت لهم أيام ومواطن وأشعار، فلم تزل تلك الحروب بينهم حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ فأكرمهم الله باتباعه^(٣)، والأوس والخزرج حيان ينسبان إلى قحطبان، لأن من قحطبان افتزقت سبع وعشرون قبيلة منهم الأوس والخزرج، وهما الأنصار وهو جمع نصير، وسما أنصارًا حين

(١) نجم: طلع وظهر.

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ٣٩ - ٤١).

(٣) راجع الدرة الثمينة (ص ٤١، ٤٢).

آووا رسول الله ﷺ ونصروه ، وعنه ﷺ : «أسلمت الملائكة طوعًا ، والأوس والخزرج طوعًا ، وجميع العرب كرها»^(١).

(١) أورده الهيتمى فى «مجمع الزوائد» (٢٨/١٠) بلفظ : «أسلمت الملائكة طوعًا ، وأسلمت الأنصار طوعًا ، وأسلمت عبد القيس طوعًا» . وقال : رواه الطبرانى فى «الأوسط» عن شيخه على بن سعيد ابن بشير ، وفيه لين ، وبقية رجاله ثقات .

الفصل الثانى

فى ذكر فتح المدينة وهجرة النبى ﷺ وأصحابه إليها

ذكر ما جاء في فتحها

قالت [١١٠/أ] عائشة - رضى الله عنها - : كل البلاد افتتحت بالسيف ، وافتتحت المدينة بالقرآن^(١) . قال الحافظ محب الدين بن النجار فى «تاريخه»^(٢) : فالمدينة الشريفة لم تفتح بقتال إنما كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه فى كل موسم على قبائل العرب ويقول : «ألا رجل يحملنى إلى قومه فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى» . فآبوه ويقولون له : قوم الرجل أعلم به . حتى لقى فى بعض السنين عند العقبة نفرًا من الأوس^(٣) والخزرج قدموا فى المنافرة التى كانت بينهم فقال لهم : «من أنتم ؟» . قالوا : نفر من الخزرج . قال : «أمن موالى يهود ؟» . قالوا : نعم . قال : «أفلا تجلسون كلكم ؟»^(٤) قالوا : بلى . فجلسوا معه فدعاهم إلى الله - عز وجل - وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن وكانوا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا إذا كان بينهم وبين اليهود الذين معهم بالمدينة شئ قالت اليهود لهم - وكانوا أصحاب كتاب وعلم - : إن النبى مبعوث الآن وقد أظلم زمانه فنتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلمون والله أنه النبى الذى توعدكم به يهود فلا سبقتم^(٥) إليه فاغتنموه وآمنوا به ، فأجابوه فيما دعاهم إليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا : لقد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبنك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا وكانوا ستة : سعد^(٦) بن زرارة وهو جد النقباء فى العقبة الأولى والثانية ، وعوف بن عفراء - وهى أمه - وآبوه الحارث

(١) أخرجه البزار فى كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمى ، (٤٩/٢) رقم ١١٨٠ ، وابن عدى فى الكامل (٢١٨٠/٦) ، وابن الجوزى فى الموضوعات (٢١٦/٢ - ٢١٧) ، وعزاه السيوطى فى اللآلئ المصنوعة (١٢٧/٢) إلى الخطيب البغدادى .

(٢) الدرة الثمينة (ص ٤٥ ، ٤٦) .

(٣) هكذا فى الأصل ، وفى سيرة ابن هشام والبداية والنهاية وغير ذلك من المصادر أنه «رط من الخزرج» ، ويؤيده ما روى عن الزهرى والشعبى «أنهم كانوا ليلتشد ستة نفر من الخزرج» . والله أعلم .

(٤) هكذا فى الأصل وفى سيرة ابن هشام ، والبداية والنهاية عن ابن إسحاق «أفلا تجلسون أكلكمكم» . وهو أليق بالسياق . والله أعلم .

(٥) هكذا فى الأصل ، وفى السيرة لابن هشام «فلا تسبقنكم» .

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى جميع المصادر «أسعد بن زرارة» ، وهو صحابى جليل مشهور . والله أعلم .

ابن رفاعه ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وعقبة [١١٠/ب] ابن عامر بن نابي ، وجابر بن عبد الله بن رثاب ، فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ وما جرى لهم ودعواهم إلى الإسلام ، ففشا فيهم حتى لم يبق دار من دور الإسلام إلا ورسول الله ﷺ فيها ذكر ، فلما كان العام المقبل وافى الموسم منهم اثنا عشر رجلاً فلحقوا رسول الله ﷺ بالعقبة وهى العقبة الأولى^(١) فبايعوه ، فلما انصرفوا بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير إلى المدينة وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين ، وكان منزله على سعد^(٢) بن زرارة ، ولقيه في الموسم الآخر سبعون رجلاً من الأنصار منهم امرأتان^(٣) فبايعوه^(٤) ، وأرسل رسول الله ﷺ أصحابه إلى المدينة ثم خرج إلى الغار بعد ذلك ثم توجه هو وأبو بكر ﷺ إلى المدينة .

ذكر هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة الشريفة

اعلم أن هجرة النبي ﷺ إلى المدينة هي من بعض معرفة دلائل صفات نعوته في الكتب الإلهية ، وقد نطقت الأخبار بأن المدينة دار هجرة نبي يخرج في آخر الزمان . ذكر صاحب «الدر المنظم» والشهرستاني في كتابه «أعلام النبوة» في قصة يلخصها: أن سيف بن ذى يزن الحميري لما ظفر بالحيشة وذلك بعد مولد النبي ﷺ قصده وفود العرب بالهنية ، وخرج إليه وفد قريش وفيهم عبد المطلب إلى صنعاء وهو في قصره المعروف بغمندان ، فلما دخلوا عليه وأنفق ما أنفق قال سيف لعبد المطلب : إنني وجدت في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اختزنه لأنفسنا دون غيرنا خيراً جسيماً ، وخطرًا عظيمًا فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة ، وهو للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة ، ثم قال له : إذا ولد بهتامة غلام به علامة كانت له الإمامة ، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة ، ولولا [١١١/أ] أن الموت يجتاحني قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار ملكي ، فإنني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب استحكام ملكه وأهل نصرته وموضع قبره ، ولولا أنسى أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأوطأته العرب ، ولكنني صارف إليك ذلك عن غير يقيني بمن معك ثم أمر لكل واحد من قومه بجائزة وأجاز

(١) كانت بيعة العقبة الأولى في موسم الحج في السنة الثانية عشر من مبعث النبي ﷺ ، وكانت بيعة العقبة الثانية في السنة الثالثة عشر من النبوة . والله أعلم .

(٢) هكذا في الأصل ، وفي جميع المصادر «أسعد بن زرارة» . والله أعلم .

(٣) هما أم عمارة - نسيبة بنت كعب - من بنى مازن بن التجار ، وأم منيع - أسماء بنت عمرو - من بنى سلمة . والله أعلم .

(٤) راجع : سيرة ابن هشام (٢١/٢) ، والبداية والنهاية (١٩٣/٣) ، وزاد المعاد (٤٥/٣) .

عبد المطلب بأضعافها ، ثم قال : اتنتى بخبره وما يكون من أمره على رأس الحول ، فمات سيف قبل أن يحول عليه الحول .

وقد جاء فى بعض الأحاديث : أخبرنا رسول الله ﷺ عن صفته فى التوراة : «عبدى أحمد المختار ، مولده بمكة ، ومهاجره بالمدينة . أو قال : طيبة ، أمته الحمادون لله على كل حال» . وقيل : معنى قوله تعالى : ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾^(١) . أى : ضالاً عن الهجرة فهداك إليها . وقيل : وجدك ضالاً بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة . وقيل فى قوله تعالى : ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون﴾^(٢) . إن السائحين المهاجرين . وقيل : لم يهاجر ﷺ حتى طلب الهجرة ؛ لقوله تعالى : ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾^(٣) . فالداعى محمد ﷺ والقرية مكة ، والولى والنصير الأنصار .

وعن على بن عبد الله عنه ﷺ قال : أتانى جبريل - عليه السلام - فقلت له : «يا جبريل من يهاجر معى ؟» قال : أبو بكر وهو يلى أمتك من بعدك وهو أفضل أمتك»^(٤) . وفى صحيح البخارى من حديث الهجرة أن النبى ﷺ قال للمسلمين : «إنى رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الخرتان»^(٥) . وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ أنه قال : «رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلى^(٦) إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هى المدينة يثرب»^(٧) . / [١١١/ب] فلما ذكر النبى ﷺ هذا المنام لأصحابه هاجر من هاجر منهم قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وكان أول من هاجر إلى الحبشة حاطب بن عمرو ، وقيل : عبد الله بن عبد الأسد بن هلال . وأول مولود ولد فى الإسلام بأرض الحبشة

(١) سورة الضحى : الآية (٧) .

(٢) سورة التوبة : الآية (١١٢) .

(٣) سورة النساء : الآية (٧٥) .

(٤) أخرجه الحاكم فى مستدركه . وصححه ، ووافقه الذهبى .

(٥) البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه ح (٣٩٠٥ - فتح) عن عائشة - رضى الله عنها - . قال الحافظ فى الفتح (٢٧٦/٧) : قوله «بين لابتين وهما الخرتان» هذا مدرج فى الخبر وهو من تفسير الزهرى . والخرة أرض حجارتها سود . ثم قال : هذه الرؤيا غير الرؤيا التى فى حديث أبى موسى التى تردد فيها .

(٦) وهلى : بفتح الواو والهاء - أى وظنى - فتح البارى (٢٦٩/٧) .

(٧) البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه ح (٢٦٧/٧ - فتح) ومسلم :

كتاب الرؤيا - باب رؤيا النبى ﷺ ح (٢٢٧٢) .

عبد الله بن جعفر بن علي بن أبي طالب عليه السلام . وتجهز أبو بكر عليه السلام قبل المدينة فقال له رسول الله ﷺ : «على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي» فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال : «نعم» . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده الخبط ^(١) أربعة أشهر ^(٢) . قالت عائشة - رضى الله عنها - : بينما نحن يوماً جلوس فى بيت أبى بكر فى نحو الظهيرة قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعا - فى ساعة لم يكن يأتينا فيها - قال أبو بكر : فدأ له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر قال ^(٣) : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له ، فدخل فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر : «اخرج من عندك» فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبى أنت . قال : «فإني قد أذن لي فى الخروج» . فقال أبو بكر : الصبحة ^(٤) يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ : «نعم» . قال أبو بكر : فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين . قال رسول الله : «بالثمن» . قالت عائشة - رضى الله عنها - فجهرناهما أحت ^(٥) الجهاز ، ووضعنا ^(٦) لهما سفرة فى حراب - والسفرة طعام يتخذه المسافر وكان أكثر ما يحمل فى جلد مستدير فنقل اسم الطعام إلى الجلد ، كالراوية اسم للبعير ونقلت إلى المزادة قاله الخليل - قالت عائشة : فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاقين . والنطاق : أن تأخذ المرأة الثوب فتشتمل به ثم تشد وسطها بخيط ثم ترسل الأعلى / [١١٢/أ] على الأسفل ^(٧) - قالت : ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار جبل ثور فمكنا ^(٨) فيه ثلاثاً ، بييت عندهما عبد الله بن أبى بكر ، وهو غلام شاب لقي ^(٩) ، فبدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط

(١) الخبط : ورق السم .

(٢) البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه ح (٣٩٠٥ - فتح) من حديث عائشة - رضى الله عنها .

(٣) هكذا فى الأصل ، وفى الحديث : قالت . أى عائشة - رضى الله عنها .

(٤) هكذا فى الأصل ، وفى صحيح البخارى : «الصباحة» . والله أعلم .

(٥) أحت : أفعل تفضيل من الحث والإسراع .

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى رواية الصحيح : «وصنعنا» . والمعنى قريب . والله أعلم .

(٧) قاله أبو عبيد الهروى . راجع فتح البارى (٢٧٨/٧) .

(٨) هكذا فى الأصل ، وفى رواية الصحيح : «فمكنا» .

(٩) لقن : بفتح اللام وكسر القاف : سريع الفهم .

الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من لبن فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رسل^(١) حتى ينق بهما عامر بغلس ففعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي ، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بنى الدليل هاديًا ماهرًا بالهداية وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحتيهما ، وواعده غار ثور بعد ثلاث براحتيهما ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل^(٢) ، وكان اسم دليلهم عبد الله بن أريقط الليثي ، ولم يعرف له إسلام بعد ذلك ، وكانت هجرته ﷺ يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول . وقيل : كانت آخر ليلة من صفر ، وعمره إذ ذاك ثلاث وخمسون سنة وتسعة أشهر بعد المعراج بسنة وشهرين ويوم واحد ، فكان بين البعث والهجرة اثنا عشر سنة وتسعة أشهر وعشرون يومًا ، وقيل : كانت إقامته بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة .

ومروا على خيمتي أم معبد^(٣) الخزاعية في قديد^(٤) ، وكانت امرأة برزة^(٥) جلدة تختبئ وتجلس بفناء الخيمة أو القبة ثم تسقى وتطعم ، فسألوها ثمرًا ولحمًا ليشتروه فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك وإذا القوم مرملون^(٦) مُسْتَتُونَ^(٧) فقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى . فنظر النبي ﷺ إلى شاة في كر^(٨) خيمتها فقال : «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» فقالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال : «هل بها من لبن؟» فقالت : هي أجهد من ذلك . قال / [١١٢/ب] ﷺ : «أفتأذنين لي أن أحلبها؟» قالت : نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبًا فاحلبها . فدعا النبي ﷺ بالشاة فمسح ضرعها ، وذكر اسم الله

(١) رسل : بكسر الراء وبعدها مهملة ساكنة : اللبن الطرى .

(٢) حديث الهجرة أخرجه البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه ح

(٣٩٠٥ - فتح) من حديث عائشة - رضى الله عنها - .

(٣) اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم ، أسلمت هى وزوجها وهاجرا إلى المدينة .

راجع البداية والنهاية (٤٣٢/٢) .

(٤) قديد : مصغرا ، موضع بين مكة والمدينة .

(٥) برزة : يقال : امرأة برزة إذا كانت كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب ، وهى مع ذلك عفيفة عاقلة

تجلس للناس وتحدثهم .

(٦) مرملون : أى نفد زادهم .

(٧) مستنون : أى مجدبون .

(٨) كرّ خيمتها : هكذا فى الأصل ، وفى الرواية : «كسر» . أى جانبها . وتقرأ بفتح الكاف

وكسرها .

تعالى ، وقال : «اللهم بارك لها في شاتها» فتفاجت^(١) ودرت واجترت ، فدعا النبي ﷺ بإناء يربض^(٢) الرهط فحلب فيها ثجاً^(٣) ، حتى علاه البهاء . ويروى الشمال ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى روؤا وشرب آخرهم وقال : «ساقى القوم آخرهم شرباً» . فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل حتى أراضوا^(٤) ، ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء ثم غادره عندها ثم ارتحلوا عنها بعد أن بايعها ، فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد - أكثم بن أبي الجون - يسوق أغنماً عجافاً تشاركن هزلي^(٥) ويروى [عازب]^(٦) جبال ولا حلوب في البيت ، قالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت . قال : صفيه لى يا أم معبد . قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضأة ، أبلج^(٧) الوجه أو متبلج الوجه ، لم تعبهُ ثجلة^(٨) ، ولم تزر له صقلة^(٩) أو صعلة ، ويروى لم تعبهُ نُحلة ، وسيماً قسيماً^(١٠) ، فى عينيه دَعَج^(١١) ، وفى أشفاره وطف^(١٢) أو عطف أو غطف ، وفى صورته^(١٣) صحل ، وفى عنقه سطع^(١٤) ، وفى لحيته كثافة ، أزج^(١٥) ،

-
- (١) تفاجت : التفاج : المبالغة فى تفريج ما بين الرجلين .
(٢) يربض الرهط : أى يرويههم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض . من ربض فى المكان إذا لصق به .
(٣) ثجاً : أى لبناً سائلاً كثيراً .
(٤) عللاً بعد نهل : العلل : الشرب بعد الشرب ، والنهل : أى العطش . والمراد أنهم شربوا مرة بعد أخرى من بعد عطش حتى رووا وشبعوا .
(٥) تشاركن هزلي : أى تسوين فى النحافة وضعف الجسم .
(٦) هكذا فى الأصل ، وفى رواية الحديث كلاماً ساقطاً من الأصل : «فلما رأى اللبن عجب ، فقال : من أين لك هذا ؟ والشاة عازب » . وبه يستقيم سياق الكلام . والله أعلم .
(٧) أبلج الوجه : أى مشرق الوجه مسفره .
(٨) نُحلة : أى ضخامة البطن .
(٩) صُقلة : أى دقة ونحول .
(١٠) وسيماً قسيماً : أى حسناً .
(١١) دَعَج : أى شديد سواد العينين .
(١٢) فى أشفاره وطف : أى فى شعر أشفانه طول .
(١٣) هكذا فى الأصل ، والصواب : «فى صوته صحل» ، والصحل : هو بالتحريك ، كالثبحة ، وألا يكون حاد الصوت .
(١٤) سطع : أى ارتفاع وطول .
(١٥) أزج : تقوس فى الحاجب مع طول فى طرفه وامتداد .

أقرن^(١)، إذا صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، أجهل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأجمله من قريب ، حلو المنطق أو المنظر ، فصل ، لا نزر ولا هذر ، كأن منطقته حُرُزات نظم يتحدثون ، ربعة^(٢)، لا يئأس من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرًا ، وأحسنهم قدرًا ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود^(٣) ، لا عابس ، ولا مفند . قال أبو معبد : هذا والله صاحب قریش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ، لقد هممت أن أصبح به ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك / [١١٣ /] سبيلاً . وأصبح صوت بمكة عاليًا بين السماء والأرض يسمعه ولا يرون قائله :

جزى الله ربّ الناس خير جزائه . رفيقين حلًا خيمتى أم معبد الأبيات
قال : فأصبح الناس قد فقدوا نبيهم ﷺ فأخذوا على خيمتى أم معبد حتى لحقوا بالنبي ﷺ^(٤) .

قال ابن إسحاق : بلغنى أنه لما خرج قال أهل السير : ولقى رسول الله ﷺ الزبير فى ركب من المسلمين ، كانوا تجارًا قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض^(٥)، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى ثنية الوداع ينتظرون قدوم رسول الله ﷺ فحين قدم قال قائلهم :

طلع البدر علينا . من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا . ما دعا لله داع
أنت مرسل حقًا . جئت من أمر مطاع
جئتنا ثمشى رؤيدًا . نحونا يا خير داع

(١) أقرن أى مقرون الحاجبين . وجاء فى صفته ﷺ (سوانح فى غير قرن) وهو الصحيح كما قاله ابن الأثير (٥٤/٤) .

(٢) ربعة : بين الطويل والقصير .

(٣) محفود محشود : مطاع فى قومه .

(٤) حديث أم معبد أخرجه الحاكم : المستدرک (٩/٣ ، ١٠) من طريق هشام بن حيش ، وأورده الهيثمى : مجمع الزوائد (٥٨/٦) وعزاه للطبرانى ، وقال : فى إسناده جماعة لا أعرفهم . وذكر الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية (٢٣٣/٣) شواهد لهذا الحديث ، وراجع زاد المعاد (٥٥/٣ - ٥٧) . والله أعلم .

(٥) هذا جزء من حديث أخرجه البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه ح (٣٩٠٦ - فتح) قال أخبرنا ابن شهاب عن عروة .

وأضيفت الثنية إلى الوداع ؛ لأنها موضع التوديع ، وهو اسم قديم جاهلي ، وهذه الثنية خارج المدينة - [وأقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان مردفًا لأبى بكر وأبو بكر شيخ يعرف والنبى ﷺ شاب لا يعرف ، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل الذى يهدينى السبيل . فيحسب الحاسب أنه يعنى الطريق وإنما يعنى سبيل الخير^(١) ، وقدم رسول الله ﷺ المدينة حين اشتد الضحى من يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وهو الأصح ، [وتلقى المسلمون رسول الله ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمر^(٢) بن عوف ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتًا ، وطفق^(٣) / [١١٣/ب] مَنْ جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحبى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك^(٤) ، ونزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم^(٥) ، وفى هذه الحرة قطعة تسمى أحجار الزيت سميت به لسواد أحجارها ؛ كأنها طليت بالزيت ، وهو موضع كان يستقر فيه رسول الله ﷺ ، وبعضهم يقول : أحجار البيت وذلك خطأ .

قال البراء بن عازب : أول من قدم علينا المدينة مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس ، ثم قدم عمار بن ياسر وبلال ثم عمر بن الخطاب فى عشرين من أصحاب النبى ﷺ ، ثم قدم النبى ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإمام يقلن : قدم رسول الله ﷺ^(٦) .

قالت عائشة : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك^(٧) أبو بكر وبلال قالت : فدخلت عليهما فقلت : يا أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت : فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

(١) هذا جزء من حديث أخرجه البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه ح (٣٩١١ - فتح) من حديث أنس ﷺ .

(٢) هكذا فى الأصل ، والصواب « عمرو » . والله أعلم .

(٣) طفق : أى جعل .

(٤) هذا جزء من حديث عروة بن الزبير فى صحيح البخارى ، وتم تخريجه من قبل .

(٥) قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٢٨٧/٧) : وقيل كان يومئذ مشركاً حزم به محمد بن الحسن ابن زبالة فى أخبار المدينة .

(٦) أخرجه البخارى كتاب مناقب الأنصار - باب مقدم النبى ﷺ وأصحابه ح (٣٩٢٥ - فتح) .

(٧) وعك : الوعك : الحمى .

كل امرئ مصبح في أهله . . . والموت أدنى من شرك نعله .

وذكر أبو عبد الله المرزباني : أن هذا البيت لحكيم بن الحارث بن نهيك النهشلي وكان جاهلياً ، قيل : يوم الوقيظ - وهو يوم كان لبنى قيس بن ثعلبة على بنى تميم وكان حكيم ينشده في ذلك اليوم وهو يقاتل - وكان بلال إذا ألقه عنه الحمى يرفع عقيرته^(١) فيقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة . . . بواد وحولى إذخِر^(٢) وجليل^(٣)

وهل أردن يوماً مياه مجنّة^(٤) . . . وهل يبدون لي شامة وطفيل^(٥)

قالت عائشة : فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته / [١١٤/أ] فقال : «اللهم حبيب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها واجعلها بالجمحة^(٦)»^(٧). قال أهل السير : وأقام على بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ ، فنزل معه على كلثوم بن الهدم ، ولم يبق بمكة إلا من حبسه أهله أو فتنوه^(٨). وعن زيد بن أسلم عن أبيه في قوله - عز وجل - : ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾^(٩). قال : جعل الله مدخل صدق المدينة ، ومخرج صدق مكة ، وسلطاناً نصيراً الأنصار^(١٠). وقيل : أدخلني يعني غار ثور مدخل صدق ، وأخرجني يعني منه إلى المدينة مخرج صدق وقيل : غير ذلك . والله أعلم .



(١) عقيرته : صوته .

(٢) إذخِر : نبات طيب الرائحة .

(٣) جليل : شجر التمام ، واحده جليلة .

(٤) مجنة : بالفتح وتشديد النون - جبل لبنى الدئل خاصة بتهامة .

(٥) شامة وطفيل : جبلان بالقرب من مكة .

(٦) الجمحة : موضع بين مكة والمدينة ، وهي ميقات أهل الشام ، وتبعد (٢٢) كيلو جنوب شرق مدينة رابغ . قال ابن حبان : العلة في دعاء النبي ﷺ بنقل الحمى إلى الجمحة أنها كانت حيث دار يهود ، ولم يكن بها مسلم . والله أعلم .

(٧) أخرجه البخاري : كتاب مناقب الأنصار - باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ح (٣٩٢٦ - فتح) وطرفه في ح (١٨٨٨) . واللفظ له ، ومسلم : كتاب الحج - باب الترغيب في سكنى المدينة ح (١٣٧٦) .

(٨) راجع سيرة ابن هشام (٥٣ / ٢) والدرة الثمينة (ص ٥٧) .

(٩) سورة الإسراء : الآية (٨٠) .

(١٠) راجع تفسير ابن كثير آية (٨٠) ، وهذا قول قتادة أيضاً .

الفصل الثالث
فى ما جاء فى حرمة المدينة وغبارها وتمرها
ودعائه ﷺ لهم بالبركة وما يؤول إليه أمرها
وحدود حرمها

ذكر حرمة المدينة الشريفة

روى القاضى عياض فى «الشفاء» : أن مالك بن أنس رحمه الله كان لا يركب فى المدينة دابة ، وكان يقول : أستحيى من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابتي . وروى أنه وهب للشافعى - رحمه الله - كراعاً كثيراً كان عنده فقال له الشافعى : أمسك منها دابة فأجابه بمثل هذا الجواب . وكان قد أفتى مالك - رحمه الله - فيمن قال : تربة المدينة رديئة . بضرب ثلاثين دوة وأمر بحبسه وكان له قدر ، وقال : ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة .

وعن الزهرى أنه قال : إذا كان يوم القيامة رفع الله - تعالى - الكعبة البيت الحرام إلى البيت المقدس فتمر بقبر النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فتقول : السلام عليك يا رسول الله / [١١٤/ب] ورحمة الله وبركاته . فيقول عليه السلام : «وعليك السلام يا كعبة الله ما حال أمتي ؟ فتقول : يا محمد أمّا مَنْ وفد إلى من أمتك فأنا القائمة بشأنه ، وأمّا مَنْ لم يفد إلى من أمتك فأنت القائم بشأنه» . رواه أبو سعيد الموصلى فى باب رفع الكعبة المشرفة إلى البيت المقدس.

فانظر لسر زيارة البيت الحرام للنبي - عليه السلام - ودخول الكعبة المشرفة مدينة خير الأنام وكفى بهذا الشرف تعظيماً .

قال الشيخ عبد الله المرجاني فى «بهجة النفوس والأسرار فى تاريخ دار هجرة المختار» : لما جرى سابق شرفها فى القدم أخذ من تربتها حين خلق آدم فأوجد الموجد وجودها من بعد العدم . قال أهل السير : إن الله - تعالى - لما حمر طينة آدم - عليه السلام - حين أراد خلقه أمر جبريل أن يأتيه بالقبضة البيضاء التى هى قلب الأرض وبهاؤها ونورها ؛ ليخلق منها محمداً صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل فى ملائكة الفراديس المقربين وملائكة الصفح الأعلى ، فقبض قبضة من موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى يومئذ بيضاء نقية ، فعجنّت بماء التسليم وعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست فى أنهار الجنة كلها ، وطيف بها فى السماوات والأرض والبحار ، فعرفت الملائكة حينئذ محمداً صلى الله عليه وسلم وفضله قبل أن تعرف آدم وفضله ، ثم عجنّت بطينة آدم بعد ذلك ، ولا يخلق ذلك الجسد إلا من أفضل بقاع الأرض . حكاه الثعلبى ^(١).

وحكى أبو عبيد الجرهمى - وكان كبير السن عالماً بأخبار الأمم - : أن تبعاً الأصغر وهو تبع بن حسان بن سار إلى يثرب فنزل فى سفح جبل أحد ، وذهب إلى اليهود وقتل منهم ثلاثمائة وخمسين رجلاً صبراً وأراد إخراجها ، فقام إليه حير من اليهود

(١) فى قصص الأنبياء (ص ٢٦) .

فقال له : أيها الملك مثلك لا يقبل على الغضب ولا يقبل قول الزور وأنت لا تستطيع أن تخرب هذه القرية . قال : ولم ؟ / [١١٥ / أ] قال : لأنها مهاجر نبي من ولد إسماعيل يخرج من هذه البنية - يعنى البيت الحرام - فكف تبع ومضى إلى مكة ومعها هذا اليهودى ورجل آخر عالم من اليهود ، فكسا البيت الحرام كسوة ونحر عنده ستة آلاف جزور وأطعم الناس ، ولم يزل بعد ذلك يحوط المدينة الشريفة ويعظمها .

ويروى أن سليمان - عليه السلام - لما حملته الرياح من إصطخر على ممره بوادى النمل سار إلى اليمن فتوغل فى البادية فسلك مدينة الرسول ﷺ فقال سليمان عليه السلام : هذه دار هجرة نبي فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه . فقال له قوم : كم بيننا وبين خروجه ؟ قال : زهاء ألف عام . ووادى النمل هو وادى السديرة بأرض الطائف من أرض الحجاز . قاله كعب . وقيل : هو بالشام .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أوضع راحلته ، وإن كان على دابة حركها^(١) . وعن أبي هريرة قال : يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة^(٢) . قال الترمذى : حديث حسن .

روى عن سفيان بن عيينة أنه قال : هو مالك بن أنس رضي الله عنه . وعن عبد الرزاق أنه قال : هو العمري الزاهد . قال التوربشتى فى « شرح المصاييح » : وما ذكره ابن عيينة ، وعبد الرزاق فهو محمول منهما على غلبة الظن دون القطع به ، وقد كان مالك - رحمه الله - حقيقاً بهذا الظن فإنه كان إمام دار الهجرة والمرجوع بها إليه فى علم الفتيا ، وكذا العمري الزاهد وهو - عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وقد كان الشيخ وحده وكان من عباد الله الصالحين المشائين فى عباده وبلاده بالنصيحة ، ولقد بلغنا أنه كان يخرج إلى البادية ؛ ليتفقد أحوال أهلها شفقة منه عليهم أو الحق / [١١٥ / ب] النصيحة فيهم فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكان يقول لعلماء المدينة : شغلكم طلب الجاه وحب الرئاسة عن توفية العلم حقه فى إخوانكم من المسلمين ، تركتموهم فى البوادي والفلوات يعمهون فى أودية الجهل ومتيهة الضلال ، أو كلاماً هذا معناه .

قال التوربشتى : ولو جاز لنا أن نتجاوز الظن فى مثل هذه القضية لكان قولنا إنه

(١) أخرجه البخارى : كتاب العمرة - باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة ح (١٨٠٢ - فتح) .

(٢) أخرجه الترمذى : كتاب العلم - باب ما جاء فى عالم المدينة ح (٢٦٨٠) ، والنسائى فى الكبرى :

كتاب الحج - باب فضل عالم أهل المدينة .

عمر أولى من قوله إنه العمرى مع القطع به فقد لبث بالمدينة أعواماً يجتهد فى تمهيد الشرع وتبين الأحكام ، ولقد شهد له أعلام الصحابة بالتفوق فى العلم حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه يوم استشهد عمر رضي الله عنه : لقد دفن بموته تسعة أعشار العلم . انتهى .

قال العفيف المرجاني : سمعت والدى يقول : كنت ذات يوم جالساً فى البستان فإذا بمقدار ثلاثين أو أربعين فارساً لابسين ثياباً معممين ملثمين جميعهم قاصدين المدينة ، فاتبعتهم فى أثرهم فلم أجد لهم خبراً ، فسألت عنهم فلم أجد من يخبرنى عنهم بخبر ولم أجد لهم أثراً ، فعلمت أنهم من الملائكة أو من مؤمنى الجن أو صالحى الإنس أتوا لزيارة النبى ﷺ قال : والبستان اليوم باق معروف بالمرجانية بالقرب من المصلى . قال العفيف : وسمعتة يقول : من بركة أرض المدينة أنى زرعت بالبستان بطيخاً أحضر فلما استوى أتانى بعض الفقراء من أصحابى فأشاروا إلى بطيخة قد انتهت وقالوا : هذه لا تتصرف فيها هى لنا إلى اليوم الفلانى . فلما خرجوا أتى من قطعها ولم أعلم فتشوشت من ذلك ونظرت فإذا بنوارة قد طلعت مكان تلك البطيخة وعقدت بطيخة فلم يأت يوم وعد الفقراء إلا وهى أكبر من الأولى فاتوا وأكلوها ولم يشكروا أنها الأولى . وقال العفيف فى «تاريخه» أيضاً: سمعت والدى يقول : سحرت امرأة من أهل اليمن زوجها وغيّرت صورته ، واتفق لهم حكاية طويلة ثم شفع فيه بعض الناس فقالت / [١١٦/أ] امرأته : لا بد أن أترك فيه علامة فأطلقته بعد أن نبت له ذنب كذنب الحمار ، فحج وهو على تلك الحالة فشكا ذلك إلى أبى عبد الله محمد بن يحيى الغرناطى فقيه كان بمكة فأمره بالسفر إلى المدينة ، فسافر فى طريق المشيان إليها قال : فعند وصوله إلى قباء سقط منه ذلك الذنب بإذن الله تعالى .

ما جاء فى غبار المدينة الشريفة

تقدم فى باب الفضائل حديث : «غبار المدينة شفاء من الجذام»^(١). وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما دنا من المدينة منصرفاً من تبوك خرج إليه يتلقاه أهل المدينة من المشايخ والغلمان ، ثار من أثارهم غيرة فحمر بعض من كان مع رسول الله ﷺ أنفه من الغبار ، فمد رسول الله ﷺ يده فأماطها عن وجهه ، وقال : «أما علمت أن عجرة المدينة شفاء من السم ، وغبارها شفاء من الجذام»^(٢).

(١) أورده السيوطى فى الجامع الصغير (٧٥/٢) ورمز له بالضعف ، وعزاه لأبى نعيم فى الطب عن ثابت بن قيس بن شماس . وللحديث روايات بألفاظ أخرى وكلها ضعيفة كما رمز لها السيوطى فى جامعه .

(٢) أورد نحوه الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب (٢٠٤/٢) عن سعد بن أبى وقاص ، وقال : ذكره رزين العبدرى فى جامعه ، ولم أره فى الأصول .

وعن إبراهيم بن الجهم أن رسول الله ﷺ أتى بنى الحارث فإذا هم وؤباء ، فقال : «مالكُم يا بنى الحارث وؤبى ؟»^(١) قالوا : نعم يا رسول الله أصابتنا هذه الحمى . قال : «فأين أنتم عن صُعَيْب ؟» قالوا : يا رسول الله ما نصنع به ؟ قال : «تأخذون من ترابه فتجعلونه فى ماء ثم يتفل عليه أحدكم ويقول : بسم الله تربة أرضنا ، يريق بعضنا ، شفاء لمریضنا یا ذن ربنا» ففعلوا فتركتهم الحمى^(٢) . قال أبو القاسم طاهر بن يحيى العلوى : صعیب وادى بُطْحان دون الماحشونية وفيه حفرة يأخذ الناس منها ، وهو اليوم إذ أربأ إنسان يأخذ منها . قال الحافظ محب الدين بن النجار : رأيت هذه الحفرة والناس يأخذون منها وذكروا أنهم قد جربوه فوجدوه صحيحًا . قال : وأخذت أنا منها أيضًا^(٣) . وبُطْحان - بضم الباء وسكون الطاء المهملة - سُمى بذلك لسعته وانبساطه من البطح وهو البسط ، قاله أبو عبيد القاسم / [١١٦/ب] بن سلام . وعن ابن سلمان أن رجلاً أتى به رسول الله ﷺ وبرجله قرحة فرفع رسول الله ﷺ طرف الحَصِير ثم وضع أصبعه التى تلى الإبهام على التراب بعدما مسها بريقه فقال : «بسم الله ، يريق بعضنا ، بتربة أرضنا ، يشفى سقيمنا یا ذن ربنا » ، ثم وضع أصبعه على القرحة فكأنما حلَّ من عقاب^(٤) .

ما جاء فى تمر المدينة وثمارها ودعائه ﷺ لها بالبركة

أول من غرس النخل فى الأرض أنوس بن شيث ، وأول من غرس بالمدينة بنو قريظة وبنو النضير . حدث العوفى عن الكلبي فى «تاريخ ملوك الأرض» : أن شرية الخثعمى عمَّر ثلاثمائة سنة وأدرك زمان عمر بن الخطاب فقال وهو بالمدينة : لقد رأيت هذا الوادى الذى أنتم وما به نخالة ولا شجرة مما ترون ، ولقد سمعت أخريات قومى يشهدون بمثل شهادتكم هذه يعنى - لا إله إلا الله - ومن عمَّر مثل هذا جماعة منهم : سلمان الفارسى والمستوغر ابن ربيعة .

وتقدم فى الفضائل : «مَنْ تصبَّح بسبع ثمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم

(١) هكذا فى الأصل ، وفى ابن النجار «روى» وهم الذين أوهنهم المرض ، وجمعه روبان - لسان العرب .

(٢) ذكره ابن النجار فى الدرة الثمينة (ص ٦٣) ، وكذا السمهودى فى وفاء الوفاء (٦٨/١) ، ومن طريق محمد بن الحسن بن زباله عن محمد بن فضالة عن إبراهيم بن الجهم .

(٣) الدرة الثمينة (ص ٦٣) .

(٤) أخرجه البغارى : كتاب الطب - باب رقية النبى ﷺ ح (٥٧٤٥ - فتح) ، ومسلم : كتاب السلام - باب استحباب الرقية من العين والتملة ... ح (٢١٩٤) من حديث عائشة - رضى الله عنها . - واللفظ لمسلم .

ولا سحر»^(١). وفى صحيح مسلم : «من أكل سبع تمرات من بين لابتيها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي»^(٢). والآفة : الحرة حجارة سود من الجبلين . فقلوه : «من بين لابتيها» أى حرّيتها . وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بأول الثمر فيقول : «اللهم بارك لنا فى مدينتنا ، وفى ثمارنا ، وفى مدنا وفى صاعنا ، بركة مع بركة ، ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان»^(٣). وفى رواية ابن السنن عن أبى هريرة : رأيت رسول الله ﷺ إذا أتى بباكورة وضعها على عينيه ثم على شفتيه وقال : «اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره ثم يعطيه مَنْ يكون عنده من الصبيان»^(٤). وعن على قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ حنى إذا / [١١٧/أ] كنا بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص فقال رسول الله ﷺ : «اتقونى بوضوء» ، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبر ثم قال : «اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليتك دعاك لأهل مكة بالبركة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك^(٥) أن تبارك لهم فى مُدهم^(٦) مثل ما باركت لأهل مكة، ومع البركة بروكتين»^(٧).

ذكر ما يؤول إليه أمر المدينة الشريفة

عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لتتوكلن المدينة على خير ما كانت مدللة ، ثم أرها لا يغشاها إلا العوافى - يريد عوافى الطير والسباع - وآخر من يحشر منها راعيان من مزينة يريدان المدينة ، ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشاً حتى إذا

(١) أخرجه البخارى : كتاب الأطعمة - باب العجوة ح (٥٤٤٥ - فتح) ، ومسلم : كتاب الأشربة - باب فضل تمر المدينة ح (٢٠٤٧) . من حديث سعد بن أبى وقاص ، واللفظ للبخارى .

(٢) فى كتاب الأشربة - باب فضل تمر المدينة ح (٢٠٤٧) ، من حديث سعد بن أبى وقاص .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الحج - باب فضل المدينة ح (١٣٧٣) ، والترمذى : كتاب الدعوات - باب ما يقول إذا رأى الباكورة من الثمر ح (٣٤٥٤) ، وابن ماجه : كتاب الأطعمة - باب إذا أوتى بأول الثمرة ح (٣٣٢٩) ، ومالك فى الموطأ : كتاب الجامع - باب الدعاء للمدينة وأهلها ح (٢) كلهم عن أبى هريرة .

(٤) ابن السنن : عمل اليوم والليلة رقم (٢٧٩) .

(٥) هكذا فى الأصل ، وفى الحديث : «لأهل المدينة» .

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى الحديث : «وصاعهم» .

(٧) أخرجه الترمذى : كتاب المناقب - باب فى فضل المدينة ح (٣٩١٤) ، والنسائى فى الكبرى : كتاب الحج - باب مكياهل أهل المدينة ، والإمام أحمد : المسند (١١٥/١ ، ١١٦) ، وابن خزيمة : فى صحيحه (١٠٦/١) برقم (٢٠٩) .

بلغا ثنية الوداع خيراً على وجوههما»^(١). رواه البخارى. وعنه أن رسول الله ﷺ قال : «لتترك المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيغذى على بعض سواري المسجد أو على المنبر». فقالوا : يا رسول الله فلن تكون الثمار في ذلك الزمن. فقال : «للعوافي الطير والسباع»^(٢). رواه مالك في الموطأ.

ما جاء في تحديد حدود حرم المدينة الشريفة

في الصحيحين من حديث على بن أبي طالب عن النبي ﷺ أنه قال : «المدينة حرم ما بين غير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»^(٣) وأراد بالحدث : البدعة وذلك ما لم تجر به سنة ولم يتقدم به عمل ، وبالمحدث : المتبدع . قال التوربشتي : وروى بعضهم الحديث بفتح الدال وليس بشئ ؛ لأن الرواية الصحيحة بكسر الدال وفيه من طريف المعنى وهن وهو أن اللفظين يرجعان حيثنذ إلى شئ واحد ، فإن إحداهما البدعة [١١٧ / ب] وإيوائها سواء ، والإيواء قلما يستعمل في الإحداث وإنما المشهور استعماله في الأعيان التي تنضم إلى المساوي . انتهى .

وعن على بن أبي طالب قال : ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ : «المدينة حرم ما بين عابر إلى كذا» رواه البخارى^(٤) مطولاً وهذا لفظه ، ورواه مسلم فقال : «ما بين غير إلى ثور»^(٥) . وهذا هو حد الحرم في الطول . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول : لو رأيت الظباء ترتع^(٦) بالمدينة ما ذعرتها ، قال رسول الله ﷺ : «ما بين لايتها حرام». متفق عليه^(٧) . وهذا حد الحرم في العرض . وعنه قال : حرم رسول الله ﷺ ما بين لايتي المدينة . قال أبو هريرة : فلو وجدت الظباء ما بين لايتها ما ذعرتها ، وجعل اثني

(١) البخارى : كتاب فضائل المدينة - باب من رغب عن المدينة ح (١٨٧٤-فتح) ، ومسلم : كتاب

الحج - باب في المدينة حين يتركها أهلها ح (١٣٨٩) .

(٢) مالك : كتاب الجامع - باب ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها ح (٨) . وقوله : «فيغذى»

معناه : يبول عليها لعدم سكانه وخلوه من الناس . راجع النهاية .

(٣) البخارى : كتاب فضائل المدينة - باب حرم المدينة ح (١٨٧٠-فتح) ، ومسلم : كتاب الحج -

باب فضل المدينة ح (١٣٧٠) ، واللفظ لمسلم .

(٤) البخارى : كتاب فضائل المدينة - باب حرم المدينة ح (١٨٧٠-فتح).

(٥) مسلم : كتاب الحج - باب فضل المدينة ح (١٣٧٠) .

(٦) ترتع : تسعى وترعى .

(٧) البخارى : كتاب فضائل المدينة - باب لايتي المدينة ح (١٨٧٣-فتح) ، ومسلم : كتاب الحج -

باب فضل المدينة ح (١٣٧٢) .

عشر ميلاً حمى^(١) رواه مسلم . قال المازني : نقل بعض أهل العلم أن ذكر ثور هنا وهم من الراوى؛ لأن ثوراً بمكة ، والصحيح ما بين ثور إلى أحد . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : إن غيراً جبل معروف بالمدينة ، وأن ثوراً لا يعرف بها وإنما يعرف بمكة . قال : فإذا نرى أن أصل الحديث ما بين غير إلى أحد^(٢) . وكذلك قال غيره . وقال أبو بكر الحازمي : حرم رسول الله ﷺ ما بين غير إلى أحد قال : هذه الرواية الصحيحة وقيل : إلى ثور . فليس له معنى . انتهى .

قالوا أو يكون رسول الله ﷺ سمي أحدًا ثوراً تشبيهاً بثور مكة ؛ لوقوعه في مقابلة جبل يسمى غيراً . وقيل : أراد بهما مأزماً المدينة ؛ لما ورد في حديث أبي سعيد : «حرمت ما بين مأزميةا»^(٣) . وقيل : أراد الحرتين شبه إحدى الحرتين بعير لتسوء وسطه ونشوزه ، والآخر بثور لامتناعه تشبيهاً بثور الوحش . وقيل : إن ما بين غير مكة إلى ثورها من المدينة مثله حرام . وإنما قيل : هذه التأويلات لما لم يعرف بالمدينة جبل يسمى ثوراً . قال الحب / [١١٨/أ] الطبري : وقد أخبرني الثقة الصدوق الحافظ العالم المجاور بحرم رسول الله ﷺ أبو محمد عبد السلام البصري أن حذاء أحد عن يساره جائحاً إلى ورائه جبل صغير يقال له : ثور ، وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب - العارفين بتلك الأرض وما فيها من الجبال - فكل أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور ، فعلمنا بذلك أن ماتضمنه الخير صحيح ، وعدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته وعدم سؤالهم وبخثهم عنه^(٤) . انتهى .

وقال جمال الدين المطري وغيره : قد ثبت بالمدينة الشريفة عن أهلها القدماء الساكنين بالعمرية والغابة أنهم يعرفون عن آبائهم وأجدادهم أن وراء أحد جبلاً يقال له : ثور معروف . قال : وشاهدنا الجبل ولم يختلف في ذلك أحد ، وعسى أن يكون أشكل على من تقدم لقلّة سكناهم بالمدينة ، قال : وهو خلف جبل أحد من شماليه تحته وهو جبل صغير مدور وهما حد الحرم كما نقل ، قال : ولعل هذا الاسم لم يبلغ أبا عبيد ولا المازني^(٥) .

(١) مسلم : كتاب الحج - باب فضل المدينة خ (١٣٧٢) ، وكذلك أخرجه الإمام أحمد : المسند (٢٧٩/٢) .

(٢) راجع الدرة الثمينة لابن النجار (ص ٨٧، ٨٨) ، وفتح الباري للحافظ ابن حجر (٩٨/٤) .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الحج - باب الترغيب في سكنى المدينة ح (١٣٧٤) . والمأزم : المضيق بين الجبلين حيث يلتقى بعضها ببعض ويتسع ماوراءه . وقيل : الجبلين . النهاية لابن الأثير .

(٤) راجع قول الحب الطبري هذا وغيره من الأقوال في الفتح للحافظ ابن حجر (٩٩/٤) .

(٥) راجع التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة (ص ٣٥) .

انتهى . وأما غير فهو الجبل الكبير الذى من جهة قبله المدينة .
واختلف فى صيد حرم المدينة وشجره^(١) ومذهبنا^(٢) أنه لا يحرم ، وتقدم آخر الباب
التاسع الجواب عن حديث^(٣) سعد بن أبى وقاص وعن قوله ﷺ : «إن إبراهيم حرم مكة
والى حرمات المدينة»^(٤) . وعن حديث سعد بن أبى وقاص أن رسول الله ﷺ قال : «إنى
أحرم ما بين لابتى المدينة أن يقطع عضاهها»^(٥) . الحديث . قال الثوريشتى فى «شرح
المصابيح» : وكان سعد وزيد بن ثابت يريان فى ذلك الجزاء . وأجاب عن ذلك بأنه نسخ
فلم يشعرا به . قال : وإنما ذهب للنسخ من ذهب للأحاديث التى تدل على خلاف ذلك ،
ولهذا لم يأخذ بحديثهما أحد من فقهاء [١١٨/ب] الأمصار ، وسئل مالك عن النهى فى
قطع سدر المدينة فقال : إنما نهى عنه لئلا يتوحش وليتقى به شجرها فيستأنس بذلك من
هاجر إليها ويستظل بها . انتهى .

وأجاب أيضاً عن حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : «اللهم إن
إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً»^(٦) . الحديث . وفيه «لا ينفر صيدها» . وكذلك فى حديث
جابر : «لا يصاد صيدها»^(٧) . قال : والسبيل فى ذلك أن يحمل النهى على ما قاله مالك
وغيره من العلماء أنه أحب أن تكون المدينة مأهولة مستأنسة ، فإن صيدها وإن رأى تحريره
نفر يسير من الصحابة فإن الجمهور منهم لم ينكروا اصطياد الطيور بالمدينة ، ولم يبلغنا فيه
عن النبى ﷺ نهى من طريق يعتمد عليه ، ولو كان حراماً لم يسكت عنه فى موضع
الحاجة ، ثم لم يبلغنا عن أحد من الصحابة أنه رأى الجزاء فى صيد المدينة ، ولم يذهب
أيضاً إلى ذلك أحد من فقهاء الأمصار الذين يدور عليهم علم الفتيا فى بلاد الإسلام انتهى .

(١) قال مالك والشافعى وأحمد : إنه يحرم . وقال أبو حنيفة : إنه ليس بحرام . وراجع مقاله الحافظ ابن
حجر فى الفتح (١٠٠/٤) .

(٢) مذهب المصنف - رحمه الله - الحنفية ، فعندهم لا يحرم صيد حرم المدينة ولا قطع شجره .
والله أعلم .

(٣) وهو أن سعد بن أبى وقاص أخذ رجلاً تصيد فى حرم المدينة فسلبه ثيابه فجاءوا إليه فكلموه فيه فقال
إن رسول الله حرم هذا الحرم وقال : «من أخذ الصيد فيه فليسلبه ثيابه» ... أخرجه أبوداود : كتاب
المناسك - باب فى تحريم المدينة ح (٢٠٣٧) .

(٤) أخرجه مسلم : كتاب الحج - باب فضل المدينة ح (١٣٦٢) . من حديث جابر بن عبد الله .

(٥) أخرجه مسلم : كتاب الحج - باب فضل المدينة ح (١٣٦٣) ، وأحمد : المسند
(١٨٥ ، ١٨١ ، ١٦٩/١) .

(٦) أخرجه مسلم : كتاب الحج - باب الرغبة فى سكنى المدينة ح (١٣٧٤) .

(٧) تقدم تخريجه .

وأجاب التوربشتي أيضاً عن حديث سعد رضي الله عنه أنه وجد عبداً يقطع شجراً أو يخبطه
فسلبه ثيابه ^(١). قال : والوجه في ذلك النسخ في ذلك على ما ذكرنا وقد كانت العقوبات
في أول الإسلام جارية في الأموال . انتهى .

(١) تقدم تخرجه .

الفصل الرابع
في ذكر أودية المدينة الشريفة
وأبارها المنسوبة إلى النبي ﷺ
وعينها وذكر جبل أحد والشهداء عنده

ذكر وادى العقيق وفضله

تقدم حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى العقيق يقول : «أتانى الليلة آت من ربي ..»^(١) الحديث . وكان عبد الله بن عمر ينيخ بالوادى يتحرى معرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : هو أسفل من المسجد الذى بطن الوادى بينه وبين [١١٩/أ] الطريق وسط من ذلك^(٢) . وعن عامر بن سعد بن أبى وقاص قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العقيق ثم رجع فقال : «يا عائشة جئنا من هذا العقيق فما ألين موطنه وما أعذب ماءه» . قالت : أفلا تنتقل إليه ؟ قال : «كيف وقد ابتنى الناس»^(٣) .

قال أهل السير : وجد قبر آدمى عند جما أم خالد بالعقيق مكتوب فيه : أنا عبد الله رسول رسول الله سليمان بن داود إلى أهل يثرب ، ووجد حجر آخر على قبر آدمى أيضاً عليه مكتوب : أنا سود^(٤) بن سودة رسول رسول الله عيسى ابن مريم إلى أهل هذه القرية^(٥) .

قال الشيخ جمال الدين المطرى : والجماعات أربعة أجبل غربى وادى العقيق . وابتنى الناس بالعقيق من خلافة عثمان رضي الله عنه ونزلوه وحفروا به الآبار وغرسوا فيه النخيل والأشجار من جميع نواحيه على جنبى وادى العقيق إلى هذه الجماعات ، وسميت كل جما منها باسم من بنى فيها ، ونزل فيه جماعة من الصحابة - رضى الله عنهم - منهم أبو هريرة وسعيد بن العاص^(٦) بن سعيد بن العاص وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد^(٧) ، وماتوا جميعهم به وحملوا إلى المدينة ودفنوا فى البقيع وكذلك سكنه جماعة من التابعين ومن بعدهم ، وكانت فيه القصور المشيدة والآبار العذبة ، ولأهلها أخبار مستحسنة وأشعار رائقة ، ولما بنى عروة بن الزبير قصره بالعقيق ونزله ، قيل له جفوت عن مسجد رسول

(١) أخرجه البخارى : كتاب الحج - باب قول النبى صلى الله عليه وسلم (العقيق واد مبارك) ح (١٥٣٤-فتح) ، وأحمد :

المسند (٢٤/١) ، وأبوداود : ح (١٨٠٠) .

(٢) أورده ابن النجار : الدرة الثمينة (ص ٩٥) .

(٣) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ٩٥ ، ٩٦) ، وأورده كذلك جمال الدين المطرى :

التعريف بما آنست الهجرة بسنده (ص ٦٠) .

(٤) هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : «أسود» ، وكذلك فى التعريف بما آنست الهجرة للمطرى . والله أعلم .

(٥) راجع الدرة الثمينة لابن النجار (ص ٩٦) ، والتعريف بما آنست الهجرة للمطرى (ص ٦٠) .

(٦) قال المطرى : سعيد بن العاصى مشكوك فى صحبته .

(٧) إلى هنا انتهى كلام المطرى (ص ٦٠) .

الله ﷺ فقال : إنى رأيت مساجدهم لاهية ، وأسواقهم لاغية ، والفاحشة فى فجاجهم عالية ، فكان فيما هنالك عما هو فيها عافية ، وولى رسول الله ﷺ العقيق لرجل اسمه هيضم المزنى ، ولم تزل الولاة على المدينة الشريفة يولون عليه والياً حتى كان داود بن عيسى فتركه فى سنة ثمان وتسعين ومائة^(١) . قال/[١١٩/ب] ابن النجار : ووادى العقيق اليوم ليس فيه ساكن ، وفيه بقايا بانيان خراب وآثار تجدد النفس برؤيتها أنساً^(٢) .

قال الشيخ منتخب الدين : وبالمدينة عقيقان الأصغر فيه بئر رومة ، والأكبر فيه بئر عروة ، سميا بذلك لأنهما عقبا عن حرة المدينة - أى قطعاً . قال الجمال المطرى : ورمل مسجد رسول الله ﷺ من العرصه التى تسيل من الجما الشمالية إلى الوادى فيحمل منه وليس فى الوادى رمل أحمر غير مايسيل من الجبل^(٣) .

ذكر الآبار المنسوبة إلى النبی صلى الله عليه وسلم

قد نقل أهل السير أسماء آبار بالمدينة شرب منها رسول الله ﷺ وبصق فيها إلا أن أكثرها لا يعرف اليوم ، فلا حاجة إلى ذكره ، ونذكر الآبار التى هى موجودة اليوم معروفة على ما يذكر أهل المدينة والعهد عليهم^(٤) . الأولى : بئر حا . قال ابن النجار : وهذه البئر اليوم وسط حديقة صغيرة جداً فيها نخيلات وبزر^(٥) حولها وعندها بيت مبنى على علو من الأرض ، [وهى قرية من البقيع ومن سور المدينة]^(٦) وهى ملك لبعض أهل المدينة ، وماؤها عذب حلو ، قال : وذرعها فكان طولها عشرين ذراعاً^(٧) منها أحد عشر ذراعاً ونصف ماءً والباقي بانيان ، وعرضها ثلاثة أذرع ويسير^(٨) ، وهى مقابلة المسجد كما ورد فى الصحيح^{(٩)(١٠)} .

(١) راجع الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة لابن النجار (ص ٩٦) .

(٢) الدرة الثمينة (٩٦) .

(٣) فى التعريف بما آتست الهجرة (ص ٦٢) .

(٤) راجع الدرة الثمينة (ص ١٠١) .

(٥) هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : «يزرع» . وهو الصواب . والله أعلم .

(٦) ما بين المعكوفتين ليست فى الدرة الثمينة .

(٧) هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : «عشرة أذرع ونصف» ، وما جاء فى التعريف بما آتست الهجرة

(ص ٥٣) موافق لما فى الأصل .

(٨) هكذا فى الأصل وفى الدرة الثمينة : «وشير» .

(٩) صحيح البخارى : كتاب الزكاة - باب الزكاة على الأتارب ح (١٤٦١-فتح) .

(١٠) الدرة الثمينة (ص ١٠١ ، ١٠٢) .

وقال المطري : وهى شمالى سور المدينة ، بينها وبين السور الطريق ، وتعرف اليوم بالنويرية اشتراها ^(١) ووقفها على الفقراء وغيرهم ^(٢).

الثانية : بئر أريس وهى البئر التى جلس رسول الله ﷺ عليها وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما فى البئر ، وكان بابها من جريد ، فدخل عليه أبو بكر رضي الله عنه فبشره بالجنة وجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه فى القف ودلى رجله فى البئر وكشف عن ساقيه ، ثم دخل عمر رضي الله عنه وبشر بالجنة [١٢٠/أ] وجلس عن يساره وصنع كما صنع أبو بكر ، ثم دخل عثمان بن عفان وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه فوجد القف قد ملئ فجلس وجاههم من الشق الآخر . ثبت ذلك فى الصحيحين ^(٣) ، وكان البواب أبو موسى الأشعري . قال سعيد بن المسيب : فأولتها قبورهم .

قال ابن النجار : وهذه البئر مقابلة مسجد قباء ، وعندها مزارع ويستسقى منها ماؤها عذب ، قال : وذرعها فكان طولها أربعة عشر ذراعاً وشبراً ، منها ذراعان ونصف ماء وعرضها خمسة أذرع ، وطول قفها الذى جلس عليه النبي ﷺ وصاحباه ثلاثة أذرع تشف كفاً ، والبئر تحت أطم عال خراب من حجارة ^(٤) . قال المطري : البئر غربى مسجد قباء فى حديقة الأشراف الكبراء من بنى الحسين بن على بن أبى طالب ، والأطم المذكور من جهة القبلة وقد بنى فى أعلاه مسكن يسكنه من يقوم بالحديقة ويخدم «المسجد الشريف» ^(٥) وحولها دور الأنصار وآثارهم - رضى الله عنهم - وقد جدد لها الشيخ صفى الدين أبو بكر أحمد السلامى - رحمه الله - درجاً ينزل إليها منه ، وعلى الدرج قبو وذلك فى سنة أربع عشرة وسبعمائة ^(٦).

الثالثة : بئر بضاعة . وقد تقدم فى الفضائل أن النبي ﷺ بصق فيها ^(٧) ودعا لها

(١) وفى التعريف بما آنتت الهجرة : «اشترأها بعض النساء النويرين» .

(٢) التعريف بما آنتت الهجرة (ص ٥٣) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب فضائل الصحابة - باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً - ح

(٤) (٣٦٧٤ - فتح) ، ومسلم : كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه

ح (٢٤٠٣) عن أبى موسى الأشعري .

(٥) الدرة الثمينة (ص ١٠٣) .

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى التعريف بما آنتت الهجرة : «مسجد قباء» .

(٧) التعريف بما آنتت الهجرة (ص ٤٩ - ٥٠) .

(٨) أورد الحديث ابن النجار بسنده فى الدرة الثمينة (ص ١٠٤) من حديث سهل بن سعد وأورده

الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أسيد .

وهذه البئر كانت لبنى ساعدة وهم قوم من الخزرج . قال^(١) المرجاني في تاريخه : والظاهر أن بضاعة رجل أو امرأة تنسب إليه البئر ، وكان موضعها ممر السيول فتكسح الأقدار من الطرق إليها لكن الماء لكثرتة لا يؤثر ذلك فيه . قال أبو داود في « السنن » : سألت قيم بئر بضاعة عن عمقها فقلت : أكثر ما يكون فيها الماء ؟ قال : إلى العانة . قلت : فإذا نقص . قال : دون العورة . قال أبو داود : قد زرعت بئر بضاعة برداء مددته عليها ثم ذرعت فإذا عرضه ستة أذرع ، وسألت الذي فتح باب البستان فأدخلني إليه هل غير بناؤها عما كانت عليه ؟ فقال : لا . ورأيت فيها ماء متغير اللون^(٢) . قال [١٢٠/ب] ابن العربي : وهي في وسط السبخة فمائها يكون متغيراً من قرارها . قال الحب بن النجار : ومائها عذب طيب ، صاف^(٣) أبيض ، وريحه كذلك ، ويستقي منها كثيراً ، قال^(٤) : وذرعتها فكان طولها أحد عشر ذراعاً وشبراً ، منها ذراعان راححة ماء والباقي بناء ، وعرضها ستة أذرع كما ذكر أبو داود^(٥) . قال الجمال المطري : وهي اليوم في ناحية حديقة شمالى سور المدينة وغربى بئر حا إلى جهة الشمال ، يستقي منها أهل الحديقة ، والحديقة في قبلة البئر ويستقي منها أهل حديقة أخرى شمالى البئر ، والبئر وسط بينهما^(٦) . وهذه الآبار المذكورة تقدم فضلها في الفضائل .

الرابعة : بئر غرس عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش قال : جاءنا أنس بن مالك بقاء فقال : أين بئركم هذه ؟ - يعنى بئر غرس - فدللناه عليها قال : رأيت النبي ﷺ جاءها وإنها لتسنى على حمار بسحر فدعا النبي ﷺ بدلو من مائها فتوضأ منه ثم سكبها فيها فما نزلت بعده^(٧) . وعن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت الليلة أنى أصبحت على بئر من الجنة » ، فأصبح على بئر غرس فتوضأ منها وبصق

(١) هناك بياض فى الأصل ، ولعل الصواب ما أثبتناه . والله أعلم .

(٢) راجع سنن أبى داود (١٨/١) .

(٣) هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : «لونه صاف أبيض» .

(٤) فى الأصل بياض ولعل الصواب ما أثبتناه . والله أعلم .

(٥) الدرة الثمينة (ص ١٠٥) .

(٦) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٥٣) .

(٧) أورده ابن النجار بسنده : فى الدرة الثمينة (ص ١٠٥) ، وكذلك أورده المطري : التعريف بما أنست

الهجرة بسنده (ص ٥١) .

فيها ، وغسل منها حين مات ^(١) ﷺ وكان يشرب منها ^(٢) . قال الخب بن النجار : وهذه البئر بينها وبين مسجد قباء نحو نصف ميل ، وهى فى وسط الصحراء ^(٣) ، وقد خربها السيل وطمها ، وفيه ماء أحضر إلا أنه عذب طيب ، وريحه الغالب عليه الأجون ^(٤) ، قال : وذرعها فكان طولها سبعة أذرع شافة ، منها ذراعان ماء ، وعرضها عشرة أذرع ^(٥) . قال المطرى : هى شرقى قباء إلى جهة الشمال وهى بين النخيل ، ويعرف مكانها اليوم وماحولها بالغرس ^(٦) ، وهى ملك بعض أهل المدينة وجدت ^(٧) بعد السبعمائة ، وهى كثيرة الماء ، وعرضها عشرة أذرع وطولها يزيد على ذلك ^(٨) .

الخامسة : بئر البصة . عن عبد الرحمن ^(٩) بن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : كان [١٢١/أ] رسول الله ﷺ يأتى الشهداء وأبناءهم ويتعاهد عيالهم ، قال : فجاء يوماً أبا سعيد الخدرى فقال : «هل عندك من سدر أغسل به رأسى فإن اليوم الجمعة؟» قال : نعم فأخرج له سدرًا وخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله ﷺ رأسه وصب غسالة رأسه ومراقبة شعره فى البصة ^(١٠) . قال ابن النجار : وهذه البئر قريبة من البقيع على يسار الماضى إلى قباء ، وهى بين نخل ، وقد هدمها السيل وطمها ، وفيها ماء أخضر ، ووقفت على قفها وذرعت طولها فكان أحد عشر ذراعًا ، منها ذراعان ماء وعرضها تسعة أذرع ، وهى مبنية بالحجارة ، ولون مائها إذا انفصل منها أبيض ، وطعمه حلو إلا أن الأجون غالب عليه ، قال : وذكر لى الثقة أن أهل المدينة كانوا يستقون منها قبل أن يطمها السيل ^(١١) .

-
- (١) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ١٠٥) ، وكذلك أورده جمال الدين المطرى بسنده : التعريف بما أنست الهجرة (ص ٥١) .
- (٢) حديث شربه ﷺ من بئر غرس أورده ابن النجار بإسناده : الدرة الثمينة (ص ١٠٦) .
- (٣) هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : «الشجر» .
- (٤) الأجون : أى الملوحة .
- (٥) الدرة الثمينة (ص ١٠٦) .
- (٦) هكذا فى الأصل ، وفى التعريف بما أنست الهجرة : «بالغرس» .
- (٧) هكذا فى الأصل ، وفى التعريف بما أنست الهجرة : «وجدت» .
- (٨) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٥١) .
- (٩) هكذا فى الأصل ، وفى التعريف بما أنست الهجرة : «ربيع بن عبد الرحمن» .
- (١٠) أورده ابن النجار بإسناده : الدرة الثمينة (ص ١٠٦ ، ١٠٧) ، وكذلك أورده المطرى بإسناده : التعريف بما أنست الهجرة (ص ٥١ ، ٥٢) .
- (١١) الدرة الثمينة (ص ١٠٧) .

قال المطري : وهى اليوم «حديقة كبيرة»^(١) محوط عليها بحائط ، وعندها فى الحديقة بر صغير أصغر منها ، والناس يختلفون فيهما أيهما بئر البصة إلا أن الشيخ محب الدين قطع بأنها الكبيرة القبلية ، وقياس الصغرى كالكبرى ، وعرضها ستة أذرع وهى التى تلى أطم مالك بن سنان أبو أبى سعيد الخدرى قال : وسمعت بعض من أدركت من أكابر خدام الحرم الشريف وغيرهم من أهل المدينة يقولون : إنها الكبرى القبلية . وأن الفقيه الصالح أبا العباس أحمد بن موسى بن عجيل وغيره من صلحاء اليمن إذا جاؤها للترك إنما يقصدون الكبرى ، والحديقة التى هى فيها اليوم وقف على الفقراء والمساكين والواردين والصادرين لزيارة سيد المرسلين ، أوقفها الشيخ عزيز الدولة ربحان الندى^(٢) الشهابى شيخ خدام الحرم الشريف قبل وفاته «ببومين»^(٣) أو ثلاثة ، وكانت وفاته سنة سبع وتسعين وستمائة^(٤) .

السادسة : بئر رومة . قال الإمام منتخب الدين أبو الفتح العجلى : لما قدم المهاجرون [١٢١/ب] المدينة الشريفة استنكروا الماء الملوحة ، وكان لرجل من بنى غفار عين يقال لها بئر رومة يبيع منها القربة بمد من الطعام ، فقال له النبى ﷺ : «بعتها بعين فى الجنة» . فقال ليس لى غيرها . فبلغ عثمان ؓ فاشترها بخمسة وثلاثين ألف درهم ثم أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أتجعل لى مثل الذى جعلت له ؟ فقال : نعم . قال الشيخ : وهذه البئر فى العقيق الأصغر وفى العقيق الأكبر بئر عروة كما قدمنا .

وعن موسى بن طلحة أن رسول الله ﷺ قال : «نعم الحفيرة ، حفيرة المزنى - يعنى رومة» فلما سمع بذلك عثمان ؓ ابتاع نصفها بمائة بكرة وتصدق بها فجعل الناس يستقون منها ، فلما رأى صاحبها أن قد امتنع منه ما كان يصيب عليها باع من عثمان النصف الباقي بشئ يسير فتصدق بها كلها^(٥) . وذكر ابن عبد البر أن بئر رومة كانت ركية لليهودى يبيع من مائها للمسلمين ، فقال رسول الله ﷺ : «من يشترى رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه فى دلائهم ، وله بها مشربة فى الجنة»^(٦) . فأتى عثمان اليهودى

(١) فى التعريف بما أنست الهجرة : «فى حديقة كبيرة» .

(٢) فى التعريف بما أنست الهجرة : «البدرى» .

(٣) فى التعريف بما أنست الهجرة : «ببومين أو ثلاثة» .

(٤) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٥٢) .

(٥) أورده ابن النجار بإسناده : الدرة الثمينة (ص ١٠٨) ، وكذلك أورده المطري : التعريف بما أنست

الهجرة (ص ٥٤) .

(٦) حديث بئر رومة أخرجه العزمى : كتاب المناقب - باب مناقب عثمان ح (٣٧٠٣) ، والنسائى :

كتاب الإحباس باب وقف المساجد (٢٣٣/٦ ، ٢٣٤) .

فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها ، فاشترى عثمان نصفها باثنى عشر ألف درهم فجعلها للمسلمين ، فقال له عثمان : إن شئت جعلت «قرنين»^(١) ، وإن شئت فلي يوم ولك يوم فقال : بل لك يوم ولى يوم . فكان إذا كان يوم عثمان يستقى المسلمون ما يكفيهم يومين فلما رأى ذلك اليهودى قال : أفسدت على ركيبتى فاشترى النصف الآخر بثمانية آلاف درهم^(٢) . قال ابن النجار : وهذه البئر اليوم بعيدة عن المدينة جداً ، وعندها بناء من حجارة خراب ، قيل إنه كان ديراً لليهودية ، وحولها مزارع وآبار ، وأرضها رملية ، قد انتفضت خرزتها وأعلامها إلا بئر مليحة مبنية بالحجارة الموجهة ، قال : وذرعها فكان طولها ثمانية عشر ذراعاً ، / [١٢٢/] منها ذراعان ماء وباقيها مطموم بالرمل الذى تسفيه الرياح فيها ، وعرضها ثمانية أذرع وماؤها صاف وطعمها حلو إلا أن الأجون قد غلب عليه^(٣) .

قال المطرى : وسط وادى العقيق من أسفله فى براح واسع من الأرض ، وقد خربت وأخذت حجارتها ولم يبق إلا آثارها^(٤) . قال ابن النجار : واغلم أن هذه الآبار قد يزيد ماؤها فى بعض الزمان ، وقد ينقص وربما بقى منها ما كان مطموماً^(٥) . وقد ذكر المطرى أن الآبار المذكورة ستة والسابعة لاتعرف اليوم إلا ما يسمع من قول العامة : إنها بئر جمل ولم يعلم أين هى ولا من ذكرها إلا أنه ورد فى حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال : «أقبل رسول الله ﷺ من نحو بئر جمل»^(٦) . ثم قال : إلا أنى رأيت حاشية بخط الشيخ محب الدين^(٧) بن عساكر على نسخة من «الدرة الثمينة» لابن النجار ماثاله العدد ينقص على المشهور بئراً واحدة ؛ لأن الميثب ست والمأثور المشهور سبع .

والسابعة : اسمها بئر العهن بالعالية يزرع عليها اليوم ، وعندها سدرية ولها اسم آخر مشهورة به . قال الشيخ جمال الدين : بئر العهن هذه معروفة بالعوالى انتقلت بالشراء إلى الشهيد المرحوم على بن مطرف العمرى ، وهى بئر مليحة منقورة فى الجبل وعندها سدرية كما ذكر ولاتكاد تنزف أبداً ، [العوالى ويقال العالوية أيضاً ، سميت به لإشراف مواضعها

(١) فى التعريف بما أنست الهجرة : «لنصيبى قرنين» .

(٢) راجع التعريف بما أنست الهجرة (ص ٥٤) .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٠٨ ، ١٠٩) .

(٤) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٥٤) .

(٥) الدرة الثمينة (ص ١٠٩) .

(٦) أخرجه البخارى : كتاب التميم - باب التميم فى الحضر ح (٣٣٧ - فتح) ، ومسلم : كتاب

الحيض - باب التميم ح (٣٦٩) معلقاً . عن أبى الجهم .

(٧) فى التعريف بما أنست الهجرة : «أمين الدين» .

وهى منازل حول المدينة . قال مالك : بين أبعد العوالى والمدينة ثلاثة أميال^(١) . وقد ذكر ابن زباله فى «تاريخه» عدة آبار بالمدينة وسماها فى دور الأنصار ونقل أن النبى ﷺ أتاه وتوضأ من بعضها وشرب منها ، لا يعرف اليوم منها شئ^(٢) .

قال الشيخ جمال الدين : ومن جملة ما ذكر آبار فى الحرة الغربية فى آخر منزلة المنعمى^(٣) على يسار السالك اليوم على بئر على المحرم ، وعلى جانبها الشمالى بناء مستطيل بمحصى يقال لها السقيا كانت لسعد بن أبى وقاص تقدم ذكرها ، نقل أن [١٢٢ / ب] النبى ﷺ «عوض»^(٤) جيش بدر بالسقيا وصلى فى مسجدنا ، ودعا فى هناك^(٥) لأهل المدينة أن يبارك لهم فى مدهم وصاعهم وأن يأتيهم بالرزق من هاهنا وهاهنا ، وشرب ﷺ من بئرها ، ويقال لأرضها السفلى . وهى اليوم معطلة خراب وهى بئر كبيرة مليحة منقورة فى الجبل ، ونقل أن السقيا عين من طرف الحرة بينها وبين المدينة يومان كذا فى كتاب أبى داود . ونقل الحافظ عبد الغنى أن النبى ﷺ عرض جيشه على بئر أبى عنبه بالحره فوق هذه البئر إلى المغرب ، ونقل أنها على ميل من المدينة . ومنها بئر أخرى إذا وقفت على هذه المذكورة وأنت على جادة الطريق وهى على يسارك كانت هذه على يمينك ولكنها بعيدة عن الطريق قليلاً ، وهى فى سند من الحرة قد حوط حولها بناء بمحصى وكان على شفيرها حوض من حجارة لم تزل أهل المدينة قديماً يتبركون بها ويشربون من مائها وينقل إلى الآفاق منها كما ينقل ماء زمزم ، ويسمونها زمزم أيضاً لبركتها ، قال : ولم أعلم أحداً ذكر منها أحداً^(٦) يعتمد عليه - والله أعلم - أيتهما هى «السفلى»^(٧) الأولى لقربها من الطريق أم هذه لتواتر البركة فيها^(٨) . قال عفيف الدين المرحانى : ويمكن أن يكون تسميتهما إياها زمزم لكثرة مائها يقال : ماء زمزم لكثرة مائها - أى كثير .

قال الشيخ جمال الدين : أولعلها البئر التى احتفرتها فاطمة بنت الحسين بن على زوجة الحسن بن الحسن بن على - رضى الله عنهم - حين أخرجت من بيت جدتها

(١) ما بين المعكوفتين ليست من كلام المطرى .

(٢) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٥٦) .

(٣) فى حاشية التعريف بما أنست الهجرة : «النقا» .

(٤) فى التعريف بما أنست الهجرة : «عرض» .

(٥) فى التعريف بما أنست الهجرة : «ودعا هنالك» .

(٦) هكذا بالأصل ، وفى التعريف بما أنست الهجرة : «ذكر فيها أثراً» . وهو الصواب . والله أعلم .

(٧) فى التعريف بما أنست الهجرة : «السقيا» .

(٨) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٥٦) .

فاطمة الكبرى أيام الوليد بن عبد الملك حين أمر بإدخال حجر أزواج رسول الله ﷺ وبيت فاطمة - رضى الله عنهن - فى المسجد ، فإنها بنت دارها فى الحرة وأمرت بحفر بئر فيها ، فطلع لهم جبل فذكروا ذلك لها ، فتوضأت وصلت ركعتين ودعت ورشت موضع البئر بفضل وضوئها ، وأمرتهم / [١٢٣/أ] فحفروا فلم يتوقف عليهم من الجبل شئ حتى ظهر الماء . قال الشيخ جمال الدين : والظاهر أنها هذه ، وأن السقيا هى الأولى ؛ لأنها على جادة الطريق وهو الأقرب^(١) . والله أعلم .

ذكر عين النبی صلى الله عليه وسلم

عن طلحة بن خراش قال : كانوا أيام الخندق يحفرون مع رسول الله ﷺ ويضافون عليه فيدخلون به كهف بنى حزام فيبيت فيه حتى إذا أصبح هبط ، قال : ونقر رسول الله ﷺ العين التى عند الكهف فلم تزل تجرى حتى اليوم^(٢) . قال الحافظ محب الدين : وهذه العين فى ظاهر المدينة وعليها بناء ، وهى مقابلة المصلى^(٣) . قال الشيخ جمال الدين : أما الكهف الذى ذكره ابن النجار فمعروف على غربى جبل يبلغ^(٤) عن يمين^(٥) إلى ساحل^(٦) الفتح من الطريق القبلية ، وعلى يسار السالك إلى المدينة الشريفة إذا زار المسجد وسلك المدينة مستقبل القبلة يقابله حديقة نخل تعرف بالغنيمة فى بطن وادى بطحان غربى جبل سلع ، وفى هذا الوادى عين تأتى من عوالى المدينة تسقى ماحول المساجد من المزارع والنخيل تعرف بعين الخيف خيف شامى ، وتعرف تلك الناحية بالسيح - بالسین المهملة بعدها ياء مثناة من أسفل وحاء مهملة ، وأما العين التى ذكر الشيخ محب الدين المقابلة للمصلى فهى عين الأزرق وهو مروان بن الحكم ، التى «خرجها»^(٧) بأمر معاوية رضي الله عنه وهو واليه على المدينة ، وأصلها من قباء من بئر كبيرة غربى مسجد قباء فى حديقة «نخل»^(٨) ، والقبه مقسومة نصفين يخرج الماء منها من وجهين مدرجين ، وجه قبلى والآخر شمالى

(١) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٥٦ ، ٥٧) .

(٢) أورده ابن النجار : فى الدرة الثمينة (ص ١٠٩) ، وكذلك المطرى (ص ٥٤ ، ٥٥) .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٠٩) .

(٤) فى التعريف بما أنست الهجرة : «سلع» .

(٥) فى التعريف بما أنست الهجرة : «يمين السالك» .

(٦) فى التعريف بما أنست الهجرة : «مساجد» .

(٧) هكذا فى الأصل ، وفى التعريف بما أنست الهجرة : «أجراها» .

(٨) فى التعريف بما أنست الهجرة - بعد هذه الكلمة : «وهى تجرى إلى المصلى وعليها فى المصلى قبة كبيرة» .

يغتسل فيهما وينتفع بهما ، وتخرج العين من «القبلة»^(١) من جهة المشرق ثم تأخذ إلى جهة الشمال ، وأخذ الأمير سيف الدين الحسين بن أبي الطيجاء في حدود الستين وخمسمائة منها شعبة من عند مخرجها من القبلة ، فساقها إلى باب المدينة الشريفة باب المصلى ، ثم أوصلها إلى الرحبة التي عند مسجد / [١٢٣/ب] رسول الله ﷺ من جهة باب السلام المعروف قديماً بباب مروان ، وبنى لها منها بدرج من تحت الدور يستقى منه أهل المدينة ، وذلك الموضع موضع سوق المدينة الآن ، ثم جعل لها «مصرفين»^(٢) تحت الأرض تشق وسط المدينة على البلاط ثم تخرج على ظاهر المدينة من جهة الشمال شرقي حصن أمير المدينة ، وجعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد الشريف أزيلت كما سيأتى ذكره في الفصل السادس إن شاء الله تعالى .

واعلم أن العين إذا خرجت من القبة التي في المصلى سارت إلى جهة الشمال حتى تصل إلى سور المدينة فتدخل من تحته إلى منهل آخر بوجهين مدرجين ، ثم تخرج إلى خارج المدينة الشريفة فتصل إلى منهل آخر بوجهين عند قبر النفس الزكية ، ثم تخرج من هناك وتجتمع هي وما يتحصل من فضلها في قناة واحدة إلى البركة التي ينزلها الحجاج ، ثم قال رحمه الله تعالى : وأما عين النبي ﷺ التي ذكر ابن النجار فليست تعرف اليوم ، وإن كانت كما ذكر قال : عند الكهف المذكور فقد دثرت وعفا أثرها^(٣).

ذكر جبل أحد والشهداء عنده

تقدم في باب الفضائل ذكر فضل جبل أحد^(٤) والأحاديث الواردة في ذلك ، وتقدم معنى قوله في الحديث في «أحد يحبنا ونحبه»^(٥) ، وتقدم أيضاً حديث : «أثبت أحد فأثما عليك نبي وصديق وشهيدان»^(٦) . قيل : إن قوله ﷺ هذا إشارة عما أحدثه قوم

(١) في التعريف بما أنست الهجرة : «القبعة» .

(٢) في التعريف بما أنست الهجرة : «مصرفاً» .

(٣) التعريف بما أنست الهجرة : (ص ٥٥) .

(٤) ومما جاء في فضل جبل أحد : «أحد ركن من أركان الجنة» أخرجه أبو يعلى في مسنده ، والطبراني في الكبير ، وأورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ١١٤) ، والمطبرى في التعريف بما أنست الهجرة (ص ٤١) . ورمز له الحافظ السيوطي بالضعف .

(٥) أخرجه البخاري : كتاب المغازي - باب أحد جبل يحبنا ونحبه ح(٤٠٨٣-فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب فضل المدينة ح(١٣٦٥) من حديث أنس .

(٦) أخرجه البخاري : كتاب فضائل الصحابة - باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً ح(٣٦٧٥-فتح) ، وأبو داود : كتاب السنة - باب في الخلفاء ح(٤٦٥١) ، والترمذي : كتاب المناقب - باب في مناقب عثمان ح(٣٦٩٧) ، من حديث أنس بن مالك .

موسى - عليه السلام - لما اختار السبعين للميقات ووقع فى نفوسهم ماوقع تزلزل الجبل به، فكأنه ﷺ أشار أنه ليس عليك ممن يشك كقوم موسى . وعن جابر بن عتيك عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «خرج موسى وهارون -عليهما السلام- حاجين أو معتمرين فلما كانا بالمدينة مرض هارون -عليه السلام- فثقل ، فخاف عليه موسى - عليه السلام - اليهود، فدخل أحداً فمات فدفنه /١٢٤/ فيه»^(١). وقيل : مات موسى وهارون عليهما السلام فى التيه ، وقبر موسى معروف بالقدس فى أول التيه^(٢) . يزار . وعن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : «لما تجلى الله لجبل طور سيناء فصار لعظمة الله تعالى ستة أجبل ، فوقعت ثلاثة بالمدينة : أحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء»^(٣) . قال الشيخ جمال الدين : فأحد معروف [وهو شمالى المدينة وأقرب الجبال إليها وهو على نحو فرسخين منها ، وقيل : على نحو أربعة أميال]^(٤) . وغير مقابله فى قبة المدينة والمدينة بينهما ، وورقان قبل شعب على ما بين الشعب والروحاء إلى القبلة،^(٥) واستشهد بأحد سبعون رجلاً^(٦) أربعة من المهاجرين وهم حمزة بن عبد المطلب، وعبدالله بن جحش، ومصعب بن عمير، وشماس بن عثمان ، والباقر كلهم أنصار^(٧)، وقُتل حمزة يوم أحد وحشى بن حرب الحبشى مولى جبير بن مطعم وذلك فى النصف من شوال يوم السبت على رأس اثنين وثلاثين من الهجرة، وكان يقاتل بين يدى النبى ﷺ بسيفين فعثر فوق فأنكشف الدرع عن بطنه فطعن ، قال رسول الله ﷺ حين رآه وقد مثل به : «جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة مكتوب فى أهل السماوات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسود رسوله»^(٨) . وكبر رسول الله

(١) أورده عمر بن شبه : فى تاريخ المدينة (٨٦/١) بسنده ، وابن النجار بسنده : فى الدرر الثمينة

(ص ١١٤) ، وكذلك أورده المطرى : التعريف بما أنست الهجرة (ص ٤١) .

(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير (٣٢٧/١) .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) ما بين المعكوفتين فى تحقيق النصرة للمراعى (ص ١٣٦) .

(٥) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٤١) ، وراجع كذلك الدرر الثمينة لابن النجار (ص ١١٥) ، وتحقيق

النصرة للمراعى (ص ١٣٢) .

(٦) جاء التنصيص على هذا العدد فى صحيح البخارى : كتاب المغازى - باب من قتل يوم أحد من

المسلمين ح (٤٠٧٨-فتح) من حديث أنس .

(٧) راجع فتح البارى (٤٣٤/٧) .

(٨) أورده ابن النجار بسنده : الدرر الثمينة (ص ١١٥) .

ﷺ في جنازته سبعين تكبيرة . وقيل : كبر عليه سبعاً^(١) . ودفن هو وابنه أخته عبد الله ابن حجر^(٢) في قبر واحد . والشهداء يوم أحد سبعون : (الأول) حمزة بن عبد المطلب أحد أعمام النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة . (الثاني) عبد الله بن جحش الأسدي من المهاجرين الأولين أخته زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وهو الذي انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه النبي ﷺ عرجون نخلة فصار في يده سيفاً ، ولم يزل ينتقل حتى بيع من بغا التركي / [١٢٤/ب] بمائتي دينار^(٣) ودفن مع حمزة . (الثالث) مصعب بن عمير العبدري وهو أول من هاجر إلى المدينة وأول من جمع في الإسلام يوم الجمعة ، وكان لواء رسول الله ﷺ الأعظم لواء المهاجرين يوم بدر معه ويوم أحد ، وضرب ابن قمئة يد مصعب فقطعها ، ومصعب يقول : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾^(٤) . وأخذ اللواء بيده اليسرى فضربها ابن قمئة فقطعها فجثا على اللواء فضمه بين عضديه إلى صدره ثم حمل عليه الثالثة فأنفذه ووقع مصعب وسقط اللواء ، وذكر ابن سعد أن مصعباً حين قتل أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي ﷺ يقول : «تقدم يا مصعب» . فقال الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك . (الرابع) : شماس بن عثمان الشريد القرشي حمل من بين القتلى إلى المدينة وبه رمق ثم مات عند أم سلمة ، فأمر رسول الله ﷺ أن يرد إلى أحد فيدفن كما هو في ثيابه التي مات فيها بعد أن مكث يوماً وليلة إلا أنه لم يأكل ولم يشرب ، ولم يصل عليه رسول الله ﷺ ولم يغسله . (الخامس) : عمار بن زياد بن السكن لما أئخن وسد رسول الله ﷺ قدمه^(٥) فمات . (السادس) : عمرو بن ثابت بن وقش كان يأبى الإسلام فلم يسلم إلا يوم أحد وأسلم وقاتل حتى قتل فذكروه لرسول الله ﷺ فقال : «إنه لمن أهل الجنة»^(٦) . (السابع) و(الثامن) : ثابت بن وقش أبو عمرو المذكور ، واليمان^(٧) أبو حذيفة كانا شبيخين ارتفعا في الأطام مع النساء والصبيان ولما خرج رسول الله ﷺ إلى

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٨٩، ٢٩٠) ، وراجع كلام السهيلي في الصلاة على الشهداء (١٧٩، ١٧٨/٣) .

(٢) هكذا في الأصل ، والصواب جحش . والله أعلم .

(٣) راجع السهيلي (١٧٩/٣) .

(٤) سورة آل عمران : الآية (١٤٤) .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٨) .

(٦) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٤) ، وأخرجه أحمد : المسند (٥/٤٢٨ ، ٤٢٩) من حديث

أبي هريرة .

(٧) اليمان : هو حسيل بن جابر والد حذيفة بن اليمان .

أحد فقال أحدهما للآخر : ماتتظن وخرجنا فقاتلا حتى قتلنا^(١). (التاسع) : حنظلة بن أبي عامر الأوسى قتله أبوسفیان، فقال رسول الله ﷺ حين قتل : «إن صاحبكم لنفسه الملائكة». فسئلت صاحبه عنه فقالت : خرج وهو جنب حين سمع النداء . فكان يعرف بغسيل الملائكة^(٢). (العاشر) : أنس بن النضر بن ضمضم عم أنس بن مالك وجد فيه بضعة وثمانون طعنة / [١٢٥/أ] وهو الذى قال فيه رسول الله ﷺ : «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» ويروى أن النبى ﷺ قال : «من رجل ينظر إلى ما فعل سعد ابن الربيع فى الأحياء هو أم فى الأموات؟» فنظر رجل من الأنصار ، قيل : هو أبى بن كعب^(٣)، فوجده جريحاً فى القتلى فيه رمق قال : فقلت له : إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر فى الأحياء أنت أم فى الأموات . فقال : أنا فى الأموات فأبلغ رسول الله ﷺ منى السلام، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك منى السلام وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف، قال : ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته^(٤). الثانى عشر : عبد الله بن عمرو بن حزام وهو أول من قتل يوم أحد، وهو الذى قال فيه النبى ﷺ لابنه جابر : «لاتبكه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه»^(٥). الثالث عشر : عمرو بن الجموح أحد نقيب الأنصار وكان أعرج ، وكان له بنون أربعة فأرادوا حبسه فامتنع، وقال النبى ﷺ لبنيه : «ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة» فخرج معه^(٦). قيل : يؤخذ من هذا أن أصحاب الأعدار إذا خرجوا نالوا درجة الشهادة.

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢٢/٣) .

(٢) أخرجه الحاكم (٢٠٤، ٢٠٥/٣) ، والبيهقى (١٥/٤) من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده ، قال الطيمى فى «مجمع الزوائد» (٢٣/٣) : أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس بإسناد حسن ، وأورده ابن سعد فى طبقاته (٩/١/٣).

(٣) على مقاله ابن عبد البر فى «الاستيعاب» .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢٧/٣) ، وأخرجه مالك فى الموطأ (٤٦٥/٢ ، ٤٦٦) عن يحيى بن سعيد مرسلأ ، وقال ابن عبد البر : هذا الحديث لا أعرفه مسنداً إلا ما يروى عن أهل السير .

(٥) أخرجه البخارى : كتاب المغازى - باب من قتل من المسلمين يوم أحد ح (٤٠٨٠-فتح) من حديث جابر ﷺ .

(٦) راجع السهلى (١٦٩/٣) ، والدرة الثمينة لابن النجار (ص ١٢٥) .

الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان، وأسعد^(١) بن سويد بن قيس من بني حذرة ،
الحارث بن أنس بن رافع ، عمرو بن معاذ بن النعمان ، أسلمه^(٢) بن ثابت بن وقش ،
رفاعة بن وقش، صفى بن قيطى ، حباب بن قيطى ، عباد بن سهل ، إياس بن أوس
ابن عتيك ، عبيد بن التيهان ويقال : عتيك ، حبيب بن زيد بن تيم البياضى ، يزيد بن
حاطب بن عمرو الأشهل ، أبو سفيان بن الحارث بن قيس البياضى، أنيس^(٣) بن قتادة ،
أبو حبة بالبلاء المثناة من تحت ويقال : بالبلاء الموحدة أخو سعد بن خيثمة [ب/١٢٥] لأمه ،
وقيل : أبو حنة بالنون لأنه شهد بدرأ وليس فيمن شهد بدرأ أحد يقال له أبو حبة بالبلاء
الموحدة ، عبد الله بن جبير بن النعمان^(٤) ، خيثمة أبو سعيد^(٥) بن خيثمة ، عبد الله بن
سلمة ، يسيع بن حلوان بن الحارث ، وقيل : سبيع بن حاطب بن الحارث ، عمرو بن
قيس بن زيد ، ابن قيس ، ثابت بن عمرو بن زيد ، عامر بن مخلد ، أبو هيرة بن الحارث ،
ويقال : أبو أسيرة، ويقال : إن أبا أسيرة أخوه ، عمرو بن مطرف بن علقمة ، أوس بن
ثابت بن المنذر أخو حسان بن ثابت ، قيس بن مخلد ، كيسان عبد أبى قارون بن النجار ،
سليم بن الحارث ، نعمان بن عمرو^(٦) خارجة بن زيد ، أوس بن الأرقم بن زيد ، مالك بن
سنان أبو أبى سعيد الخدرى ، عتبة بن ربيع بن رافع ، ثعلبة بن سعد بن مالك ، ثقف بن
فروة بن الندى ، عبد الله بن عمرو بن وهب ، ضمرة حليف لبنى طريف من جهينة ،
نوفل بن عبد لله ، عباس بن عبادة ، نعمان بن مالك بن ثعلبة ، المجذر بن زياد ، عبادة بن
الخشخاش ، رفاعة بن عمرو وقيل : رفاعة بن رافع بن يزيد بن عمرو ، خلاد بن عمرو بن
الجموح ، أبو أيمن مولى خلاد بن عمرو المذكور ، سليم وقيل : سليمان والأول أصح وقيل :
سالم بن عامر وقيل : ابن عمرو بن حديدة ، مولاة عنزة ويقال عنزة أو عنزة ، سهل بن
قيس بن أبى بن كعب ، ذكوان بن عبد قيس بن خالد بن مخلد الزرقى ، عبيد بن المعلى بن
لودان ، مالك بن نميلة ، الحارث بن عدى بن خرشة ، مالك بن أياس ، إياس بن عدى ،
عمرو بن إياس^(٧) ، وعن النبى ﷺ أنه قال فى قتلى أحد : « هؤلاء شهداء فأتوهم وسلموا

(١) فى ابن هشام : «سعيد بن سويد» .

(٢) فى ابن هشام : «سلمة بن ثابت» .

(٣) فى ابن هشام : « أنس بن قتادة» .

(٤) فى ابن هشام : «عبيد الله بن جبير» .

(٥) فى ابن هشام : «خيثمة أبو سعد» .

(٦) فى ابن هشام : «عبد عمرو» .

(٧) راجع السيرة النبوية لابن هشام (٤٦/٣-٤٩) ، والدرة الثمينة (ص ١٢٢) ، ووفاء الوفا (٩٣٤/٣) .

عليهم ولن يسلم عليهم أحد ماقامت السموات والأرض إلارودا عليه^(١). وروى جعفر بن محمد الصادق / [١٢٦/أ] عن أبيه عن جده أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تختلف بين اليومين والثلاثة إلى قبور الشهداء بأحد فتصلي هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت^(٢). وروى العطار بن خالد قال : حدثني خالة لي وكانت من العابدات قالت : ركبت يوماً حتى جئت قبر حمزة فصليت ماشاء الله ولا والله ما في الوادي من داع ولا يحيب وغلامي أخذ برأس دابتي فلما فرغت من صلاتي قلت : السلام عليكم وأشرت بيدي فسمعت رد السلام على من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله سبحانه خلقني فاقشعرت كل شعرة مني فدعوت الغلام وركبت^(٣). وقد وردت آثار كثيرة في أن أجساد الشهداء لا تبلى وقد شوهد ذلك ، وشوهد أيضاً بقاء أجساد شهداء الأمم المتقدمة ، ومصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ﴾^(٤). فالآية عامة في سائر مؤمني الأمم ، وكذلك الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لا تبلى أجسادهم ، وقد حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، وقد وجدت أجساد الملوك والحكماء المدبرين مع طراوة أجسادهم بالحيلة بعد وفاتهم بمئتين من الأعوام بل بعض حكماء الأمم المتقدمة وملوكها يوجدون إلى هذا الزمن أطرياء لم يتغير منهم شيء وذلك أنهم وبروا أدهاناً ادهنوا بها عند موتهم فمنعتهم من البلاء قال هرمس : وقد أمرت من يفعل بي ذلك إذا أنا مت وأشار إلى أن يطلى بالشمس والقمر مرموزا وهو الزئبق والملح بالرمز الثاني . وروى : أنه متى شد جميع الشخص بالذهب لا يبلى ما بقى الذهب ، وقد وجد شخص مكفن بالذهب في ورقة من ذهب فقلعت فإذا فيها سبعون درهماً .

قال الشيخ جمال الدين : وفي قبلة جبل أحد قبور الشهداء ولا يعلم منها الآن إلا قبر حمزة ﷺ ومعه في القبر ابن أخته كما تقدم ، وعليه قبة عالية ومشهد بنته أم الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن / [١٢٦/ب] المستضي سنة تسعين وخمسائة وعلى المشهد باب من حديد يفتح كل خميس وشمالى المسجد أرام من حجارة يقال إنها من قبور الشهداء وكذلك من غربته أيضاً ، وقد ورد أن هذه قبور أناس ماتوا عام الرمادة في خلافة عمر ﷺ ، ولا شك أن قبور الشهداء حول حمزة ﷺ إذ لا ضرورة أن يبعدوا عنه ، وعند رجل حمزة قبر رجل تركي كان متولياً عمارة المشهد الشريف يقال له : سنقر ،

(١) أورده ابن النجار بسنده (ص ١٢٦) .

(٢) الدررة الثمينة (ص ١٢٧) ، ووفاء الوفا (٩٣٢/٣) ، وروى نحوه رزين العبدري في جامعته .

(٣) الدررة الثمينة (ص ١٢٧) ، ووفاء الوفا (٩٣٢/٣) .

(٤) سورة التوبة : الآية (١١١) .

وكذلك فى صحن المسجد الشريف قبر دفن فيه بعض الأشراف من أمراء المدينة. وتحت جبل أحد من جهة القبلة لاصقاً بالمسجد مسجد شريف صغير قد تهدم يقال : إن النبى ﷺ صلى فيه الظهر والعصر بعد انفصال القتال ، وفى جهة القبلة من هذا المسجد موضع منقور فى الحجر على قدر رأس الإنسان يقال : إن النبى ﷺ جلس على الصخرة التى تحته وأدخل رأسه فيه ، وكذلك شمالى المسجد غار فى الجبل يقال : إن النبى ﷺ دخله. ولم يرد بذلك نقل صحيح . وقبلى المشهد جبل صغير يسمى عنين - بفتح العين المهملة وكسر النون الأولى - والوادی بينهما كان عليه الرماة يوم أحد وعنده مسجدان أحدهما مع ركنة الشرقى يقال : إنه الموضع الذى طعن فيه حمزة والمسجد الآخر شمالى هذا المسجد على شفير هذا الوادى يقال : إنه مصرع حمزة وإنه مشى بطعنته إلى هناك ثم صرع ﷺ ، وبين المشهد والمدينة ثلاثة أميال ونصف وإلى أحد مايقارب أربعة أميال^(١). وكانت غزاة أحد فى السنة الثالثة من الهجرة .

قال الحافظ محب الدين : جاءت قريش من مكة لحرب رسول الله ﷺ ولاقوه يوم السبت النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة عند جبل أحد^(٢). وقيل : كان نزول قريش يوم أحد بالمدينة بالجمعة وقال ابن إسحاق : يوم الأربعاء فنزلوا بالمدينة برومة / [١٢٧/] من وادى العقيق وصلى رسول الله ﷺ الجمعة بالمدينة ثم لبس لامته وخرج هو وأصحابه على الحرة الشرقية حرة واقم وبالك بالسيحيين موضع بالمدينة وأحد مع الحرة إلى جبل أحد وغزا صبح يوم السبت إلى أحد ففيه كانت وقعة أحد، قيل : خرج رسول الله ﷺ يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وكان دليل رسول الله ﷺ ليلة أحد سهل بن أبى حثمة .

وعن قتادة : لما قدم أبو سفيان بالمشركين رأى النبى ﷺ رؤيا فى النوم فتأولها قتلاً فى أصحابه ، ورأى سيفه ذا الفقار انقصم فكان قتل حمزة ، ورأى كبشا أغير قتل فكان صاحب لواء المشركين عثمان بن أبى طلحة ، فقال النبى ﷺ لأصحابه بعد الرؤيا : «إلى فى جنة حصينة - يعنى المدينة - فدعوهم يدخلون نقاتلهم» فقال ناس من الأنصار : يارسول الله إنا نكره أن نقتل فى طرف المدينة فابرز بنا إلى القوم فلبس النبى ﷺ لامته وندم القوم فيما أشاروا به واعتذروا إليه فقال : «إنه ليس لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل ستكون فيكم مصيبة» قالوا : يارسول الله خاصة أو عامة . قال مكى : فقتادة يذهب إلى أن الذنب الذى عدده الله فى قوله : ﴿ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم

(١) التعريف بما آتست الهجرة (ص ٤١ ، ٤٢) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ١١٥) .

مثليها قلت أنى هذا قل هو من عند أنفسكم»^(١) هو ما أشاروا به . وقيل فيه غير ذلك، وكان ﷺ يوم أحد فى ألف ، والمشركون فى ثلاثة آلاف ، وكان جبريل وميكائيل - عليهما السلام - عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره يقاتلان لشدة القتال . وعن جعفر بن محمد أن النبى ﷺ دعا يوم أحد فقال : «يا صريخ المكاروبين ومجيب المضطرين وكاشف الكرب العظيم اكشف كربى / [ب/ ١٢٧] وهى وغمى فإنك ترى حالى وحال أصحابى». قال : فصرف الله عدوه وغزا ﷺ أحداً على فرسه السكب كان اشتراه من أعرابى من بنى فزارة بالمدينة وكان اسمه عند الأعرابى المضرس ، وهو أول فرس ملكه رسول الله ﷺ وأول غزاة غزا عليه أحداً ، وكان طلق اليمين له سبعة وسابق عليه فسبق فخرج به رسول الله ﷺ ، يقال : فرس سكب - أى كثير الجرى ، ثم إن النبى ﷺ قاتل المشركين يوم أحد والمسلمين وخلص العدو إلى رسول الله ﷺ فذب بالحجارة حتى وقع بشقه فانكسرت ربايعيته وشج فى وجهه وكلمت شفته وكان ذلك كرامة له ﷺ ولأصحابه الذين استشهدوا بين يديه وكانوا سبعين رجلاً كما تقدم.^(٢)

(١) سورة آل عمران : الآية (١٦٥) .

(٢) راجع سيرة ابن هشام (١٧/٣) .

الفصل الخامس
فى ذكر جلاء بنى النصير من المدينة وحفر الخندق
وقتل بنى قريظة بالمدينة

ذكر جلاء بنى النضير من المدينة

اعلم أن النبي ﷺ قد عقد حلفاً بين بنى النضير من اليهود وبين بنى عامر، فعدا عمرو بن أمية الضمري من بنى النضير على رجلين من بنى عامر فقتلتهما، فأتى النبي ﷺ بنى قريظة^(١) يستعينهم فى دية القتيلين، فقالوا: نعم. ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذا، وكان رسول الله ﷺ قاعداً إلى جنب جدار من بيوتهم، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة، فصعد أحدهم^(٢) لذلك، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء فقام ورجع إلى المدينة، وأخبر أصحابه الذين معه منهم أبو بكر وعمر وعلى -رضى الله عنهم- وأمرهم بالتهيو لحربهم، وسار حتى نزل بهم فى شهر ربيع الآخر سنة أربع من الهجرة فتحصنوا فى الحصون، فأمر / [١٢٨/أ] النبي ﷺ بقطع نخيلهم وتحريقها، وقذف الله فى قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يخليهم^(٣)، ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح ففعل، فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام، وخلوا الأموال فقسما رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سمالك بن خرشة ذكرا فقرأ فأعطاهم رسول الله ﷺ، ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان يامين بن عمير وأبو سعيد بن وهب^(٤)، أسلما على أموالهم فأحرزاهما، وأنزل الله تعالى فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها^(٥)، وكانت نخيل بنى النضير تسمى نويرة، وقيل: بويرة، اسم بلدة أو موضع من مواضع بنى النضير.

ذكر حفر الخندق

حفر رسول الله ﷺ الخندق يوم الأحزاب، وذلك أن نفرا من بنى النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ وكانوا بخيبر وكان رئيسهم حنينا بن أخطب قدم هو ورؤساء قومه إلى مكة على قريش، فدعوهم لحرب رسول الله ﷺ فأطاعتهم قريش وغطفان بمن جمعوا، فلما سمع النبي ﷺ ضرب الخندق على المدينة، وكان ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى

(١) فى ابن هشام: «بنى النضير».

(٢) قال ابن هشام: هو عمرو بن جحاش بن كعب.

(٣) فى ابن هشام: «يخليهم».

(٤) فى ابن هشام: «أبو سعد».

(٥) راجع السيرة النبوية لابن هشام (٩٠/٣، ٩١)، والبداية والنهاية لابن كثير (٧٨-٧٦/٣)،

والدرة الثمينة (ص ١٣١، ١٣٢)، وزاد المعاد لابن القيم (٢٤٨/٣-٢٥٠).

اغبر بطنه كما ثبت فى صحيح البخارى^(١) ، واشتدت عليهم صخرة فى الخندق فشكوها إلى رسول الله ﷺ ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعوا به ثم نضح ذلك الماء على تلك الصخرة ، فانهالت حتى عادت كالكتيب لا ترد فأساً ولا مسحاً ، ولم يزل المسلمون يعملون فيه حتى أمموه ، وحفره ﷺ طويلاً من أعلى وادى بطحان غربى الوادى مع الحرة إلى غربى المصلى صلى العيد ، ثم إلى مسجد الفتح [١٢٨/ب] ثم إلى الجبلين الصغيرين اللذين فى غربى الوادى ، يقال لأحدهما : رابح وللآخر جبل بنى عبيد ، وأقبلت قريش وكنانة ومن تبعها من الأجاش فى عشرة آلاف حتى نزلوا بمجتمع السيول من رومة - وادى العقيق - وقائدهم أبو سفيان ، وأقبلت غطفان وبنو أسد ومن تبعها من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقيى إلى جانب أحد مابين طرفى وادى النقيى وقائدهم عيينة بن حصن ، وأتى الحارث بن عوف فى بنى مرة ومسعود^(٢) بن ربيعة فى أشجع ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون فى ثلاثة آلاف حتى جعلوا ظهورهم إلى جبل سلع ، وضرب رسول الله ﷺ قبته على القرن الذى فى غربى جبل سلع موضع مسجده اليوم ، ثم سعى حثيى بن أخطب حتى قطع الحلف الذى كان بين بنى قريظة وبين النبى ﷺ ، وخاف لحرب رسول الله ﷺ ، فاشتد الخوف ، واشتد الحصار على المسلمين وكان فى ذلك ما قص الله تعالى بقوله : ﴿ إِذْ جَاؤَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ .. الْآيَاتِ ﴾^(٣) . فأقام رسول الله ﷺ والمشركون بضعاً وعشرين ليلة لم يكن لهم حرب إلا الرمي بالنبل إلا الفوارس من قريش فإنهم قاتلوا فقتلوا وقتلوا ، وأصاب سعد بن معاذ سهم فحسم رسول الله ﷺ جرحه فانتفخت يده ونزف الدم ، فلما رأى ذلك قال : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها ، اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تمننى حتى تفر عينى فى بنى قريظة ، وكان راميه حبان بن العرقة رماه بسهم فى عضده أصاب أكحله فانقطع ، فأمر رسول الله ﷺ بضرب فسطاط فى المسجد لسعد فكان يعود فى كل يوم ، واستشهد [١٢٩/أ] يومئذ من المسلمين ستة من الأنصار ، ولم يزل رسول الله ﷺ وأصحابه على ما هم عليه من الخوف والشدة حتى هدى الله تعالى نعيم بن مسعود داخل غطفان للإسلام ، ولم يعلم أصحابه ، وخدع بين بنى قريظة وقريش وغطفان ورمى بينهم الفتن ، وبعث الله تعالى عليهم الريح فى ليال باردة فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنتهم فرجعوا إلى بلادهم ، وكان مجيئهم وذهابهم فى

(١) كتاب المغازى - باب غزوة الخندق ح (٤١٠٤ - فتح) من حديث البراء .

(٢) فى ابن هشام : «مسعود بن ربيعة» .

(٣) سورة الأحزاب : الآية (١٠) .

شوال سنة خمس من الهجرة ، يروى أنهم لما وقفوا على الخندق قالوا : إن هذه لمكيدة ماكانت العرب تكيدها، ويقال : إن سلمان أشار به على رسول الله ﷺ^(١). قال الحافظ محب الدين : والخندق اليوم باق وفيه قناة تأتي من عين بقاء إلى النخل الذي بأسفل المدينة المعروف بالسيح حول مسجد الفتح ، وقد انطم أثره وتهدمت حيطانه^(٢). قال الشيخ جمال الدين المطري : وأما اليوم فقد عفا أثر الخندق ولم يبق منه شيء يعرف إلا ناحيته ؛ لأن وادى بطحان استولى على موضع الخندق فصار مسيله فى موضع الخندق^(٣). وقال عفيف الدين المرجاني : وفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة أرانى والدى - رحمه الله - باقى جدار منه .

ذكر قتل بنى قريظة بالمدينة الشريفة

قال ابن إسحاق : ولما انصرف رسول الله ﷺ من الخندق رجع إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح، فأتى جبريل - عليه السلام - رسول الله ﷺ معتجراً بعمامة من إستبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج فقال : لقد وضعت السلاح يارسول الله؟ فقال : نعم . قال : ما وضعت الملائكة بعد السلاح ، ومارجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك بالسير إلى بنى قريظة فإنى عامد إليهم فمززل بهم . فأذن رسول الله ﷺ فى الناس : «من كان سامعاً مطيعاً فلا / [١٢٩/ب] يصلين العصر إلا فى بنى قريظة»^(٤). فنزل رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة، وقذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس وقالوا : يارسول الله إنهم موالينا دون الخزرج فهم لنا ، فقال : «ألا ترضون يامعشر الأوس أن نحكم فيهم رجلاً منكم». قالوا : بلى ، قال : «فذلك إلى سعد بن معاذ». وكان سعد فى خيمته يداوى جرحه، [وكان حارثة بن كلدة هو الذى يداويه وكان طبيب العرب وهو مولى أبى بكره مسروح]^(٥)، فأتت الأوس سعد بن معاذ إلى رسول الله ﷺ فقال له : «احكم فى بنى قريظة» فقال : إنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام (١٠٦/٣-١٠٨)، والدرة الثمينة لابن النجار (ص ١٣٥، ١٣٨)، وحزم ابن القيم فى زاد المعاد (٣/٢٧٠-٢٧٤) بأن الذى أشار بحفر الخندق هو سلمان ﷺ.

(٢) الدرة الثمينة (ص ١٣٨).

(٣) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٥٩).

(٤) أخرجه البخارى : كتاب المغازى - باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ح (٤١١٩ - فتح) ،

ومسلم : كتاب الجهاد والسير - باب المبادرة بالغزو ح (١٧٧٠).

(٥) ماين للمعكوفتين ليست فى سيرة ابن هشام ، وليست فى الدرة الثمينة .

الذرائى . فقال له رسول الله ﷺ : «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» - أى من فوق سبع سموات - ، وكان الذين نزلوا على حكمه ﷺ أربعمائة ، واستنزلوا بنى قريظة من حصونهم فحبسوا بالمدينة فى دار امرأة من بنى النجار ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فجئ بهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، وكانوا سبعمائة وفيهم حبيى بن أخطب الذين^(١) حرضهم على نقض العهد ، فقتل منهم ﷺ كل من أنبت^(٢) ، واستحيى من لم ينبت ، وقتل منهم امرأة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد من الحصن فقتلته يوم قتال بنى قريظة فقتلها به النبى ﷺ ، وأخبر ﷺ أن خلاد أجر شهيدين ، ثم قسم رسول الله ﷺ أموالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأنزل الله تعالى فى بنى قريظة والخندق من قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿وَأُورِثْكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ يَكُن لَكُمْ تَطَوُّهَا﴾^(٤) قيل : هى نساؤهم . ثم انفتق على سعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيدا ، وذلك بعد أن أصابه السهم بشهر فى شوال سنة خمس ، وكان رجلاً طويلاً ضخماً^(٥) ، ولم تزل بقايا اليهود بالمدينة إلى خلافة عمر رضي الله عنه ، وروى عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال : «لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب»^(٦) قال ابن شهاب : ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أتاه اليقين أن رسول الله ﷺ قال : «لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب» . فأجلى يهود خيبر وأجلى يهود نجران وفدك^(٧) . انتهى .

(١) هكذا فى الأصل ، والصواب «الذى» . والله أعلم .

(٢) أى كل من بلغ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية (٩) .

(٤) سورة الأحزاب : الآية (٢٧) .

(٥) راجع السيرة النبوية لابن هشام (١١٨/٣-١٢٦) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٩٤/٤-١٢٨) ، والدررة الثمينة لابن النجار (ص ١٤١، ١٤٢) ، وأخرج البخارى بعضاً منه : كتاب المغازى - باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ح (٤١٢٢-فتح) .

(٦) أخرجه مالك فى الموطأ : كتاب الجامع - باب ما جاء فى إجلاء اليهود من المدينة ح (١٨) وهو حديث مرسل ، وهو موصول فى الصحيحين من حديث ابن عباس ، أخرجه البخارى : كتاب الجزية والمواذعة - باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ح (٣١٦٨-فتح) ، ومسلم : كتاب الوصية - باب ترك الوصية لمن ليس له شئ ح (١٦٣٧) . بلفظ : «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» .

(٧) راجع الموطأ (١٩٣/٢) .

الفصل السادس

في ذكر ابتداء بناء مسجد رسول الله ﷺ وما زيد فيه أو نقص منه إلى هذا التاريخ وفيه ذكر ما جاء في قبلة مسجد رسول الله ﷺ وذكر حجر أزواج النبي ﷺ وذكر مصلى رسول الله ﷺ من الليل وذكر قصة الجذع وذكر منبر النبي ﷺ والروضة الشريفة وذكر سد الأبواب الشوارع في المسجد الشريف وذكر تجمير المسجد الشريف وتخليقه وذكر موضع تأذين بلال ؓ وذكر أهل الصفة وذكر زيادة عمر بن الخطاب ؓ في مسجد رسول الله ﷺ وذكر بطحاء مسجد رسول الله ﷺ وذكر زيادة عثمان ؓ وذكر زيادة الوليد بن عبد الملك بن مروان وذكر زيادة المهدي وذكر بلاعات المسجد وسائر صحنه والسقايات التي كانت فيه وذكر احتراق المسجد الشريف وذكر الخوخ والأبواب التي كانت في مسجد رسول الله ﷺ وذكر ذرع المسجد اليوم وعدد أساطينه وطبقانه وحدود المسجد القديم وذكر أسوار المدينة الشريفة .

ذكر ابتداء بناء مسجد رسول الله ﷺ

لما قدم / [١٣٠ ب] النبي ﷺ المدينة نزل على [أم]^(١) كلثوم بن الهدم في بنى عمرو بن سالم بن عوف ، فمكث عندهم الاثني والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وكان كلثوم بن الهدم أسلم قبل قدوم النبي ﷺ المدينة وتوفي في السنة الأولى ، وروى البخاري في «صحيحه»^(٢) : أن النبي ﷺ مكث في بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وعن مسلم^(٣) : أقام فيه أربع عشرة ليلة ، وأخذ مريد^(٤) كلثوم بن الهدم وعمله مسجداً وأسسَه وصلى فيه إلى بيت المقدس ، وخرج من عندهم يوم الجمعة عند ارتفاع النهار فركب ناقته القصواء ، وجد المسلمون ولبسوا السلاح عن يمينه وشماله وخلفه وكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا قالوا : هلم يا رسول الله إلى القوة والمتعة والثروة ، فيقول لهم خيراً ، ويقول عن ناقته : «إنها مأمورة خلوا سبيلها» ، فمر بنى سالم بن عوف فأتى مسجدهم الذي في وادي رانواناء وأدركته صلاة الجمعة فصلى بهم هنالك وكانوا مائة رجل ، وقيل : أربعون ، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ، ثم ركب راحلته وأرعى لها زمامها وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالاً حتى انتهت به إلى زقاق الحسنى من بنى النجار فبركت على باب دار أبي أيوب الأنصارى ، وقيل : بركت أولاً على باب مسجده ﷺ ثم ثارت وهو عليها فبركت على باب أبي أيوب ، ثم التفت وثارَت وبركت في مبركها الأول ، وألقت جرانها^(٥) في الأرض وزرمت^(٦) فنزل عنها رسول الله ﷺ ، وقال : هذا المنزل يا رسول الله فاحتمل

(١) ليست في زاد المعاد (٥٨/٣) ، ولا في الدرة الثمينة (ص ٥٤) ، ولا في البداية والنهاية

(٢٣٨ / ٣) ، ولا في سيرة ابن هشام (٥٨/٢) . والله أعلم .

(٢) أخرجه البخاري : كتاب مناقب الأنصار - باب حجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ح (٣٩٠٦ - فتح) عن سراقه بن جشعم .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب ابتداء مسجد النبي ﷺ ح (٥٢٤) ، وكذا البخاري : كتاب الصلاة - باب هل تنبش قبور مشركى الجاهلية ح (٤٢٨ - فتح) عن أنس ابن مالك .

(٤) المرید : الموضع الذى تحبس فيه الإبل والغنم ، وبه سمى مريد المدينة والبصرة . وهو بكسر الميم وفتح الباء ، من ريد بالمكان إذا أقام فيه ، وریده إذا حبسه . النهاية (١٨٢/٢) ، وسيأتى للمصنف أنه كان مريداً للتمر .

(٥) الجران : باطن العنق ، النهاية (٢٦٣/١) وقال بعده : كما أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه على الأرض . اهـ .

(٦) أى : صوتت ، والإزرام : الصوت لا يفتح به النون . النهاية (٢٢٠/٢) .

أبو أيوب رحله وأدخله بيته ، فأقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب سبعة أيام ثم بنى مسجده ، ثم لم يزل في بيت أبي أيوب ينزل عليه من الوحى حتى ابتنى مسجده ومساكنه ، وكان ابتداء [١٣١/أ] بنيانه ﷺ مسجده في شهر ربيع الأول من السنة الأولى^(١) ، وكانت إقامته في دار أبي أيوب سبعة أشهر^(٢) .

قال الشيخ جمال الدين : ودار أبي أيوب مقابلة لدار عثمان رضي الله عنه من جهة القبلة والطريق بينهما ، وهى اليوم مدرسة للمذاهب الأربعة اشترى عرصتها الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب بن شادى وبناها ، وأوقفها على المذاهب الأربعة وأوقف عليها وقفاً بميفارقين وهى دار ملكه ولها بدمشق وقف أيضاً ، ويليها من جهة القبلة عرصة كبيرة تحاذيها من القبلة كانت داراً لجعفر بن محمد الصادق ، وفيها الآن قبله مسجده وفيها أثر المحارب ، وهى اليوم ملك للأشراف المنايفة ، وللمدرسة قاعتان كبيرى وصغرى ، وفى إيوان الصغرى الغربى عزانة صغيرة مما يلى القبلة فيها محراب يقال إنه مبرك ناقة رسول الله ﷺ^(٣) ، ثم قال رحمه الله تعالى : واعلم أن المسجد الشريف فى دار بنى غنم بن مالك بن النجار وكان مربداً للتمر لسهل وسهيل بنى رافع بن مالك بن النجار وكانا غلامين ، فساومهما بالمربد ليتخذاه مسجداً فقالا : بل نهبنا لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما وبناه ، وقيل : لم يأخذ له ثمناً ، وقيل : اشتراه من بنى عفراء بعشرة دنانير ذهباً دفعها عنه أبوبكر رضي الله عنه ، وكانت دار بنى النجار أوسط دور الأنصار وأفضلها ، وبنو النجار أحوال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ ، والنجار تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج وهم بطون كثيرة ، سمي بالنجار ؛ لأنه اختن بالقدوم ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : «خير دور الأنصار دور بنى النجار»^{(٤)(٥)} . وعن أنس أن النبي ﷺ [١٣١/ب] لما أخذ المربد من بنى

(١) راجع سيرة ابن هشام (٥٨/٢ - ٦٢) ، والدرة الثمينة (ص ١٤٥) وزاد المعاد (٥٨/٣ - ٦٢)
والبداية والنهاية (٢٣٦/٣ - ٢٤٣) .

(٢) راجع الدرّة الثمينة (ص ١٤٥) ، والبداية والنهاية (٢٥٣/٣) وحكاها عن الواقدي .

(٣) التعريف بما أنست الحجر (ص ٣٦) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب فضل دور الأنصار ح (٣٧٨٩ - فتح) ،
ومسلم : كتاب فضائل الصحابة - باب فى خير دور الأنصار ح (٢٥١١) عن أبى أسيد مالك بن
ربيعة الساعدي .

(٥) التعريف بما أنست الحجر (ص ٣٥ - ٣٦) .

النجار كان فيه نخيل وقبور المشركين وخرب ، فأمر النبي ﷺ بالنخيل فقطع وقبور المشركين فنبشت وبالحرب فسويت ، قال : فصفروا النخل قبله له وجعلوا عضادتيه حجارة ، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه^(١) ، وبني ﷺ مسجده مربعاً وجعل قبلته إلى بيت المسجد^(٢) ، وطوله سبعون ذراعاً في عرض شبر^(٣) أو أزيد ، وجعل له ثلاثة أبواب وجعلوا ساريتي المسجد من الحجارة وبنوا باقيه من اللبن ، وفي الصحيحين : كان جدار المسجد ما كادت الشاة تجوزه^(٤) . وعن عائشة - رضى الله عنها - : كان طول جدار المسجد بسطة ، وكان عرض الحائط لبنة لبنة ، ثم إن المسلمين كثروا فبنوه لبنة ونصفاً ، ثم قالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل ، قال : نعم ، فأقيم له سوار من جذوع النخل شقة شقة ثم طرحت عليها العوارض والخصف^(٥) والإذخر ، وجعل وسطه رحبة فأصابتهم الأمطار فجعل المسجد يكف^(٦) بهم ، فقالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فطين ، فقال لهم : «عريش كعريش موسى ثمام^(٧) وخشيبات يعم فيعمل والأمر أعجل من ذلك» ، فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله ﷺ ، ويقال : إن عريش موسى - عليه السلام - كان إذا قام به أصاب رأسه السقف . قال أهل السير : وبني رسول الله ﷺ مسجده مرتين ، بناه حين قدم أقل من مائة في مائة ، فلما فتح الله تعالى عليه خيبر بناه فزاد عليه في الدور مثله^(٨) .

(١) أخرجه البخارى : كتاب الصلاة - باب هل تنبش قبور مشركى الجاهلية ، ويتخذ مكانها مساجد ح (٤٢٨ - فتح) ، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب ابتناء مسجد النبي ﷺ ح (٥٢٤) .

(٢) كذا فى الأصل ، والصواب « المقدس » . كما فى الدرر الثمين (ص ١٤٦) ، وزاد المعاد (٦٣/٣) .

(٣) كذا فى الأصل ، وليست موجودة فى الدرر الثمين (ص ١٤٦) . والله أعلم .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب الصلاة - باب قدر كم ينبغى أن يكون بين المصلى والسرة ح (٤٩٧ - فتح) ، ومسلم : كتاب الصلاة - باب دنو الصلاة من السرة ح (٥٠٩) عن سلمة ابن الأكوع ، واللفظ قريب من رواية البخارى ، وراجع الدرر الثمين (ص ١٤٦) وعزاه للصحيحين .

(٥) الخصف : هى الجلة التى يكثر فيها التمر . النهاية (٣٧/٢) .

(٦) يكف بهم : يسقط المطر عليهم .

(٧) ثمام : عشب من الفصيلة النجيلية يسمو إلى مائة وخمسين سنتيمتر .

(٨) راجع الدرر الثمين (ص ١٤٧) .

ذكر ما جاء في قبلة مسجد رسول الله ﷺ

اعلم أن النبي ﷺ صلى في مسجده متوجهاً إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ، وقيل : ستة عشر ، ثم أمر بالتحول إلى الكعبة في السنة الثانية من الهجرة [١٣٢/أ] في صلاة الظهر يوم الثلاثاء النصف من شعبان ، وقيل : في رجب^(١) ، فأقام رسول الله ﷺ رهطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة ، فأتاه جبريل - عليه السلام - فقال : يا رسول الله ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة ثم قال : بيده هكذا ، فأمات كل جبل بينه وبين الكعبة لا يحول دون نظره شيء فلما فرغ ، قال جبريل : هكذا فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها وصارت قبلته إلى الميزاب من البيت ، فهي المقطوع بصحتها^(٢) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كانت قبلة النبي ﷺ إلى الشام ، وكان مصلاه الذي يصلي فيه للناس من الشام من مسجده أن تضع الإسطوانة المحلقة اليوم خلف ظهرك ثم تمشي مستقبل الشام وهي خلف ظهرك حتى إذا كنت محاذياً لباب عثمان المعروف اليوم بباب جبريل - عليه السلام - والباب عن منكبك الأيمن وأنت في صحن المسجد كانت قبلته في ذلك الموضع^(٣) ، وأنت واقف في مصلاه ﷺ وسيأتي ذكر الإسطوانة في محله .

يروي أن أول ما نسخ من أمور الشرع أمر القبلة ، وتقدم في باب الفضائل فضل مسجد رسول الله ﷺ ، وأن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجده ﷺ .

ذكر حجر أزواج النبي ﷺ

لما بنى رسول الله ﷺ مسجده بنى بيتين لزوجتيه عائشة وسودة - رضي الله عنهما - على نعت بناء المسجد من لبن وحريد ، وكان لبنت عائشة - رضي الله عنها - مصراع واحد من عرعر أوساج ، ولما تزوج النبي ﷺ نساءه بنى لهن حجرات وهي تسعة أبيات ، وهي ما بين بيت عائشة - رضي الله عنها [١٣٢/ب] عنها - إلى الباب الذي يلي باب النبي ﷺ .

قال أهل السير : ضرب رسول الله ﷺ الحجرات ما بينه وبين القبلة والشرق إلى الشام ، ولم يضربها في غربيه ، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلى جهة المغرب ، وكانت أبوابها شارعة في المسجد^(٤) . قال عمران بن أبي أنس : كانت منها أربعة أبيات

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام (٩٢/٢) ، والبداية والنهاية (٢٨٨/٣) .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ١٤٧) .

(٣) راجع الدرة الثمينة (ص ١٤٨) .

(٤) راجع الدرة الثمينة (ص ١٥٢) .

بلبن لها حجر من جريد ، وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها ، على أبوابها مسوح الشعر . قال النجار^(١) : وذرعت الستر فوجدته ثلاثة أذرع فى ذراع ، وكان الناس يدخلون حجر أزواج النبي ﷺ بعد وفاته يصلون فيها يوم الجمعة حكاها مالك ، وقال : كان المسجد يضيق على أهله ، وحجرات أزواج النبي ﷺ ليست من المسجد ولكن أبوابها شارعة فيه^(٢) .

وقالت عائشة - رضى الله عنها - : كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف يدنى إلى رأسه فأرجله ، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان^(٣) .

وعن عبد الله بن يزيد الهذلى قال : رأيت بيوت أزواج النبي ﷺ حين هدمها عمر ابن عبد العزيز كانت بيوتاً باللبن ولها حجر من جريد ، ورأيت بيت أم سلمة وحجرتها من لبن فسألت ابن ابنها ، فقال : لما غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل^(٤) بنت أم سلمة بابها وحجرتها بلبن ، فلما قدم رسول الله ﷺ نظر إلى اللبن فقال : «ما هذا البناء» ؟ فقالت : أردت أن أكف أبصار الناس . فقال لى : «يا أم سلمة شر ما ذهب فيه مال المسلمين البنيان»^(٥) . وقال عطاء الخرساني : أدركت حجر أزواج النبي ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود فحضرت كتاب الوليد يُقرأ يأمر بإدخالهم فى المسجد ، فما رأيت باكيًا أكثر من ذلك اليوم . [١٣٣/أ] وسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ : والله لوددت أنهم يتركونها على حالها ينشأ ناس من أهل المدينة فيقدم القادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ فى حياته ، فيكون ذلك مما يزهد الناس فى التكاثر والفخر . وقال يزيد بن أمانة : ليتها تركت حتى يقصر الناس من البنيان ، ويروا ما رضى الله - عز وجل - لنبيه ﷺ ومفاتيح الدنيا عنده^(٦) .

وأما بيت فاطمة - رضى الله عنها - فإنه كان خلف بيت النبي ﷺ عن يسار المصلى إلى القبلة ، وكان فيه خوخة إلى بيت النبي ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ إذا

(١) هكذا فى الأصل ، والصواب : «ابن النجار» . والله أعلم .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ١٥٢) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الحيض - باب غسل الحائض رأس زوجها ح (٢٩٦ - نتج) ، ومسلم :

كتاب الحيض - باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ح (٢٩٧) .

(٤) دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة على سبع مراحل من دمشق .

(٥) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ١٥٣) ، وأخرجه الإمام أحمد : المسند (٢٩٣/٦) .

(٦) راجع هذه الأقوال فى الدرة الثمينة (ص ١٥٣) ، ومثير الغرام (ص ٤٨٥) .

قام من الليل إلى المنخرج اطلع منه يعلم خبرهم ، وكان رسول الله ﷺ يأتي بابها كل صباح فيأخذ بعضادتيه ويقول : «الصلاة الصلاة ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» . قال الحافظ محب الدين بن النجار : وبיתהا اليوم حوله مقصورة ، وفيه محراب وهو خلف حجرة النبي ﷺ ^(١) . قال عفيف الدين المرجاني : وهو اليوم أيضاً باق على ذلك .

ذكر مصلى رسول الله ﷺ من الليل

وروى عيسى بن عبد الله عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يطرح حصيراً كل ليلة إذا انكفت الناس وراء بيت عليّ ﷺ ثم يصلى صلاة الليل ، قال : وذلك موضع الأسطوان الذي مما يلي الدويرة على طريق النبي ﷺ .

وعن سعيد بن عبد الله بن فضل قال : مر بي محمد بن الحنفية وأنا أصلى إليها فقال لي : أراك [١٣٣/ب] تلزم هذه الأسطوانة هل جاءك فيها أثر ؟ قلت : لا . قال : فالزمها فإنها كانت مصلى رسول الله ﷺ من الليل ، ثم قال : قلت : هذه الأسطوانة ؟ قال : نعم ^(٢) .

قال الشيخ جمال الدين : وهذه الأسطوانة خلف بيت فاطمة - رضى الله عنها - فالواقف المصلى إليها يكون باب جبريل المعروف قديماً بباب عثمان على يساره ، وحول الدرايزين الدابر على حجرة النبي ﷺ ، وقد كتب فيها بالرخام هذا متهجد النبي ﷺ ^(٣) . قال الحافظ محب الدين : وبيت فاطمة - رضى الله عنها - من جهة الشمال ، وفيه محراب إذا توجه المصلى إليه كانت يساره إلى باب عثمان ﷺ ^(٤) .

ذكر قصة الجذع

عن أنس ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة مسنداً ظهره إليها فلما كثر الناس قالوا : ابنوا له منبراً ، فبنوا له منبراً له عتبتان فلما قام على المنبر يخطب حنت الخشبة إلى رسول الله ﷺ قال أنس : وأنا في المسجد فسمعت الخشبة تحن حين الواله ^(٥) ، فما زالت تحن حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت وكان الحسن إذا حدث

(١) الدرة الثمينة (ص ١٥٤) .

(٢) واجع الدرة الثمينة (ص ١٥٥) .

(٣) التعريف بما آتست المحجرة (ص ٢٩ ، ٣٠) .

(٤) الدرة الثمينة (ص ١٥٥) .

(٥) الواله : من اشتد حزنه حتى ذهب عقله .

بهذا الحديث بكى ، وقال : يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شرقاً إليه مكانه من الله - عز وجل - ، فأنتم أحق أن تشناقوا إلى لقاءه^(١) . وعن جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار^(٢) . وفي رواية أنس حتى ارتج المنبر لخواره ، روى بجواره بالجيم ، وفي رواية سهل^(٣) : وكثر بكاء الناس لما رأوا به ، وفي رواية المطلب : حتى تصدع وانشق حتى [١٣٤/أ] جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت ، زاد غيره فقال النبي ﷺ : «إن هذا بكى لما فقد من الذكر» ، وزاد غيره : «والذى نفسى بيده لو لم ألزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزناً على رسول الله ﷺ» ، فأمر به النبي ﷺ فدفن تحت المنبر^(٤) . كذا في حديث المطلب ، وسهل بن سعد ، وإسحاق عن أنس ، وفي بعض الروايات جعل في السقف . قيل : كان النبي ﷺ إذا صلى صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبى وكان عنده إلى أن أكلته الأرض . وعن الإسفرائيني : أن النبي ﷺ دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض ، فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه . وفي حديث أبى بريدة قال : يعنى النبي ﷺ «إن شئت أردك إلى الحائط الذى كنت فيه تبت لك عروقتك ، ويكمل لك خلقك ويمجد لك خوص وثمرة ، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك» . ثم أصغى له النبي ﷺ يسمع ما يقول فقال : بل تغرسنى في الجنة يأكل منى أولياء الله ، وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه . فقال النبي ﷺ : «قد فعلت» . ثم قال «اختار دار البقاء على دار الفناء»^(٥) . قالت عائشة - رضى الله عنها - :

-
- (١) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ١٥٦) ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٥٥٩/٢) ، وابن الجوزى : مثير الغرام (ص ٤٧٠) ، وأخرج نحوه الدارمى : سننه (٣٢/١) . وراجع البداية والنهاية (١٢٥/٦) . وأصل الحديث رواه الترمذى : كتاب المناقب - باب فى آيات إثبات نبوة النبي ﷺ ح (٣٦٢٧) . قال : حديث أنس حديث حسن صحيح .
- (٢) أخرجه البخارى : كتاب المناقب - باب علامات النبوة ح (٣٥٨٥ - فتح) .
- (٣) رواية سهل هذه أوردها أبو نعيم فى دلائل النبوة (ص ١٤٣) .
- (٤) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٦٩٧/٦) : هذه الزيادة لأبى عوانة وابن خزيمة ، وأبى نعيم من حديث أنس ، وأصله فى الترمذى دون هذه الزيادة .
- (٥) أخرجه الدارمى : سننه (٢٩/١ ، ٣٠) ، وراجع الدرة الثمينة (ص ١٥٧) .

لما قال النبي ﷺ ذلك غار الجذع فذهب^(١). وقصة الجذع نظير إحياء الموتى لعيسى - عليه السلام - وأكبر^(٢).

وقال ابن أبي الزناد : ولم يزل الجذع على حاله زمان رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر - رضى الله عنهم - فلما هدم عثمان رضي الله عنه المسجد اختلف في الجذع ، فمنهم من قال : أخذه أبى بن كعب ، ومنهم من قال : دفن في موضعه . قال الحافظ محب الدين : وكان الجذع في موضع الإسطوانة [١٣٤/ب] المحلقة عن يمين المحراب محراب النبي ﷺ عند الصندوق^(٣). قال الشيخ جمال الدين : إنه كان لاصقاً بجدار المسجد القبلى في موضع كرسى الشمعة اليمنى التى عن يمين المصلى فى مقام النبي ﷺ ، والإسطوانة التى قبل الكرسى متقدمة عن موضع الجذع ، فلا يعتمد على قول من جعلها موضع الجذع ، وفى الإسطوانة خشبة ظاهرة مثبتة بالرصاص بموضع كان فى حجر من حجارة الإسطوانة مفتوح قد حوط عليه بالبياض والخشبة ظاهرة تقول العامة هذا الجذع ، وليس كذلك بل هو من جملة البدع التى يجب إزالتها ؛ لئلا يفتتن بها كما أزيلت الجذعة التى فى المحراب القبلى ، فإن الشيخ أبا حامد - رحمه الله - ذكر مصلى رسول الله ﷺ حقه بقوله : إذا وقف المصلى فى مقام النبي ﷺ تكون رمانة المنبر الشريف حذو منكبه الأيمن ، ويجعل الجذعة التى فى القبلة بين يدى عينيه ، فيكون واقفاً فى مصلى رسول الله ﷺ^(٤).

قال الشيخ جمال الدين : وذلك قبل احتراق المسجد الشريف ، وقبل أن يجعل هذا اللوح القائم فى قبلة مصلى رسول الله ﷺ ، وإنما جعل بعد حريق المسجد وكان يحصل بتلك الجذعة تشويش كثير ، وذلك أنهم كانوا يقولون : هذه خريزة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وكانت عالية فيتعلق النساء والرجال إليها ، فلما كانت سنة إحدى وسبعمائة جاور صاحب زين أحمد بن محمد بن على المعروف بابن حنا فأمر بقلعها فقلعت ، وهى اليوم فى حاصل الحرم الشريف ثم توجه إلى مكة فى أثناء السنة فرأى أيضاً ما يقع من الفتنة عند دخول البيت الحرام من الرجال والنساء لاستمساك العروة الوثقى فى

(١) راجع قول عائشة - رضى الله عنها - هذا فى البداية والنهاية (١٣٠/٦) . وقال : هذا حديث غريب إسناد ومتن .

(٢) راجع البداية والنهاية (١٣١/٦) . فإنه نقل مثل هذا عن البيهقي .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٥٧) .

(٤) التعريف بما آتست المحجرة (ص ٢٨) .

زعمهم فأمر بقلع ذلك المثال أيضًا^(١)، والحمد لله ، وأما العود الذى فى الإسطوانة التى عن
 يمين مصلى رسول الله ﷺ [١٣٥/أ] وهو الجذع المتقدم ذكره . فقال الحافظ محب
 الدين: روى عن مصعب بن ثابت قال : طلبنا علم العود الذى فى مقام النبى ﷺ فلم نقدر
 على أحد يذكر لنا فيه شيئاً حتى أخبرنى محمد بن مسلم بن السائب صاحب المقصورة أنه
 جلس إلى جنبه أنس بن مالك فقال : تدرى لم صنع هذا العود ؟ ولم أسأله فقلت : ما
 أدرى . قال : كان رسول الله ﷺ يضع عليه يمينه ثم يلتفت إلينا ، فيقول : «استمعوا
 وعدلوا صفوفكم» . فلما توفى رسول الله ﷺ سرق العود فطلبه أبو بكر فلم يجده ، ثم
 وجده عمر عند رجل من الأنصار بقاء قد دفنه فى الأرض فأكلته الأرض ، فأخذ له عوداً
 فشقه وأدخله فيه ثم شعبه ورده إلى الجدار ، وهو العود الذى وضعه عمر بن عبد العزيز فى
 القبلة ، وهو الذى فى المحراب اليوم باق . قال مسلم بن حبان : كان ذلك العود من طرفاء
 الغابة . وقيل : بل كان من الجذع المذكور^(٢).

قال المرجاني : قلت - والله أعلم - : إن هذا الجذع الذى ذكره ابن النجار إنه فى
 القبلة باق إلى اليوم ، لعله الذى قاس به الشيخ أبو حامد وقلعه ابن حنا . قال الشيخ جمال
 الدين : وكان ذلك قبل حريق المسجد الشريف .

ذكر منبر النبى ﷺ وروضته الشريفة

عن أبى حازم أن نفرًا جاءوا إلى سهل بن سعد وقد تماروا فى المنبر من أى عود
 هو ؟ فقال : أما والله إنى لأعرف من أى عود هو ، ومن عمله ، ورأيت رسول الله ﷺ
 أول يوم جلس عليه . فقلت له : فحدثنا فقال : أرسل رسول الله ﷺ إلى امرأة «الظري
 غلامك النجار يعمل لى أعوادًا أحكم للناس عليها» فعمل هذه الثلاث درجات ، ثم أمر
 بها رسول الله ﷺ فوضعت هذا الموضع ، وهى من طرفاء الغابة والطرفاء شجر يشبه
 الأثل إلا أن الأثل [١٣٥/ب] أعظم منه^(٣).

وعن جابر بن عبد الله أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله
 ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه فإن لى غلامًا نجارًا . فقال : إن شئت . فعمل له المنبر^(٤).

(١) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٢٨ ، ٢٩) .

(٢) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٢٩) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الجمعة - باب الخطبة على المنبر ح (٩١٧ - فتح) ، ومسلم : كتاب

المساجد ومواضع الصلاة - باب جواز الخطوة والخطوتين ح (٥٤٤) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب مناقب الأنبياء - باب علامات النبوة بعد الإسلام ح (٣٥٨٤ - فتح) .

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ لما بدن قال له تميم الداري : ألا أتخذ لك منبراً يا رسول الله يجمع أو يحمل عظامك . قال : بلى . قال : فاتخذ له منبراً مرقأتين^(١) . وعن أبي الزناد أن رسول الله ﷺ كان يخطب في يوم الجمعة إلى جذع في المسجد فقال : إن القيام قد يشق على وشكا ضعفاً في رجله ، فقال له تميم الداري وكان من أهل فلسطين : يا رسول الله أنا أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع بالشام . قال : فلما اجتمع رسول الله ﷺ وذو الرأي من أصحابه على اتخاذه ، قال العباس بن عبد المطلب : إن لي غلاماً يقال له فلان أعمل الناس ، فقال له النبي ﷺ : فمره يعمل ، فأرسل إلى أئمة بالغابة فقطعها ثم عملها درجتين ومجلساً ، ثم جاء بالمنبر فوضعه في موضعه اليوم ثم راح رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، فلما جاوز الجذع يريد المنبر حن الجذع ثلاث مرات كأنه خوار بقرة حتى ارتاع الناس وقام بعضهم على رجله ، وأقبل رسول الله ﷺ حتى مسه بيده فسكن ، فما سمع له صوت بعد ذلك ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المنبر فقام عليه . وقد روى أن هذا الغلام الذي صنع المنبر اسمه مينا - بياء ساكنة مثناة من أسفل بعدها نون . وقال عمر بن عبد العزيز : عمله صباح غلام العباس بن عبد المطلب . قال الواقدي : وذلك في السنة الثامنة من الهجرة اتخذ درجتين ومقعدة . قال ابن أبي الزناد : كان رسول الله ﷺ يجلس على المنبر ويضع رجله على الدرجة الثانية ، فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه [١٣٦/١] قام على الدرجة الثانية ووضع رجله على الدرجة الثالثة السفلى ، فلما ولي عمر رضي الله عنه قام على الدرجة السفلى ووضع رجله على الأرض إذا قعد ، فلما ولي عثمان رضي الله عنه قام على الدرجة السفلى كما فعل عمر رضي الله عنه ست سنين ، ثم علا فجلس موضع النبي ﷺ وكسا المنبر قبطية^(٢) .

ذكر الشيخ محب الدين عن محمد بن الحسن بن زباله قال : كان طول المنبر منبر النبي ﷺ الأول في السماء ذراعين وشبراً وثلاثة أصابع ، وعرضه ذراع راجح ، وطول صدره وهو مسند إلى النبي ﷺ ذراع ، وطول رمانتي المنبر اللتين كان يمسكهما ﷺ إذا جلس يخطب شبر وأصبعان^(٣) ، وعرضه ذراع في ذراع وتربيعة سواء ، وعدد درجه ثلاث بالمقعد ، وفيه خمسة أعواد في جوانبه الثلاث قال الشيخ جمال الدين : هذا ما كان عليه في حياة رسول الله ﷺ وفي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - ، فلما حج

(١) أخرجه أبو داود : كتاب الصلاة - باب في اتخاذ المنبر ح (١٠٨١) .

(٢) راجع هذه الأقوال في الدرة الثمينة ص (١٥٧ - ١٥٩) .

(٣) إلى هنا انتهى كلام الشيخ محب الدين بن النجار كما في المطبوع من الدرة الثمينة (ص ١٦٠) .

معاوية رضي الله عنه في خلافته كساه قبطية ثم كتب إلى مروان بن عبد الحكم وهو عامله على المدينة أن ارفع المنبر عن الأرض ، فدعا له النجارين ورفعوه عن الأرض وزادوا من أسفله ست درجات ، وصار المنبر بسبع درجات بالجلس^(١) . قال ابن زبالة : لم يزد فيه أحد قبله ولا بعده . وقال الشيخ جمال الدين : هذا في زمان محمد بن زبالة ، وروى أيضاً عن ابن زبالة أن طول منبر النبي صلى الله عليه وسلم بما زيد فيه أربعة أذرع ومن أسفله عتبة ، وذكر ابن زبالة أيضاً أن المهدي بن المنصور لما حج سنة إحدى وستين ومائة قال للإمام مالك بن أنس - رحمه الله - : أريد أن أعيد منبر النبي صلى الله عليه وسلم / [١٣٦/ب] على حاله الأول ، فقال له مالك : إنما هو من طرفاء وقد شد إلى هذه العيدان وسمر فهي ببركته حفت أن تهافت فلا أرى تغييره ، فتركه المهدي على حاله^(٢) ، قيل : إن المهدي فرق في هذه الحجة ثلاثين ألف ألف درهم ومائة ألف وخمسين ألف ثوب ، وحمل إليه الثلج من بغداد إلى مكة وكسا البيت ثلاث كساوى بيضاء وحمراء وسوداء توفى بماء سندان بموضع يقال له الرد ، في الحرم سنة تسع وستين ومائة . قال الشيخ جمال الدين : وذكر لي يعقوب بن أبي بكر بن أوحى من أولاد المجاورين بالمدينة الشريفة وكان أبوه أبو بكر فراشاً من قوام المسجد الشريف ، وهو الذى كان حريق المسجد على يديه واحترق هو أيضاً فى حاصل الحرم ، إن هذا المنبر الذى زاده معاوية ورفع منبر النبي صلى الله عليه وسلم وجد قد تهافت على طول الزمان وإن بعض خلفاء بنى العباس جددته واتخذوا من بقايا أعواد منبر النبي صلى الله عليه وسلم أمشاطاً للتبرك بها ، والمنبر الذى ذكره ابن النجار هو المذكور أولاً فإنه قال فى تاريخه : وطول المنبر اليوم ثلاثة أذرع وشبر وثلاثة أصابع ، والدكة التى هو عليها من رخام طولها شبر وعقد ، ومن رأسه إلى عتبته خمسة أذرع وشبر وأربع أصابع ، وقد زيد فيه اليوم عتبتان وجعل عليه باب يفتح يوم الجمعة^(٣) . قال الشيخ جمال الدين : فدل ذلك على أن المنبر الذى احترق غير المنبر الأول الذى عمله معاوية ورفع منبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقه^(٤) . قال الفقيه يعقوب بن أبي بكر : سمعت ذلك ممن أدركت بأن بعض الخلفاء جدد المنبر واتخذ من بقايا أعوده أمشاطاً ، وإن المنبر المحترق هو الذى جددته الخليفة المذكور ، وهو الذى أدركه الشيخ محب الدين قبل احتراق المسجد الشريف ، فإن الحافظ محب الدين كتب التاريخ فى سنة ثلاث / [١٣٧/أ]

(١) التعريف بما آنتست الهجرة (ص ٢٣) .

(٢) التعريف بما آنتست الهجرة (ص ٢٣) .

(٣) فى الدرة الثمينة (ص ١٦٠) .

(٤) التعريف بما آنتست الهجرة (ص ٢٣ ، ٢٤) .

وتسعين وخمسمائة وتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وكان احتراق المسجد ليلة الجمعة أول رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة كما سيأتى^(١) .

قال الشيخ جمال الدين : ثم إن الملك المظفر عمل منبراً وأرسله فى سنة ست وخمسين وستمائة ، ونصب فى موضع منبر النبى ﷺ رمانته من الصندل ، ولم يزل إلى سنة ست وستين وستمائة عشر سنين يخطب عليه ، ثم إن الملك الظاهر أرسل هذا المنبر الموجود اليوم فحمل منبر صاحب اليمن إلى حاصل الحرم وهو باق فيه ونصب هذا مكانه ، وطوله أربعة أذرع ، ومن رأسه إلى عتبه سبعة أذرع يزيد قليلاً ، وعدد درجاته سبع بالمقعد ، والمنقول أن ما بين المنبر ومصلى رسول الله ﷺ الذى كان يصلى فيه إلى أن توفى ﷺ أربعة عشر ذراعاً^(٢) .

وأما الروضة الشريفة فتقدم فى باب الفضائل قوله ﷺ : «ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة»^(٣) . وتقدم معنى الحديث . وفى حديث آخر : «ما بين حجرتى ومنبرى روضة من رياض الجنة»^(٤) . وفى رواية : «ما بين بيتى ومنبرى»^(٥) . [قال]^(٦) القاضي عياض : قال الطبرى : فيه معنيان ؛ أحدهما : أن المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع أنه روى ما يبينه «ما بين حجرتى ومنبرى» . والثانى : أن البيت هاهنا القبر ، وهو قول زيد بن أسلم فى هذا الحديث ، كما روى «ما بين قبرى ومنبرى» قال الطبرى : وإذا كان قبره فى بيته اتفقت معانى الروايات ولم يكن بينها خلاف ؛ لأن قبره ﷺ فى حجرته وهو بيته^(٧) .

(١) راجع التعريف بما أنست الهجرة (ص ٢٤) .

(٢) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٢٥ ، ٢٦) .

(٣) أخرجه أحمد : المسند (٦٤/٣) ، عن أبى سعيد ، والبيهقى : السنن (٢٤٦/٥) عن جابر .

وأورده ابن الجوزى فى مثير الغرام (ص ٤٧٢) بسنده عن أبى بكر الصديق .

(٤) أورده جمال الدين المطرى بسنده عن جابر : التعريف بما أنست الهجرة (ص ١٧) .

(٥) أخرجه البيهقى : كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة - باب فضل ما بين القبر والمنبر ح

(١١٩٦ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ح

(١٣٩١) من حديث أبى هريرة ؓ .

(٦) فى الأصل يياض ، ولعلها ما أثبتناه . والله أعلم .

(٧) راجع الشفاء (٨٢/٢ ، ٨٣) .

ذكر سد الأبواب الشوارع في المسجد

عن أبي سعيد الخدري قال : خطب النبي ﷺ فقال : «إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله» . فبكى أبو بكر ، فقلت في نفسي : ما يبكي هذا الشيخ أن يكون عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده [١٣٧/ب] فاختار ما عند الله ، فكان رسول الله ﷺ هو العبد ، وكان أبو بكر أعلمنا ، فقال : يا أبا بكر لا تبك إن آمن الناس عليّ في صحبتته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يقرن في المسجد باب إلا سد ، إلا باب أبي بكر^(١) . وكان باب أبي بكر ﷺ في غربي المسجد . وروى ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ أمر بالأبواب كلها فسدت إلا باب علي ﷺ^(٢) .

ذكر تجمير المسجد الشريف وتخليقه

ذكر أهل السير : أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى بسفط من عود فقال : أجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون . قال الحافظ محب الدين : بقيت سنة في الخلفاء إلى اليوم يؤتى في كل عام بسفط من عود يجمر به المسجد ليلة الجمعة ويوم الجمعة عند منبر النبي ﷺ من خلفه إذا كان الإمام يخطب ، قالوا : وأتى عمر ﷺ بمجمرة من فضة فيها تماثيل من الشام فكان يجمر بها المسجد ثم توضع بين يديه ، فلما قدم إبراهيم بن يحيى والياً على المدينة غيرها وجعلها ساجاً . فقال الحافظ محب الدين : وهى فى يومنا هذا منقوشة^(٣) . قال عفيف الدين المرجاني : وكذلك هى مستمرة إلى يومنا هذا .

وأما تخليقه : فروى أن عثمان بن مظعون ﷺ تفل في المسجد فأصبح كتيماً فقالت له امرأته : مالى أراك كتيماً ؟ فقال : ما شئ إلا أنى تفلت في المسجد وأنا أصلى فعمدت إلى القبلة فغسلتها ثم خلقتها ، فكان أول من خلق القبلة . وعن جابر بن عبد الله أول من خلق القبلة عثمان بن عفان ﷺ . ثم لما حجت الخيزران أم موسى وهارون الرشيد فى سنة سبعين ومائة أمرت بالمسجد الشريف أن يخلق ، فتولى تخليقه جاريتها مونسـة [١٣٨/أ] فخلقته جميعه وخلقت الحجرة الشريفة جميعها^(٤) .

(١) أخرجه البخارى : كتاب الصلاة - باب الخوخة والمر في المسجد ح (٤٦٦ - فتح) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ١٦١) .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٦٢) .

(٤) الدرة الثمينة (ص ١٦٢) .

ذكر موضع تأذين بلال ؓ

روى ابن إسحاق : أن امرأة من بنى النجار قالت : كان بيتي من أطول بيت حول المسجد ، وكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة ، فيأتي بسحر فيجلس على البيت ينتظر عليه الفجر فإذا رآه تمطى ، قال : اللهم أحمدك وأستعينك على قریش أن يقيموا دينك ، قالت : ثم يؤذن .

وذكر أهل السير : أن بلالاً كان يؤذن على إسطوان فى قبلة المسجد يرقى إليها بأقباب^(١) وهى قائمة إلى الآن فى منزل عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ . وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - كان بلال يؤذن على منارة فى دار حفصة بنت عمر التى فى المسجد قال : وكان يرقى على أقباب^(٢) فيها ، وكانت خارجة من مسجد رسول الله ﷺ لم تكن فيه وليست فيه اليوم^(٣) ، وكان يؤذن بعد بلال . وقيل : معه عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى ، وأذن بعدهما سعد بن عابد مولى عمار بن ياسر وهو سعد القرط ، وسمى سعد القرط ؛ لأنه كان إذا اتجر فى شىء وضع فيه فاتجر فى القرط فريح فلزم التجارة فيه ، جعله رسول الله ﷺ مؤذناً بقاء فلما مات رسول الله ﷺ وترك بلال الأذان ، نقل أبو بكر ؓ سعداً هذا إلى مسجد رسول الله ﷺ فلم يزل يؤذن فيه إلى أن مات ، وتوارث عنه بنوه الأذان فيه إلى زمن مالك - رحمه الله - وبعده أيضاً ، وقيل : إن الذى نقله إلى المدينة للأذان عمر بن الخطاب ؓ ، وقيل : إنه كان يؤذن للنبي ﷺ واستخلفه على الأذان فى خلافة عمر ؓ حين خرج بلال إلى الشام . وقال خليفة بن خياط : أذن لأبى بكر ؓ سعد القرط مولى عمار بن ياسر إلى أن مات أبو بكر ، وأذن بعده لعمر ؓ . حكاه ابن عبد البر .

ذكر أهل [ب/١٣٨] الصفة

روى البخارى فى صحيحه^(١) أن أهل الصفة كانوا فقراء . وعن أبى هريرة ؓ قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء ، إما إزار وإما كساء وقد ربطوه فى أعناقهم ، فمنها ما يبلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمع يده ؛ كراهية أن ترى عورته .

وروى أهل السير : أن محمد بن مسلمة رأى أضيافاً عند رسول الله ﷺ فى المسجد

(١) هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : «أقتاب» .

(٢) إلى هنا راجعه فى الدرة الثمينة (ص ١٦٤) .

(٣) فى كتاب مواقيت الصلاة - باب السمر مع الضيف والأهل ح (٦٠٢ - فتح) .

فقال : ألا تفرق هذه الأضياف فى دور الأنصار ، ويجعل لك من كل حائط قنوا^(١) ليكون لمن يأتيك من هؤلاء الأقوام ، فقال رسول الله ﷺ : « بلى » . فكان كل من جذ ماله جاء بقنو فجعله فى المسجد بين ساريتين فجعل الناس يفعلون ذلك ، وكان معاذ يقوم عليهم وكان يجعل حبلاً بين الساريتين ثم تعلق الأقناء على الحبل ، ويجمع العشرين أو الأكثر فيهنش عليهم بعصاه من الأقناء فيأكلون حتى يشبعون ثم ينصرفون ، ويأتى غيرهم فيفعل لهم مثل ذلك ، فإذا كان الليل فعل لهم مثل ذلك^(٢) . وأهل الصفة هم أهل مسجد رسول الله ﷺ ، والصفة بالمدينة خارج المسجد وبمكة داخل المسجد ، وسدة المسجد هى الظلال التى حول المسجد ، وقيل : الباب نفسه ، والسدى منسوب إليه ، وجاء فى الحديث : وكان يصلى فى السدة سدة المسجد .

وأما أهل الصفة فهم : أبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الله بن مسعود ، والمقداد ، وبلال ، وأبو ذر ، وصهيب ، وخباب بن الأرت ، وعمار بن ياسر ، وعتبة بن غروان ، وزيد بن الخطاب ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبو مرثد بن مسعود ، وأبو الدرداء ، ومسطح بن إياثة ، وعكاشة بن محصن ، وطلحة بن عمرو ، ووائل بن الأسقع ، ومعاذ بن الحارث ، والسائب بن خلاد ، وصفوان بن بيضاء ، ومسعود بن الربيع ، وأبو اليسر كعب / [١٣٩] ابن عمرو ، وأبو عيسى بن حى ، وعويمر بن ساعدة ، وأبو لبانة ، وسالم بن عمير ، وخبيب بن يساف ، وعبد الله بن أنيس ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن بدر ، والحجاج بن عمرو ، وأبو هريرة ، وثوبان مولى رسول الله ﷺ ، وأبو عبيدة موله أيضاً ، وثابت بن وديعة ، وسالم بن عبيد ، وجرهد بن خويلد ، وبشير بن الخصاصة ، وربيعة بن كعب ، وثابت بن الضحاك ، وأسماء بنت حارثة ، وسالم بن عبيدة الأشجعى ، وأبو سعيد الخدرى ، وحزيم بن فاتك ، فهؤلاء أهل الصفة ، وتقدم فى باب الفضائل فضل الأسطوانات المشهورة فى الروضة والصلاة إليها فليُنظر ثم .

ذكر زيادة عمر بن الخطاب فى مسجد رسول الله ﷺ

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إلى أريد أن أزيد فى المسجد ما زدت فيه » . وعن سلمة بن خباب أن النبى ﷺ قال يوماً وهو فى مصلاه فى المسجد : « لو زدنا فى مسجدنا وأشار بيده نحو القبلة » فأجلسوا رجلاً فى موضع مصلى النبى ﷺ ثم رفعوا يد الرجل وحطوها حتى رأوا أن ذلك نحو ما رأوا أن النبى

(١) قنوا : العذق بما فيه من الرطب ، وجمعه أقنأ . النهاية (١١٦ / ٤) .

(٢) راجع الدررة الثمينة (ص ١٦٦) .

ﷺ رفع يده ، ثم مدوا ميقاطاً فوضعوا أطرافه بيد الرجل ثم مدوه ، فلم يزالوا يقدمونه ويؤخرونه حتى رأوا أن ذلك شبيه لما أشار رسول الله ﷺ من الزيادة ، فقدم عمر القبلة فكان موضع جدار عمر ﷺ في موضع عيدان المقصورة^(١) ، وكان صاحب المقصورة في زمان الصحابة السائب بن خباب مولى قريش ، وقيل : مولى فاطمة بنت عتبة .

قال أهل السير : كان بين المنير وبين الجدار بقدر ما تمر شاة ، فأخذ عمر ﷺ [١٣٩/ب] موضع المقصورة وزاد في يمين القبلة ، فصار طول المسجد الشريف أربعين ومائة ذراع ، وعرضه عشرين ومائة ، وطول السقف أحد عشر ذراعاً ، وسقفه جريد ذراعان ، وبنى فوق ظهر المسجد سترة ثلاثة أذرع ، وبنى أساسه بالحجارة إلى أن بلغ قامة ، وجعل له ستة أبواب ؛ بابين عن يمين القبلة ، وبابين عن يسارها ، ولم يغير باب عاتكة ، ولا الباب الذي كان يدخل منه النبي ﷺ ، وفتح باباً عند دار مروان بن الحكم ، وبابين في مؤخر المسجد^(٢) . وروى عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لو بنى هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي »^(٣) . وروى غيره مرفوعاً قال : « هذا مسجد »^(٤) وما زيد فيه فهو منه ولو بلغ صنعاء كان مسجدي » وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لو زيد في هذا المسجد ما زيد لكان الكل مسجدي » .

وعن عمر ﷺ لو مد مسجد رسول الله ﷺ في هذه الزيادة دار العباس بن عبد المطلب وهبها للمسلمين واشترى نصف موضع كان خطه النبي ﷺ فزاده في المسجد وبناه على بنيانه الذي كان على عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً .

ذكر بطحاء مسجد رسول الله ﷺ

عن بشر بن سعيد أو سليمان بن يسار شك الضحاك أنه حدثه : أن المسجد كان يرش زمان النبي ﷺ وزمان أبي بكر وعامة زمان عمر ﷺ ، وكان الناس يتنخمون فيه ويصبقون حتى عاد زلقاً حتى قدم أبو مسعود الثقفي فقال لعمر ﷺ : أليس بقربكم واد ؟ قال : بلى . قال : فمر بحصباء تطرح فيه فهو ألف للمخاط والنخامة [١٤٠/أ] فأمر عمر ﷺ بها^(٥) ، ثم قال : هو أغفر للنخامة وألين في الموطئ . الغفر بالغين المعجمة

(١) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ١٧١) .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ١٧١) .

(٣) رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة ، ورمز له الحافظ السيوطي في الجامع الصغير بالضعف .

(٤) في الدرة الثمينة : « مسجدي » .

(٥) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ١٧٣) .

التغطية والستر ومنه المغفرة ، وقد حرم التنخم في المسجد لإبراهيم النخعي وقال : بنجاستها وتفرد بهذا القول ولم يتبع فيه ، بل كفارتها سترها . وعن أبي الوليد قال : سألت ابن عمر ابن الخطاب -رضي الله عنهما- عن الحصباء التي كانت في المسجد فقال : إنما مطرنا ذات ليلة فأصبحت الأرض مبتلة ، فجعل الرجل يجيء بالحصباء في ثوبه فيسقطه تحته ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال : ما أجر هذا ؟ . وعن محمد بن سعد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألقى الحصباء في مسجد رسول الله ﷺ وكان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود ينفضون أيديهم من أيديهم فجاء بالحصباء من العقيق من هذه العرصة فبسطت في المسجد^(١).

قال الشيخ جمال الدين : ورمل مسجد رسول الله ﷺ يحمل من وادي العقيق من العرصة التي تسيل من الجما الشمالية إلى الوادي فيحمل منه ، وليس بالوادي رمل أحمر غير ما ، يسيل من الجما ، والجماوات أربعة وهو رمل أحمر يغربل ثم يبسط في المسجد^(٢).

ذكر زيادة عثمان رضي الله عنه

في صحيح البخاري^(٣) كان عثمان رضي الله عنه ولي الخلافة سنة أربع وعشرين ، فلما بلغت خلافته أربع سنين كلمه الناس في الزيادة وشكوا إليه ضيق المسجد يوم الجمعة ، فشاور عثمان رضي الله عنه أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك وزاد في المسجد زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة حشوها أعمدة الحديد والرصاص ، وسقفه بالساج ، وباشر ذلك بنفسه ، وكان عمله في أول ربيع الآخر^(٤) سنة تسع وعشرين ، وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة [١٤٠/ب] ثلاثين ، وكان عمله عشرة أشهر ، وزاد في القبلة إلى موضع الجدار اليوم ، وزاد فيه من المغرب إسطواناً بعد المربعة ، وزاد فيه من الشام خمسين ذراعاً ، ولم يزد من الشرق شيئاً ، وقدر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل ، وجعل فيها طبقين مما يلي المشرق والمغرب ، وبنى المقصورة بلبن وجعل فيها كوة ينظر الناس فيها إلى الإمام ، وجعل طول المسجد الشريف ستين ومائة ذراع ، وعرضه خمسين ومائة ذراع ، وجعل أبوابه ستة على ما كان على عهد رسول الله ﷺ ، باب عاتكة ، والباب الذي يليه ، وباب مروان ، وباب

(١) راجع الدرة الثمينة (ص ١٧٣) .

(٢) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٢٧) .

(٣) في كتاب الصلاة - باب بيان المسجد ح (٤٤٦ - فتح) .

(٤) في الدرة الثمينة : «ربيع الأول» .

النبي ﷺ ، وباين في آخره^(١).

ذكر زيادة الوليد بن عبد الملك بن مروان

وذلك أنه لما استعمل عمر بن عبد العزيز على المدينة الشريفة أمره بالزيادة في المسجد ، فاشترى عمر ما حوله من المشرق والمغرب والشام ، ومن أبي أن يبيع هدم عليه ووضع له الثمن ، فلما صار إلى القبلة قال عبيد الله بن عبد الله بن عمر : لسنا نبيع هذا هو في حق حفصة ، وقد كان النبي ﷺ يسكنها ، فلما كثر الكلام بينهما قال له عمر بن عبد العزيز : أجعل لكم في المسجد باباً وأعطيكم دار الرفق ، وما بقى من الدراهم فهي لكم - يعني التي تفضل من العمارة - ففعلوا ، فأخرج بابهم في المسجد وهي الخوخة التي تخرج من دار حفصة - رضى الله عنها - ، وقدم الجدار في موضعه اليوم ، وزاد من الشرق ما بين الإسطوانة المربعة إلى جدار المسجد ، ومعه عشرة أساطين من مربعة القبر الشريف إلى الرحبة وإلى الشام ، ومد من المغرب لإسطوانتين ، وأدخل فيه حجرات أزواج النبي ﷺ وبيت فاطمة - رضى الله عنها - وأدخل فيه دور عبد الرحمن بن عوف ، ودار عبد الله بن مسعود ، وأدخل فيه من المغرب دار طلحة / [١٤١ / أ] بن عبد الله ، ودار سيرة بن أبي رهم ، ودار عمار بن ياسر ، وبعض دار العباس وعلم ما دخل منها فجعل سائر سواربها التي تلى السقف أعظم من غيرها من السوارى ، وبعث الوليد بن عبد الملك إلى ملك الروم إنا نريد أن نعمل مسجد نبينا الأعظم ﷺ فأعنا فيه بعمال وفسيفساء - وهي الفصوص المزججة المذهبة - فبعث إليه بأربعين من الروم ، وبأربعين من النبط ، وبأربعين ألف مثقال عوناً له ، وبأحمال فسيفساء ، وسلاسل القناديل اليوم ، وهدم عمر المسجد وأحمد النورة التي يعمل منها الفسيفساء سنة ، وحمل القصّة من النخل ، وعمل الأساس بالحجارة والجدار بالحجارة المنقوشة المطابقة ، وجعل عمد المسجد حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، وجعل طوله مائتي ذراع ، وعرضه من مقدمه مائتي ذراع ، ومن مؤخره مائة وثمانين ذراعاً ، وعمله بالفسيفساء والمرمر ، وسقفه بالساج وماء الذهب ، وأدخل الحجرات والقبر المقدس في المسجد ونقل لبن الحجرات فبنى به داره في الحرة^(٢). قال الحافظ محب الدين : فهو بها لليوم له بياض على اللبن^(٣). وقال الذين عملوا الفسيفساء: إنما عملنا على ما وجدنا من صور شجر الجنة وقصورها ، وكان عمر بن عبد

(١) راجع الدرّة الثمينة (ص ١٧٣ ، ١٧٤) ، ومثير الغرام (ص ٤٦٤) .

(٢) راجع الدرّة الثمينة (ص ١٧٤ ، ١٧٥) .

(٣) الدرّة الثمينة (ص ١٧٥) .

العزیز إذا عمل العامل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء وأحسن عملها نفله ثلاثين درهماً ، وكانت زيادة الوليد من المشرق ستة أساطين ، وزاد من الشام الإسطوانة المربعة التى فى القبر الشريف أربعة عشر إسطواناً ، منها عشرة فى الرحبة ، وأربعة فى السقايف الأولى التى كانت قبل ، وزاد من الإسطوانة التى دون المربعة إلى المشرق أربع أساطين ، وأدخل بيت النبي ﷺ فى المسجد ، وبقي ثلاثة أساطين فى [١٤١/ب] السقايف ، وجعل للمسجد فى أربع زواياه أربع منارات ، وكانت الرابعة مطلة على دار مروان ، فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن فأطل عليه فأمر بها فهدمت ، وأمر عمر بن عبد العزيز حين بنى المسجد بأسفل الأساطين فجعل قدر ستره اثنين يصليان إليها ، وقدر مجلس اثنين يستندان إليها ، ولما صار إلى جدار القبلة دعا مشايخه من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالى فقال : احضروا بنيان قبلتكم ، لاتقولوا غير عمر قبلتنا فجعل لاينزع حجراً إلا وضع حجراً . وهو أول من أحدث الشرافات والمحراب وعمل بالميازيب من رصاص ، ولم يبق منها إلا ميزابان ، أحدهما فى موضع الجناز ، والآخر على الباب الذى يدخل منه أهل السوق - يعنى باب عاتكة ، وعمل المقصورة من ساج ، وجعل للمسجد عشرين باباً وكان هدمه للمسجد فى سنة إحدى وتسعين ومكث فى بنيانه ثلاث سنين ، فلما قدم الوليد بن عبد الملك حاجاً جعل ينظر إلى البنيان فقال حين رأى سقف المقصورة : ألا عملت السقف مثل هذا ؟ فقال يا أمير المؤمنين إذا تعظم النفقة جداً فقال : وإن كان ، وكانت النفقة فى ذلك أربعين ألف مثقال ، ولما استنفد الوليد النظر إلى المسجد التفست إلى أبان بن عثمان بن عفان ؓ فقال : أين بنياننا من بنيانكم ؟ فقال : إنا بنيانه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس^(١) .

وقال الحافظ محب الدين : وخلا فى بعض الأيام المسجد فقال بعض الروم : لأبولن على قبر نبيهم ، فنهاه أصحابه فلم يقبل فلما هم اقتلع [حجر]^(٢) فألقى على رأسه فانتثر دماغه ، فأسلم بعض أولئك النصارى ، وعمل أحدهم على رأس خمس طاقات من جدار القبلة فى صحن المسجد صورة خنزير [١٤٢/أ] ، فظهر عليه عمر بن عبد العزيز فأمر به فضربت عنقه ، وكان عمل القبط مقدم المسجد ، والروم ما خرج من السقف من جوانبه ومؤخره ، وأراد عمر بن عبد العزيز أن يعمل على كل باب سلسلة تمنع الدواب ، فعمل واحدة فى باب مروان ، ثم بدا له عن البواقى ، وأقام الحرس فيه يمنعون الناس من الصلاة

(١) راجع الدرة الثمينة (ص ١٧٦ ، ١٧٧) .

(٢) ليست فى الأصل ، والسياق يقتضى وضعها . والله أعلم .

على الجنائز فيه^(١). قال الحافظ محب الدين : والسنة في الجنائز باقية إلى يومنا هذا إلا في حق العلويين والأمراء وغيرهم من الأعيان ، والباقون يصلون عليهم خلف الحائط الشرقي ، إذا وقف الإمام على الجنائز كان النبي ﷺ على يمينه^(٢). وقال عفيف الدين المرجاني : وكذلك الأمر باق إلى هذا التاريخ ، والوليد بن عبد الملك هو الذي بنى مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد دمشق والمسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وأنفق على مسجد دمشق أحد عشر ألف ألف مثقال ونيّفاً ، وقيل : أنفق عليه خراج الدنيا ثلاث دفعات ، وهو أول من نقل إلى مكة أساطين الرخام مدة خلافته عشر سنين وتسعة أشهر ، وتوفي بدير مروان وحمل إلى دمشق فدُفن في مقبرة الفراديس ، وكان مسجد دمشق للصابئين ، ثم صار لليونانيين ، ثم صار لليهود ، وفي ذلك الزمان قتل يحيى بن زكريا ونصب رأسه على باب حيرون ، وعليه نصب رأس الحسين ، ثم غلبت عليه النصارى ثم غلبت عليه المسلمون .

ذكر زيادة المهدي

وذلك أنه لما ولي الخلافة آخر ذى الحجة من سنة ثمان وخمسين ومائة شرع في بناء المسجد الحرام ومسجد المدينة المشرفة على ما هما عليه اليوم ، وبنى بيت المقدس وقد كان هدمته الزلازل ، وحج في سنة ستين ومائة ، واستعمل في هذه السنة على المدينة / [١٤٢/ب] جعفر بن محمد [بن] سليمان بن عبد الله بن عباس وأمره بالزيادة في المسجد النبوي ، وولاه بناءه هو وعاصم^(٤) بن عمر بن عبد العزيز ، وعبد الملك بن شبيب الغساني فزادوا في المسجد من جهة الشام إلى منتهاه اليوم ، فكانت زيادته مائة ذراع ، ولم يزد فيه من الشرق والغرب شيئاً ، ثم سد على آل عمر خوختهم التي في دار حفصة ، فكثرت كلامهم ، فصالحهم على أن يخفض المقصورة ذراعين ، وزاد في المسجد لتلك الخوخة ثلاث درجات ، وحفر الخوخة حتى صارت تحت المقصورة وجعل عليها في جدار القبلة شباك حديد فهو عليها اليوم ، وكان الذي دخل في المسجد من الدور ؛ دار عبد الرحمن بن عوف ، ودار شرحبيل ، وبقية دار عبد الله بن مسعود ، ودار المسور بن مخرمة ، وفرغ من بنيانه سنة خمس وستين

(١) الدرّة الثمينة (ص ١٧٧ ، ١٧٨) .

(٢) راجع الدرّة الثمينة (ص ١٧٨) .

(٣) ليست في الأصل ، والصواب ما أثبتناه ، وفي الدرّة الثمينة : «جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله ابن عباس» . والله أعلم .

(٤) في الدرّة الثمينة : «عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز» .

ومائة ، وكان ابتداءه سنة اثنين وستين ومائة ، وعرض منقبته مما يلي المشرق ذراعان وأربع أصابع وهو أعرضها ؛ لأنه من ناحية السيل^(١).

ذكر بلاعات المسجد وستائر صحنه والسقايات التي كانت فيه

قال الحافظ محب الدين : وفي صحن المسجد أربع وستون بلاعة ، عليها أرحاء ولها صمائم من حجارة ، وكان أبو البحتري وهب بن وهب القاضي واليًا على المدينة لهارون الرشيد وكشف سقف المسجد في سنة ثلاث وتسعين ومائة فوجد فيه سبعين خشبة فأصلحها ، وكان ماء المطر إذا كثر في صحن المسجد يغطي قبلة المسجد ، فجعل بين القبلة والصحن «لاصقًا حجارة من المربعة»^(٢) التي في غربى المسجد إلى المربعة التي في شرقيه التي تلى القبر المقدس تمنع الماء والحصب .

وأما الستائر التي كانت في صحن المسجد : فذلك أنه لما قدم أبو جعفر المنصور سنة أربعين ومائة أمر بستور فستر بها صحن المسجد ، على عمد لها رؤوس كقريبات / [١٤٣] الفساطيط ، وجعلت في الطيقان ، فكانت لا تزال العمدة تسقط على الناس ، فغيرها وأمر بستور أكثف من تلك الستور ، وحبال تأتي من حدة تسمى القنبار وجعلت مشتبكة ، فكانت تجعل على الناس كل جمعة ، فلم تزل حتى خرج محمد بن عبد الله بن حسن يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة ، فأمر بها فقطعت ذرايع لمن كان يقاتل معه ، فتركت حتى كان زمان هارون فأخذت هذه الأستار اليوم ، ولم يكن يستر بها في زمان بني أمية^(٣) . قال عفيف الدين المرجاني : ثم إنها تركت لما جدد الملك الناصر الرواقي . وعن حسن^(٤) بن مصعب قال : أدركت كسوة الكعبة يؤتى بها المدينة قبل مكة فتتشر على الرضراض في مؤخر المسجد ثم يخرج بها إلى مكة ، وذلك في سنة إحدى وثلاثين أو اثنين وثلاثين ومائة^(٥) . انتهى وأما الآن فلا يؤتى بها إلى المدينة وإنما يؤتى بها صحبة الركب المصري .

وأما السقايات : فقال محمد بن الحسن بن زباله : كان في صحن المسجد تسع عشرة سقاية إلى أن كتبنا كتابنا هذا في صفر سنة تسع وتسعين ومائة ، منها ثلاث عشرة

(١) راجع الدرر الثمينة (ص ١٧٨ ، ١٧٩) .

(٢) هكذا في الأصل ، وفي الدرر الثمينة : «حجارة مربعة لاصقة» .

(٣) راجع الدرر الثمينة (ص ١٧٩ ، ١٨٠) .

(٤) في الدرر الثمينة : «حسين بن مصعب» .

(٥) راجع الدرر الثمينة (ص ١٨٠) .

أحدثتها خالصة وهي أول من أحدث ذلك ، وثلاث لزيد البربري مولى أمير المؤمنين ، وسقاية لأبي البحتري وهب بن وهب ، وسقاية لسحر أم ولد هارون الرشيد ، وسقاية لسلسيل أم ولد جعفر بن أبي جعفر^(١) . قال الحافظ محب الدين : وأما الآن فليس به سقاية إلا أن في وسطه بركة كبيرة مبنية بالآجر والجص والخشب ، بها درج أربع في جوانبها ، والماء ينبع من فوارة في وسطها تأتي من العين الزرقاء ، ولا يكون فيها الماء إلا في المواسم ، بناها بعض أمراء الشام تسمى شامة^(٢) . قال الشيخ جمال الدين : وكان يحصل [١٤٣/ب] بهذه البركة انتهاك لحرمة المسجد فسُدت لذلك . قال الحافظ محب الدين : وعملت الجهة^(٣) أم الخليفة الناصر لدين الله في مؤخر المسجد سنة تسعين وخمسائة سقاية فيها عدة من البيوت ، وحفرت لها بئراً ، وفتحت لها باباً إلى المسجد في الحائط الذي يلي الشام وهي تفتح في الموسم^(٤) .

ذكر احتراق المسجد الشريف

واحترق مسجد رسول الله ﷺ ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وستمائة ، بعد خروج نار الحرة الآتية ذكرها في السنة نفسها ، فكتب بذلك إلى الخليفة المستعصم بالله أبي أحمد عبد الله بن المستنصر في الشهر المذكور ، فواصل الصاع والآلة في صعبة حجاج العراق وابتدئ فيه بالعمارة من أول سنة خمس وخمسين وستمائة ، واستولى الحريق على جميع سقوفه حتى لم يبق فيه خشبة واحدة ، وبقيت السوريات قائمة وذاب رصاص بعضها فسقطت ، واحترق سقف الحجرة المقدسة ، وأنشد بعضهم في ذلك :

لم يحترق حرم النبي لحادث . . . يخشى عليه ولا دهاه العار
لكنها أيدي الروافض لامست . . . ذاك الجناب فظهرته النار

وقصة هذه النازلة على ما نقله ابن أبي شامة والمطري وغيرهما : وذلك أنه لما كانت الليلة ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة دوى عظيم ، ثم زلازل رجفت منها المدينة والحيطان ساعة بعد ساعة ، وكان بين اليوم والليلة أربعة عشر زلزلة ، واضطرب المنبر إلى أن سُمع منه صوت الحديد ، واضطربت

(١) راجع الدرر الثمينة (ص ١٨١ ، ١٨٢) .

(٢) الدرر الثمينة (ص ١٨٢) .

(٣) كذا في الأصل ، وفي الدرر الثمينة : « الجهة » . والله أعلم .

(٤) الدرر الثمينة (ص ١٨٢) .

قناديل المسجد ، وسمع لسقف المسجد صرير ، وتمت الزلازل إلى يوم الجمعة ضحى ثم انبجست الأرض بنار عظيمة فى واد يقال له : أخيلين بينه وبين المدينة نصف يوم ، ثم انبجست [١٤٤/أ] من رأسه فى الحرة الشرقية من وراء قريظة على طريق الشوارقية بالمقاعد ، ثم ظهر لها دخان عظيم فى السماء انعقد حتى يبقى كالسحاب الأبيض ، وللنار ألسن محمرة صاعدة فى الهواء ، وبقي الناس فى مثل ضوء القمر ، وصارت النار قدر المدينة العظيمة ، وما ظهرت إلا ليلة السبت ، وكان اشتعالها أكثر من ثلاث منائر وهى ترمى بشرر كالقصر ، وشررها صخر كالجمال ، وسال من هذه النار واد يكون مقداره خمسة فراسخ ، وعرضه أربعة أميال ، وعمقه قامة ونصف ، وهو يجرى على وجه الأرض ، ويخرج منه أمهاد وجبال يسير على وجه الأرض ، وهو صخر يذوب حتى يصير كالآلنك ، فإذا صار أسود وقبل الجمود لونه أحمر ، وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد ، وسالت من أخيلين نار تنحدر مع الوادى إلى الشظاة ، والحجارة تسير معها حتى عادت تقارب حرة العريض ، ثم وقعت أياًما تخرج من النار ألسن ترمى بحجارة خلفها وأمامها حتى نبت لها جبل ، ولها كل يوم صوت من آخر النهار ورؤى ضوء هذه النار من مكة ومن ينبع ، ولا يرى الشمس والقمر من يوم ظهور النار إلا كاسفين . قال ابن أبى شامة : ظهر عندنا بدمشق أثر الكسوف من ضعف نور الشمس على الحيطان ، وكلنا حيارى من ذلك ما هو حتى أتى خبر النار .

قال المطرى : سارت النار من مخرجها الأول إلى جهة الشمال ثلاثة أشهر تدب كدبيب النمل ، تأكل كلما دبت عليه من جبل أو حجر ولا تأكل الشجر ، فتشير كل ما مرت عليه فيصير سداً لا مسلك فيه لإنسان إلى منتهى الحرة من جهة الشمال ، فقطعت فى وسط وادى الشظاة إلى جبل وغيره ، فسدت الوادى المذكور بسد عظيم بالحجر المسبوك بالنار ، ولا كسد ذى القرنين ، لا يصفه إلا من رآه طولاً وعرضاً وارتفاعاً [١٤٤/ب] ، وانقطع وادى الشظاة بسببه ، وصار السيل منحس خلف السد وهو واد عظيم ، فيجتمع خلفه المياه حتى يصير بحراً كنيلى مصر عند زيادته قال -رحمه الله تعالى- : شاهدهته كذلك فى شهر رجب من سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، قال : وأخبرنى علم الدين سحر المغربى ، من عتقاء الأمير عز الدين منيف بن شيحة بن القاسم بن مهنأ الحسينى أمير المدينة ، قال : أرسلنى مولائى الأمير المذكور بعد ظهور النار بأيام ومعى شخص من العرب يسمى خطيب بن منان وقال لنا : اقربا من هذه النار وانظروا هل يقدر أحد على القرب منها ؟ فخرجنا إلى أن قربنا منها فلم نجد لها حراً ، فنزلت عن فرسى

وسرت إلى أن وصلت إليها وهي تأكل الصخر ، ومددت يدي إليها بسهم فغرق النصل ولم يحترق واحترق الريش . انتهى . قال عفيف الدين المرجاني : انظر إلى عظم لطف الباري تعالى بعباده إذ سخرها بلا حرارة ، إذ لو كانت كنارنا لأحرقت من مدى البعد ، فناهيك بقربها وعظمتها ، ولكنها ليست بأول مكارمه ﷺ وامتنان خالقها - عز وجل - إذ حمد حرها ، وجعل سيرها تهويدًا لا تنفيشًا ، حفظًا لنبيه ﷺ ولأمته ، ورفقًا بعباده ولطفًا بهم : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ^(١) . وقد ظهر بظهورها معجزات بان بها آيات [و] ^(٢) أسرار بديعة وعنايات ربانية منيعة ، ففي انطماس نورها فكرة ، وسببه عدم حرها ، وفي عدم حرها عبرة ، وسببه خفة سيرها ، وفي استرسال ديبها قدرة وسببه عدم أكلها ، وفي عدم أكلها حرمة ، وسببه لا يعضد نبتها . قال الشيخ جمال الدين : وأخبرتني بعض من أدركتها من النساء إنهن كن يغزلن على ضوئها بالليل على أسطحة البيوت .

قال رحمه الله : وظهر / [١٤٥/أ] بظهورها معجزة من معجزات رسول الله ﷺ ، وهي ما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ نَارٌ بِالْحِجَازِ تَضِي لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُصْرَى» ^(٣) . فكانت هي إذا لم يظهر قبلها ولا بعدها ، ثم قال رحمه الله : وظهر لي أنه في معنى أنها كانت تأكل الحجر ولا تأكل الشجر ، إن ذلك لتحريم سيدنا رسول الله ﷺ شجر المدينة فمُنعت من أكله ؛ لوجوب طاعته ، وهذا من أوضح معجزاته ﷺ ، وقدم إلى المدينة الشريفة في جمادى الآخرة من السنة المذكورة نجابة من العراق ، وأخبروا أن بغداد أصابها غرق عظيم حتى دخل الماء من أسوارها إلى البلد ، وغرق كثير من البلد ودخل الماء دار الخليفة ، وانهدمت دار الوزير وثلثمائة وثمانون دارًا ، وانهدم مخزن الخليفة وهلك من السلاح شيء كثير ، وأشرف الناس على الهلاك وتخرقت أزقة بغداد ، ودخلت السفن وسط البلدان ، وفي تلك السنة احترق مسجد رسول الله ﷺ ، وكانت ليلة الجمعة أول ليلة من رمضان المعظم . قال الشيخ جمال الدين : وانخرق السد من تحته في سنة تسعين وستمائة ؛ لتكاثر

(١) سورة الملك : الآية (١٤) .

(٢) ليست في الأصل ، والسياق يقتضي وضعها . والله أعلم .

(٣) أخرجه البخاري : كتاب الفتن - باب خروج النار ح (٧١١٨ - فتح) ، ومسلم : كتاب الفتن وأشراف الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ح (٢٩٠٢) من حديث أبي هريرة .

الماء من خلفه ، فجرى فى الوادى المذكور سنة كاملة سيلاً يملأ ما بين جانبي الوادى ، ثم سنة أخرى دون ذلك ، ثم انخرق فى العشر الأول بعد السبعمئة فجرى سنة أو أزيد ، ثم انخرق فى سنة أربع وثلاثين وسبعمئة بعد تواتر أمطار عظيمة ، وعلا الماء من جانبي السد من دونه مما يلى جبل أو غيره ، فجاء السيل طام لا يوصف ، ومجراه على مشهد حمزة عليه السلام وحفروا وادياً آخر قبلى الوادى ومشهد حمزة وقبلى جبل عنين ، وبقي المشهد وجبل عنين فى وسط [١٤٥/ب] السيل أربعة أشهر ، ولو زاد الماء مقدار ذراع وصل إلى المدينة الشريفة . قال رحمه الله تعالى : وكنا نقف خارج باب البقيع على التل الذى هناك فنراه ونسمع خريره ، ثم استقر فى الوادى بين القبلى الذى أحدثته النار والشمالي قريباً من سنة ، وكشف عن عين قديمة قبل الوادى ، فجدها الأمير ودى بن جهمز أمير المدينة الشريفة فى ولايته^(١) . انتهى . رجعنا إلى المقصود قال الشيخ جمال الدين : ولما ابتدأوا بالعمارة قصدوا إزالة ما وقع من السقوف على القبور المقدسة فلم يجسروا ، ورأوا من رأى أن يطالعوا الإمام المستعصم فى ذلك ، وكتبوا له فلم يصل إليهم حول ، وحصل للخليفة المذكور شغل باستيلاء التتار على بلادهم تلك السنة ، فتركوا الردم وأعادوا سقفاً فوقه على رؤوس السوارى التى حول الحجرة الشريفة ، فإن الحائط الذى بناه عمر بن عبد العزيز عليه السلام حول بيت النبى ﷺ بين هذه السوارى التى حول بيت النبى ﷺ لم يبلغ به السقف الأعلى ، بل جعلوا فوق الحوائط وبين السوارى إلى السقف شباكاً من خشب يظهر لمن تأمله من تحت الكسوة على دوران الحائط جميعه ؛ لأنه أعيد بعد الاحتراق على ما كان عليه قبل ذلك ، وسقفوا فى هذه السنة وهى سنة خمس وخمسين الحجرة الشريفة وما حولها إلى الحائط الشرقى إلى باب جبريل - عليه السلام - ومن جهة الغرب الروضة الشريفة جميعها إلى المنبر المنيف ، ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة فكان فى الحرم ومنها واقعة بغداد وقتل الخليفة المذكور ، ووصلت الآلة من مصر ، وكان المتولى لها تلك السنة الملك المنصور على بن الملك العزيز بن أيوب الصالحى ، فأرسل الآلات والأخشاب فعملوا إلى باب السلام ، ثم عزل [١٤٦/أ] صاحب مصر المذكور ، وتولى مكانه مملوك أبيض الملك المظفر سيف الدين قطز المعزى ، واسمه الحقيقى محمد^(٢) بن ممدود ، وأمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، وأبوه ابن عمه ، وقع عليه السبى عند غلبة التتار فبيع بدمشق ثم انتقل بالبيع إلى مصر وتملك فى سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وفى شهر رمضان من السنة

(١) راجع تحقيق النصرة مختصر التعريف بما أنست المهجرة (ص ٦٨ - ٧١) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى التعريف بما أنست المهجرة : « محمود » . وهو الصواب .

المذكورة كانت وقعة عين جالوت على يده ، ثم قتل بعد الوقعة بشهر وهو داخل إلى مصر، وكان العمل فى المسجد الشريف تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة المعروف قديماً بباب عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ، كانت لها دار تقابل الباب فنسب لها كما نسب باب عثمان وباب مروان ، ومن باب جبريل إلى باب النساء المعروف قديماً بباب ربيعة بنت أبي العباس السفاح ، وتولى مصر آخر تلك السنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى المعروف بالبندقدارى ، فعمل فى أيامه باقى المسجد الشريف من باب الرحمة إلى شمالى المسجد ثم إلى باب النساء ، وكمل سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفاً فوق سقف ، ولم يزل على ذلك حتى جددوا السقف الشرقى والسقف الغربى فى سنتى خمس وست وسبعمائة فى أول دولة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فجعلوا سقفاً واحداً يشبه السقف الشمالى فإنه جعل فى عمارة الملك الظاهر كذلك^(١).

ذكر الخوخ والأبواب التى كانت فى مسجد رسول الله ﷺ

قال الشيخ جمال الدين : اعلم أن الخوخة التى تحت الأرض ولها شباك فى القبلة وطابق مقفل يفتح أيام الحاج ، وهى طريق آل عبد الله بن عمر - رضى الله عنهم - إلى دارهم التى تسمى اليوم دار العشرة ، وإنما هى دار آل عبد الله / [١٤٦ ب] بن عمر ، وكان بيت حفصة - رضى الله عنها - قد صار إلى آل عبد الله بن عمر - رضى الله عنهم - أجمعين ، فلما أدخل عمر بن عبد العزيز بيت حفصة فى المسجد جعل لهم طريقاً فى المسجد وفتح لهم حائطاً فى الحائط القبلى ، يدخلون منه إلى المسجد ولم يزل كذلك حتى عمل المهدي بن المنصور المقصورة على الرواقين ، فسد الباب وجعل لهم شباكاً حديثاً، وحفر لهم من تحت الأرض طريقاً يخرج إلى خارج المقصورة ، فهى هذه الموجودة اليوم وهى إلى الآن بيد آل عبد الله بن عمر - رضى الله عنهم - وأما خوخة أبى بكر رضي الله عنه فإن باب أبى بكر كان فى غربى المسجد ، ونقل أيضاً أنه كان قريباً من المنبر ، ولما زاد فى المسجد إلى عمده من المغرب نقلوا الخوخة ، وجعلوها فى مثل مكانها الأول ، كما نقل باب عثمان رضي الله عنه إلى موضعه اليوم^(٢).

قال الشيخ جمال الدين : وباب خوخة أبى بكر رضي الله عنه اليوم هو باب خزانة لبعض حواصل المسجد ، إذا دخلت من باب السلام كانت على يسارك قريباً من الباب^(٣).

(١) التعريف. بما أنست الهجرة (ص ٢٥) .

(٢) التعريف. بما أنست الهجرة (ص ٣٠) .

(٣) التعريف. بما أنست الهجرة (ص ٣٠) .

وأما أبواب مسجد رسول الله ﷺ : فذلك أنه لما بنى رسول الله ﷺ مسجده أولاً جعل له ثلاثة أبواب : باب فى مؤخره ، وباب عاتكة ، وباب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه ﷺ وهو باب عثمان ؓ المعروف اليوم بباب جبريل عليه السلام^(١). قال الحافظ محب الدين : روى عن ربيعة بن عثمان قال : لم يبق من الأبواب التى كان رسول الله ﷺ يدخل منها إلا باب عثمان ؓ^(٢).

قال الشيخ جمال الدين : فلما بنى الوليد بن عبد الملك المسجد جعل له عشرين باباً ثمانية فى جهة الشرق فى الحائط القبلى : [١٤٧ / أ] الأول : باب النبى ﷺ . سعى بذلك لمقابلته بيت النبى ﷺ لا لأنه دخل منه عليه السلام ، وقد سد عند تجديد الحائط ، وجعل منه شبك يقف الإنسان عليه من خارج المسجد ، فىرى حجرة النبى ﷺ .

الثانى : باب على ؓ كان يقابل بيته خلف بيت النبى ﷺ ، وقد سد أيضاً عند تجديد الحائط .

الثالث : باب عثمان ؓ نقل عند بناء الحائط الشرقى قبالة الباب الأول الذى كان يدخل منه النبى ﷺ وهو باب جبريل ، وهو مقابل لدار عثمان ؓ ، ثم اشترى عثمان ؓ داراً حولها إلى القبلة والشرق ، وشملها الطريق إلى باب جبريل إلى باب المدينة الأول من عمل جمال الدين الأصبهاني ، ومنه يخرج إلى البقيع فالذى يقابل باب جبريل - عليه السلام - منها اليوم رباط أنشأه جمال الدين محمد بن على بن منصور الأصبهاني وزير بنى زنكى ووقفه على فقراء العجم ، وجعل له فيه مشهداً دفن فيه ، وكان قد حدد أماكن كثيرة بمكة والمدينة ، منها باب إبراهيم بمكة وزيادته واسمه مكتوب على الباب ، وتاريخه من سنة ست وأربعين وخمسمائة ، ومنها المنابر بمكة وعليها اسمه ، وكان أولاً قد حدد باب الكعبة وأخذ الباب العتيق وحمله إلى بلده ، وعمل منه تابوتاً حمل فيه بعد موته إلى المدينة الشريفة ، مات مسجوناً بقلعة الموصل سنة تسع وخمسين وخمسمائة وحمل إلى مكة ثم إلى المدينة وأنشد فى ذلك :

سرى نعشه فوق الركاب وطالما . . . سرى جوده فوق الركاب ونائله

يمر على الوادى فتثنى رماله . . . عليه وبالبادى فتثنى أرامله [١٤٧ / ب]

وهو الذى بنى سور المدينة الثانى بعد السور الأول القديم ، وعمل لها أبواباً من حديد ولكنه كان على ما حول المسجد ، فلما كثر الناس بالمدينة ووصل السلطان الملك العادل

(١) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٣١) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ١٨٣) .

نور الدين الشهيد محمود بن زنكى ملك الشام إلى المدينة لأمر حدث بها يأتى ذكره فى آخر هذا الفصل ، أمر ببناء هذا السور الموجود اليوم ، وفى قبلة الرباط المذكور من دار عثمان تربة اشترى عرصتها أسد الدين شيركوه بن شادى عم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وعملها تربة نقل إليها هو وأخوه نجم الدين أيوب بعد موتها ودفنا بها ، وتوفى أسد الدين شهيداً بخانوق كان يعتز به سنة أربع وستين وخمسمائة بالقاهرة .

الرابع : باب ربطة ويعرف بباب النساء ، وفى أعلاه من خارج لوح من الفسيفساء مكتوب فيه آية الكرسي من بقية البنيان القديم الذى بناه عمر بن عبد العزيز ، ودار ربطة المقابلة له كانت داراً لأبى بكر الصديق رضي الله عنه ، ونقل أنه توفى بها وهى الآن مدرسة للحنفية بناها ياركوج أحد أمراء الشام ويعرف بالياركوجية ، وعمل له فيها مشهداً نقل إليه من الشام بعد موته ، والطريق إلى البقيع بينها وبين دار عثمان رضي الله عنه ، والطريق سبعة أذرع قاله ابن زبالة . قال الشيخ جمال الدين : وهى اليوم قريب من هذا ^(١) .

الخامس : باب يقابل باب أسماء ابنة الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس كانت لبلبة بن عمرو الساعدي الأنصاري ، ثم صارت لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، ثم صارت لأسماء ، وقد سد عند تجديد الحائط الشرقى فى أيام الناصر لدين الله سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، ودار أسماء المذكورة هى / [١٤٨ / أ] اليوم رباط للنساء .

السادس : باب يقابل دار خالد بن الوليد وقد دخل فى بناء الحائط المذكور ، ودار خالد الآن رباط للرجال ، ومعها من جهة الشمال دار عمرو بن العاص ، والرباطان المذكوران بناهما قاضى القضاة كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى .

السابع : باب يقابل زقاق المناصع بين دار عمرو بن العاص ودار موسى بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومي ، والزقاق اليوم ينفذ إلى دار الحسن بن على العسكري - رحمه الله تعالى - وكان الزقاق نافذاً إلى المناصع خارجاً عن المدينة ، وهو متبرز النساء بالليل على عهد رسول الله ﷺ ، ودار موسى بن إبراهيم اليوم رباط للرجال أنشأه محيى الدين عبد الرحيم بن على بن الحسين اللخمي التبانى ثم العسقلانى ، ودخل هذا الباب فى الحائط أيضاً .

الثامن : باب كان يقابل أبيات الصوافى ، دوراً كانت بين موسى بن إبراهيم وبين عبد الله بن الحسين الأصغر بن على بن زين العابدين بن الحسين بن على ، دخل فى الحائط أيضاً وموضع هذه الدور اليوم دار اشتراها صفى الدين أبو بكر بن أحمد السلامى

(١) التعريف بما آنتست المهجرة (ص ٣١ ، ٣٢) .

ووقفها على قرابته السلاميين ، وفي شمالى المسجد الشريف أربعة أبواب سدت أيضًا عند تجديد الحائط الشمالى ، وليس فى شمالى المسجد اليوم إلا باب سقاية عمرتها أم الإمام الناصر لدين الله للوضوء فى سنة تسعين وخمسمائة كما تقدم ، ومما يلى المغرب ثمانية أبواب ، بابان مسدودان ، وبقيّة باب ثالث سد وبقيت منه قطعة ودخل باقيه عند تجديد الحائط ، ثم باب عاتكة إليه ثم باب عاتكة بنت عبد الله بن يزيد وهو باب الرحمة وكان يقابل دار عاتكة ، ثم صارت الدار ليحيى بن خالد بن برمك وزير الرشيد ، / [١٤٨/ب] وبابان سدا أيضًا عند تجديد الحائط ما بين باب عاتكة هذا وخوخة أبى بكر رضي الله عنه ، ثم خوخة أبى بكر وقد تقدم ذكرها ، ثم الباب الثامن باب مروان بن عبد الحكم ، وكانت داره تقابله من المغرب ومن القبلة ، ويعرف الآن بباب السلام وباب الخشوع ، ولم يكن فى القبلة ولا إلى اليوم باب إلا خوخة آل عمر المتقدم ذكرها ، وخوخة كانت لمروان عند داره فى ركن المسجد الغربى .

قال الشيخ جمال الدين : شاهدناها عند بناء المنارة الكبيرة المستجدة فى سنة ست وسبعمائة ، أمر بإنشائها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان بابها عليها وهو من ساج ، فلم يبل إلى هذا التاريخ وقد استدت بحائط المنارة الغربى^(١) .

ذكر ذرع المسجد اليوم وعدد أساطينه وطيقانه وذكر حدود المسجد القديم

قال عفيف الدين المرجانى : اعلم أن طول المسجد اليوم بعد الزيادات كلها من قبلته إلى الشام مائتا ذراع وأربع وخمسون ذراعًا وأربع أصابع وعرضه من مقدمه من المشرق إلى المغرب مائتا ذراع وسبعون ذراعًا شافة ، وعرضه من مؤخره مائة ذراع وخمسة وثلاثون ذراعًا ، وطول رحبته من القبلة إلى الشام مائة ذراع وتسع وخمسون ذراعًا وثلاث أصابع ، وذلك قبل زيادة الرواقين ، ومن شرقيه إلى غربيه سبع وتسعون ذراعًا راجحة ، وطول المسجد فى السماء خمسة وعشرون . قال الحافظ محب الدين : هذا ما ذرعتة أنا بخيط^(٢) . وذكر الشيخ جمال الدين أن ابن زباله ذكر مثل ذلك وما يقاربه^(٣) .

وذكر ابن زباله : أن طول منائرهم خمس وخمسون ذراعًا ، وعرضهن ثمانية أذرع

فى ثمانية .

وأما الطيقان ففى القبلة ثمان وستون : منها فى القبر المقدس أربعة ، وفى الشام

(١) التعريف ، بما أنست الهجرة (ص ٣١ - ٣٣) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ١٨٢) .

(٣) التعريف ، بما أنست الهجرة (ص ٢٧) .

مثلها ، وفى المشرق أربعون / [١٤٩ / أ] منها اثنتان فى الحجرة المعظمة ، وفى المغرب ستون وبين كل إسطوانتين تسعة أذرع^(١) ، وذلك قبل زيادة الرواقين وليس على رؤوس السوارى أقواس بل عوارض غير الدائر بالرحبة ، والرواقين اللذين زيدا فى دولة الملك الناصر .

وأما حدود مسجد الرسول ﷺ القديم المشار إليه أولاً فذكر الحافظ محب الدين - أن حده من القبلة الدرازينات التى بين الأساطين التى فى قبة الروضة الشريفة ، ومن الشام الخشبتان المغزوتان فى صحن المسجد هذا طوله ، أما عرضه من المشرق إلى المغرب فهو من حجرة النبى ﷺ إلى الإسطوان الذى بعد المنبر الشريف وهو آخر البلاط^(٢) .

قال الشيخ جمال الدين : أما الدرازينات التى ذكرت فى جهة القبلة فهى متقدمة عن موضع الحائط القبلى الذى كان محاذياً لمصلى رسول الله ﷺ ، لما ورد أن الواقف فى مصلى رسول الله ﷺ تكون رمانة المنبر الرفيع حذو منكبه الأيمن ، فمقام النبى ﷺ لم يغير باتفاق ، وكذلك المنبر الشامى لم يؤخر عن منصبه الأول ، وإنما جعل هذا الصندوق الذى فى قبلة مصلى رسول الله ﷺ سترة بين المقام وبين الإسطوانات ، وورد أيضاً أنه كان بين الحائط القبلى وبين المنبر ممر الشاة ، وبين المنبر والدرازين اليوم مقدار أربعة أذرع وربيع، ثم قال - رحمه الله - : وفى صحن المسجد اليوم حجران ، يذكر أنهما حد مسجد رسول الله ﷺ من الشام والمغرب ولكنهما ليسا على سمت المنبر الشريف ، بل هما داخلان إلى جهة المشرق مقدار أربعة أذرع أو أقل ، وكذلك هما متقدمان إلى القبلة بمثل ذلك لأنى اعتبرت / [١٤٩ / ب] ذلك بالذراع فوجدتهما ليسا على حد ذرع المسجد الأول^(٣) . والله أعلم .

قال الحارث بن أسد المحاسبى : حد المسجد الأول ستة أساطين فى عرضه عن يمين المنبر إلى القناديل التى حذاء الخوخة ، وثلاث سوارى عن يساره من ناحية المنحرف ، ومنتهى طوله من قبلته إلى مؤخره حذاء تمام الرابع من طيقان المسجد اليوم ، فما زاد على ذلك فهو خارج عن المسجد الأول ، قال : وروى عن مالك أنه قال : مؤخر المسجد بخذاء عضادة الباب الثانى الذى يقابل باب عثمان ، وهو باب النبى ﷺ - أعنى العضادة الآخرة السفلى ، وهو أربعة طيقان من المسجد ما قصر حتى يصير فى الروضة ، والروضة ما بين

(١) إلى هنا راجعه فى الدرة الثمينة (ص ١٨٢ ، ١٨٣) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ١٨٣) .

(٣) التعريف بما أنست المهجرة (ص ٢٦ ، ٢٧) .

القبر والمنبر فما كان منها من الإسطوانة السادسة التي حدثت لك عن يمين المنبر فليس من المسجد الأول ، إنما كان من حجرة عائشة - رضى الله عنها - فوسع به المسجد وهو من الروضة وتدنو من ناحية المنبر على يمينك حذاء الصندوق الموضوع هناك إلى المنبر ، يروى أنه من وقف حذاء ذلك الصندوق وجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ، فقد وقف موقف رسول الله ﷺ الذي كان يقوم فيه .

قال قاضى القضاة عز الدين بن جماعة فى «مناسكه الكبرى» : «وقد حررت ذرع ما حول ما به المسجد فى زمنه ﷺ ، فكان ما بين الجدار الذى داخله الحجرة المقدسة وبين السارية السابعة اثنان وأربعون ذراعاً وثلاث ذراع ، وما بين الدرايزين والحجرتين ستة وأربعون ذراعاً وثلاث ذراع ، وذرعت ما بين الجدار الذى حول الحجرة الشريفة وبين المنبر فكان أربعة وثلاثين ذراعاً وقيراطاً وذلك طول الروضة الشريفة ، قال : ولم يتحرر لى عرضها وما سامت بيت النبى ﷺ / [١٥٠ / أ] ، أو المنبر فهو من الروضة بلا شك ، وبين المنبر والدرجة التى تنزل منها إلى الحضرة التى هى مصلى رسول الله ﷺ عن يمين الإمام تسعة أذرع وقيراط ، وعرض الدرجة سدس ذراع وثمان ذراع ، وسعة الحضرة ذراع وثلث ذراع وربع ذراع وثمان ذراع فى مثله ، كل ذلك بذراع العمل بمصر المحروسة . انتهى كلام ابن جماعة . ورحبة المسجد مقدار ثلاثة عشر ، وعلى جانبها بئر ، وعلى جانبها الغربى قبة حاصل المسجد الشريف أنشأ لها السلطان الملك الناصر ، وبهذه القبة المصحف العثمانى ، وأول من جمع القرآن بين اللوحين أبو بكر ﷺ ثم إنه أمر زيد بن ثابت بجمع القرآن وذلك بعد أيام اليمامة ، فلما جمعه زيد كان عند حفصة ، فأرسل عثمان إلى حفصة : أرسلى إلينا بالمصحف فننسخها بالمصاحف ، ثم جمع زيداً وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأمرهم بنسخها فى مصحف ففعلوا ، ثم رد عثمان المصحف إلى حفصة ، وقيل : أحرقها ، وقيل : جعل منها أربع نسخ فبعث أحدهن إلى الكوفة ، وإلى البصرة أخرى ، وإلى الشام الثالثة ، وأمسك عند نفسه واحدة فهى التى بالمدينة ، وقيل : جعل سبع نسخ ، ووجه من ذلك أيضاً نسخة إلى مكة ، ونسخة إلى اليمن ، ونسخة إلى البحرين ، والأول أصح .

قال عفيف الدين المرجانى : وبمكة الآن منهن نسخة ، وذكروا أنها كانت عليها شبكة من اللؤلؤ فيما تقدم ، وكان أهل مكة يستسقون بها وكانت فى جوف الكعبة ، وهى فى مقدار قطع ذراع فى ذراع . انتهى كلامه .

ذكر أسوار المدينة الشريفة

السور الأول : نقل قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان : أن هذا السور القديم بناه عضد الدولة / [١٥٠/ب] ابن نوبة المسمى بالحسن بن موسى بعد الستين وثلاثمائة فى خلافة الإمام الطائع لله بن المطيع ، ثم تهدم على طول الزمان ولم يبق إلا آثاره وهى باقية إلى الآن .

السور الثانى : هو الذى بناه جمال الدين الأصبهاني على رأس الأربعين وخمسمائة .
السور الثالث : بناه السلطان الملك العادل ، وذلك أن المدينة الشريفة ضاقت بأهلها فلما قدم السلطان المذكور فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة بسبب رؤيا رآها ، استغاث به أهل المدينة وطلبوا أن يبنى عليهم سورًا يحفظهم ويحفظ مواشيهم ، فأمر ببناء هذا السور الموجود اليوم ، فبنى فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وكتب اسمه على باب البقيع وهو باق إلى اليوم ، وقصة الرؤيا على ما حكاه الطبرى وغيره : أن السلطان محمودًا رأى النبى ﷺ ثلاث مرات فى ليلة واحدة ، وهو يقول له فى كل واحدة منها : يا محمود أنقذنى من هذين الشخصين الأشقرين فحلفه ، فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك فقال : هذا أمر حدث بالمدينة ليس له غيرك ، فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك حتى دخل المدينة الشريفة على غفلة من أهلها ، وزار وجلس فى المسجد لا يدري ما يصنع ، فقال له وزيره : أتعرف الشخصين إذا رأيتهما ؟ قال نعم ، فأمره بالصدقة وطلب الناس عامة وفرق عليهم ذهبًا وفضة ، وقال : لا يبقين أحد بالمدينة إلا جاء ، فلم يبق إلا رجلين مهاجرين من أهل الأندلس نازلين فى الناحية التى تلى قبلة حجرة النبى ﷺ من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب ﷺ فطلبهما / [١٥١/أ] للصدقة فامتنعا ، فجد فى طلبهما فجئ بهما فلما رآهما ، قال : هما هذان فسألهما عن حالهما ، فقالا : جئنا للمجاورة ، فقال : اصدقاني ، وتكرر السؤال حتى أفضى إلى معاقبتهما ، فأقرا أنهما من النصارى وأنهما وصلا لكى ينقلا من فى هذه الحجرة المقدسة باتفاق من ملوكهما ، ووجدوهما قد حفرا نقبًا من تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلى ، وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة ، ويجعلان التراب فى بئر عندهما فى البيت الذى هما فيه ، فضرب أعناقهما عند الشباك الذى فى شرقى حجرة النبى ﷺ خارج المسجد ، ثم أحرقا آخر النهار ، وركب وتوجه إلى الشام . انتهى .
والله أعلم .

الفصل السابع

فى ذكر المساجد التى صلى فيها النبى ﷺ المعروفة بالمدينة
وغيرها وفيه ذكر المساجد المعروفة بالمدينة الشريفة وذكر
مساجد بالمدينة صلى فيها لا تعرف اليوم وذكر المساجد التى
صلى فيها النبى ﷺ بين مكة والمدينة وذكر المساجد المشهورة
فى الغزوات وغيرها التى صلى فيها ﷺ

أما ذكر المساجد المعروفة بالمدينة الشريفة

فمنها : مسجد قباء . قال الله تعالى : ﴿المسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾^(١) . أى بنيت جدره ورفعت قواعده^(٢) .

عن ابن عباس والضحاك والحسن : هو مسجد قباء ، وتعلقوا بقوله تعالى : ﴿من أول يوم﴾ . وهو قول بريرة وابن زيد وعروة ، ودليل الظرف يقتضى الرجال المتطهرين فهو مسجد قباء^(٣) . وعن أبى هريرة قال : نزلت هذه الآية فى أهل قباء : ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾^(٤) . فيه أى من حضره ، قيل : كانوا يجمعون بين الماء [١٥١/ب] والحجر .

مسجد قباء فى بنى عمرو بن عوف كان مريداً لكلثوم بن الهدم فأعطاه رسول الله ﷺ فبناه مسجداً وأسسهُ وصلى فيه قبل أن يدخل المدينة حين قدومه من مكة ، كما تقدم . وتقدم فى باب الفضائل الأحاديث الواردة فى فضل قباء^(٥) والصلاة فيه . وروى نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ صلى إلى الإسطوان الثالث فى مسجد قباء التى فى الرحبة^(٦) .

قال الحافظ محب الدين : ولم يزل مسجد قباء على ما بناه رسول الله ﷺ إلى أن بناه عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد رسول الله ﷺ ووسعه ، ونقشه بالفسيفساء وسقفه بالساج وعمل له منارة ، وجعل له أروقة وفى وسطه رحبة ، فتهدم حتى جددته جمال الدين الأصبهاني وزير بنى زنكى فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، قال : وذرعته فكان طوله ثمانية وستين ذراعاً راجحاً قليلاً ، وعرضه كذلك ، وارتفاعه فى السماء عشرون ذراعاً ، وطول منارته فى سطحه اثنان وعشرون ذراعاً ، وعلى رأسها قبة نحو العشرة أذرع ، وفى المسجد تسع وثلاثون إسطوانة ، بين كل إسطوانتين سبعة أذرع راجحة ، وفى جدرانها طاقات فى كل جانب ثمان إلا الجانب الشامى فإن الثانية سدت

(١) سورة التوبة : الآية (١٠٨) .

(٢) راجع تفسير القرطبي (٢٥٩/٨) .

(٣) راجع تفسير القرطبي (٢٥٩/٨) .

(٤) راجع تفسير القرطبي (٢٥٩/٨) ، وتفسير ابن كثير (٣٣٦/٢) .

(٥) مما جاء فى فضل قباء والصلاة فيه ، قوله ﷺ فى الحديث الصحيح : « من توضأ فأحسن الوضوء ، وجاء مسجد قباء ، فصلى فيه ركعتين ، كان له أجر عمرة » . أخرجه ابن ماجه ح (١٤١٢) ، وأحمد :

المسند (٤٨٧/٣) .

(٦) راجع الدرر الثمينة لابن النجار (ص ١٨٨) .

بالمنازة ، ومنازة مربعة وهي على يمين المصلى^(١).

ومنها مسجد الفتح . عن جابر رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، فاستحب له يوم الأربعاء بين الصلاتين ، فعرف البشر في وجهه^(٢) . وقد تقدم في باب الفضائل . وعن هارون بن كثير عن أبيه عن جده ، [١٥٢/أ] أن رسول الله ﷺ دعا يوم الخندق على الأحزاب في موضع الإسطوانة الوسطى من مسجد الفتح الذي على الجبل^(٣) . قال الشيخ جمال : مسجد الفتح على قطعة من جبل سَلْع من جهة المغرب ، وغريبه وادي بطحان ، وتحتة في الوادي عين تجرى ، ويعرف الموضع بالسيح بالسين المهملة - يصعد إلى المسجد من درجتين شمالية وشرقية ، وكانت فيه ثلاث إسطوانات قبل هذا البناء الذي هو اليوم عليه من بناء عمر بن عبد العزيز فتهدم ، ثم جددته الأمير سيف الدين الحسين بن أبي الهيثم أحد وزراء العبيديين بمصر في سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وكذلك جدد المسجدين اللذين تحتة من جهة القبلة ، يعرف الأول القبلي بمسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والثاني يلي الشمال يعرف بمسجد سلمان الفارسي رضي الله عنه جددتهما في سنة سبع وسبعين وسبعمائة^(٤) . وذكر الحافظ محب الدين : أنه كان معهما مسجد ثالث فذلك لم يبق له أثر^(٥) . قال الحافظ محب الدين : وروى عن معاذ بن سعد أن رسول الله ﷺ صلى في مسجد الفتح الذي على الجبل ، وفي المساجد التي حوله ، وفي المسجدين القبليين^(٦) .

ومنها : مسجد القبليتين . عن عثمان بن محمد الأحنسي^(٧) ، أن رسول الله ﷺ زار امرأة من بنى سلمة يقال لها أم بشر^(٨) في بنى سلمة فصنعت له طعامًا ، فحانت الظهر فصلّى رسول الله ﷺ بأصحابه في مسجد القبليتين الظهر ، فلما صلى ركعتين أمر أن يتوجه إلى الكعبة فاستدار رسول الله ﷺ إلى الكعبة . فسمى ذلك مسجد القبليتين ،

(١) الدرة الثمينة (ص ١٨٨) .

(٢) أورده عمر بن شبه (٥٨/١) ، وكذا ابن النجار في الدرة الثمينة (ص ١٨٩) .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٨٩) ، ووفاء الوفا (٨٣٢/١) ، وأورده ابن الجوزي في مثير الغرام

(ص ٤٩٦) .

(٤) التعريف بما أنست المحجرة (ص ٤٧) .

(٥) الدرة الثمينة (ص ١٨٩) .

(٦) الدرة الثمينة (ص ١٨٩) .

(٧) في الدرة الثمينة : «الأحشي» .

(٨) في الدرة الثمينة : «أم بشر» .

وكانت الظهر يومئذ أربع ركعات ، منها /١٥٢/ ب] اثنان إلى بيت المقدس ، واثنان إلى الكعبة^(١) ، وصرفت القبلة يوم الثلاثاء النصف من شعبان فى السنة الثانية من الهجرة ، وقيل : بل صرفت القبلة فى مسجد رسول الله ﷺ فى صلاة العصر يوم الاثنين النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة . وقال ابن المسيب : صرفت قبل بدر بشهرين . والأول أصح^(٢) . قال الحافظ محب الدين : وهذا المسجد بعيد من المدينة قريب من بئر رومة وقد تقدم ، ولم يبق إلا آثاره ، وموضع المسجد يعرف بالقاع^(٣) ، والقاع المكان المستوى . قال عفيف الدين المرجاني : وبهذا الوادى سار رسول الله ﷺ ومن معه بالخيـل والإبل على ظهر الماء لما أن غزا خيبر قال^(٤) ﷺ : وجدنا السيول بالقاع فقد رنا الماء فإذا هو أربعة عشر قامة فنزل رسول الله ﷺ فسجد ودعا ثم قال : «سيروا على اسم الله» ، فسرنا على الماء . وكان ذلك نظير فلق البحر لموسى -عليه السلام- .

قال الشيخ جمال الدين : ومسجد القبـلـتين بعيد عن مسجد الفتح من جهة الغرب على رابية على شفير وادى العقيق ، وحوله خراب عتيق على الحرة ، وحوله آبار ومزارع تعرف بالعرض ، فى قبله مزارع الجرف المعروف بالمسجد المذكور فى قرية بنى سلمة ، ويقال لها خربة ، ثم قال : وفى هذا المسجد وهو مسجد بنى حزام من بنى سلمة رأى رسول الله ﷺ النخامة فحكها بـعرجون كان فى يده ، ثم دعا بـخلق فجعله على رأس العرجون ، ثم جعله على موضع النخامة ، فكان أول مسجد خلق فى الإسلام^(٥) .

ومنها مسجد الفضـيـخ . روى هشام بن عروة والـحـارث بن فضـيـل^(٦) أنهما قالـا : صلّى رسول الله ﷺ [١٥٣/أ] فى مسجد الفضـيـخ^(٧) . وعن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ لما حاصر بنى النضير ضرب قبته فى موضع مسجد الفضـيـخ وأقام بها ستاً ، قال : وجاء تحريم الخمر فى السنة الثالثة من الهجرة ، وقيل : فى السنة الرابعة ، وأبو أيوب فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى موضعه معهم راوية^(٨) خمر من فضيخ ، فأمر أبو

(١) الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٤) فى الأصل كلمة غير واضحة ، بعد هذه الكلمة ، والسياق مستقيم بدونها .

(٥) التعريف بما آتست الهجرة (ص ٤٨) .

(٦) فى الدرة الثمينة : «فضل» .

(٧) الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٨) راوية خمر : المرادة التى يستقى فيها .

أيوب عليه السلام بعزلاً المزادة ففتحت فسال الفضيف فيه فسمى مسجد الفضيف ، والفضيف : نوع من الخمر . وهو ما اقتضخ من البسر من غير أن تمسه النار ، ويقال له : الفضوخ وهو من أسماء الخمر . قال الحافظ محب الدين : ومسجد الفضيف قريب من قباء من شرقيه ويعرف بمسجد الشمس^(١) . قال الشيخ جمال الدين : وهو على شفير الوادى على نشز من الأرض ، مرضوم بحجارة سود وهو صغير جدا^(٢) .

ومنها : مسجد بنى قريظة. عن محمد بن عتبة بن أبى مالك قال : قال^(٣) صلى الله عليه وسلم فى بيت امرأة من الحضرة فى بنى قريظة ، فأدخل الوليد بن عبد الملك ذلك البيت فى المسجد حين بناءه . قال الحافظ محب الدين : روى عن على بن رفاعه عن أشياء من قومه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت امرأة من بنى قريظة ، فأدخل ذلك المكان فى مسجد بنى قريظة ، وهو المكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة^(٤) ، وقيل : إنما أدخل البيت فى المسجد عمر بن عبد العزيز حين بناء مسجد قباء . قال الحافظ محب الدين : وهذا المسجد باق بالعوالى طوله نحو العشرين ذراعاً ، وعرضه كذلك ، وفيه نحو الستة عشر إسطواناً ، فتهدم ووقعت [١٥٣/ب] منارته وأخذت أحجاره ، وقد كان مبنياً على شكل بناء مسجد قباء وحوله بساتين ومزارع^(٥) . قال الشيخ جمال الدين : هذا المسجد شرقى مسجد الشمس بعيداً عنه بالقرب من الحرة الشرقية على باب حديقة ، يعرف الآن بحاجوم وقف على الفقراء بين أبيات خراب ، هى بعض دور بنى قريظة ، وهى شمالى باب الحديقة ، وطوله نحو من خمسة وأربعين ذراعاً ، وعرضه كذلك ، وبقي أثره إلى العشر الأول بعد السبعمائة ، فجدد وبنى عليه حَضِير مقدار نصف قامة ، وكان قد نسي فمن ذلك التاريخ عرف^(٦) .

ومنها : مسجد الجمعة . وهو الذى أدرك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الجمعة بعد أن أسس مسجد قباء وهو قادم إلى المدينة . قال الشيخ جمال الدين : وهذا المسجد على يمين السالك إلى مسجد قباء شماليه أطم خراب ، ويقال له : المزدلفة ، أطم عتبان من بنى مالك وهو فى بطن الوادى ، وهو مسجد صغير مبنى بحجارة قدر نصف القامة ، وهو الذى كان

(١) الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٢) التعريف بما أنست الحجره (ص ٤٥) .

(٣) قال من القيلولة - وهو النوم قبيل الظهر أو بعده .

(٤) الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٥) الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٦) التعريف بما أنست الحجره (ص ٤٥) .

يحول السيل بينه وبين عتبان إذا سال ، والآن منازل بنى سالم بن عوف كانت غربى هذا الوادى على طرف الحرة وآثارهم باقية هناك ، فسأل عتبان رسول الله ﷺ أن يصلى له فى بيته يتخذة مصلى ففعل ﷺ^(١).

ومنها : مسجد بنى ظفر من الأوس . عن إدريس بن محمد بن يوسف بن محمد بن أنيس بن فضالة الصفرى عن جده ، أن رسول الله ﷺ جلس على الحجر الذى فى مسجد بنى ظفر ، وأن زياد بن عبيد الله أمر بقلعه حتى جاءتته مشيخة بنى ظفر فأعلموه أن رسول الله ﷺ جلس عليه فردّه ، قال : فقل امرأة يصعب حملها تجلس عليه إلا [١٥٤/١] حملت ، وعنده أثر فى الحجر يقال : إنه أثر حافر بغلة النبى ﷺ من جهة القبلة، وفى غربيه حجر عليه أثر كأنه أثر مرفق ، وعلى حجر آخر أثر أصابع والناس يتبركون بها . قال الشيخ جمال الدين : وهذا المسجد شرقى البقيع مع طرف الحرة الشرقية ويعرف اليوم بمسجد البغلة^(٢).

ومنها : مسجد بنى معاوية بن مالك بن النجار بن الخزرج . عن عتيك بن الحارث أنه قال : جاءنا عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - فى بنى معاوية وهى قرية من قرى الأنصار ، فقال : هل تدرون أين صلى رسول الله ﷺ فى مسجدكم هذا ؟ قلت : نعم وأشرت إلى ناحية منه ، فقال : هل تدرى ما الثلاث التى دعا بها ؟ قلت نعم قال : فأخبرنى بهن ، قلت : دعا أن لا يظهر عليهم عدو من غيرهم فأعطيها ، وأن لا يهلكهم بالسنين فأعطيها ، وأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها ، قال عبد الله بن عمر : صدقت . فلن يزال الهراج إلى يوم القيامة . قال الشيخ جمال الدين ويعرف هذا المسجد اليوم بمسجد الإجابة ، وهو شمالى البقيع على يسار طريق السالك إلى العريض وسط تلؤل ، وهى أثر قرية بنى معاوية وهى اليوم خراب^(٣). قال الحافظ محب الدين : فيجب زيارة هذه المواضع وإن لم تعرف أسماؤها ؛ لأن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عمر بن عبد العزيز : مهما صح عندك من المواضع التى صلى فيها رسول الله ﷺ فابن عليها مسجداً ، فالآثار كلها أثر بناء عمر بن عبد العزيز ﷺ^(٤).

وأما مشربة أم إبراهيم بن سيدنا رسول الله ﷺ . فروى إبراهيم بن محمد بن يحيى بن محمد بن ثابت ، أن النبى ﷺ صلى [١٥٤/ب] فى مشربة أم إبراهيم - عليه

(١) التعريف بما أنست الحجر (ص ٤٤ ، ٤٥) .

(٢) التعريف بما أنست الحجر (ص ٤٦) .

(٣) التعريف بما أنست الحجر (ص ٤٧) .

(٤) الدرة الثمينة (ص ١٩١) .

السلام - . قال الحافظ محب الدين : هذا الموضع بالعوالي بين النخل ، وهو أكمة قد حوط حولها بلبن ، والمشرية البستان ، وأظنه قد كان بستاناً لمارية القبطية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ^(١) . قال الشيخ جمال الدين : المشرية شمالي مسجد بنى قريظة قريباً من الحرة الشرقية ، فى موضع يعرف بالدشت بين نخل يعرف بالأشرف القواسم من بنى قاسم بن إدريس بن جعفر أخ الحسين العسكري ؛ لأن آل شعيب بن حجاز منهم ، وصهيب بالقرب من دار بنى الحارث بن الخزرج التى كان أبو بكر ﷺ نازلاً فيها بزوجه حبيبة بنت خاروجة وقيل : مليكة أخت ابن خاروجة^(٢) .

ومنها : مصلى رسول الله ﷺ العيد . عن هشام بن سعيد بن إبراهيم بن أبى أمية وعن شيخ من أهل السن ، أن أول عيد صلاه رسول الله ﷺ صلاه فى حارة الدوس عند بيت أبى الجنب ، ثم صلى العيد الثانى بفناء دار حكيم بن العداء عند دار حفرة داخلاً فى البيت الذى بفناء المسجد ، ثم صلى العيد الثالث عند دار عبد الله بن درة المازنى داخلاً بين الدارين دار معاوية ودار كثير بن الصلت ، ثم صلى العيد الرابع عند أحجار عند الحناتين بالمصلى ، ثم صلى داخلاً فى منزل محمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت ، ثم صلى حيث صلى الناس اليوم . وروى عن أبى هريرة ﷺ أن أول فطر أو أضحى جمع فيه رسول الله ﷺ بفناء دار حكيم بن العداء عند أصحاب المحامل . وروى عن محمد بن عمار ابن ياسر أن رسول الله ﷺ كان يسلك إلى المصلى من الطريق العظمى على أصحاب الفساطيط ، [١٥٥ / أ] ويرجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر ﷺ . وروى عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص عن أبيها ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : « ما بين مسجدي إلى المصلى روضة من رياض الجنة » . وروى عن حمزة^(٣) عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبي ﷺ كان يذبح أضحيته بيده إذا انصرف من المصلى على ناحية الطريق التى كان ينصرف منها ، وتلك الطريق والمكان الذى كان يذبح فيه ﷺ مقابل المغرب مما يلى طريق بنى زريق .

قال الشيخ جمال الدين : وأما الطريق العظمى فهى طريق الناس اليوم من باب المدينة إلى المصلى ، وهو الذى قال فيه : ثم صلى حيث صلى الناس اليوم ، ولا يعرف من المساجد التى ذكرت لصلاة العيد إلا هذا الذى يصلى فيه العيد اليوم^(٤) . قال : وشماله مسجد وسط

(١) الدرر الثمينة (ص ١٩١) .

(٢) التعريف بما آتست الهجرة (ص ٤٥) .

(٣) فى التعريف بما آتست الهجرة : « عمرة » . والله أعلم .

(٤) التعريف بما آتست الهجرة (ص ٤٨ ، ٤٩) .

الحديقة المعروفة بالعريض المتصلة بقبة عين الأزرق ، ويعرف اليوم بمسجد أبى بكر الصديق عليه السلام ولعله صلى فيه فى خلافته ، وشمالى الحديقة أيضًا مسجد كبير متصل يسمى مسجد على بن أبى طالب عليه السلام ، ولم يرد أنه صلى بالمدينة عيداً فى خلافته . فتكون هذه المساجد الموجودة اليوم من الأماكن التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم سنة بعد سنة ، إذ لا يختص أبو بكر وعلى -رضى الله عنهما- بمسجدين لأنفسهما ويتركبان المسجد الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) . قال الشيخ جمال الدين : وليس بالمدينة الشريفة مسجد يعرف غير ما ذكر إلا مسجد على ثنية الوادى على يسار الداخل إلى المدينة من طريق / [١٥٥] ب [الشام ، ومسجد آخر صغير على طريق السافلة ، وهى الطريق اليمنى الشرقية إلى مسجد حمزة عليه السلام ، يقال : إنه مسجد أبى ذر الغفارى عليه السلام ولم يرد فيهما نقل يعتمد عليه ^(٢) .

وأما مسجد الضرار : فهو المسجد الذى بناه المنافقون مضاهاة لمسجد قباء ، فلما بنوه أتوا النبى صلى الله عليه وسلم وهو متجهز إلى تبوك فأمره أن يصلى لهم فيه ، فقال «إلى على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه» . فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى أوان - بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار مرجعه من تبوك - أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وأخاه عاصمًا ، وفى رواية وعامر ابن السكّن ووحشيا قاتل حمزة ، فقال : «انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه» . فخرجا حتى أتيا سالم بن عوف فأخذ سعفاً من النخل وأشعلاه ، ثم دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه ، وأنزل الله تعالى فيه : ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً...﴾ ^(٤) إلى آخر القصة ^(٥) نزلت هذه الآية فى أبى عامر الراهب ؛ لأنه كان خرج إلى قيصر وتنصر ، ووعدهم قيصر أنه سيأتيهم فبنوا مسجد الضرار ^(٦) ، وكان الذين بنوه اثنا عشر رجلاً : خذام بن خالد ومن بيته أخرج المسجد ، ومعتب بن قشير ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، وعبد بن حنيف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمع ^(٧) ، وبخزج ،

(١) التعريف بما آتست الهجرة (ص ٤٩) .

(٢) فى التعريف بما آتست الهجرة : «مشهد» .

(٣) التعريف بما آتست الهجرة (ص ٤٩) .

(٤) سورة التوبة : الآية (١٠٧) .

(٥) راجع السيرة النبوية لابن هشام (٩٢/٤) ، تفسير القرطبى (٢٥٣/٨) ، وتفسير ابن كثير

(٢/٣٣٥) .

(٦) راجع تفسير القرطبى (٢٥٣/٨) ، وتفسير ابن كثير (٢/٣٣٥) .

(٧) فى ابن هشام : مجمع وزيد بن جارية .

ونبيل^(١) بن الحارث ، ويخلد بن عثمان^(٢) ، وذريعة بن ثابت^(٣) ، وثعلبة بن حاطب ، مذكور فيهم وفيه نظر ، لأنه شهد بدرًا^(٤) قاله ابن عبد البر .

وكل مسجد بنى [١٥٦/أ] على ضرار أورياء أو سمعة فحكمه حكم مسجد الضرار لانتجوز الصلاة فيه^(٥) . قال النقاش: فيلزم أن لا يصلى فى كنيسة ونحوها ، فإنها بنيت على شر . قال القرطبي : هذا لا يلزم ؛ لأن الكنيسة لم يقصد بها الضرر بالعين ، وإن كان أصل بنائها على شر ، إنما بنوها لعبادتهم ، وقد أجمع العلماء أن من صلى فى كنيسة أو بيعة على موضع طاهر جاز^(٦) .

وذكر أبو داود عن عثمان بن العاص أن النبى ﷺ أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طواغيتهم . وقوله تعالى : ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾^(٧) . قد يعبر عن الصلاة بالقيام ، ومنه : «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٨) . وروى أن النبى ﷺ كان لا يمر بالطريق التى فيها هذا المسجد ، وأمر بموضعه أن يتخذ كناسة ومزبلة^(٩) ، وروى سعيد بن جبير أن النبى ﷺ لما أرسل ليهدم رؤى الدخان يخرج منه . وقيل : كان الرجل يدخل فيه سعة فيخرجها سوداء محترقة . وعن ابن مسعود أنه قال : جهنم فى الأرض ثم تلا ﴿فَانْهَارْ بِهِ فِى جَهَنَّمَ﴾^(١٠) .

قال القرطبي : اختلف هل ذلك حقيقة أم مجاز على قولين ، أحدهما : أن ذلك حقيقة وأنه كان يحفر ذلك الموضع الذى انهار به فيخرج منه دخان^(١١) وقال جابر بن

(١) فى ابن هشام : «نبيل بن الحارث» .

(٢) فى ابن هشام : «بجاء بن عثمان» .

(٣) فى ابن هشام : «وذريعة بن ثابت» .

(٤) راجع تفسير القرطبي (٢٥٤/٨) وتفسير ابن كثير (٢٣٥/٢) ، وابن هشام (٩٢/٤) .

(٥) تفسير القرطبي (٢٥٤/٨) .

(٦) راجع تفسير القرطبي (٢٥٥/٨) .

(٧) سورة التوبة : الآية (١٠٨) .

(٨) أخرجه البخارى : كتاب الإيمان - باب تطوع قيام رمضان من الإيمان ح (٣٧ - فتح) ، ومسلم :

كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب فى قيام رمضان وهو التراويح ح (٧٥٩) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٩) راجع تفسير القرطبي (٢٥٨/٨) .

(١٠) سورة التوبة : الآية (١٠٩) .

(١١) تفسير القرطبي (٢٦٥/٨) ، والقول الثانى : أن ذلك مجاز ، والمعنى صار البناء فى نار جهنم ، فكأنه انهار إليه وهوى فيه . قال : والظاهر الأول ، إذ لا إحالة فى ذلك . والله أعلم .

عبد الله : أنا رأيت الدخان يخرج منه^(١). وقال خلف بن سيرين : رأيت في مسجد المنافقين حجراً يخرج منه الدخان^(٢). قال الحافظ محب الدين : هذا المسجد قريب من مسجد قباء وهو كبير وحيطانه عالية ، وقد كان بناؤه مليحاً^(٣).

قال الشيخ جمال الدين : وأما اليوم فلا أثر له ولا [١٥٦ / ب] يعرف له مكان ، وما ذكره الشيخ محب الدين فهو وهم لا أصل له . قال عفيف الدين المرجاني : وقد ذكر الشيخ جمال الدين وابن النجار هذا المسجد في تاريخهما وعداه من جملة المساجد التي صلى النبي ﷺ فيها ، والنبي ﷺ لم يصل فيه فلذلك أخرنا ذكره . انتهى كلامه .

وأما النقاء وحاجز المذكوران في الأشعار : فاعلم أن النقاء من غربي مصلى العيد المذكور إلى منزلة الحاج غربي وادي بطحان ، والوادي يفصل بين مصلى العيد والنقاء من أجل مجاورة المكانين ، وفيه يقول بعضهم مورياً عن الشيب ومصلى الجنائز :

ألا يا سائراً في قفر عمرو . . . يكابد في المسرى وعراً وسهلاً

بلغت نقاء المشيب وجزت عنه . . . وما بعد النقاء إلا المصلى

وأما حاجز : فهو من غربي النقاء إلى منتهى الحرة من وادي العقيق^(٤).

ذكر مساجد صلى فيها النبي ﷺ بالمدينة الشريفة

لا يعرف اليوم إلا بعض أماكنها وهي في قرى الأنصار ، منها : مسجد بنى زريق من الخزرج وهو أول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة قبل هجرة النبي ﷺ ، وأن رافع بن مالك الزرقى رضي الله عنه لما لقي رسول الله ﷺ في العقبة أعطاه ما نزل عليه من القرآن بمكة إلى ليلة العقبة ، وذكر أن النبي ﷺ توضأ فيه ولم يصل . قال الشيخ جمال الدين : وقرية بنى زريق قبل سور المدينة الشريفة وقبل المصلى ، وبعضها كان من داخل السور اليوم بالموضع المعروف بدردان أو ذى أروان التي وضع ليلى ابن عاصم وهو من يهود بنى زريق السحر في راعونة بقرها [١٥٧ / أ] والحديث مشهور^(٥).

وقال الشيخ أبو الفتح : ذو أروان اسم محلة بنى زريق ، وهناك بئر يسمى بئر ذى أروان والمسجد هناك . ومسجد بنى ساعدة من الخزرج رهط سعد بن عبادة ، ذكر أن النبي ﷺ صلى فيه وجلس في السقيفة . عن عبد المهيم بن عباس عن سهيل بن سعد عن

(١) تفسير القرطبي (٢٦٥/٨) ، وتفسير ابن كثير (٣٣٨/٢) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٣٨/٢) ، وفيه : «خلف بن ياسين الكوفي» .

(٣) الدرر الثمينة (ص ١٩٥) .

(٤) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٤٩) .

(٥) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٧٦) .

أبيه عن جده قال : جلس رسول الله ﷺ فى سقيفتنا التى عند المسجد واستقى ، فخصت له وطأة فشرب ثم قال : زدنى ، فخصت له أخرى فشرب ثم قال : كانت الأولى أطيب . وفى هذه السقيفة كانت بيعة أبى بكر الصديق رضي الله عنه وقرية بنى ساعدة عند بئر بضاعة ، والبئر وسط بيوتهم ، وشمال البئر اليوم إلى جهة المغرب بقية أطم يقال إنه من دار أبى دجانة رضي الله عنه الصغرى التى عند بضاعة ، ومسجد عند بيوت المطر عند خيام بنى عفان ، روى أن النبى ﷺ صلى فيه ، وأن تلك المنازل كانت منازل آل بنى وهم كلثوم بن الحصين الغافرى رضي الله عنه . قال الشيخ جمال الدين : وليست الناحية معروفة اليوم^(١) . ومسجد لجهينة ولبن هاجر من بنى الربعة^(٢) عن خارجة بن الحارث بن رافع عن أبيه عن جده قال : جاء رسول الله يعود رجلاً من أصحابه فى بنى الربعة من جهينة يقال له أبو مريم ، فعاده بين منزل بنى قيس العطار الذى فيه الأراكة وبين منزلهم الأخرى الذى يلى دار الأنصار ، فصلى فى المنزل فقال نفر من جهينة لأبى مريم : لو جئت رسول الله ﷺ فسألتك أن يخط لنا مسجداً ، فقال : احملونى فحملوه فلحق النبى ﷺ / [١٥٧/ب] فقال : « مالك يا أبا مريم ؟ » فقال : يا رسول الله لو خططت لنا مسجداً ، فجاء إلى مسجد جهينة وفيه خيام لبلى فأخذ طلقاً أو محجناً فخط لهم ، فالمنزل لبلى والخطبة لجهينة .

قال الشيخ جمال الدين : وهذه الناحية اليوم معروفة غربى حصن صاحب المدينة ، والسور القديم بينهما وبين جبل سلع ، وعندها أثر باب من أبواب المدينة خراب ، ويعرف اليوم بدرب جهينة ، والناحية من داخل السور بينه وبين حصن المدينة^(٣) . ومسجد قار النابغة ذكر أن النبى ﷺ صلى فيه . ومسجد بنى عدى بن النجار ذكر أن النبى ﷺ صلى فيه أيضاً . قال الشيخ جمال الدين : وهذه الدار غربى مسجد رسول الله ﷺ وهى دار بنى عدى بن النجار ومسجد رسول الله ﷺ وما يليه من جهة المشرق دار غنم بن مالك بن النجار^(٤) . ومسجد بنى خدرة . وقيل : خدرة - بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة - واسمه لأبجر بن عوف بن الحارث ، وقيل : خدرة أم أبجر ، والأول أشهر ، وهم بطن من الأنصار ، وأبجر بفتح الهمزة والجيم وسكون الباء الموحدة . عن هشام بن عروة أن النبى ﷺ صلى فى مسجد بنى خدرة . وعن يعقوب بن محمد بن أبى صعصعة أن رسول الله ﷺ صلى فى بعض منازل بنى خدرة ، فهو المسجد الصغير الذى فى بنى خدرة مقابل بيت

(١) التعريف بما آتست المحجرة (ص ٧٧) .

(٢) ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى وضعها . والله أعلم .

(٣) التعريف بما آتست المحجرة (ص ٧٧) .

(٤) التعريف بما آتست المحجرة (ص ٧٧) .

الحية . قال الشيخ جمال الدين : ودار بنى خدرة عند بئر البصة^(١) . ومسجد بنى مازن عن عمرو بن يحيى بن عمارة عن أبيه أن رسول الله [١٥٨/] وضع مسجد بنى مازن بن النجار بيده ، وهياً قبلته ولم يصل فيه . وعن يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة أن رسول الله ﷺ صلى في بيت أم أبي بردة في بنى مازن . قال الشيخ جمال الدين : ودار بنى مازن قبلى بئر البصة وتسمى الناحية اليوم أبا مازن^(٢) . ومسجد بنى جديلة وهو مسجد أبي بن كعب رضي الله عنه عن يوسف الأعرج وربيعة بن عثمان أن رسول الله ﷺ صلى في مسجد بنى جديلة . قال الشيخ جمال الدين : ودار بنى جديلة عند بئر حاء شمال سور المدينة من جهة المشرق ، وبنو جديلة هم بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن الخزرج^(٣) . ومسجد بنى دينار ذكر أن النبي ﷺ صلى في مسجد بنى دينار عند العالين ، وأن أبا بكر رضي الله عنه تزوج امرأة من بنى دينار بن النجار ، فكان رسول الله ﷺ يعود ، فكلّمه أن يصلى لهم في مكان يصلون فيه فصلى لهم في هذا المسجد ، ومسجد بنى دينار بين دار بنى جديلة ودار بنى معاوية أهل مسجد الإجابة^(٤) المتقدم ذكره - أعنى مسجد بنى معاوية - فهذه بطون بنى النجار كلها ، ودورهم هذه المذكورة بالمدينة وما حولها من جهة الشمال إلى مسجد الإجابة ، وهم بنو غنم بن النجار ، وبنو عدى بن النجار ، وبنو مازن ابن النجار ، وبنو دينار بن النجار ، وبنو معاوية بن النجار .

ومسجد بأصل المنارتين من طريق العقيق الكبرى صلى فيه ﷺ وهو لا يعرف . ومسجد بنى حارثة من الأوس ذكر أن النبي ﷺ صلى فيه ، ودار بنى حارثة يثرب . ومسجد بنى عبد الأشهل رهط سعد [١٥٨/ب] بن معاذ وأسيد بن حصن ذكر أن النبي ﷺ صلى فيه ، وأن أم عامر بن يزيد بن السكن أتت رسول الله ﷺ بعرف فتعرفه ثم قام فصلى فلم يتوضأ ، وبنو عبد الأشهل منسوبون إلى عبد الأشهل بن حشم بن الحارث ابن الخزرج ، قال النبي ﷺ : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث ثم بنو ساعدة ، وفي كل دور بنى الأنصار خير »^(٥) . ومسجد بنى الحبلى وهم رهط عبد الله بن سلول ، ذكر أنه ﷺ صلى فيه . ومسجد بنى الحارث بن الخزرج ، ذكر أنه ﷺ صلى فيه . قال الشيخ جمال الدين : ودار بنى الحبلى بين قباء وبين دار بنى

(١) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٧٧ ، ٧٨) .

(٢) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٧٨) .

(٣) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٧٨) .

(٤) هكذا في الأصل ، والصواب «الإجابة» . والله أعلم .

(٥) تقدم تخريجه .

النجار ، ودار بنى النجار شرقى وادى بطحان ، تعرف اليوم بالحارث بإسقاط بنى^(١).
ومسجد بنى أمية بن زيد بالعوالى فى الكبا عند مال نهيك بن أبى نهيك ، ذكر أنه ﷺ صلى فيه . قال الشيخ جمال الدين : ودارهم شرقى دار بنى الحارث ، وفيهم كان عمر بن الخطاب ﷺ نازلاً بامرأته الأنصارية أم عاصم بنت أو أخت عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح ﷺ ومسجد بنى خدرة ذكر أنه ﷺ صلى فى مسجد بنى خدرة عند الأطم الذى بجوار سعد بن عبادة ، ووضع ﷺ يده على الحجر الذى فى أطم سعد^(٢). قال الشيخ جمال الدين : وهذه الدار قبلى دار بنى ساعدة وبين بضاعة ومما يلى سوق المدينة ، عرضه ما بين المصلى إلى جدار سعد المذكور ، وهى جدار كان يستقى الناس فيها الماء كما ورد عنه بعد وفاة أمه ﷺ^(٣). ومسجد النور صلى ﷺ فيه ولا يعرف [١٥٩/] اليوم. ومسجد بنى واقف ذكر أنه ﷺ صلى فيه وهو موضع بالعوالى ، كانت فيه منازل بنى واقف من الأوس رهط هلال بن أمية الواقفى ، أحد الثلاثة الذين خلفوا ، ولا يعرف مكان دارهم اليوم إلا أنها بالعوالى . ومسجد فى دار سعد بن خيثمة بقاء ذكر أنه ﷺ صلى فيه . قال الشيخ جمال الدين : ودار سعد بن خيثمة أحد الدور التى قبل مسجد قباء ، يزورها الناس إذا زاروا قباء ، وهناك أيضاً دار كلثوم بن الهدم فى تلك العرصة ، وكان ﷺ نازلاً بها حين قدم المدينة ، وكذلك أهله ﷺ ، وأهل أبى بكر ﷺ حين قدم بهم على بن أبى طالب ﷺ ، وهن سودة بنت زمعة وعائشة وأمها أم رومان ، وأختها أسماء بنت أبى بكر ﷺ ، وولدت أسماء عبد الله بن الزبير قبل نزولهم إلى المدينة ، فكان أول مولود ولد من المهاجرين بالمدينة^(٤). ومسجد التوبة صلى ﷺ فيه وهو بالعصبة عند بئرهم ، وهو غير معروف . قال الشيخ جمال الدين : أما العصبة فهى غربى مسجد قباء ، فيها مزارع وآبار كثيرة، وهى منازل بنى حجاج بن لعله بطن من الأوس^(٥). ومسجد بنى أنيف يقولون: صلى رسول الله ﷺ فيما كان يعود طلحة بن البراء ﷺ قريباً من أطمهم. قال الشيخ جمال الدين : يلون دار بنى أنيف وهم بطن من الأوس بين قرية بنى عمرو بن عوف بقاء وبين العصبة^(٦). ومسجد الشيختين ويسمى مسجد الشيخ صلى ﷺ فيه ، وهو موضع بين

(١) التعريف بما آتست المحرة (ص ٧٨) .

(٢) التعريف بما آتست المحرة (ص ٧٨) .

(٣) التعريف بما آتست المحرة (ص ٧٨) .

(٤) التعريف بما آتست المحرة (ص ٧٨ ، ٧٩) .

(٥) التعريف بما آتست المحرة (ص ٧٩) .

(٦) التعريف بما آتست المحرة (ص ٧٩) .

المدينة وبين أحد ، على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد ، وذكروا أنه [١٥٩/ب] عليه السلام من هناك غدا إلى أحد يوم أحد كما قدما . ومسجد بنى حطمة صلى عليه وسلم فيه . ومسجد العجوز ذكر أنه عليه السلام صلى في مسجد العجوز بنى حطمة ، وهى امرأة من بنى سليم . ومسجد بنى وائل صلى عليه وسلم فيه . قال الشيخ جمال الدين : الظاهر أن منازلهم بالعوالى شرقى مسجد الشمس ؛ لأن تلك النواحي كلها ديار الأوس ، وما سفل من ذلك إلى المدينة ديار الخزرج^(١) . ومسجد بنى بياضة من الخزرج صلى عليه وسلم فيه ، وبنو بياضة بطن من الأنصار ثم من الخزرج . قال المطرى : وكانت دار بنى بياضة فيما بين دار بنى سالم بن عوف من الخزرج بوادى رانوءاء عند مسجد الجمعة إلى وادى بطحان قبل دار بنى مازن ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى الجمعة فى بنى سالم بن عوف برانوءاء ركب راحلته ، فانطلقت به حتى وارت دار بنى بياضة تلقاء زياد بن ليلى وفروة بن عمة فى رجال بنى بياضة^(٢) . ومسجد بفيفاء الخيار ذكر ابن إسحاق فى غزوة العشيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم سلك على نقب بنى دينار ثم على فيفاء الخيار ، فنزل تحت شجرة يبطحاء ابن زاهر يقال لها ذات الساق ، فصلى عندها فثم مسجده وصنع له طعاماً عندها ، وموضع أبانى المرمة معلوم ، واستقى له من ماء يقال له المشترب . قال الشيخ جمال الدين : فيفاء الخيار غربى الجماوات التى بوادى العقيق وهى الجبال التى فى غربى وادى العقيق ، وهى أرض فيها سهولة وفيها حجارة وحفائر ، وهو الموضع الذى كانت ترعى فيه إبل الصدقة ولقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٦٠/أ] ، لأنه ورد فى رواية أنها إبل الصدقة ، وفى أخرى أنها لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنها كانت ترعى بذى أكد وغربى جبل عير على ستة أميال من المدينة ، والروايتان صحيحتان ، والجمع بينهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم كانت له إبل من نصيبه من المغنم ، وكانت ترعى مع إبل الصدقة ، فنحر مرة عن إبله ، ومرة عن إبل الصدقة وإن النفر من عكل أو من عرينة أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحقوا بإبل الصدقة يشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا ، ثم قتلوا الراعى وكان يسمى يسار من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الإبل ، فبعث فى أثرهم عشرين فارساً واستعمل عليهم ثور بن جابر الفهري فأدركوهم فربطوهم ، وفقدوا واحدة من لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعى الحناء ، فلما دخلوا بهم المدينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة أسفل المدينة فخرجوا بهم نحوه فلقوه وهو راجع إلى المدينة ، وهو اليوم موضع معروف يجتمع فيه سيل قباء وسيل بطحان ، فأمر بهم صلى الله عليه وسلم

(١) التعريف بما آتست المحجرة (ص ٧٩) .

(٢) التعريف بما آتست المحجرة (ص ٧٩) .

فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم وصلبوا هناك^(١).

ذكر المساجد التي صلى فيها ﷺ بين مكة والمدينة

منها : مسجد ذى الحليفة ، وهى محرم الحجاج ميقات أهل المدينة . قال الشيخ جمال الدين : ومسجد الحليفة هو المسجد الكبير الذى هناك ، وكانت فيه عقود فى قبلته ومنارة فى ركنه الغربى الشمالى فتهدم على طول الزمان ، وهو مبنى على موضع الشجرة التى كانت هنالك وبها سمى مسجد الشجرة ، والبئر من جهة شماليه ، وفى هذا المسجد مسجد آخر أصغر منه ، ولا يبعد أن [١٦٠/ب] يكون ﷺ صلى فيه بينهما مقدار رمية سهم^(٢). وعن عبد الله بن عمر أنه قال : بات رسول الله ﷺ بذى الحليفة مبدأه وصلى فى مسجد^(٣). يروى أن النبى ﷺ صلى فى مسجد الشجرة إلى جهة الإسطوان الوسطى استقبلها ، وكان موضع الشجرة التى كان النبى ﷺ صلى إليها وكانت سمرة^(٣) ، فينبغى للحاج إذا وصل إلى ذى الحليفة أن لا يتعدى فى نزوله المسجد المذكور من أربع نواحيه .

ومسجد بشرقى الروحاء - الروحاء من أعمال الفرع - عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : صلى رسول الله ﷺ بشرقى الروحاء عن يمين الطريق وأنت ذاهب إلى مكة وعن يسارها. وأنت مقبل من مكة . قال الشيخ جمال الدين : شرق الروحاء هو آخر السيادة وأنت متوجه إلى مكة ، وأول السيادة إذا قطعت فرش مالك وأنت مغرب ، وكانت الصخيرات صخورات الإمام عن يمينك ، وهبطت من فرش مالك ثم رجعت عن يسارك واستقبلت القبلة هذه السيادة ، وكانت قد تجدد فيها بعد النبى ﷺ عيون وسكان وآخرها الشرق المذكور ، والمسجد عنده وعنده قبور قديمة ، ثم تهبط فى وادى الروحاء مستقبل القبلة ، وتعرف اليوم بوادى بنى سالم بطن من حرب ، فتمشى مستقبل القبلة وشعب على ابن أبى طالب عليه السلام على يسارك إلى أن يدور الطريق بك إلى المغرب وأنت مع أصل الجبل الذى على يمينك ، وأول ما يلقاك مسجد على يمينك ويعرف ذلك المكان بغرف الظبية ، ويبقى جبل ورقان على يسارك ، ومسجد بغرف الظبية وهو المتقدم ذكره آنفاً [١٦١/ب] ، وكان فيه قبور كثيرة فى قبلته فمهدهم ﷺ ، وفى المسجد الآن حجر قد نقش عليه بالخط الكوفى عند عمارته الميل الفلانى من البريد الفلانى^(٤).

ومسجد الزبير : حدثنا ابن الحسن عن أخيه عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن

(١) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٧٩) .

(٢) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٦٦) .

(٣) أورده المطرئ بسنده : التعريف بما أنست الهجرة (ص ٦٦) .

(٤) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٦٧) .

عوف عن أبيه عن جده قال : أول غزاة غزاها رسول الله ﷺ وأنا معه غزوة الإيواء حتى إذا كان بالروحاء عند غرف الظبية قال : « أتدرون ما اسم هذا الجبل -يعنى ورقان- ؟ هذا حمت اللهم بارك فيه وبارك لأهله فيه ، تدرون ما اسم هذا الوادى - يعنى وادى الروحاء- ؟ هذا سجاسج ، لقد صلى فى هذا المسجد قبلى سبعون نبياً ، ولقد مر بها - يعنى الروحاء - موسى بن عمران ﷺ فى سبعين ألفاً من بنى إسرائيل ، عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة له ورقاء ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى ابن مريم - عليهما السلام - حاجاً أو معتمراً أو يجمع الله تعالى له ذلك » (١) .

وذكر أبو عبيد البكرى : أن قبر مضر بن نزار بالروحاء على ليلتين من المدينة بينهما أحد وأربعون ميلاً . وقيل : أربعون ، وقيل عشرة فراسخ ، وذلك ثلاثون ميلاً ، وفى صحيح مسلم : أن ما بين الروحاء والمدينة ستة وثلاثون ميلاً . ومسجد الغزالة : فى آخر وادى الروحاء مع طرف الجبل على يسارك وأنت ذاهب إلى مكة المشرفة ، لم يبق منه اليوم إلا عقد الباب ، صلى فيه رسول الله ﷺ وعن يمين الطريق إذا كنت بهذا المسجد وأنت مستقبل النازية موضع كان عبد الله بن عمر ينزل فيه ، ويقول : هذا منبر رسول الله ﷺ وكان ثم شجرة كان عمر رضي الله عنه [١٦١/ب] يصب فضل وضوءه فى أصلها ، ويقول : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل . وإذا كان الإنسان عند مسجد الغزالة المذكور كانت طريق النبي ﷺ إلى مكة المشرفة على يساره مستقبل القبلة ، وفى الطريق المعهود من قديم الزمان يمر على بئر يقال لها السقيا ، ثم على ثنية هرشاء ، وهى طريق الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- والطريق اليوم فى طريق الروحاء على النازية إلى مضيق الصفراء ، ومسجد على يمين الطريق المذكورة تجده حين تفضى من أكمة دون الدويشة بميلين تحت صخيرة ضخمة ، قد انكسر أعلاها فانثنى فى جوفها وهى قائمة على ساق ، والدويشة معروفة والمسجد غير معروف (٢) . ومسجد بطريق بلعة من وراء العرج وأنت ذاهب إلى مكة المشرفة عن يمين الطريق على رأس خمسة أميال من العرج إلى هبطة هناك ، وعندها ثلاثة أقبير ورضم من حجارة بين سلمات كان عبد الله بن عمر يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة فيصلبى الظهر فى هذا المسجد ، والعرج معروف إلا المسجد . ومسجد على يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة المشرفة فى مسيل دون ثنية هرشاء إلى سرحة هى أقرب السرحات إلى الطريق وهى أطولهن ، وعقبة هرشاء معروفة سهلة المسالك . ومسجد بالأنالة ولا تعرف . ومسجد بالمسيل الذى بوادى مر الظهران حين

(١) أورده المطرى بسنده (ص ٦٧ ، ٦٨) .

(٢) التعريف بما آتست الهجرة (٦٧ ، ٦٨) .

تهبط من الصفراوات على يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة المشرفة .
 ومسجد بذي طوى ووادي طوى بمكة بين الثنيتين ومضى رسول الله ﷺ منه أكمة
 سوداء ، تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها يمينا ، ثم تصلى مستقبل [١٦٢/]
 الفرضين بين الجبل الطويل الذى بينك وبين الكعبة وليس بمعروف ، وذكر أن رسول الله
 ﷺ نزل بالدبة دبة المستعجلة من المضيق واستقى له من بئر الشعبة الصابة أسفل من الدبة
 فهو لا يفارقها الماء أبداً ، قال الشيخ جمال الدين : والمستعجلة هى المضيق الذى يصعد إليه
 الحاج إذا قطع النازية وهو متوجه إلى الصفراء^(١) . وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ
 نزل بشعب يسفر ، وهو الشعب الذى بين المستعجلة والصفراء ، وقسم به غنائم أهل بدر ،
 ولا يزال الماء به غالباً . ومسجد الصفراء ذكر ابن زبالة أن النبي ﷺ صلى فيه ، وصلى
 بمسجد آخر بموضع يسمى ذات المن مضيق الصفراء ، وفي مسجد آخر بدفران واد
 معروف يصب فى الصفراء من جهة الغرب ، وأنهم حفروا بئراً فى موضع سجود النبي
 ﷺ ووجدوا الماء بها له فضل من العذوبة على ما حوفا ببركة النبي ﷺ . ومسجد بالبرود
 ذكروا أن النبي ﷺ نزل فى موضع المسجد الذى بالبرود من مضيق الفرج وصلى فيه
 رسول الله ﷺ . ومسجد من طريق مبرك ذكروا أنه ﷺ صلى فيه فى مطلع من طريق
 مبركة فى مسجد هناك بينه وبين زعان بستة أميال^(٢) .

ذكر المساجد المشهورة التى صلى فيها النبي ﷺ فى الغزوات وغيرها

منها : مسجد بعضد على مرحلة من المدينة صلى فيه ﷺ عند خروجه إلى خيبر .
 ومسجد بالصهباء - والصهباء من أدنى خيبر - صلى به المعروف وهو معروف ، وذكر
 ابن زبالة أن رسول الله ﷺ حين [١٦٢/ب] وصل إلى خيبر من رجوعه من الطائف نزل
 بين أهل الشق وأهل النضاة وصلى إلى عوسجة هناك ، وجعل حول مصلاه حجارة يعرف
 بها . ومسجد بشمران ذكر ابن زبالة أنه ﷺ صلى أيضاً على جبل بخيبر يقال له شمران
 فثم مسجده من ناحية سهم بنى النزار . قال المطرى : ويعرف الجبل اليوم بشمران -
 بالسين المهملة - يروى أن النبي ﷺ قال : «ميلان فى ميل من خيبر مقدس»^(٣) وعن سعيد
 ابن المسيب أن رسول الله ﷺ قال : «خيبر مقدسة والسوارقة مؤتفكة» . وخيبر كانت
 مسكن اليهود وموضع الجبابرة منها على ثمانية برد من المدينة ، وفى خيبر رد رسول الله
 ﷺ الشمس على عليّ^(٤) بعد ما غربت حتى صلى العصر . ومسجد ببدر كان عند

(١) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٦٩) .

(٢) راجع هذه المساجد فى التعريف بما أنست الهجرة (ص ٦٥ - ٦٩) .

(٣) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٧٨) .

العريش الذى بنى لرسول الله ﷺ يوم بدر ، وهو معروف اليوم يصلى فيه ببطن الوادى بين النخيل والعين قريبة منه . ومسجد بالعشيرة فى بطن ينبع معروف اليوم . ومسجد بالحديبية لا يعرف بل يعرف ناحيته لا غير ، وهو بين جدة ومكة ، بينه وبين جدة مثل ما بين مكة والطائف ، ومثل ما بين مكة وعسفان . قال مالك : وبينهما أربعة برد . وتقدم تحديد الحديبية وتعريفها فى محلها . ومسجد لية من أرض الطائف قال الشيخ جمال الدين : وهو معروف رأيته وعنده أثر فى حجر يقال إنه أثر خف ناقة النبى ﷺ ، وأقاد النبى ﷺ بنحرة الرغاء حين قدم ، وهو أول دم أقيد فى الإسلام رجل من بنى ليث قتل رجلاً من بنى [١٦٣/] هذيل فقتله به^(١) . قال ابن إسحاق : ثم سلك من لية على نخب وهى عقبة فى الجبل حين نزل تحت سدره يقال لها الصادرة ، ثم ارتحل فنزل بالطائف وكان قد نزل قريباً من حصن الطائف فقتل جماعة من أصحابه بالنبل ، فانتقل إلى موضع مسجده الذى بالطائف اليوم . قال عفيف الدين المرجاني : وهذا الحصن باق إلى الآن بالبناء الجاهلى وفيه بئر وفيها تنين عظيم يمنعهم البناء فيه إلا أن يذبحوا عنده ، وهو بالقرب من مسجد الحجاج ابن يوسف ، وقد كان بنى هذا المسجد بتربة حمراء يؤتى بها من اليمن ، ولم يبق إلا آثاره ومناراته خراب ، ومسجد رسول الله ﷺ بالطائف فى وسط المسجد المعروف اليوم بمسجد سيدنا عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - ، وفى ركن المسجد الكبير منارة عالية بنيت فى أيام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء ، وخلفه تحت المنارة بئر ينزل فيها إلى الماء بدرج قريب الأربعين درجة ، ومسجد رسول الله ﷺ فى هذا الجامع بين قبتين صغيرتين يقال إنهما بنيتا فى موضع قبتى زوجيته ﷺ اللتين كانتا معه عائشة وأم سلمة - رضى الله عنهما - ، وبين القبتين محراب ، وكذلك قدام القبلة أيضاً محراب ، ولا يبعد أن يكون ﷺ صلى فى المحرابين ، وللمسجد العباسى أربعة أروقة فى قبلته ، وله ثلاثة أبواب فى يمينه ويساره ومؤخره ، وفى ركنه الأيمن القبلى قبر سيدنا عبد الله بن العباس ابن عم سيدنا رسول الله ﷺ ، وعلى قبره ملين [١٦٣/ب] ساج على بنيان طوله من الأرض ثلاثة أشبار ، وعرضه بطول القبر عشرة أشبار وقليل ، وعرض القبر ستة أشبار وقليل ، أمر بعمله الإمام المقتفى لأمر الله فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، كذا مكتوب فى الخشب ، وتوفى بالطائف سنة ثمان وستين وقد أضر . قال ميمون بن مهران : شهدنا جنازته بالطائف فلما وضع ليسلم عليه جاء طائر أبيض حتى دخل فى أكفانه فالتمس فلم يوجد ، فلما سوى عليه التراب سمعنا صوتاً ولم نر شخصاً

(١) التعريف بما آتست الهجرة (ص ٧٧ ، ٧٨) .

يقول : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾^(١) إلى آخر السورة . وعنده فى القبة ثلاثة قبور ، هذا قبر زبيدة توفيت فى جمادى الآخرة من سنة خمس وستين وثلاثمائة . قال عفيف الدين المرجانى : والظاهر أن هذه عين زبيدة بنت جعفر امرأة هارون الرشيد ، وقد ذكر المسعودى فى «مروج الذهب» : أن زبيدة بنت جعفر توفيت سنة ست عشر ومائتين فى خلافة المأمون ، اسمها أمة العزيز وهى ابنة عمه الرشيد وزوجته وأم الأمين ، وهى التى بنت الآبار والبرك والمصانع بمكة المشرفة ، وحفرت العين المعروفة بعين المشاش بالحجارة ، وأجرتها من مسافة اثنى عشر ميلاً إلى مكة المشرفة وأنفقت عليها ألف ألف مثقال وسبعمائة ألف مثقال وأدخلتها مكة وفرقتها فى شوارعها . قال الشيخ جمال الدين : ورأيت بالطائف شجرات سدر يذكر أنهن من عهد رسول الله ﷺ ، فهن واحدة دفر^(٢) جذرها خمسة وأربعون شبراً ، وأخرى تزيد على الأربعين ، وأخرى سبعة وثلاثون ، قال : وهناك شجرة يذكر أن النبى ﷺ مر بها [١٦٤/أ] وهو على راحلته فانفرق جذرها نصفين ، يذكر أن ناقته ﷺ دخلت من بينهما وهو ناعس ، قال رحمه الله : رأيتها فى سنة ست وتسعين وستمائة ، وحملت من ثمرها إلى المدينة ثم دخلت الطائف فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة فرأيتها قد وقعت ويبست وجذرها ملقى لا يمسسه أحد لحرمتها^(٣) . قال المرجانى : ورأيت بوح قرية من قرى الطائف سدره محاذية للحيرة قرية أيضاً يذكر أن النبى ﷺ جلس تحتها حين أتاه عديس بالطبق العنب وأسلم ، وقال : شجرة محمد ، والقصة مشهورة ، قال : ورأيت غارا فى جبل هناك عند آخر الحيرة تحت العين يذكر أنه جلس فيه رسول الله ﷺ . انتهى .

(١) سورة الفجر : الآية (٢٧ ، ٢٨) .

(٢) كذا فى الأصل . والله أعلم .

(٣) التعريف بما آتست الهجرة (ص ٧٨) .

[الفصل الثامن]

فى ذكر وفاة رسول الله ﷺ وفيه ذكر وفاة أبى بكر
الصدىق ؓ ووفاة عمر ؓ وذكر ما جاء أن النبى ﷺ
وأبا بكر وعمر - رضى الله عنهما - وعيسى
- عليه السلام - خلقوا من طينة واحدة
وما جاء فى صفة وضع القبور المقدسة وصفة الحجرة
الشريفة

أما ذكر وفاة رسول الله ﷺ

قال الله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١). حكى أبو معاذ عن النحويين أن الميِّت بالتخفيف الذى فارقه الروح ، وبالتشديد الذى لم يكن يموت بعد وهو يموت ، فأخبره تعالى أنه ميِّت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَأَنَّ﴾^(٢). ثم إن الله تعالى خيَّره حين بعث إليه ملك الموت على أن يقبض روحه أو ينصرف ، فلم يخير قبله نبي ولا رسول [١٦٤/ب] ألا ترى إلى موسى - عليه السلام - حين قال ملك الموت : أجب ربك ، فلطمه ففقأ عينه ، ولو أتاها على وجه التخيير لما بطش به ، وقول ملك الموت حين رجع : إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت قال الإمام أبو إسحاق الثعلبي : وقصة موسى وملك الموت لا يردّها إلا كل مبتدع ضال ، يؤيده قوله ﷺ : «إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ كَانَ يَأْتِي النَّاسَ عِيَانًا حَتَّى أَتَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِيَقْبِضَهُ فَلَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ ، فَجَاءَ مَلَكَ الْمَوْتِ بَعْدَ ذَلِكَ خَفِيَّةً»^(٣). وكذلك قصة مع داود - عليه السلام - حين غلقت عليه أبوابه فرأى ملك الموت عنده فقال له : ما أدخلك دارى بغير إذنى ، فقال : أنا الذى أدخل على الملوك بغير إذن ، فقال : فأنت ملك الموت ، قال : نعم ، قال : جئت داعياً أم ناعياً ؟ قال : بل ناعياً ، قال : فهلا أرسلت إلى قبل ذلك لأستعد للموت ؟ قال : كم أرسلت إليك فلم تنتبه ، قال : ومن كانت رسلك ؟ قال : يا داود أين أبوك ؟ أين أمك ؟ أين أخوك ؟ قال : ماتوا ، قال : أما علمت أنهم رسلى وأن النوبة تبلغك^(٤).

قال العلماء : وابتدأ برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فى ليال بقين من صفر^(٥) ، وقيل : فى أول ربيع الأول فى السنة الحادية عشر من الهجرة^(٦) ، ومدة مرضه - عليه الصلاة والسلام - اثنى عشر يوماً ، وقيل : أربعة عشر^(٧) ، وكان مرضه بالصداع ، واشتد وجعه ﷺ فى بيت ميمونة فدعا نساءه واستأذنهن فى أن يمرض فى بيت عائشة - رضى الله عنها - فأذن له فخرج يمشى بين رجلين من أهل بيته الفضل بن العباس وعلى - رضى الله عنهما - ، وخرج نهار الخميس فصلى على أصحاب أحد / [١٦٥/أ]

(١) سورة الزمر : الآية (٣٠) .

(٢) سورة الرحمن : الآية (٢٦) .

(٣) قصص الأنبياء (ص ٢٥١) .

(٤) قصص الأنبياء (ص ٢٩٦) .

(٥) سيرة ابن هشام (١٦٥/٤) .

(٦) صفة الصفوة لابن الجوزى (١١٢/١) .

واستغفر لهم ، ثم أمر بسد الأبواب في المسجد إلا باب أبي بكر .

قالت عائشة - رضي الله عنها - : اضطجع في حجرى فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر في يده سواك أنحضر ، قالت : فنظر رسول الله ﷺ في يده نظراً عرفت أنه يريد ، قالت : فقلت : يا رسول الله أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى لينته ثم أعطيته إياه ، قالت : فاستن به كأشد ما رأيته استن بسواك قط ثم وضعه ، ووجدت رسول الله ﷺ يثقل في حجرى فذهبت أنظر في وجهه فإذا بصره قد شخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى في الجنة ، فقلت : خيّر فاخترت والذي بعثك بالحق^(١) . وروى ابن أبي مليكة قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه إلى صلاة الصبح ، وأبو بكر يصلى بالناس فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ فنكص عن مصلاه ، فدفع رسول الله ﷺ في ظهره وقال : صلّ بالناس ، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر ، فلما فرغ من صلاته أقبل على الناس رافعاً صوته حتى خرج صوته من باب المسجد يقول : «يا أيها الناس سمعت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، إني والله ما تمسكون على شيء ، إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن » . فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبي الله أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضله كما تحب ، واليوم [١٦٥/ب] يوم ابنة خارجة ، أفأتبها ؟ قال : نعم ، ثم دخل رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر إلى أهله بالسبح^(٢) ، وخرج على ﷺ من عند رسول الله ﷺ ، فقال المسلمون : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً ، قال : فأخذ العباس بيده ثم قال : يا على أنت والله عبد العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس ، فقال : والله لا أفعل ، والله لئن منعناه لا يؤتينا بعده أحد ، فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم^(٣) . قيل : إن الصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ وهو جالس عن يمين أبي بكر صلاة

(١) سيرة ابن هشام (١٧٢/٤ ، ١٧٣) ، وأخرج البخارى نحوه في باب مرض النبي ﷺ ووفاته (ح ٤٤٣٨ - فتح) .

(٢) إلى هنا انتهى حديث ابن أبي مليكة ، راجع سيرة ابن هشام (١٧٢/٤) .

(٣) سيرة ابن هشام (١٧٢/٤) ، والبداية والنهاية (٢١٦/٥) ، والدرة الثمينة (ص ٢٠٠ ، ٢٠١) -

الظهر قاله ابن وضاح وأبو عبد الله بن عتاب .

وذكر ابن الجوزي : « أن جبريل أتى النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام فقال : يا أحمد إن الله أرسلني إليك يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجحدك ؟ فقال : أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً ، وأتاه في اليوم الثاني فأعاد السؤال فثنى الجواب ، ثم قال في اليوم الثالث مثل ذلك وهو يجيب كذلك ، فإذا ملك الموت يستأذن فقال : يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك ، فقال : ائذن له ، فدخل فوقف بين يديه فقال : إن الله أرسلني / [١٦٦/أ] إليك وأمرني أن أطيعك ، فإن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها ، وإن أمرتني أن أتركها تركتها ، فقال جبريل - عليه السلام - : يا أحمد إن الله قد اشتاق إليك ، قال : امض لما أمرت به يا ملك الموت ، فقال جبريل - عليه السلام - : السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطن الأرض ، إنما كنت حاجتي في الدنيا^(١) ، فتوفى ﷺ مستنداً إلى ظهر عائشة في كساء ملبد وإزار غليظ^(٢) . وتوفى ﷺ عن أثر السم ؛ لقوله ﷺ في وجعه الذي مات فيه : « ما زالت أكلة خيبر تعاودني ، فالآن أو ان قطعت أبهرى »^(٣) .

قال ابن إسحاق : إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة ، وتوفى ﷺ يوم الاثنين حين اشتد الضحى لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وقيل : لليلتين خلتا منه ، ودفن ليلة الأربعاء^(٤) ، وقيل : ليلة الثلاثاء ، وقيل : وكانت وفاته ﷺ سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من سن ذى القرنين حكاه المسعودي في «مروج الذهب» ، وقد بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة ، وقيل : خمساً وستين سنة ، وقيل ستين سنة والأول أصح ، روى الثلاثة مسلم ، وهي صحيحة ، فقول من قال : ثلاثاً وستين فهو على أصله ، ومن قال : ستين فإنهم كانوا في الزمان الأول لا يذكرون الكسر ، ومن قال : خمساً وستين حسب السنة التي ولد فيها والتي توفى فيها

= وأخرجه البخاري : كتاب المغازي - ح (٤٤٤٧ - فتح) عن ابن عباس .

(١) أخرجه الطبراني من حديث الحسين بن علي ، وفي إسناده عبد الله بن ميمون القداح ، وذكر نحوه ابن الجوزي في صفة الصفوة (١١٦/١) .

(٢) أخرجه البخاري : كتاب الرقاق ، والترمذي برقم (٩٧٨) وابن ماجه .

(٣) أخرجه البخاري معلقاً : كتاب المغازي ح (٤٤٢٨ - فتح) عن عائشة ، وأسنده البيهقي .

(٤) راجع البداية والنهاية (٢٤٢/٥ ، ٢٥٧) ، والدررة الثمينة (ص ٢٠٢) .

ﷺ^(١). قال الحاكم : اختلفت الرواية في سن رسول الله ﷺ ، ولم يختلفوا أنه ولد في عام الفيل ، وأنه بعث [١٦٦/ب] وهو ابن أربعين سنة ، وأنه أقام بالمدينة عشرًا ، وإنما اختلفوا في مقامه بمكة المشرفة بعد البعث ف قيل : عشرًا ، وقيل : ثلاثة عشر ، وقيل : خمسة عشر ، وسجى ﷺ ببرد حبرة .

وقيل : إن الملائكة سجدته ، وكذب بعض أصحابه بموته دهشة منهم عمر بن الخطاب ، وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد الغد منهم عثمان بن عفان ، وأقعد آخرون منهم على بن أبي طالب -رضى الله عنهم - .

قال عفيف الدين المرجاني : والحكمة في ذلك أنه لما كان عمر أبلغ الناس نظرًا وأعلامهم فراسة صحيح تخيل الفكر عظيم قياسه أدهش حتى لم يتخيل موت المختار ، ولما كان عثمان حوى أنقال الفصاحة وله في القول على من سواه رجاحة أخرس بإنطاق حجب الأستار ، ولما كان على سيف الله القاطع وعليه اسم القوة واقع أقعد عن مد خطوات الأقدار ، ولم يكن أثبت من العباس وأبى بكر -رضى الله عنهما - وبقي رسول الله ﷺ في بيته يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ، فلما كان يوم الثلاثاء أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ فسمعوا من باب الحجرة حين ذكروا غسله لا تغسلوه فإنه طاهر مطهر ، ثم سمعوا بعده غسلوه فإن ذلك إبليس وأنا الخضر ، وقال : إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلقًا من كل هالك ، ودرجًا من كل فائت ، فبالله نتقوى ، وإياه فارجعوا ، فإن المصاب من حرم الثواب ، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه ، وكانوا قد اختلفوا في ذلك فغسلوه ﷺ [١٦٧/أ] في قميصه ، وكانوا لا يرون أن يقلبوا منه عضواً إلا انقلب بنفسه ، وإن معهم لحفيماً كالريح يصوت بهم ارفقوا برسول الله ﷺ فإنكم ستكفون ، وتولى غسله على والعباس والفضل وقثم بن العباس يقلبونه معهم ، وأسامة بن زيد وشقران موليا رسول الله ﷺ يصبان الماء ، وأوس ابن خولى الأنصارى ممن حضر غسله ﷺ^(٢) ، يروى عن علي عليه السلام قال : أوصاني النبي ﷺ لا يغسله غيري « فإنه لا يرى أحد عورتى إلا طمست عيناه »^(٣) . وسطعت منه ﷺ ريح لم يجدوا مثلها قط . وكفن ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها

(١) راجع صفة الصفوة (١١٨/١ ، ١١٩) .

(٢) راجع سورة ابن هشام (١٧٧/٤) ، وصفة الصفوة (١١٩/١) ، والبداية والنهاية (٢٤٧/٥) .

(٣) رواه البزار في مسنده والبيهقي . وراجع البداية والنهاية (٢٤٨/٥) وقال ابن كثير : هذا حديث غريب جداً .

قميص ولا عمامة^(١) ، وكان فى حنوطه ﷺ المسك ، ثم وضع على سريره فى بيته ودخل الناس يصلون عليه أرسالاً أفذاذاً الرجال ثم النساء ثم الصبيان ، ولم يؤمهم أحد بوصية منه ﷺ قال فيها : « أول من يصلى على خليلي وحبيبي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع ملائكة كثيرة » . قيل : فعل ذلك ﷺ ليكون كل منهم فى صلاة ، وقيل : ليطول وقت الصلاة فيلحق من يأتى من حول المدينة ، واختلفوا فى مكان دفنه فقائل يقول : بالبقيع ، وقال قائل : عند منبره ، وقال قائل : فى مصلاه ، فجاء أبو بكر ﷺ فقال : إن عندى من هذا خبراً وعلماً سمعت النبی ﷺ يقول : « ما قبض نبي إلا دفن حيث توفى »^(٢) . فحول فراشه وحفر له موضعه [١٦٧/ب] ، وكان بالمدينة عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة فبعث العباس خلفهما رجلين وقال : اللهم خر لرسول الله ﷺ فجاء أبو طلحة فلحد رسول الله ﷺ^(٣) ، ودفن ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء ، ونزل قبره ﷺ على والعباس وقثم والفضل ابنا العباس وشقران مولى رسول الله ﷺ وأوس بن خولى ، وبسط شقران تحته فى القبر قطيفة حمراء كان يفرشها ﷺ^(٤) ، وقيل : كان يتغطى بها ، وقيل : إن عبد الرحمن بن الأسود نزل معهم ، وكذلك عبد الرحمن بن عوف ، وأطبق أسامة على قبره ﷺ سبع لبنات نصبن نصباً^(٥) ولما دفن ﷺ جاءت فاطمة - رضى الله عنها - فوفقت على قبره وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعت على عينها وبكت وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد . أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها . صبت على الأيام عدن لياليا^(٦)

وتوفيت بعده ﷺ بستة أشهر^(٧) ، وقيل ثمانية أشهر ، وقيل : ثلاثة أشهر ، وقيل : سبعون يوماً ، وكان ﷺ أخبرها أنها أول أهله لحوقاً به فكانت كذلك ، وقبض ﷺ عن

(١) البخارى : كتاب الجنائز - ح (١٢٦٤ - فتح) ، ومسلم : كتاب الجنائز - ح (٩٤١) .

(٢) أورده ابن النجار بسنده (ص ٢٠٤) ، والبداية والنهاية (٢٥٣/٥) ، ومثير الغرام (ص ٤٨٣) ،

وأخرج نحوه الترمذى برقم (١٠١٨) .

(٣) راجع صفة الصفوة (١١٩/١) ، والبداية والنهاية (٢٤٧/٥) .

(٤) راجع سيرة ابن هشام (١٧٨/٤ ، ١٧٩) ، والبداية والنهاية (٢٥٤/٥) .

(٥) راجع الدرر الثمينة (ص ٢٠٤) .

(٦) مثير الغرام لابن الجوزى (ص ٤٨٩) ، والدرر الثمينة (ص ٢٠٥) .

(٧) الدرر الثمينة (ص ٢٠٥) .

مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً من الصحابة - رضوان الله عليهم - قاله أبو موسى ، وقال أيضاً : شهد مع رسول الله ﷺ حجة الوداع أربعون ألفاً من الصحابة [١٦٨/١] ممن روى عنه وسمع منه ، وشهد معه تبوك سبعون ألفاً .

ذكر وفاة أبي بكر الصديق ﷺ

ذكر محمد بن جرير الطبري : أن اليهود سمت أبا بكر في أرزة . وقيل : أكل هو والحرث ابن كلدة حريرة^(١) أهديت لأبي بكر ، فقال الحرث : أرفع يدي إن فيها لسمّ سنة ، وأنا وأنت نموت في يوم واحد عند انقضاء سنة^(٢) . وقيل : توفي من لدغة الجريش ليلة الغار . وقيل : كان به طرف من السل قاله الزبير بن بكار ، ومرض خمسة عشر يوماً وكان في داره التي قطع له رسول الله ﷺ وجاء دار عثمان ﷺ ، توفي ﷺ بين المغرب والعشاء من ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو الأشهر^(٣) ، وقال ابن إسحاق : توفي ليلة الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشر من الهجرة وهو الأشهر ، وقيل : توفي في جمادى الأولى حكاها الحاكم ، وقيل : يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليال ، وقيل : عشر ليال ، وقيل : وثمانية أيام ، وقيل : وسبعة عشر يوماً ، استوفى بخلافته سن رسول الله ﷺ ، ولما ولي الخلافة استعمل عمر بن الخطاب على الحج ، ثم حج من قابل ثم أعتمر في رجب سنة اثنتي عشر ، وتوفي أبو بكر قبل أبي قحافة فورث أبو قحافة منه السدس ورده على ولد أبي بكر ، ومات أبو قحافة في المحرم سنة أربع عشر من الهجرة وهو ابن سبع وتسعين سنة^(٤) ، وغسلت أبا بكر ﷺ زوجته أسماء بوصية منه وابنه عبد الرحمن [١٦٨/ب] يصب عليها الماء ، وحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله ﷺ ، وصلى عليه عمر ﷺ وجاء المنبر ، ودفن إلى جنب رسول الله ﷺ بوصية منه ، وألصق لحده بلحد رسول الله ﷺ ، ودخل قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبي بكر^(٥) .

(١) حريرة : طعام يطبخ بالدقيق واللبن .

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي (١٣٧/١) ، والدرة الثمينة (ص ٢٠٦) .

(٣) راجع صفة الصفوة (١٣٩/١) ، والدرة الثمينة (ص ٢٠٧) .

(٤) الدرة الثمينة (٢٠٧) .

(٥) صفة الصفوة (١٣٩/١) ، والدرة الثمينة (ص ٢٠٧) .

ذكر وفاة عمر رضي الله عنه

يروى أنه خرج يطوف بالسوق بعد حجته فلقيه أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غلام للمغيرة بن شعبة وكان نصرانياً ، وقيل : مجوسياً ، أعدا على المغيرة بن شعبة فإن على خراجاً كثيراً ، قال : فكم خراجك ؟ قال : درهمان في كل يوم ، قال : فأيش صناعتك؟ قال : نقاش بخار حداد . قال : فما أرى خراجك كثير على ما تصنع من الأعمال ، ثم قال له : وبلغني أنك قلت : لو أردت أن أعمل رحي يتحدث بها من بين المشرق والمغرب ثم انصرف ، فقال عمر : لقد تواعدني العليج^(١) آنفاً ، ثم أتى عمر منزله فجاءه كعب الأحبار فقال : يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام ، فقال : وما يدريك ؟ فقال : أجد في كتاب الله التوراة ، فقال عمر : الله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ، قال : اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك وإنه قد فني أجلك ، فلما كان من الغد جاءه كعب فقال : يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان ، ثم جاءه بعد ذلك فقال : ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبحها ، فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة ودخل أبو لؤلؤة في الناس في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات ، إحداهن تحت سرتة وهي التي قتلته وسقط عمر ، وظهر العليج لا يمر على أحد يميناً أو شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً [١٦٩/أ] مات منهم سبعة ، وقيل : ستة ، وطرح عليه رجل من المسلمين برنساً واحتضنه من خلفه فنحر العليج نفسه ، وأخذ عمر بيد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فصلى بالناس بقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون ، وحمل عمر إلى منزله ودخل عليه المهاجرون والأنصار يسلمون عليه ، ودخل في الناس كعب فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول :

وواعدني كعب ثلاثاً أعدهما . . . ولاشك أن القول ما قاله كعب

وما بي حذار الموت إني لميت . . . ولكن حذار الذنب يتبعه ذنب

طعن يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد حجة تلك السنة ، وقيل : طعن يوم الاثنين لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وقيل : ثلاث ليال بقين من ذى الحجة ، وبقي ثلاثة أيام بعد الطعنة ثم توفى ، واستأذن عائشة -رضي الله عنها- أن يدفن مع صاحبيه فأذنت له ، وقالوا له : أوصى استخلف ، فقال : ما أجد أحداً أولى ولا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذي توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى عثمان وعلياً والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن بن عوف فهم أهل

(١) العليج : الواحد من كفار العجم .

الشورى ، وتوفى وسنه يومئذ ثلاث وستون سنة ، وقيل : ستون . وقيل : إحدى وستون ، وقيل : ست وستون ، وقيل : خمس وستون ، وقيل : خمس وخمسون ، ونزل قبره عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد ابن أبى وقاص ، وقيل : صهيب وابنه عبد الله ابن عمر عوضاً عن الزبير وسعد ، تولى الخلافة سنة ثلاث عشرة من الهجرة لثمان بقين من جمادى الآخرة وقيل : بويج له فى رجب ، وقيل : فى ذى الحجة من السنة المذكورة فكانت مدة خلافة عشر [١٦٩/ب] سنين وستة أشهر وأربعة أيام^(١) ، ولما دفن عمر رضي الله عنه قالت عائكة ابنة زيد بن عمرو بن عقيل امرأة عمر بن الخطاب ترثيه :

وفجئنى فـيروز لا در دره . . . بأبيض تال للكتاب منيب
رؤوف على الأدنى غليظ على العدا . . . أحن ثقة فى النائبات نجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله . . . سريع إلى الخيرات غير قطوب

وعائكة امرأته تزوجها عبد الله بن أبى بكر فقتل عنها ثم عمر فقتل عنها ثم الزبير فقتل عنها ثم توفيت سنة إحدى وأربعين ، ولما دفن رضي الله عنه لزمته عائشة ثيابها الدرع والخمار والإزار وقالت : إنما كان أبى وزوجى فلما دخل معهما غيرهما لزمته ثيابى ، وابتنت حائطاً بينها وبين القبور وبقيت فى بقية البيت من جهة الشام ، ويروى عنها - رضى الله عنها - أنها رأت فى المنام أنه سقط فى حجرها - وروى فى حجرتها ثلاثة أقمار - فذكرت ذلك لأبى بكر فقال : خيراً . قال يحيى : فسمعت بعد ذلك أن رسول الله ﷺ لما دفن فى بيتها ، قال أبو بكر : هذا أحد أقمارك يا بنية وهو خيرها^(٢) .

قال عفيف الدين المرحانى فى فضائل عمر رضي الله عنه : عن ابن عباس قال : رأيت عمر رضي الله عنه فى المنام بعد وفاته فقلت له : يا أمير المؤمنين من أين أقبلت ؟ قال : من حضرة ربى - عز وجل - ، فسألته ماذا فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه فسألنى ثم قال : يا عمر تناديك امرأة على شاطئ الفرات فأهلك من شاة تقول : واعمرها واعمرها تستغيث بك فلا تجيبها . فقلت : وعزتك وجلالك ما علمت بذلك وأنت أعلم منى ، فقال لى : وقد كان يجب عليك ، وإنى أرعد من تلك المسألة إلى هذا [١٧٠/أ] الوقت ، قال ابن عباس : ثم ماذا قال ؟ قال : رددت إلى مضجعى فهبط على منكر ونكير فقالا لى : من ربك ؟ ومن نبيك ؟ فقلت لهما : أما تستحيان منى ولئلى تقولان هذا وجذبتهما إلى ، وقلت : الله ربى وضجعى نبي وأنتما من ربكما ؟ فقال نكير لمنكر : والله يا أخى ما

(١) راجع صفة الصفوة (١٥٠/١) ، والدرة الثمينة (ص ٢٠٨ - ٢١٠) .

(٢) راجع الدرّة الثمينة (ص ٢١٠ ، ٢١١) .

ندرى نحن المبعوثون إلى عمر أم عمر المبعوث إلينا ، فرجع رسول الله ﷺ رأسه من لحده فقال لهما : «هو عمر بن الخطاب هو أعرف بربه منكما» .

ما جاء أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر - رضى الله عنهما - وعيسى - عليه السلام - خلقوا من طينة واحدة وأن كل مخلوق يدفن فى تربته التى خلق منها

عن أنس بن يحيى قال : لقي رسول الله ﷺ جنازة فى بعض سكك المدينة فسأل عنها فقالوا : فلان الحبشى فقال رسول الله ﷺ : «سيق من أرضه وسماه إلى التربة التى خلق منها»^(١). قال الحافظ محب الدين بن النجار : فعلى هذا طينة النبي ﷺ التى خلق منها من المدينة ، وطينة أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - من طينة النبي ﷺ وهذه منزلة رفيعة^(٢). وفى قوله تعالى : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾^(٣). إشارة إلى رد الإنسان إلى طينة المبدأ التى منها النشأة الأولى ، فالإنسان يدفن فى مكان أخذ تربته على حد الموازنة ، فلا يقال لأهل البقيع إنهم من تربة النبي ﷺ وإنما لهم شركة فى الأرض المأخوذ منها ، دليله ما روى عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مولود إلا وفى سرته من تربته التى يخلق منها ، فإذا [١٧٠/ب] رد إلى أرذل العمر رد إلى تربته التى خلق منها حتى يدفن فيها ، وإنى وأبا بكر وعمر خلقنا من تربة واحدة وفيها ندفن». انتهى . ومن دفن منه جزء بأرض ودفن جزء آخر بأرض أخرى يمكن أن يقال خلق من تربتين من أرضين ، وقيل : لا يمكن وليست تربته إلا ما حازت عجب الذنب منه ؛ لأنها فيما يظهر تربة حفرته بدليل بقائها ومنها ينبت فى النشأة الثانية كذا ذكره عفيف الدين المرجاني .

قال أهل السير : وفى بيت عائشة - رضى الله عنها - موضع قبر فى السهوة الشرقية ، قال سعيد بن المسيّب : فيه يدفن عيسى ابن مريم - عليه السلام - مع النبي ﷺ وعن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال : يدفن عيسى ابن مريم مع النبي ﷺ وصاحبيه - رضى الله عنهما - ، ويكون قبره الرابع^(٤) فعلى هذا فطينته من طينتهم . وعن أبى هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أهبط الله المسيح فيعيش

(١) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ٢١١) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ٢١١) .

(٣) سورة طه : الآية (٥٥) .

(٤) الدرة الثمينة (٢١١) .

فى هذه الأمة ما يعيش فيموت بمدينتى هذه ، ويدفن إلى جانب قبر عمر ، فطوبى لأبى بكر وعمر يحشران بين نبيين» فانظر إلى هذا الفضل العظيم وعن هارون بن موسى العروى^(١). قال : سمعت جدى أبا علقمة سئل كيف كان الناس يسلمون على النبى ﷺ قبل أن يدخل البيت فى المسجد ؟ فقال : كان يقف الناس عند باب البيت يسلمون عليه ، وكان الباب ليس عليه غلق حتى هلكت عائشة - رضى الله عنها - وقيل : كان الناس يأخذون من تراب قبر النبى ﷺ فأمرت عائشة - رضى الله عنها - بحداد فضرب عليهم^(٢). ويروى أن امرأة قالت لعائشة: اكشفى^(٣) [١٧١/أ] لى قبر رسول الله ﷺ فكشفتها لها فبكت حتى ماتت .

ما جاء فى صفة وضع القبور المقدسة وصفة الحجرة الشريفة

سبب الاختلاف فى ذلك شدة هيبة تلحق الناظر فتزيل منه كيفية التمييز ، كما سئل بعض من نزل الحجرة المقدسة لسبب يأتى فقال : لا أدرى ما رأيت .
عن عمر بن بطاس^(٤) قال : رأيت قبر النبى ﷺ لما هدم عمر بن عبد العزيز عنه البيت مرتفعاً نحواً من أربع أصابع عليه حصباء إلى الحمرة ما هى^(٥) ، ورأيت قبر أبى بكر ﷺ وراء قبر النبى ﷺ ، ورأيت قبر عمر أسفل منه ، وهذه صفته^(٦) :
قبر النبى ﷺ

قبر أبى بكر ﷺ

قبر عمر بن الخطاب ﷺ

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : رأس النبى ﷺ مما يلى المغرب ، ورأس أبى بكر عند رجل النبى ﷺ ، وعمر خلف ظهر النبى ﷺ وهذه صفته^(٧) :

(١) فى الدرة الثمينة : «العروى» .

(٢) الدرة الثمينة (ص ٢١١) .

(٣) جاءت فى الأصل مكررة .

(٤) فى الدرة الثمينة : «عثمان بن نطاس» .

(٥) فى الدرة الثمينة : «مائلة» ، وهى الصواب ، والله أعلم .

(٦) الدرة الثمينة (ص ٢١٢) .

(٧) الدرة الثمينة (ص ٢١٢) .

قبر النبي ﷺ

أبو بكر ﷺ

عمر ﷺ

وعن نافع بن أبي نعيم : أن صفة قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر وعمر - رضی الله عنهما - قبر النبي ﷺ أمامهما إلى القبلة مقدماً ، ثم قبر أبي بكر حذاء منكبى رسول الله ﷺ ، وقبر عمر حذاء منكبى أبي بكر - رضی الله عنهما - وهذه صفته^(١) [١٧١/ب] :

قبر النبي ﷺ

قبر أبو بكر ﷺ

قبر عمر ﷺ

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ قال : دخلت على عائشة - رضی الله عنها - فقلت : يا أمه أريني قبر النبي ﷺ وصاحبيه - رضی الله عنهما - فكشفت لي عن قبورهم فإذا هي لا مرتفعة ولا لاطفة مبطوحة بيضاء^(٢) حمراء من بطحاء العرصة ، وإذا قبر النبي ﷺ أمامها ، [و] ^(٣) رجلا أبي بكر عند رأس النبي ﷺ ، ورأس عمر عند رجلى النبي ﷺ ، وهذه صفته^(٤) :

النبي ﷺ

عمر ﷺ

أبو بكر ﷺ

وروى ابن المنكدر بن محمد عن أبيه قال : قبر رسول الله ﷺ ، وقبر أبي بكر خلفه ، وقبر عمر عند رجل النبي ﷺ ، وهذه صفته^(٥) :

النبي ﷺ

أبو بكر ﷺ عمر ﷺ [١٧٢/أ]

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل قال : خرجت في ليلة مطيرة إلى المسجد حتى إذا كنت عند دار المغيرة بن شعبة لقيتني رائحة والله ما وجدت مثلها قط ، فجئت المسجد

(١) الدرة الثمينة (ص ٢١٢) .

(٢) هكذا في الأصل ، وفي البداية والنهاية : «بيطحاء» .

(٣) ليست في الأصل ، والسياق يقتضى وضعها . والله أعلم .

(٤) راجع البداية والنهاية وقد عزاه إلى أبي داود والحاكم والبيهقي (٢٥٨/٥) ، والدرة الثمينة

(ص ٢١٣) .

(٥) الدرة الثمينة (ص ٢١٣) .

فبدأت لقبر النبي ﷺ فإذا جداره قد انهدم ، فدخلت فسلمت على النبي ﷺ ومكنت فيه ملياً ، ورأيت القبور فإذا قبر رسول الله ﷺ وقبر أبي بكر عند رجليه ، وقبر عمر عند رجلي أبي بكر - رضی الله عنهما - ، وهذه صفته (١) :

النبي ﷺ

أبو بكر ﷺ

عمر ﷺ

وعلى هذه الصفة المذكورة روى عن عبد الله بن الزبير أيضاً ، وقد اختلفت الرواية في قبره ﷺ هل هو مسنم أو مسطح ؟ فروى الوصفان جميعاً (٢) ، والمسنم المرتفع ، وكذلك اختلفوا في قبر ضجيعيه - رضی الله عنهما - .

قال الحافظ محب الدين : وسقط جدار حجرة النبي ﷺ الذي يلي موضع الجنائز في زمان عمر بن عبد العزيز ﷺ ، فظهرت القبور فأمر عمر بن عبد العزيز بقساطي فخيطة ثم ستر الموضع ، وأمر ابن وردان أن يكشف عن الأساس فيبينما هو يكشفه إذ رفع يده وتنحى ، فقام عمر بن عبد العزيز فزعا فرأى قدمين ورأى الأساس وعليها السعد (٣) ، فقال له عبد الله بن عبد الله بن عمر ﷺ : أيها الأمير لا يروعك فهما قدما جدك عمر بن الخطاب ضاق البيت عنه ، فحفر له في الأساس ، فقال له [١٧٢/ب] ابن وردان : غط ما رأيت ففعل (٤) .

وعن هشام بن عوف (٥) عن أبيه قال : لما سقط الحائط في زمن الوليد أخذوا في بنيانه ، فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي ﷺ حتى قال لهم عروة : لا والله ما هي قدم النبي ﷺ ، ما هي إلا قدم عمر (٦) . وأمر عمر بن عبد العزيز أبا حفصة مولى عائشة - رضی الله عنها - وناساً معه فبنوا الجدار وجعلوا فيه كوة فلما فرغوا منه وربعوه (٧) ، دخل مزاحم مولى عمر ﷺ فقم ما سقط على القبر من التراب والطين ونزع

(١) الدرة الثمينة (ص ٢١٣) .

(٢) راجع مثير الغرام (ص ٤٨٤) ، والبداية والنهاية (٢٥٨/٥) ، وفتح الباري (٢٥٥/٣) .

(٣) هكذا في الأصل ، وفي الدرة الثمينة : «وعليها الشعر» . والله أعلم .

(٤) الدرة الثمينة (ص ٢١٤) .

(٥) هكذا في الأصل ، والصواب : «هشام عن عروة» . والله أعلم .

(٦) البداية والنهاية (٢٥٨/٥) ، وعزاه للبخاري ، والدرة الثمينة (ص ٢١٤) .

(٧) هكذا في الأصل ، وفي الدرة الثمينة : «ورفعوه» .

القباطي^(١). قال الحافظ محب الدين : وبني عمر بن عبد العزيز على حجرة النبي ﷺ حائطاً ولم يوصله إلى السقف بل دونه بمقدار أربعة أذرع وأدار عليها شباكاً من خشب^(٢). قال الشيخ جمال الدين : وبعد احتراق المسجد أعيد الشباك كما كان أولاً ، وهو يظهر اليوم لمن تأمله من تحت الكسوة ، وأدخل عمر بن عبد العزيز بعض بيت فاطمة - رضى الله عنها - من جهة الشمال فى الحائز الذى بناه بحرفاء يلتقى على ركن واحد كما سنبينه ، فصار لها ركن خامس ؛ لئلا تكون الحجرة الشريفة مربعة كالكعبة ، فتتصور جهال العامة أن الصلاة إليها كالصلاة إلى الكعبة ، وبقي بقية من البيت من جهة الشمال وفيه اليوم صندوق مربع من خشب فيه إسطوان وخلفه محراب^(٣).

قال الحافظ محب الدين : لما ولى المتوكل الخلافة أمر إسحاق بن سلمة وكان على عمارة الحرمين من قبله بأن توزر الحجرة المقدسة بالرخام من حولها ففعل ، ولم يزل إلى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فى خلافة / [١٧٣/أ] المقتضى ، فجدد تأزيدها جمال الدين الأصبهاني وجعل الرخام حولها قامة وبسطة ، وهو الذى عمل الشباك الدائر بالحجرة المقدسة اللاصق بالسقف وهو الذى احترق وكان من خشب الصندوق^(٤) والأبنوس مكتوباً بأقطع الخشب الأراونك سورة الإخلاص صنعة بديعة ، ولم تزل حتى عمل لها الحسين بن أبى الهيجاء صهر الملك الصالح ستارة ، وعليها الطرز والجمامات المرقومة بالإبريسم ، وأدار عليها إزاراً من الإبريسم مكتوباً فيه سورة يس فعلقها نحو العامين ، ثم جاءت من الخليفة ستارة فنفذت تلك المتقدمة إلى مشهد على بالكوفة وعلقت هذه عوضها ، فلما ولى الإمام الناصر لدين الله نفذ ستارة أخرى فعلمت فوق تلك المذكورة ، فلما حججت الخليفة^(٥) أم الخليفة وعادت [إلى]^(٦) العراق نفذت ستارة فعلمت على الستارتين^(٧) قال ابن النجار : ففى يومنا هذا عليها ثلاث ستائر ، ثم قال - رحمه الله - : واليوم فى رصف سقف المسجد الذى بين الحجرة والقبلة نُفِّ وأربعون قنديلاً كبيراً وصغاراً من الفضة المنقوشة

(١) الدرة الثمينة (ص ٢١٤) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ٢١٤) .

(٣) التعريف بما آنتست الهجرة (ص ٤٦) .

(٤) هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : «الصندل» .

(٥) فى الدرة : «الجهمة» .

(٦) ليست فى الأصل ، والسياق يقتضى وضعها . والله أعلم .

(٧) الدرة الثمينة (ص ٢١٤ ، ٢١٥) .

والسادج ، وفيها اثنان بلور وواحد ذهب وفيها قمر^(١) فضة مغموس فى الذهب نفذتها الملوك وأرباب الأموال^(٢). قال المرجانى : وهى إلى الآن باقية .

قال المطرى : ولم يكن على الحجرة الشريفة قبة ، بل كان ما حول حجرة النبى ﷺ حصيراً فى السطح مبنياً بالآجر مقدار نصف قامة ، يميز الحجرة عن السطح إلى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة فى دولة السلطان الملك المنصور قلاوون عمل هذه القبة ، وهى أخشاب أقيمت وسمر عليها ألواح خشب ثم ألواح رصاص ، وعمل [١٧٣/ب] مكان الحصر شباكاً من خشب وتحت بين السقفين أيضاً شباكاً خشب تحكيه ، وفى سقف الحجرة الشريفة بين السقفين ألواح خشب سمر بعضها إلى بعض ، وسمر عليها ثوب مشمع ، وهناك طابق مقفل إذا فتح كان النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبى ﷺ وبين الحائز الذى بناه عمر بن عبد العزيز^(٣) ، قال : وكما حج السلطان الملك الظاهر فى سنة سبع وستين وستمائة اقتضى رأيهُ أن يدير على الحجرة الشريفة درابزيناً ، فقام ما حولها بيده وعمل الدرابزين الموجود اليوم ، وأرسله فى سنة ثمان وستين وأداره عليها ، وفيه ثلاثة أبواب قبلى وشرقى وغربى ، ونصبه ما بين الأساطين التى تلى الحجرة الشريفة إلا من ناحية الشمال ، فإنه زاد فيه إلى متعهد النبى ﷺ ، وظن ذلك زيادة حرمة للحجرة المقدسة ، فحجر طائفة من الروضة مما يلى بيت النبى ﷺ فلو كان ما حجره عكس ، وجعل من الناحية الشرقية وألصق الدرابزين بالحجرة مما يلى الروضة لكان أخف ؛ إذ الناحية فيه ليست من الروضة ولا من المسجد القديم ، بل مما زيد فى أيام الوليد^(٤) ، ثم قال : ولم يبلغنى أن أحداً أنكر ذلك ولا ألقى إليه بالاً ، وهذا من أهم ما ينظر فيه ، وكان الدرابزين الذى عمل الملك الظاهر نحو القامتين ، فلما كان فى تاريخ سنة أربع وتسعين وستمائة زاد عليه الملك العادل زين الدين كتبغا شباكاً دائراً عليه ورفع حتى أوصله السقف^(٥) ، قال رحمه الله : وما أحدث فى صحن المسجد الشريف قبة كبيرة عمرها الإمام الناصر [١٧٤/أ] لدين الله فى سنة سبعين وخمسائة ؛ لحفظ حواصل الحرم وذخائره ، مثل المصحف العثمانى ، ولما احترق المسجد سلم ما فيها ببركة المصحف

(١) فى الدرة : «قصر» .

(٢) الدرة الثمينة (٢١٥) .

(٣) التعريف بما أنست به المحجرة (ص ٤٧) .

(٤) التعريف بما أنست به المحجرة (ص ٤٧) .

(٥) التعريف بما أنست به المحجرة (ص ٤٧) .

الكريم ، ولكونها في وسط المسجد ، وما أحدث أيضاً في الصخرة من جهة القبلة رواقان أمر بإنشائهما السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، فاتصل ظل السقف القبلي بهما وعم نفعهما ، وهما المقوس أعلاهما وأزيلت المقصورة التي كانت تظل الحجرة الشريفة للاستغناء عنها بهما . وكان المتسبب في إزالتها إمام المدينة الشريفة شرف الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد الأسيوطي ، وذلك لأنها كانت يجتمع فيها أهل البدع وكانت لهم كالمجتهد فاجتهد في إزالتها وهدمها ليلاً وأدخلها في الحجرة الشريفة ، فتربعت الحجرة الشريفة وذلك في أواخر سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، توفي - رحمه الله - يوم الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وهذه صفة^(١) مثال الحائز الذي بناه عمر بن عبد العزيز وصفة حجرة النبي ﷺ في وسطه^(٢) .

[١٧٤/ب] .

قال الحافظ محب الدين : واعلم أن في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة سمعوا صوت هدة في الحجرة المقدسة ، وكان الأمير يومئذ قاسم بن مهنا الحسيني فأخبروه بالحال فقال: ينبغي أن ينزل شخص لينظر ما هذه الهدية ، فلم يجدوا أمثلاً حالاً من الشيخ عمر النشائي شيخ شيوخ الصوفية بالموصل ، فاعتذر لمرض كان به يحتاج إلى الوضوء في غالب الأوقات ، فألزموه فامتنع من الأكل والشرب مدة ، وسأل النبي ﷺ إمساك المرض عنه بقدر ما يبصر ويخرج ، ونزل بحبال من بين السقفين ومعه شمعة ، ودخل إلى الحجرة فرأى شيئاً من السقف قد وقع على القبور المقدسة فأزاله وكس التراب بلحيته ، وأمسك الله عنه الداء بقدر ما خرج وعاد إليه ، توفي الشيخ عمر بمكة بعد نزوله بتسع سنين في سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وكذلك أيضاً في سنة أربع وخمسين وخمسمائة في أيام قاسم المذكور وجد في الحجرة الشريفة رائحة منكرة ، فذكروه للأمير فأمرهم بالنزول ، فنزل الطواشي بيان الأسود أحد خدام الحجرة الشريفة ، ونزل معه الصفي الموصلي متولى عمارة المسجد ، وهارون الشاذي الصوفي بعد أن بذل جملة من المال للأمير في ذلك ، فوجدوا هراً قد هبط من الشباك الذي في أعلى الحائز^(٣) بين الحائز وبين بيت النبي ﷺ فأخرجوه وطيبوا مكانه ، وكان نزولهم يوم السبت الحادي عشر من ربيع الآخرة^(٤) .

(١) هذا الوصف غير واضح بالأصل .

(٢) التعريف بما آمنت به المحجرة (ص ٤٨) .

(٣) في الدرة الثمينة : «سأل الله تعالى» ، وهو الصواب . والله أعلم .

(٤) في الدرة : «الحائز بين الحجرة والمسجد» .

(٥) الدرة الثمينة (ص ٢١٧) .

الفصل التاسع

فى حكم زيارة رسول الله ﷺ وفضلها وكيفيتها وكيفية
زيارة ضجيعيه - رضى الله عنهما - وكيفية السلام عليه
ﷺ حال الزيارة / [١٧٥/أ] والسلام على ضجيعيه والتوسل
به إلى الله عز وجل وإثبات حياته وبقاء حرمة ﷺ بعد وفاته
وذكر ما روى فى الحجرة الشريفة من العجائب وشوهد
فيها من الغرائب

ذكر حكم زيارة النبي ﷺ وفضلها

إذا انصرف الحجاج والمعتمرون عن مكة المشرفة يستحب لهم استحباباً مؤكداً أن يتوجهوا إلى مدينة سيدنا رسول الله ﷺ ؛ للفوز بزيارته ، فإنها من أعظم القربات وأرجى الطاعات والحج المتاعى ، «وفى شرح المختار»^(١) : لما جرى الرسم أن الحاج إذا فرغوا من مناسكهم وقفلوا عن المسجد الحرام قصدوا المدينة زائرين قبر النبي ﷺ ، إذ هي من أفضل المندوبات والمستحبات ، بل تقرب من درجة الواجب ، فإنه ﷺ حرض عليها وبالع في الندب إليها ، أحببت أن أذكر فيها فصلاً أذكر فيه نبذاً من الآداب وذكرها .

وفى مناسك الفارسي : أنها قريبة إلى الواجب في حق من كان له سعة . وممن صرح باستحبابها وكونها سنة من الشافعية في أواخر باب أعمال الحج الغزالي في «الإحياء»^(٢) والبغوي في «التهذيب» والشيخ عز الدين بن عبد السلام في «مناسكه» ، وأبو عمرو بن الصلاح وأبو زكريا النووي^(٣) - رحمهم الله تعالى - ، ومن الحنابلة الشيخ موفق الدين والإمام أبو الفرج البغدادى وغيرهم ، وأما المالكية فقد حكى القاضى عياض منهم الإجماع على ذلك ، وفى «تهذيب الطالبين» لعبد الحق عن الشيخ ابن عمران المالكي : أن زيارة قبر النبي ﷺ واجبة ، قال عبد الحق : يعنى من السنن الواجبة ، وفى كلام العبدى المالكي فى «شرح الرسالة» : أن [١٧٥/ب] المشى إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس . وأكثر عبارات الفقهاء أصحاب المذاهب تقتضى استحباب السفر للزيارة ؛ لأنهم استحبوا للحاج بعد الفراغ من الحج الزيارة ومن ضرورتها السفر وأما نفس الزيارة فالأدلة عليها كثيرة ومنها : قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾^(٤) . الآية . ولاشك أنه ﷺ حى وأن أعمال أمته معروضة عليه . ومنها : حديث ابن عمر المذكور فى باب الفضائل يرفعه : «من زار قبرى وجبت له شفاعتى»^(٥) . رواه الدارقطنى وابن أبى الدنيا وابن خزيمة والبيهقى فى «الشعب» . وفى لفظ : «من جاءنى زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتى كان

(١) الاختيار فى تعليل المختار (٢٢٦/١) .

(٢) الإحياء (٣٠٨/١) .

(٣) راجع الإيضاح فى مناسك الحج (ص ١٥٦) .

(٤) سورة النساء : الآية (٦٤) .

(٥) أخرجه الدارقطنى : سننه (٢١٧/٢) ، ومثير الغرام (ص ٤٨٦) ، وابن النجار بسنده : الدرّة

الشمينة (ص ٢٢١) . ورمز له السيوطى بالضعف .

حقاً على أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»^(١). كذا في الخلعيات ، وعند أبي يعلى الموصلي بلفظ : «من زارني بعد وفاتي عند قبري فكأنما زارني في حياتي»^(٢). وفي لفظ الدارطني : «كان كمن زارني في حياتي وصحبي»^(٣). وفي لفظ : «من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جوارى يوم القيامة»^(٤). ذكره البيهقي وابن الجوزي وغيرهما. وعند ابن عدى عن ابن عمر يرفعه : «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»^(٥). وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وهو غير جيد ، لأن ابن عدى لما رواه بين سنده وحكم بأنه جيد ، والدارقطني لما رواه في «غريب مالك» قال : تفرد به هذا الشيخ - يعني النعمان بن سبل - وهو منكر ، ولا يلزم من هذا أن يكون المتن منكراً ، وفي البيهقي في «السنن الكبير» وفي الثاني من فوائد الحافظ أبي الفتح الأزدي عن ابن مسعود يرفعه : «من حج [١٧٦/أ] حجة الإسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى على من بيت المقدس لم يسأله الله تعالى فيما افترض عليه». وفي «الدرة الثمينة» لابن النجار عن أنس يرفعه : «ما من أحد من أمتي له منعة لم يزرني فليس له عذر»^(٦). وقد تقدم في باب الفضائل الأحاديث الواردة في فضل زيارة القبر المقدس قوله في الحديث : «وجبت له شفاعتي» معناه حققت وثبتت ولزمت وإنه لا بد منها بوعده ﷺ تفضلاً منه .

قال الشيخ تقي الدين السبكي وقوله : «وجبت له» إما أن يكون المراد له بخصوصية بمعنى أن الزائر ينحصر بشفاعة لا تحصل لغيرهم عمومًا ولا خصوصًا ، وإما أن يكون المراد أنهم يفردون بشفاعة مما يحصل لغيرهم ويكون أفرادهم بذلك تشریفًا وتنويهاً بسبب الزيارة ، وإما أن يكون المراد أنه ببركة الزيارة يجب دخوله في عموم من تناله الشفاعة ، وفائدة ذلك البشري بأنه يموت مسلمًا وعلى هذا التقدير الثالث يجب إحراء اللفظ على عمومته ؛ لأننا لو أضمرنا فيه شرطاً لو مات على الإسلام لم يكن لذكر الزيارة معنى ؛

(١) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ٢٢١) .

(٢) أخرجه البيهقي (٢٤٦/٥) ، والدارقطني (٢١٧/٢) ، ومثير الغرام (ص ٤٨٦) ، وابن النجار في الدرة الثمينة (ص ٢٢١) . وقال البيهقي : تفرد به حفص بن سليمان وهو ضعيف .

(٣) أورده ابن النجار بسنده عن ابن عمر : الدرة الثمينة (ص ٢٢١) .

(٤) البيهقي في الشعب ح (٤١٥٧) ، وتنزيه الشريعة (١٧٦/٢) ، ومثير الغرام (ص ٤٨٧) . بلفظ : «كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة» .

(٥) أخرجه الدارقطني (٢١٧/٢) ، وابن النجار : الدرة الثمينة (ص ٢٢١) .

(٦) الدرة الثمينة (ص ٢٢١) .

لأن الإسلام وجه كاف في نيل هذه الشفاعة وعلى التقديرين الأولين يصح هذا الإضمار ، فالحاصل أن أثر الزيارة إما الوفاة على الإسلام مطلقاً لكل زائره وكفى بها نعمة ، وإما شفاعة خاصة بالزائر أخص من الشفاعة العامة . وقوله : شفاعتى فى الإضافة إليه تشريف لها فإن الملائكة والأنبياء والمؤمنين يشفعون والزائر لقبره ﷺ له نسبة خاصة منه يشفع فيه / [١٧٦/ب] هو بنفسه والشفاعة تعظم بعظم الشافع فكما أن النبى ﷺ أفضل من غيره كذلك شفاعته أفضل من شفاعة غيره . انتهى كلام السبكي .

ومنها : أن نبينا ﷺ أحياه الله بعد موته حياة تامة واستمرت تلك الحياة إلى الآن ، وهى مستمرة إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى ، ويشاركه فى ذلك جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والدليل على ذلك أمور أحدها : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ^(١) . والشهادة حاصلة له ﷺ على أتم الوجوه ؛ لأنه شهيد الشهداء ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ^(٢) . وإن توهم أن ذلك من خصائص القتل ، فقد حصل له ذلك أيضاً من أكلة خبير ، صرح ابن عباس وابن مسعود وغيرهما بأنه ﷺ مات شهيداً . ثانيها : حديث أنس يرفعه : «الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون» ^(٣) . وفى لفظ عند البيهقى : «الأنبياء لا يتركون فى قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدى الله عز وجل حتى ينفخ فى الصور» . ثالثها : حديث أنس عند مسلم : «أتيت على موسى ليلة أسرى بى وهو قائم يصلى فى قبره» ^(٤) . رابعها : حديث الإسراء ورؤيته الأنبياء وذكره لكل أحد أنه على صورة كذا وبهيئة كذا ومستند إلى البيت المعمور ، وأمثال ذلك دلائل قاطعة على أنهم أحياء بأجسادهم . خامسها : حديث أوس بن أوس «إن الله حرم على الأرض أن / [١٧٧/أ] تأكل أجساد الأنبياء» ^(٥) . وفيه دليل واضح وقد ذهب إلى ما ذكرنا دليله وأوضحنا حجته جماعة من أهل العلم وصرحوا به ، منهم الإمام البيهقى والأستاذ أبو

(١) سورة آل عمران : الآية (١٦٩) .

(٢) سورة البقرة : الآية : (١٤٣) .

(٣) أخرجه أبو يعلى فى مسنده ، ورمز له السيوطى بالحسن .

(٤) مسلم : كتاب الفضائل - باب فضائل موسى ح (٢٣٧٥) .

(٥) أخرجه أبو داود : كتاب الجمعة ح (١٠٤٧) ، والنسائى : فى كتاب الجمعة (٩١/٣ - ٩٢) ،

وابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة ح (١٠٨٥) . وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ، وحسنه المنذرى

وابن حجر .

القاسم القشيري وأبو حاتم بن حبان وأبو طاهر الحسين بن علي الأردستاني ، وصرح به أبو عمرو بن الصلاح ومحيي الدين النووي والحافظ محب الدين الطبري وغيرهم .

وأما حديث : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»^(١) . فلا دلالة فيه على النهي عن الزيارة ، بل هو حجة في ذلك ، ومن جعله دليلاً على حرمة الزيارة فقد أعظم الجحالة على الله وعلى رسوله ، وفيه برهان قاطع على غباوة قائله ، وقصوره عن ذوق صافي العلم ، وقصوره عن نيل درجة كيفية الاستنباط والاستدلال ، والحديث فيه دليل على استحباب الزيارة من وجهين ؛ الأول : أن موضع قبره الشريف أفضل بقاع الأرض ، وهو ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم على الله تعالى ؛ لأنه لم يقسم بحياة أحد غيره ، وأخذ الميثاق من الأنبياء بالإيمان به وبنصره ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ.. ﴾^(٢) الآية . وشرفه بفضل على سائر المرسلين وكرمه ؛ بأن ختم به النبيين ورفع درجته في عليين ، فإذا تقرر أنه أفضل المخلوقين وأن تربته أفضل بقاع الأرض ، استحسب شد الرحال إليه وإلى تربته بطريق الأولى . الوجه الثاني : أنه استحسب شد الرحال إلى مسجد المدينة ، ولا يتصور من المؤمنين المخلصين انفكاك قصده عنه ﷺ [١٧٧/ب] ، وكيف يتصور أن المؤمن المعظم قدر النبي ﷺ يدخل مسجده ويشاهد حجرته ويتحقق أنه يسمع كلامه ثم بعد ذلك يسعه أن لا يقصد الحجرة والقبر ، ويسلم على رسول الله ﷺ ، هذا مما لا يخفى فيه على أحد ، وكذلك لو قصد زيارة قبره لم ينفك قصده عن قصده المسجد ، ومن الدليل على الزيارة الأحاديث الكثيرة الصحيحة في فضل زيارة الإخوان في الله ، فزيارة النبي ﷺ أولى وأولى . ومنها : أن حرمة ﷺ واجبة حيا وميتا ، ولا شك أن الهجرة إليه كانت في حياته من أهم الأشياء فكذا بعد موته . ومنها : الأحاديث الدالة على استحباب زيارة القبور ، وهذا في حق الرجال مجتمع عليه ، وفي حق النساء فيه خلاف ، هذا في غير قبر النبي ﷺ ؛ وأما زيارة قبره ﷺ فالإجماع على استحبابها للرجال والنساء . ومنها : أن الإجماع على جواز شد الرحال للتجارة وتحصيل المصالح الدنيوية فهذا أولى ؛ لأنه من أعظم المصالح الأخروية . ومنها : إجماع الناس العملي على زيارته ﷺ وشد الرحال إليه بعد الحج ، من بعد وفاته إلى زماننا هذا . ومنها : الإجماع القولي . قال

(١) تقدم تخريج .

(٢) سورة آل عمران : الآية (٨١) .

القاضي عياض : زيارة قبره ﷺ سنة من المسلمين مجمع عليها^(١) .

وأما الآثار فكثيرة جداً ، عن يزيد المهدي قال : لما ودعت عمر بن عبد العزيز قال :
إنى لى إليك حاجة . قلت : يا أمير المؤمنين كيف ترى حاجتك عندي ؟ قال : إنى أراك
إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي ﷺ فأقرمه منى السلام . [١٧٨/أ] وعن حاتم بن وردان
قال : كان عمر بن عبد العزيز يوجه البريد قاصداً من الشام إلى المدينة ؛ ليقرى عنه النبي
ﷺ السلام . وفى باب الحج من فتاوى الفقيه أبى الليث قال أبو القاسم : لما أردت
الخروج إلى مكة قال القاسم بن غسان : إن لى إليك حاجة إذا أتيت قبر النبي ﷺ فأقرمه
منى السلام . فلما وضعت رجلى فى مسجد المدينة ذكرت ذلك . قال الفقيه أبو الليث :
فيه دليل أن من لم يقدر على الخروج فأمر غيره ليسلم عنه فإنه ينال فضل السلام إن
شاء الله تعالى . انتهى . وفى مسند الدارمى : أنه لما كان أيام الحرة لم يؤذن فى مسجد
النبي ﷺ ثلاثاً ولم يقيم ولم يبرح سعيد بن المسيب فى المسجد ، وكان لا يعرف وقت
الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ . وعن أم الدرداء قالت : لما رحل عمر بن
الخطاب رضي الله عنه من فتح بيت المقدس فصار إلى الخابية ، فسأله بلال أن يقره بالشام ففعل
ذلك ، فقال : وأخى أبو رويحة - يعنى عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى - الذى أخى
بينى وبينه رسول الله ﷺ ، فنزل دارنا فى خولان فأقبل هو وأخوه إلى قوم من خولان ،
فقال لهم : إنا قد أتيناكم خاطبين ، وقد كنا كافرين فهدانا الله تعالى ، ومملوكين
فأعتقنا الله تعالى ، وفقيرين فأغنانا الله تعالى ، فإن تزوجونا فالحمد لله تعالى ، وإن
تردونا فلا حول ولا قوة إلا بالله ، فزوجوهما ، ثم إن بلالاً رأى فى منامه النبي ﷺ وهو
يقول : ما هذه الجفوة يا بلال [١٧٨/ب] أما أن لك أن تزورنى . فانتبه بلال حزيناً
وجلاً خائفاً ، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكى عنده ويمرغ
وجهه عليه ، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما ، فقالا له : يا بلال نشتهى
نسمع أذانك الذى كنت تؤذن لرسول الله ﷺ فى المسجد ففعل ، فعلا سطح المسجد
فوقف موقفه الذى كان يقف فيه ، فلما قال : الله أكبر الله أكبر ارتجت المدينة ، فلما
قال أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها ، فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله
خرجت العواتق من خدورهن ، وقالوا : بعث رسول الله ﷺ فما روى يوم أكثر باكيةً
ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك ، ذكره ابن عساكر فى ترجمة بلال . وليس
الاعتماد فى الاستدلال بهذا الحديث على رؤيا المنام فقط ، بل على فعل بلال وهو

(١) راجع الشفاء (٧٤/٢) .

صحابي لاسيما في خلافة عمر رضي الله عنه، والصحابة متوافرون ولا تخفى عنهم هذه القصة ، فسفر بلال في زمن صدر الصحابة لم يكن إلا للزيارة والسلام على النبي ﷺ ، وكذلك إيراد عمر بن عبد العزيز البريد من الشام في زمن صدر التابعين فلا يقل من لاعلم له : إن السفر لمجرد الزيارة ليس بسنة . وأنشد بعضهم :

تمام الحج أن تقف المطايا . . . على ليلى وتقرئها السلاما

«وفي الواقعات» : الأحسن بالحاج أن يبدأ بمكة فإذا قضى نسكه بمكة أتى المدينة ؛ لأن الحج فرض والزيارة سنة ، ولو كان الحج غير حجة الإسلام يبدأ بأيهما شاء ، ولو بدأ بالمدينة في الوجه / [١٧٩] الأول جاز ، وإذا نوى زيارة قبر النبي ﷺ فلينبو مع ذلك زيارة مسجده ؛ لأنه أحد المساجد الثلاثة .

وأما كيفية زيارته ﷺ وزيارة ضجيعيه رضى الله عنهما

فإذا توجه إلى زيارة قبره الشريف ﷺ أكثر من الصلاة والتسليم على سيدنا محمد البشير النذير ﷺ في طريقه ، وينبغي أن ينبغ بالبطحاء التى بذى الحليفة وهى المعرس ويصلى بها ؛ تأسيا بسيدنا رسول الله ﷺ وكان ابن عمر -رضى الله عنهما- شديد الحرص على ذلك ، ويروى عن نافع أنه انقطع عن ابن عمر حتى سبقه إلى المعرس ثم جاء إليه فقال له : ما حبسك عنى ، فأخبره فقال : إني ظننت أنك أخذت الطريق الأخرى ولو فعلت لأوجعتك ضرباً .

وليزد في الصلاة والسلام عليه ﷺ إذا وقع بصره على معاهد المدينة وحرماها ونخيلها وآبارها ، وكلما قرب من المدينة وعمرانها زاد من الصلاة والتسليم، وسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته في الدنيا والآخرة ويستشعر^(١) تعظيم عرساتها ويتخيل منازلها ورحباتها فإنها المواطن التى عمرت بالوحى والتنزيل ، وكثر فيها تردد أبى الفتوح جبريل وأبى الغنائم ميكائيل ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ، وانتشر عنها من دين الله تعالى وسنن رسول الله ﷺ ما انتشر ، وقد أحسن ناظم هذه الأبيات راداً على من أنكر سماع رسول الله ﷺ من المصلى عليه الصلاة ، وهى هذه الأبيات / [١٧٩] ب : :

ألا أيها الغادى إلى يثرب مهلاً . . . لتحمل شوقاً ما أطيق له حملاً
تحمل رعاك الله منى تحية . . . وبلغ سلامى رُوح من طيبة حلاً
وقف عند ذاك القبر فى الروضة التى . . . تكون على يمنى المصلى إذا صلى
وقم خاضعاً فى مهبط الوحى خاشعاً . . . وخفض هناك الصوت واسمع لما يتلى

(١) فى الأصل غير واضحة ، ولعل الصواب ما أثبتناه . والله أعلم .

وناد سلام الله يا قبر أحمد . . . على جسد لم يبل فيك ولن تبلى
 تراني أراني عند قبرك قائماً . . . يناديكم عبد ماله غيركم مولى
 وتسمع عن قرب صلاتي مثلما . . . تبلغ عن بعد صلاة الذي صلى
 أناديك يا خير الخلائق والذي . . . به ختم الله النبيين والرسلا
 نبي الهدى لولاك لم نعرف الهدى . . . ولولاك لم نعرف حراماً ولا حلالاً
 ولولاك لا والله ما كان كائن . . . ولم يخلق الرحمن جزءاً ولا كلاً
 واستحب بعض^(١) العلماء أن يقول : اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لى وقاية
 من النار ، وأماناً من العذاب وسوء الحساب ، اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، وارزقنى
 فى زيارة رسولك ﷺ مارزقته أوليائك وأهل طاعتك ، واغفر لى وارحمنى يا خير
 مسئول . وما يفعله بعض الناس من النزول عن الرواحل عند رؤيتهم المدينة والحرم
 النبوى ، ومشيهما إما قليلاً أو لى أن يصلوا لأبأس به ؛ لأنه ﷺ لم ينكر على وفد عبد
 القيس حين نزلوا عن الرواحل لما رأوه ﷺ ، وتعظيم جهته ﷺ وحرمة المقدس بعد
 وفاته كهو فى حياته . وحكى القاضى عياض فى «الشفاء»^(٢) : أن أبا الفضل الجوهري
 لما ورد المدينة زائراً وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكياً ، منشداً :

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا . . . فواذا لعرفان الرسوم ولائى / [١٨٠/أ]
 نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة . . . لمن بان عنه أن نلّم به ركباً

وينبغى أن يقتسل عند دخولها أو يتوضأ كما ذكرنا فى دخول مكة ، ويلبس أنظف ثيابه
 والجديد أفضل ويتطيب ، ثم يدخل المدينة الشريفة قائلاً : بسم الله رب أدخلنى مدخل
 صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً ، وليكن خاضعاً خاشعاً
 معظماً لحرمتها ، أكثراً من الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ قاصداً المسجد
 الشريف ، وليحضر فى نفسه شرف البقعة وجلالة من شرفت به ، وأنها دار هجرته
 ومهبط وحيه وأصل الأحكام ومنبع الإيمان ، وليكن ممتلى القلب من هيئته ﷺ كأنه يراه ،
 وليمثل فى نفسه إذا مشى مواضع الأقدام الشريفة النبوية فلعلة فى موضع قدميه العزيزتين ،
 فلا يضع قدمه إلا بسكينة ووقار كما كان ﷺ يمشى ، ومن الأدب إذا دخلها أن لا يركب
 فيها كما كان مالك - رحمه الله - يفعل وكان يقول : استحيى من الله عز وجل أن أطأ

(١) راجع إحياء علوم الدين للغزالي (٢٢٩/٤) .

(٢) الشفاء (٤٩/٢) .

تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة^(١). فإذا وصل باب المسجد الشريف فیدخل من باب جبریل علیه السلام ، ويقدم رجله الیمنى فی الدخول والیسرى فی الخروج ولیقفل ما قدمناه فی دخول المسجد الحرام ، ولیدخل بخضوع وتذلل وأدب ، حامداً لله تعالى شاکراً له على نعمته علیه ، واستحب العلماء أن یقصد أول دخوله الروضة المقدسة وهی بین المنبر والقبر المقدس ، فیصلى تحية المسجد فی مصلى رسول الله ﷺ وهی الحفرة أو فی غیره من الروضة أو من المسجد ، فإذا صلى / [١٨٠/ب] التحية شكر الله تعالى على ما أنعم به علیه ، وسأله إتمام النعمة بقبوله زیارته . قال الكرمانی : ویسجد بعد تحية المسجد سجدة شاکراً لله تعالى على وصوله إلى تلك البقعة الشریفة والروضة المنیفة . وفی «الاختیار»^(٢) : یسجد شاکراً لله على ما وفقه ، فإن خاف فوت المكتوبة بدأ بها وكفته عن تحية المسجد ، ثم ینهض إلى القبر الشریف المقدس من ناحية القبلة فیقف قبالة وجهه الشریف . قال رشید الدین : فیستدبر القبلة ویستقبل المسمار الفضة الذی یجدار القبر المقدس ، على نحو أربعة أذرع من السارية التی هی غربی رأس القبر الشریف فی زاوية جداره . وقال الشیخ عز الدین بن عبد السلام : یقف على نحو ثلاثة أذرع من الجدار ویجعل القنديل الكبير على رأسه ، ناظراً إلى الأرض غاض الطرف فی مقام الهیبة والتعظیم والإجلال ، فارغ القلب من علائق الدنیا ، مستحضراً فی نفسه جلالة موقفه ومنزلة من هو بحضرته ، وعلمه ﷺ بحضوره وقيامه وسلامه ، ویمثل صورته الشریفة فی حیاته موضوعاً فی لحدّه .

واستدبار القبلة هو المستحب عند مالک والشافعية والحنابلة . واختلفت عبارة أصحابنا فی ذلك : ففی مناسك الفارسی والكرمانی عن أبی الیث : یقف مستقبل القبلة مستدبر القبر المقدس ، ویضع یمینه على شماله كما فی الصلاة وهذا شاذ ، والصحيح المعتمد علیه أنه یقف عند الرأس المقدس بحیث یكون على یساره ، ویبعد عن الجدار قدر أربعة أذرع ، ثم یدور إلى أن یقف قبالة الوجه المقدس مستدبر القبلة ، ویصلى علیه ﷺ ثم یسلم على أبی بكر و على عمر - رضی الله عنهما - [١٨١/أ] .

وروی الإمام أبو حنیفة رحمته الله فی مسنده عن نافع عن ابن عمر -رضی الله عنهما- قال : من السنة أن تأتي قبر رسول الله ﷺ من قبل القبلة ، وتجعل ظهرك إلى القبلة وتستقبل القبر بوجهك ثم تقول : السلام عليك أيها النبی ورحمة الله وبركاته . وليس من السنة أن یمس الجدار أو یقبله بل الوقوف من البعد أقرب إلى الإحرام ، ومن الآداب أن

(١) راجع الشفاء (٤٨/٢) .

(٢) (٢٢٦/١) .

لا يرفع صوته بالتسليم ولا يمس القبر بيده ولا يقف عند القبر طويلاً ، ويرون أن أبا جعفر المنصور ناظر مالك بن أنس في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله عز وجل أدب قومًا فقال : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي .. ﴾^(١) الآية . ومدح قومًا فقال : ﴿ إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله ﴾^(٢) الآية . وذم أقومًا فقال : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾^(٣) الآية . وإن حرمة ميتًا كحرمة حيا . فاستكان لها أبو جعفر وقال : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه ، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم - عليه السلام - إلى الله تعالى يوم القيامة ، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك . رواه الحافظ ابن بشكوال ، ثم القاضي عياض - رحمه الله - في «الشفاء»^(٤) . قال ابن جماعة : ولا يلتفت إلى قول من زعم أنه موضوع ، لهواه الذي أراده .

قال الحافظ محب الدين : وعلامة الوقوف تجاه الوجه الكريم مسمار فضة مضروبة في رخامة حمراء^(٥) . [١٨١/ب]

قال المرجاني في «بهجة النفوس» : وجميع التواريخ المتقدمة يذكرون العلامة بالمسمار ويصفونه بأنه صفر ولعله غير ، والذي هو موجود الآن عياناً ومشاهدة أنه من فضة . والله أعلم .

وأما الدلالة بالقنديل فقال الشيخ جمال الدين : الآن هناك عدة قناديل جددت بعد احتراق المسجد ، ثم قال : وموقف الناس اليوم للسلام على رسول الله ﷺ عرصة بيت أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنها-^(٦) .

قال المرجاني : وذكر لي بعض المتبصرين أنه أتى للسلام على النبي ﷺ يرى في الحجر الأسود الذي تحت الرخامة الحمراء الذي فيها المسمار الفضة ، صورة شخص له شعر طويل ، مرة يعرفه ومرة يتركه ، وهو ينظر إلى من يأتي للسلام على رسول الله ﷺ

(١) سورة الحجرات : الآية (٢) .

(٢) سورة الحجرات : الآية (٣) .

(٣) سورة الحجرات : الآية (٤) .

(٤) الشفاء (٣٥/٢) .

(٥) الدرة الثمينة (ص ٢٢٣) .

(٦) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٤٨) .

فمرة يتبسم فى وجه المسلم ومرة لا ينظر إلى أحد ، وأكثر قعوده ثانياً إحدى رجله نصف تربيعة وركبته الأخرى قائمة، ومن جانبه الأيمن مما يلي الروضة شخص آخر ، ومن جانبه الآخر الأيسر البكرى شخصان آخران ، قال الراوى : فعدمت الخشوع فى ذلك المحل الشريف بسبب رؤيتى لهما وشغل خاطرى بهما . قال المرجانى : إشارة أيضاً إلى إثبات الوقار والحرمة المحركة لخاطر الاعتبار ، سمعت والدى -رحمه الله - يقول : صلينا يوماً الظهر بحرم المدينة ، وأقبل طائر عظيم أبيض طويل الساقين أتى من جهة باب السلام ، وهو يطير مع جدار القبلة ، وقد ملأ جناحاه ما بين الحائط القبلى والسورى ، فلما حاذى المحراب وقف ومشى قليلاً قليلاً إلى أن وصل [١٨٢/أ] إلى الشباك موقف المسلمين على رسول الله ﷺ ، فاستقبل النبى ﷺ ووقف ، وجعل يضع منقاره على الأرض ويرفعه مراراً إلى أن فرغ الناس من صلاتهم ، واجتمعوا عليه ينظرونه ثم مشى حتى خرج إلى صحن المسجد إلى نحو الحجارة التى يذكر أنها حد المسجد القديم ، ثم فتح أجنحته وطار مرتفعاً فى الجو غير مائل يميناً ولا شمالاً حتى غاب عن أعيننا .

كيفية السلام عليه ﷺ حال الزيارة والسلام على ضجيعيه رضى الله عنهما
 ليقبل بخضوع قلب وغض طرف وخفض صوت وسكون جوارح : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبى الله ، والسلام عليك يا خيرة الله من خلقه ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا صفوة الله ، السلام عليك يا سيد الأنبياء والمرسلين ، السلام عليك يا خاتم النبيين ، السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين ، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين ، السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين ، السلام عليك وعلى أصحابك وآلِكَ أجمعين ، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسائر عباد الله الصالحين ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، جزاك الله عنا يا رسول الله أفضل ما جزى نبيا ورسولاً عن أمته ، صلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون ، وغفل عن ذكرك الغافلون ، وصلى عليك فى الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأطيب ما صلى على أحد من خلقه أجمعين ، كما استنقذنا بك من [١٨٢/ب] الضلالة ، وبصرنا بك من العمية ، وهادانا بك من الجهالة ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه ، وأشهد يا رسول الله أنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وكشفت الغمة ، وجاهدت فى الله حق جهاده ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، ونحن وفدك يا رسول الله وأضيافك ، جئنا إلى جنابك الكريم من بلاد شاسعة وأماكن بعيدة ، نقصد بذلك قضاء

حقك علينا ، والنظر إلى مآثرك ، والتميم بزيارتك ، والتبرك بالسلام عليك ، والاستشفاع بك إلى ربنا عز وجل ، فإن خطايانا قد قصمت ظهورنا ، وأوزارنا قد أثقلت كواهلنا ، وأنت الشافع المشفع ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ ^(١) . وقد جئناك يا رسول الله ظالمين لأنفسنا مستغفرين لذنوبنا ، فاشفع لنا إلى ربنا ، واسأله أن يمتتنا على سنتك ، ويحشرنا في زمرك ، ويسقينا بكأسك غير خزايا ولا ندامى ، ويرزقنا مرافقتك في الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، يا رسول الله الشفاعة الشفاعة ، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، وإنه نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون ، وخصّة بالمقام المحمود والوسيلة والفضيلة والدرجة العالية ، وبغاية ما ينبغي أن يأمله الآملون ، اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه ^[١٨٣/أ] وذريته ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، ثم يتحول إلى صوب يمينه بقدر ذراع فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه ؛ لأن رأسه بجبال منكب رسول الله ﷺ عند الأكثرين ، فيقول : السلام عليك يا خليفة رسول الله ﷺ ، وصفيه وثانيه في الغار أبا بكر الصديق ، جزاك الله عن أمة محمد خيراً ، ولقائك في القيامة آمناً وبراً ، ثم يتأخر إلى صوب يمينه بقدر ذراع فيسلم على عمر ؛ لأن رأسه عند منكب أبي بكر رضي الله عنه عند الأكثرين ، فيقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين عمر الفاروق الذي أعز الله بك الإسلام ، جزاك الله عن الإسلام وأمة نبيه محمد ﷺ خيراً .

ومن قال من الحنفية : إنه يستقبل القبلة عند السلام على رسول الله ﷺ قال : إذا أراد السلام على أبي بكر يتحول عن يساره مقدار ذراع ، وكذلك يفعل للسلام على عمر رضي الله عنه ، ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه النبي ﷺ ، فيحمد الله تعالى ويمجده ، ويصلي على النبي ﷺ ، ويتوسل إلى الله تعالى به في حوائجه ، ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى ، ويدعو لنفسه ولوالديه وللمؤمنين وللمسلمين أحب بما أحب ، ويختتم دعاءه بآمين وبالصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ .

وفي «مناسك الفارسي» : إذا فرغ من السلام على عمر رضي الله عنه يرجع قدر نصف ذراع فيقف بين رأس الصديق ورأس الفاروق ويقول : السلام عليكم يا ضجيعي

(١) سورة النساء : الآية (٦٤) .

رسول الله ﷺ ، السلام عليكما يا صاحبي رسول الله ﷺ ، السلام [١٨٣/ب] عليكما يا وزيرى رسول الله ﷺ ، المعاونين له فى الدين والعاملين بسنته حتى أتاكما اليقين ، فجزاكما الله خير جزاء ، جئنا يا صاحبي رسول الله ﷺ زائرين لنبيننا وصديقنا وفاروقنا ، ونحن نتوسل بكما إلى رسول الله ﷺ ليشفع لنا . انتهى . وكذلك ذكر فى «الاختيار»^(١) . ثم يتقدم إلى رأس القبر الشريف فيقف بين القبر والإسطوانة التى هناك ، ويستقبل القبلة ويجعل الرأس المقدس عن يساره ويحمد الله تعالى ويثنى عليه ، ويصلى على النبى ﷺ ويدعو لنفسه ولمن أحب بما أحب .

قال قاضى القضاة عز الدين بن جماعة : وما ذكره من العود إلى قبالة وجهه الشريف ومن التقدم إلى رأس القبر المقدس للدعاء عقب الزيارة ، لم ينقل عن فعل الصحابة - رضى الله عنهم - والتابعين - رحمهم الله - ؛ ومن عجز عن حفظ ما قدمنا ذكره عند السلام عليه ﷺ أو ضاق وقته اقتصر على بعضه ، وأقله السلام عليك يا رسول الله ﷺ ، والمروى عن جماعة من السلف ألا يجاز فى هذا جداً ، فعن الإمام مالك - رحمه الله - أنه كان يقول : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . وعن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ، ثم أتى القبر الشريف وقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه ثم ينصرف . ثم إن كان أحد أوصاه بالسلام على رسول الله ﷺ فليقل : السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان ، أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله ، أو نحو هذا من العبارات . ويروى أن عمر بن عبد العزيز كان يوصى بذلك [١٨٤/أ] ويرسل البريد من الشام بذلك كما قدمناه .

وروى ابن أبى فديك وهو من علماء أهل المدينة ، وممن روى عنه الشافعى قال : سمعت بعض من أدركت يقول : بلغنا أن من وقف عند قبر النبى ﷺ فتلا هذه الآية : ﴿ إِنْ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾^(٢) . الآية ثم قال : صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ، ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ، ولم يسقط له حاجة^(٣) . ومن أحسن ما

(١) (٢٢٨/١) .

(٢) سورة الأحزاب : الآية (٥٦) .

(٣) مثير الغرام (ص ٤٨٧) ، والدررة الثمينة (ص ٢٢٣) ، والبيهقى فى شعب الإيمان ح (٤١٦٩)

والشفاء (٧٥/٢) .

يقول ما حكاه العلماء عن العتبي «مستحيين»^(١) قال : كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعتُ الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾^(٢) . وقد جئتكَ مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربّي ، ثم أنشأ يقول :

يا خير مَنْ دُفِنْتَ بالقاعِ أعظمُهُ . . . فطابَ مِنْ طيِّبِهِنَّ القاعُ والأَكَمُ
نفسى الفِداءِ لغيرِ أنتَ ساكنه . . . فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم استغفر وانصرف ، فغلبتني عيناي فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال : يا عتبي الحق بالأعرابي فبشره أن الله قد غفر له^(٣) . قال بعض العلماء : يقول الزائر بعد السلام والصلاة عليه ﷺ : اللهم إنك قلت وقولك الحق : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾ . الآية . اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيك هذا ﷺ مستشفعين به إليك من ذنوبنا ، [١٨٤/ب] وما أثقل ظهورنا من أوزارنا ، تائبين إليك من زللنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، اللهم فتب علينا ، وشفع نبيك هذا فينا ﷺ ، وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك ، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ، ولله در هذا الأعرابي حيث استنبط من الآية الكريمة الحجى إلى زيارته ﷺ بعد موته مستغفراً ، فإن ذلك أظهر في قصد التعظيم وصدق الإيمان ، واستغفار الرسول ﷺ بعد الموت حاصل ؛ لأنه الشفيع الأكبر يوم القيامة ، والوسيلة العظمى في طلب الغفران ورفع الدرجات ، من بين سائر ولد آدم ، والحجى إليه بعد موته تجديد لتأكيد التوسل به إلى الله تعالى وقت الحاجة ، وقد خمس هذين البيتين الشيخ محمد بن أحمد بن أمين الأقشهرى - رحمه الله تعالى - فقال:

خيرُ المزارِ لدينا ثم أعظمُهُ . . . وخيرُ مَنْ سرَّ عرشَ الربِّ مقدَّمُهُ
ناديته بمَقولٍ وهو أقومُهُ . . . يا خيرُ مَنْ دُفِنْتَ فِي التُّرْبِ أعظمُهُ

فطابَ مِنْ طيِّبِهِنَّ القاعُ والأَكَمُ

طوبى لجاركم طابت مساكِنُهُ . . . جارَ بجارٍ وجارَ المرتعِ آمَنُهُ
قولُ إذا قلتَ تشفينى محاسنُهُ . . . نفسى الفِداءِ لغيرِ أنتَ ساكنُهُ

فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

(١) كذا في الأصل ، وقد ذكره بعض العلماء «مستحسنين له» .

(٢) سورة النساء : الآية (٦٤) .

(٣) الدرّة الثمينة (ص ٢٢٤) ، والبيهقى في الشعب ح (٤١٧٨) ، ومثير الغرام (ص ٤٩٠) .

قال عز الدين بن جماعة : وشتان بين هذا الأعرابي وبين من أضله الله فحرّم السفر إلى زيارته ﷺ ، وهى من أعظم القربات كما قدمناه ولبعث زوار النبي ﷺ [١٨٥/أ]

أتيتك زائراً وودت أنسى . . جعلت سواد عيني أمتطيه

وما لى لا أسير على جفوني . . إلى قبر رسول الله فيه

قال القاضي عياض^(١) - رحمه الله - : وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل ، وتردد بها جبريل وميكائيل ، وعرجت منها الملائكة والروح ، وضجت فى عرصاتها بالتقديس والتسبيح ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ، وانتشر عنها من دين الله وسنة نبيه ما انتشر ، مدارس آيات ، ومساجد وصلوات ، ومشاهد الفضائل والخيرات ، ومعاهد البراهين والمعجزات ، ومسكن الدين ، ومشاعر المسلمين ، وموقف سيد المرسلين ، ومتبوأ خاتم النبيين ، حيث انفجرت النبوة وفاض عبابها ، ومواطن مهبط الرسالة ، وأول أرض مسّ جلد المصطفى ترأبها ، أن تعظم عرصاتها ، وتنسم نفحاتها ، وتقبل ربوعها وجدرانها ، وأنشد :

يا دار خير المرسلين ومن به	. .	هدى الأنام وخص بالآيات
عندى لأجلك لوعة وصباية	. .	وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهد إن ملأت محاجرى	. .	من تلکم الجدرات والعرصات
لأعفرن مصون شيبى بينها	. .	من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادى والأعادى زرتها	. .	أبدًا ولو سحبًا على الوجنات
لكن سأهدى من حفيل تحيتى	. .	لقطين تلك الدار والحجرات
أزكى من المسك المفتق نفحة	. .	تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكى الصلوات	. .	وتوأمى التسليم والبركات

قال مؤلفه:

(١) فى الشفاء (٤٩/٢ ، ٥٠) .

قال مؤلفه:

انتهى إكماله بمعونة الله وتوفيقه على يد الفقير إلى الله تعالى أحمد أبي السرور بن عدى بن أبي الليث بن الضياء الحنفى . عامله /١٨٥/ب [الله بلطفه الخفى ، ومن كتب بسببه ، وبلغه غاية أربه ، وذلك فى اليوم المبارك يوم السبت حادى عشر محرّم الحرام عام أربع وعشرين وتسعمائة ، والحمد لله على التيسير والإتمام وعلى الإفضال والإنعام ، وأشكره على كل حال ، مدى الدهر والأيام وأصلى على نبينا محمد ، أفضل من صلى وحج البيت الحرام وصام ، المبعوث إلى الأحمر والأسود ، والخاصّ والعام ، عدد من سيّح الله وقده من أول الدنيا إلى يوم القيام ، وعلى آله وأصحابه الأخيار الأعلام ، جعلنا الله فى زمريهم فى دار السلام ، بمنه وكرمه ، آمين ، والحمد لله رب العالمين .

تم الكتاب بعون الملك الوهاب على يد العبد الفقير عليها :

عاشور بن عبد الكريم بن محمد بن محمد بن رجب بن محمد ، البرلسى أصلاً ، الإدكاوى مولداً ، الحسينى الشافعى ، أصلح الله شأنه وصانه عما شأنه ، وذلك فى يوم الأحد المبارك سابع عشر فى رجب الفرد الحرام سنة ثلاثة ومائة وألف .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمصا كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين . /١٨٦/أ .

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الآيات .
- ٢ - فهرس الأحاديث والآثار .
- ٣ - فهرس الأعلام .
- ٤ - فهرس المساجد .
- ٥ - فهرس البلدان .
- ٦ - فهرس القبائل .
- ٧ - فهرس الجبال .
- ٨ - فهرس الأنهار والبحار والآبار والعيون .
- ٩ - فهرس الأشعار .
- ١٠ - المصادر والمراجع .
- ١١ - فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	اسم السورة	رقم الصفحة	طرف الآية
٣٠ -	البقرة	٢٧	لاني جاعل في الأرض خليفة
١٢٥	البقرة	١٢٨	واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى
١٢٦	البقرة	١٦٥	اجعل هذا بلداً آمناً
١٢٧	البقرة	١٢١	وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت
١٤٣	البقرة	٣٣٦	ويكون الرسول عليكم شهيداً
١٨٩	البقرة	٧٤	وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها
٨١	آل عمران	٣٣٧	وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
٩٦	آل عمران	١٢١	إن أول بيت وضع للناس
٩٧	آل عمران	١٦٦، ١٢٧	فيه آيات بينات مقام إبراهيم
٩٧	آل عمران	١٦٦	ومن دخله كان آمناً
١٠٢	آل عمران	١	ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
١٤٤	آل عمران	٢٥٣	وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
١٦٥	آل عمران	٢٥٨، ٢٥٧	أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها
١٦٩	آل عمران	٣٣٦	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً
١	النساء	١	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة
٣	النساء	١٩٦	ذلك أدنى أن لا تعولوا
٥٨	النساء	٦٣، ٦٢	إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
٦٤	النساء	٣٤٤، ٣٣٤	ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا
٧٥	النساء	٢٢٣	ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها
٩٥	المائدة	١٢٢	هدياً بالغ الكعبة
٩٧	المائدة	١٢١	جعل الله الكعبة البيت الحرام
٣٣	الأنعام	١٤٢	فإنهم لا يكذبونك
١٣٣	الأعراف	٨٧	فأرسلنا عليهم الطوفان
١٣٨	الأعراف	٧٥	اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة

رقم الآية	اسم السورة	طرف الآية
٢٨	التوبة	إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام
٤٠	التوبة	ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن
٤٠	التوبة	إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا
١٠٧	التوبة	والذين اتخذوا مسجداً ضراراً
١٠٨	التوبة	لمسجد أسس على التقوى من أول يوم
١٠٨	التوبة	فيه رجال يحبون أن يتطهروا
١٠٩	التوبة	فانهار به في نار جهنم
١١١	التوبة	وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن
١١٢	التوبة	التائبون العابدون الحامدون السائحون
٨٨	يونس	ربنا اطمس على أموالهم
٨٢	يوسف	واسأل القرية
٣٧	إبراهيم	ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
٧٥	الحجر	إن في ذلك لآيات للمتوسمين
٦٦	النحل	من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين
١١٢	النحل	قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً
١٢٨	النحل	إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
٨٠	الإسراء	وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق
١	مريم	كهيعص
٥٥	طه	منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
٣٠	الأنبياء	أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً
٢٥	الحج	ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم
٢٧	الحج	وأذن في الناس بالحج
١٨	المؤمنون	وأنزّلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض

رقم الآية	اسم السورة	طرف الآية
١٩٦	النور	سورة أنزلناها
١٦٣	النور	فى بيوت أذن الله أن ترفع
١٩٦	الفرقان	ملح أجاج
٢٦٣	الأحزاب	يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
٢٦١	الأحزاب	إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم
٢٦٣	الأحزاب	وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطبئوها
٣٤٥	الأحزاب	إن الله وملائكته يصلون على النبي
١	الأحزاب	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً
٢١٥	سبأ	والنا له الحديد
٢١٧	سبأ	ربنا باعد بين أسفارنا
٤٢	الصفاء	وجعلنا ذريتهم الباقيين
٣١٧	الزمر	إنك ميت وإنهم ميتون
١٥٠	الزمر	وترى الملائكة حافين من حول العرش
٢٢	فصلت	أتئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين
٢٢	فصلت	ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض فقصا من سبع سموات فى يومين
٢٢	فصلت	حم عسق
٩٤	الشورى	وجعلها كلمة باقية فى عقبه
١٣٥	الزخرف	لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
٣٤٢	الحجرات	إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله
٣٤٢	الحجرات	إن الذين ينادونك من وراء الحجرات
١٩٣	الطور	والطور وكتاب مسطور
٣١٧	الرحمن	كل من عليها فان
١٧٣	القمر	والساعة أدهى وأمر
٢٨٨	الملك	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
الملك	٣٠	٢٠٨	فمن يأتيكم بماء معين
المرسلات	١	٢٠٦	والمرسلات عرفاً
الفجر	٢٧ ، ٢٨	٣١٥	يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية
البلد	١	٢	لا أقسم بهذا البلد
الضحى	٧	٢٢٣	ووجدك ضالاً فهدى
التين	٣	٢	هذا البلد الأمين
الفيل	١	٨٥	ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل
الفيل	٣	٨٦ ، ٨٧	وأرسل عليهم طيراً أبابيل
الفيل	٤	٨٧	ترميهم بحجارة من سجيل
الفيل	٥	٨٧	فجعلهم كعصف مأكول
المسد	١	٧٥	تبت يدا أبي لهب وتب

فهرس الأحاديث والآثار

رقم الصفحة	الراوي	طرف الحديث (أ)
٢٢٣	على	أتانى جبريل عليه السلام فقلت له « يا جبريل من يهاجر معي »
٢٤٢	عمر بن الخطاب	أتانى الليلة آت منى ربي
٣١٢	كثير بن عبد الله	أتدرون ما اسم هذا الجبل - يعنى ورقان -
٣٣٦	أنس	أتيت على موسى ليلة أسرى بي وهو قائم يصلى
٢٥١		اثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان
٣١٩		أجدنى يا جبريل مغموماً
٢٥١	أنس بن مالك	أحد يحبنا ونحبه
٢٢٣		أخبرنا رسول الله ﷺ عن صفته فى التوراة
٣٢٦	أبو هريرة	إذا أهبط الله المسيح فيعيش
١٣٩		إذا شرب أحدكم اللبن فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه
٢٠١		اذهب إلى صدر الغار فاشرب
١٩٣		أربعة جبال من جبال الجنة
١١٢		استمتعوا من هذا البيت فإنه يهدم مرتين
٢١٩		أسلمت الملائكة طوعاً والأوس والخزرج طوعاً
٦٨		أعطيتكم ما تزرعون فيه ولا تزرعون منه
٧١		الله أعلى وأجل
١٦		اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما بمكة من البركة
٢٣٩	أبو سعيد الخدرى	اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً
٥		اللهم لأنك أخرجتني من أحب البلاد إلى
٢٢٩ ، ٦	عائشة	اللهم حب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك
٢٣٦		اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره
٦٨		ألا إن كل دم أو مال أو مائة كانت فى الجاهلية

رقم الصفحة	الراوى	طرف الحديث
٢٦٢		ألا ترضون يا معشر الأوس أن نحكم فيهم رجلاً منكم
٢٢١		ألا رجل يحملنى إلى قومه فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى
١٣٤ ، ٣٤		ألفى ذلك أم إسماعيل وقد أحبت الإنس
٢٣٤	ابن عمر	أما علمت أن عجوة المدينة شفاء من السم
١٠٠		اخرجوا جميع الصور إلا ما تحت يدى
٢٧٧	ابن عباس	أمر بالأبواب كلها فسدت إلا باب على
٥ ، ٤		أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب
٥٣٩	جابر	إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة
٦٦	عائشة	إن ابن جدعان كان يطعم الناس ويقرى الضيف
٢٠٣		أن الله تعالى أمر شجرة ليلة الغار فثبتت فى وجه النبى ﷺ
٣٣٦	أوس بن أوس	إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء
٢٧٧	أبو سعيد الخدرى	إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار
٢٧٣	جابر	أن امرأة من الأنصار قالت يا رسول الله
١٩٤		إن حقاً على الله تعالى أن لا يرفع شيئاً فى الدنيا إلا وضعه
٢٩٩	هارون بن كثير	أن رسول الله ﷺ دعا يوم الخندق
٢٧٤	أبو الزناد	أن رسول الله ﷺ كان يخطب فى يوم الجمعة إلى جذع
٢٧٤	عبد الله بن عمر	أن رسول الله ﷺ لما بدن قال له تميم الدارى
٢٧١	أبو بريدة	إن شئت أردك إلى الحائط الذى كنت فيه
٢٥٤		إن صاحبكم لتغسله الملائكة
١٩٤		إن فعلت تؤمنون بى قالوا نعم
١١٠ ، ١٠٧	عائشة	إن قومك استقصروا فى بناء البيت وعجزت بهم النفقة

رقم الصفحة	الراوي	طرف الحديث
١٢٢		إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس
٣١٨		إن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً
٢٥٤		إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره
٧٥		إن هذا الأمر إلى الله فمن يسره للهدي تيسر له
٢٧١		إن هذا بكى لما فقد الذكر
٤		إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها
١٤٥		أن الاطلاع فيها يحط الأوزار والخطايا
٢٩٩	جابر	أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح
٢٩٩	عثمان بن محمد	أن النبي ﷺ زار امرأة من بنى سلمة يقال لها
٢٢٣	أنس	أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفره فنظر إلى جدران المدينة
١٠١		أن النبي ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أمر عمر بن الخطاب أن يطمس
٢٦٥		أن النبي ﷺ مكث في بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة
٤٥		أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان
٢٧٣	سهل بن سعد	انظري غلامك التجار يعمل لى أعواداً
٢٥٣		إنه لمن أهل الجنة
٢٠٣		إنها لخليل من جنود الله
١٩٣		إنها من ثمار الجنة
٢٣٩	سعد بن أبي وقاص	إنى أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضائها
٢٧٩	عمر بن الخطاب	إنى أريد أن أزيد في المسجد
٢٢٣		إنى رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين
٣٠٤		إنى على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن
٢٥٧		إنى فى جنة حصينة - يعنى المدينة -
١٨٩		إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ

رقم الصفحة	الراوي	طرف الحديث
١٨٨		إنني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ قبل أن ينزل علىّ
٧٥٠٧٤		أهدمت
٤٤		أول من تكلم بالعربية لإسماعيل
٢٢٨	البراء بن عازب	أول من قدم علينا المدينة مصعب بن عمير وابن أم مكتوم
٤٣		أول من كتب بالعربية لإسماعيل
٣٢١		أول من صلى علىّ خليلي وحبيبي جبريل ثم ميكائيل
٣٣٦	أنس	الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون
٣٣٦		الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة
		(ب)
٢٣٥	ابن سلمان	بسم الله بريق بعضنا بترية أرضنا
٤٢		بقي من خشبها - يعني السفينة - شيء أدركه أوائل هذه الأمة
٢٢٤	عائشة	بينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحو الظهيرة
٢٦		البيت المعمور الذي في السماء يقال له الضراح
		(ت)
٢		تابعوا بين الحج والعمرة
٧٢		تلك نائلة قد أيسر أن تعبد ببلادكم
		(ج)
٢٥٢		جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السماوات
٣٠٧		جلس النبي ﷺ في سقيفتنا التي عند المسجد واستقي فخصت له وطأة

رقم الصفحة	الراوي	طرف الحديث (ح)
٢٣٧		حرم رسول الله ﷺ ما بين لا بتى المدينة
٢٣٨	أبو سعيد الخدرى	حرمت ما بين مازميها
		(خ)
٢٥٢	جابر	خرج موسى وهارون عليهما السلام حاجين
٢٣٦	على	خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالسقيا
٣١٣	سعيد بن المسيب	خير مقدسة
٣٠٨، ٢٦٦		خير دور الأنصار دور بنى النجار
		(د)
٧٣، ٧٢	ابن عباس	دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح
٢٠٣		دعا ﷺ شجرة كانت على باب الغار فقال لها
		اتينى
٢٩٩	جابر	دعا ﷺ فى مسجد الفتح يوم الاثنين ويوم الثلاثاء
٢٤٥	سعيد بن عبد الرحمن	دعا النبى ﷺ بدلو من مائها فتوضأ ثم سكه فيها
		(ذ)
١٠١		ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال لها ثلاث خرجات
		من الدهر
		(ر)
٧٠		رأيت عمرو بن لحي يجر قصبة فى النار
٢٢٣	أبو موسى الأشعرى	رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها
		نخل
٢٤٥		رأيت الليلة أنى أصبحت على يثر من الجنة
٢٤٢	عامر بن سعد بن	ركب رسول الله ﷺ إلى العقيق ثم رجع فقال
	أبى قواص	
		(ز)
١٠١		زجر النبى ﷺ عن الصور وأمر عمر بن الخطاب
		زمن الفتح أن يدخل البيت

رقم الصفحة	الراوي	طرف الحديث (س)
٣٠٠		سيروا على اسم الله فسرنا على الماء
٣٢٥	أنس بن يحيى	سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التي خلق منها (ص)
١٩٢		صار لعظمة الله ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة
٢		صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام
٢٧٠		الصلاة الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
		(ع)
٦		على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال
٢٢٤	أبو بكر	على رسلك فإننى أرجو أن يؤذن لى
٤٤		العربى والفارسى لسانا أهل الجنة
٢		العمرة إلى العمرة كفارة لما بينها (غ)
٢٣٤		غبار المدينة شفاء من الجذام
		(ف)
٣٢١	على	فإنه لا يرى أحد عورتى إلا طمست عيناه (ق)
٢٠٤		قال لحسان بن ثابت قلت فى أبى بكر شيئا قل حتى أسمع
		(ك)
٢٦٧	سلمة بن الأكوع	كان جدار المسجد ما كادت الشاة تجوزه
٢٦٩	عائشة	كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف يدنى إلى رأسه فأرجله
٢٧٤	أبو الزناد	كان رسول الله ﷺ يجلس على المنبر ويضع رجله على الدرجة الثانية (أثر)

رقم الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٢٧١، ٢٧٠	أنس	كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى خشبة مسنداً ظهره
٢٦٧	عائشة	كان طول جدار المسجد بسطه (أثر)
٢٤٢		كان عبد الله بن عمر ينيخ بالوادي يتحرى معرس رسول الله ﷺ (أثر)
٢٣٦	أبو هريرة	كان يوتى بأول الثمر فيقول
٢٦١، ٢٦٠		كان ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه
١١٣		كأنى بجبشى أفحج الساقين أزرق العينين
١١٢		كأنى به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً
٢٢١	عائشة	كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن (أثر)
٦٣		كل مائرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي هاتين
٦٦		كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان في الهاجرة
		(ل)
٢٥٤		لا تبكه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه
٣٣٧، ٥		لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا والمسجد الحرام
٢٨٨	أبو هريرة	لا تقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز
٢٦٣	ابن شهاب	لا يجتمع دينان في جزيرة العرب
١١٣، ١١٢		لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين
٢٠١		لبثت مع صاحبي يعني أبا بكر في الغار بضعة عشر يوماً
٢٣٧	أبو هريرة	لتركن المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب

رقم الصفحة	الراوي	طوف الحديث
٢٣٧، ٢٣٦	أبو هريرة	لتتركن المدينة على خير ما كانت مدلة
١٩٢		لما تجلى الله لجبل طور سيناء تشظى منه شظايا
٢٥٢		لما تجلى الله لجبل طور سيناء فصارك لعظمة الله
٧٣		لما صلى النبي ﷺ الظهر يوم فتح مكة أمر بالأصنام التي حول الكعبة
٢٨٠	أبو هريرة	لو بنى هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي
٢٧٩	سلمة بن خباب	لو زدنا في مسجدنا وأشار بيده نحو القبلة
٢٨٠	أبو هريرة	لو زيد في هذا المسجد ما زيد لكان الكل مسجدي
٣٥		لو وجد عندها يومئذ حبا لدعا لهم بالبركة فيه
١٢٩	عائشة	لولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة
٢٥٧		ليس لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل
٦		ليس من بلد إلا سيطوه الدجال إلا مكة والمدينة
		(م)
٢٧٦، ٦	أبو هريرة	ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوض
٢٧٦		ما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة
٢٧٦	أبو بكر	ما بين قري ومنبري روضة من رياض الجنة
٢٣٧	أبو هريرة	ما بين لابتيتها حرام
٣٠٣	سعد بن أبي وقاص	ما بين مسجدي إلى المصلى روضة من رياض الجنة
٧٤		ما رأيت فيهن
٣٢٠	عائشة	ما زالت أكلة خيبر تعاودني
٢٥٤		ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة
٢٣٧	علي	ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة
٣٢١	أبو بكر	ما قبض نبي إلا دفن حيث توفي
٢٣٥	إبراهيم بن الجهم	ما لكم يا بني الحارث وويي ؟ قالوا : نعم

رقم الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٣٣٥	أنس	ما من أحد من أمتي له منعة لم يزرني
٣٢٦	عبد الله بن مسعود	ما من مولود إلا وفي سرتة ..
٢٦٩	أم سلمة	ما هذا البناء فقالت : أردت أن أكف
٢٠٠	عائشة	ما هذا يا أبا بكر ؟ قال : يا رسول الله بأبي أنت .
٢٢٥		ما هذه الشاة يا أم معبد ؟
٢		من أتى هذا البيت فلم يرفث
٢٣٦		من أكل سبع تمرات من بين لابتيتها
٢٣٦، ٢٣٥	ابن أبي وقاص	من تصبح بسبع تمرات عجوة
٣٣٤		من جاءني زائرًا لم تنزعه حاجة إلا زيارتي
٣٣٥	ابن عمر	من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني
٣٣٥	ابن مسعود	من حج حجة الإسلام وزار قبري
١٨٦		من دخل دار أبي سفيان فهو آمن
٢٥٤		من رجل ينظر إلى ما فعل سعد بن الربيع
٣٣٤	ابن عمر	من زار قبري وجبت له شفاعتي
٣٣٥		من زارني بعد وفاتي عند قبري
٣٣٥		من زارني محتسبًا إلى المدينة
٣٠٥	أبو هريرة	من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا
٢٦٢		من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا
٢٠٩		من كنت مولاه فعلي مولاه
١٦٤		من يتصدق على هذا فيصلني معه ؟
٢٤٧		من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين
٣١٣		ميلان في ميل من خير مقدس
٢٣٧		المدينة حرم ما بين عير إلى ثور
١٤٠		المرأة الصالحة في النساء كالغراب الأعصم
		(ن)
١٤٨		ناولوني دلوًا فناولوه فشرب منها
٢٤٧		نعم الحفيرة حفيرة المزني

رقم الصفحة	الراوي	طرف الحديث
١١٧		نهى النبي ﷺ عن سب أسعد الحميري
٢٠٣		نهى النبي ﷺ عن قتل العنكبوت
		(هـ)
٢٥٦، ٢٥٥		هؤلاء شهداء فأتوهم وسلموا
٢٦		هذا البيت خامس خمسة عشر بيتاً
٢٨٠		هذا مسجدى وما زيد فيه فهو منه
٧٥		هكذا قال قوم موسى : اجعل لنا إلهاً
٢٤٦		هل عندك من سدر أغسل به رأسى
		(و)
٣٦		وأتوها وعليكم السكينة
٧، ٥		والله إنك لخير أرض الله
٢٧١		والذى نفسى بيده لو لم ألزمه
٢٣٢		وعليك السلام يا كعبة الله ما حال
١٨٤		وهل ترك لنا عقيل من ظل
		(ى)
٢٠٣، ٢٠١		يا أبا بكر ما ظنك باثنين
٣١٩		يا أيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن
٦٤		يا بنى شيبه هاكم المفتاح
١٩٨		يا خديجة إن جبريل جاءنى
١٠٠		يا شيبه امح كل صورة فيه
٢٥٨	جعفر بن محمد	يا صريخ المكرويين ومجيب المضطرين
٢٤٢	عامر بن سعد	يا عائشة جئنا من هذا العقيق
٦٣		يا عثمان ائت بالمفتاح فأتيته به
٦٣		يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح
١١٤		يباع الرجل بين الركن والمقام وأول من
١١٢، ١٠٦		يخرب الكعبة ذو السويقتين

رقم الصفحة	الراوى	طرف الحديث
١٣٣		يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم
٢٢٣	أبو هريرة	يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل

فهارس الأعلام

أسماء الأنبياء والرسل

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
إبراهيم	٢٨ ، ٥١ ،	هارون	٢٥٢
	١٠٠	يحيى	٤٥
آدم	٢٢ ، ٤٧ ،	يعقوب	١٩١
	١٠٢	يوسف	١٩١
إسحاق	٢٤ ، ٤١ ،		
	١٩١		
إسماعيل	٢٤ ، ٧٠ ،		
	١٨٢		
جبريل	٢٧ ، ١٣٧ ،		
	٢٧٠		
داود	٢١٥		
سليمان	٨٠ ، ٢٣٣ ،		
	٢٤٢		
شيث	٤٤ ، ١١٥ ،		
	١٩١		
عيسى	٤٣ ، ١٠٠ ،		
	٢٧٢		
منكر	٣٢٥		
موسى	٤٢ ، ١٠٢ ،		
	٢١٦		
ميكائيل	٢٥٨		
نكر	٣٢٥		
نوح	٢٣ ، ٧٠ ،		
	١٩٤		

أسماء الملوك والأمراء والوزراء

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
أبو بكر بن سنقر	٢١٢	ضرغمش الناصري	٢١٢
أبو جعفر المنصور	١١٢ ، ١٥١	طنبغا الطويل	٢١٢
أبو سعيد بن خريدا	٢١١	عزيز الدولة ريجان الندي	٢٤٧
أبو غنى صاحب مكة	١٨٤	علي بن الملك العزيز بن أيك	٢٨٩
الإسكندر	٤٣	علي بن المؤيد	١٨٥
بختنصر	٤٣ ، ٤٥	قطب الدين أبو بك	١٨١
برقوق صاحب مصر	١٦٠	ابن الملك المنصور	
جلال الدين خوارزم شاه	٢٨٩	المؤيد صاحب حماء	١٦٥
الجواد وزير صاحب الموصل	١٥٩ ، ١٩٠	المستعصم بالله أبو أحمد	٢٨٦
جوبان نائب السلطنة بالعراقين	٢١١	المستنصر العباسي	١٨١ ، ١٩٠
حسن بن عجلان صاحب مكة	١٨٤	المظفر صاحب أربل	١٨٧ ، ٢٠٩
ذو القرنين	٣٨ ، ٩٣ ،	المعتصم بالله أبو أحمد	١٤٨ ، ١٨٠
ركن الدين بيبرس	٢٩٠	المقتدر العباسي	١٦٠ ، ٢٠٧
زين الدين كتيغا	٣٣١	المنتصر العبيدي صاحب مصر	١٦٠
سودون المحمدي		المنتصر المتوكل العباسي	١٦٠ ، ١٨١
سيف الدين قطز	٢٨٩	المنصور على	١٨٢
شعبان صاحب مصر	١٥٩ ، ١٨٧	المهدي أمير المؤمنين	١٢١ ، ١٨٩
شهاب الدين غاز	٢٦٦	موسى أمير المؤمنين	١٥٤
ابن سيف الدين		الناصر حسن صاحب مصر	٢٠٧ ، ٢١٢
صلاح الدين أبو المظف	١٤٦ ، ٢٩٢	الناصر العباسي	١٨٥ ، ١٨٧
يوسف		الناصر فرج صاحب مصر	١٥٩ ، ١٨٧
		الناصر محمد بن قلاوون	٢١١ ، ٢١٢

الاسم	رقم الصفحة
النجاشي	٧٨ ، ٨٥ ،
	٩٣
نمرود بن كنعان	٤٣
نور الدين عمر بن علي	١٨٨
نور الدين محمود بن زنكي	٢٩٢
هارون الرشيد	٦٠ ، ١١٢ ،
	١٢٧
هامان	٤٢
الوائق بالله	١٤٨ ، ١٦٠
الوليد بن عبد الملك	١١٠ ، ١٥١
	٢٦٤ ،

بقية الأعلام

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
إبراهيم التيمي	٢٠٣	أسيد بن حصن	٣٠٨
إبراهيم النخعي	٢٨١	أشهب	١٢٩
إبراهيم بن إسماعيل	٢٤٥	أفلح بن النضر السلمي	٧٥
إبراهيم بن الجهم	٢٣٥	أمية بن خلف	٢٠٣
إبراهيم بن يحيى	٢٧٧	أمية بن عبد شمس	٦٩
أبرهة الأشرم أبو يكسوم	٨٥ ، ٧٨	أنس بن مالك	١٩٥ ، ١٢٨
أبى بن كعب	٢٧٢ ، ٢٥٤	أنس بن النضر بن ضمضم	٢٧٣ ، ٢٥٤
الإمام أحمد	١٦٤	أنوس بن شيث	٢٣٥
أحمد بن أبى بكر بن خليل	١٨٨	أنيس بن قتادة	٢٥٥
أحمد بن عبد الله الدورى	٢٠٨	أوس بن الأرقم	٢٥٥
أحمد بن عبد الله الشريفي	١٤٤	أوس بن ثابت	٢٥٥
أحمد بن عدى بن أبى الليث	١٢	أوس بن خولى	
أحمد بن محمد	١٨٣	إياس بن أوس	٢٥٥
أحمد بن محمد بن محمد	١٣١	إياس بن عدى	٢٥٥
إدريس بن محمد بن يوسف	٣٠٢ ، ٤٥	أيوب بن موسى	١٧٣
أرسطو	٩٥	الأرقم بن أبى الأرقم	١٨٩
أرباط	٩٠ ، ٧٨	الأزرقى	٢٩ ، ١٠١ ، ٢٩
أزهر بن عبد الرحمن بن	٦٩		
عوف			٢١١
إساف	٥٣ ، ٥٢	الإسفرائينى	٢٧١
إسحاق بن سلمة	٣٢٩	الأسود بن مقصود	٨٣
أسد الدين شيركوه	٢٩٢	الأشعرى	١٨٨
أسد بن هاشم	٦٨	الأصبهاني	٥٩
أسعد الحميرى	١١٧ ، ٣٩	الأصمعى	١١٣
أسعد بن سويد	٢٥٥	باقوم الرومى	٩٩ ، ٩٦
أسلمة بن ثابت	٢٥٥	بدر الدين صاحب	١٤٧

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
بشر بن سعيد	٢٨٠	جبلة بن عمرو	٢٩٢
بشير بن الخصاصة	٢٧٩	جبير بن شيبه بن عثمان	١٠٨
بلال	٢٧٨ ، ٢٢٨	جبير بن مطعم	٢٥٢ ، ١٠٨
البخارى	٢١٦ ، ١١٢	جرهم بن نحويلد	٢٧٩
اليزار	٢٠٣	جريح	١٣٠
البكرى	١٩٩ ، ١٨٥	جرير بن الحطينا	٨٢
البيهقى	٣٣٤	جعفر بن أبى طالب	١٨٦
تبع الأول	٧٦ ، ٥٠	جعفر بن محمد الصادق	٢٦٦ ، ١٨٦
تبع الثالث	٧٦ ، ٥٨	جلهمة بن ربيعة بن حزام	٥٨
تقى الدين السبكى	٣٣٥	جمال الدين محمد بن على	٢٩١
تميم الدارى	٢٧٤	جمال الدين المطرى	٢٧٦ ، ٢٣٨
الترمذى	١٩٥ ، ١٧١	الجاحظ	١٦٦
	٢٣٣ ،	حاتم بن وردان	٣٣٨
التوريشتى	٢٣٣ ، ١٦٧	حازنة بن كلدة	٢٦٢
ثابت بن إسماعيل	٤٩	حاطب بن عمرو	٢٢٣
ثابت بن عمرو بن زيد	٢٥٥	حام	٤٢ ، ٢٣
ثعلبة بن حاطب	٣٠٥	حاباب بن قيظى	٢٥٥
ثعلبة بن سعيد بن رافع	٢٥٥	حبيب بن زيد بن تميم	٢٥٥
ثعلبة بن عمرو بن عامر	٥٥ ، ٥٤ ،	حذيفة بن المغيرة	١٠١ ، ٩٩
	٥٦	حذيفة بن اليمان	٢٧٩
ثقيف بن فروة بن الندى	٢٥٥	حرب بن أمية	٦٩ ، ٤٤
ثوبان	٢٧٩	حزيم بن فاتك	٢٧٩
ثور بن جابر	٣١٠	حسان بن ثابت	٢٠٤
الثعلبى	٤٠ ، ٢٣	حسن بن عجلان	٢٠٨
جابر بن سمرة	١٨٩	حسن بن مصعب	٢٨٥
جابر بن عبد الله	٢٢٢ ، ١٠١	حنظلة بن أبى عامر الأوسى	٢٥٤
جارية بن عامر	٣٠٤	حفنة بن عمرو بن عامر	٢١٨

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
حكيم بن الحارث بن نهيك	٢٢٩	الحسن بن الحسن بن علي	
حكيم بن حزام	٩٤	الحسن بن علي العسكري	٢٩٢
حكيم بن العداء	٣٠٣	الحسن بن علي العلوي	٣٣٧
حماد البربري		الحسين بن أبي الهيجا	٢٩٩
حمزة	٢٥٢ ، ١٠٨	الحسين بن علي	٣٣٧
	٢٥٦ ،	الحصين بن نمير الكندي	١٠٤ ، ٣٩
حميد بن زهير	١٢٢		١٠٥
حناطة الحميري	٨٤ ، ٨٣	الحلي	
حنى بن ربيعة بن حزام	٥٨	الحليمي	١١٤ ، ٣١
حويطب بن عبد العزى	١٧٢ ، ٩٤	خارجة بن الحارث بن رافع	٣٠٧ ، ٢٥٥
حبي بن أخطب	٢٦١	خالد بن عبد الله القسري	١٢٤ ، ١١١
الحارث بن أسد المحاسبي	٢٩٤	خالد بن الوليد	٧٤ ، ٦٣
الحارث بن أوس بن معاذ	٢٥٥	خباب بن الأرت	٢٧٩
الحارث بن رفاعة	٢٢٢	خبيب بن يساف	٢٧٩
الحارث بن عبد المطلب	١٣٥	خثام بن خالد	٣٠٤
الحارث بن عدى	٢٥٥	خطيب بن منان	٢٨٧
الحارث بن عوف	٢٦١	خلاد بن سويد	٢٦٣
الحارث بن فضيل	٣٠٠	خلاد بن عمرو بن الجموح	٢٥٥
الحارث بن كعب	٧٤	خلف بن سيرين	٣٠٦
الحارث بن مالك	٧٥	خليفة بن خياط	٢٧٨
الحارث بن مضاض	١٣٤ ، ٦٦	خليل بن حبشة	٥٩ ، ٥٧
الحاكم	٣٢٠		٦٠
الحجاج بن عمرو	٢٥١	خويلد بن وائلة	٨٤
الحجاج بن يوسف	١١٥ ، ١١٠	الخطابي	٢١٧
	١٧٠ ،	داود بن عيسى	٢٤٣ ، ١٢٧
الحسن	١٠٢	دوس بن ثعلبان	٧٨
الحسن البصري	٢٩٨ ، ١٩٥	الدارقطني	١٤١

رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة	الاسم
١٣٥ ، ١٠٣	الزهرى	٣٠٥	ذريعة بن ثابت
٢٣٢ ،		٢٥٥	ذكوان بن عبد قيس
١٤٣	سالم بن الجراح	١٧٨ ، ١٧٧	الذهبي
٢٧٩	سالم بن عبيدة الأشجعي	٣٠٦	رافع بن مالك
٢٧٩	سالم بن عمير	١٤٥	رباح مولى لآل الأخنس
٢٤ ، ٢٣	سام	٥٧ ، ٥٦	ربيعة بن حارثة
٢٨٢	سيرة بن أبى رهم	٥٨	ربيعة بن حزام
	سيط بن الجوزى	٣٠٨	ربيعة بن عثمان
١٤٦	سراج الدين البلقينى	٥٩ ، ٥٨	رزاح بن ربيعة
٢٧٨	سعد القرط	٢٥٥	رفاعة بن رافع بن يزيد
١٨٨ ، ١٣١	سعد الدين الإسفرائينى	٢٥٥	رفاعة بن عمرو
١٩٠		٢٥٥	رفاعة بن وقش
٢٦١ ، ٢٣٦	سعد بن أبى وقاص	٢٤	روم بن عيص
٢٣٩	سعد بن ثابت	٢١٨	الرمق بن زيد بن امرئ
٢٥٥	سعد بن خيثمة		القيس
٢٥٤	سعد بن الربيع	٧٨	زرعة ذو نواس
٢٢٢ - ٢٢١	سعد بن زرارة	٥٨	زهرة بن كلاب
٢٧٨	سعد بن عابد	٣٠٢	زيد بن عبيد الله
٢٦٣ ، ٢٦٢	سعد بن معاذ	٢٨٦	زيد البربرى
١٢٧ ، ٨٧	سعيد بن جبير	٢١٢	زين الدين بركة العثماني
٢٩٢	سعيد بن خالد	٢٢٩	زيد بن أسلم
٢٤٢	سعيد بن زيد	٢٩٥ ، ٢٣٩	زيد بن ثابت
١٢٢	سعيد بن سالم	٢٠٨	زين الدين سكر
٢٤٢	سعيد بن العاص	١٠٨	الزبير بن أبى بكر
٢٧٠	سعيد بن عبد الله بن فضل	٢٢٧	الزبير بن بكار
		١٠٤ ، ٧٣	الزبير بن العوام
		٩٣ ، ٨٧	الزخشرى

رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة	الاسم
٢٥٥	سهل بن قيس	٢٤٥	سعید بن عبد الرحمن بن رقیش
	سهم بن التزار		سعید بن المسيب
٢٦٦	سهيل بن رافع بن مالك	٢٤٤ ، ١٤٠	سعید بن منصور
٢٥١	سیف الدین الحسین	٦٤	سفيان بن أمية
٢٢٢	سیف بن زى یزن الحمیری	٤٤	سفيان بن حرب
٢٨٠	السائب بن حباب	٦٩	سفيان بن عبد الأسد
٢٧٩	السائب بن خلاد		سفيان بن عيينة
	السرخسی	٢٣٣	سلحب بن باداد بن زباهش
٥٠ ، ٤٩	السمیدع	٤٣	سلمان الفارسی
٥١			سلمة بن حباب
٩٦ ، ٣٦	السهيلي	٢٣٥	سليم بن الحارث
٢٠٦		٢٧٩	سليم بن عامر
٢٠٣	السيرقسطی	٢٥٥	سليمان بن أبي مرحب
٦٣	شافع بن طلحة بن أبي طلحة	٢٥٥	سليمان بن خليل
٤٣	شاهور بن خاموز بن باقر	١٨٥	سليمان بن عبد الملك
٢٣٥	شرية الخثعمی	١٨٨	سليمان بن يسار
٣٢١	شقراں مولی رسول الله ﷺ	١٢٤	سنقر
	شقیق	٢٨٠	سهل بن أبي حثمة
١١٦	شماس بن عثمان الشريد	٢٥٦	سهل بن أبي كعب
٢٥٢	شيبة بن عثمان	٢٥٧	سهل بن حنيف
١٠٨ ، ٦٣		٢٦٠	سهل بن رافع بن مالك
١٢٣		٢٦٦	سهل بن سعد
١٩٥ ، ١١٢	الشافعی	٢٧٣ ، ٢٧١	

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
الشعبي	٢٢ ، ٤٤	عامر بن فهيرة	٢٠٠ ، ٢٢٥
الشهاب المكين	٢٠٧	عامر بن مخلد	٢٢٥
الشهرستاني	٢٢ ، ٤٢	عامر بن هاشم بن عبد مناف	٦٢
صفوان بن بيضاء	٢٧٩	عباد بن سهل	٢٥٥
صفى بن قيس	٢٥٥	عباد بن عبد الله بن الزبير	١٠٨
ضمرة حليف لبني طريف	٢٥٥	عبادة بن الخشخاش	٢٥٥
الضحاك بن مزاحم	٨٥ ، ١٤٤ ، ١٤٧	عباس بن عبادة	٢٥٥
طاووس	١٧٣	عبد الأشهل بن جشم	٣٠٨
طلحة البصري	٢٠١	عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر	١٧٣ ، ١٧٤
طلحة بن خراش	٢٥٠	عبد حميد	١٩٥
طلحة بن عبد الله	٦٩	عبد الدار	٩٥ ، ٦١
طيما بن إسماعيل	٤٩	عبد الرحمن بن أبي بكر	١٨٣
الطبراني	١١٢	عبد الرحمن بن أبي حرمي	١٧٩ ، ٢٠٨
الطبري	١٨٩ ، ٢٩٦	عبد الرحمن بن أبي سعيد	٢٤٦
الطحاوي	١٤٧ ، ١٧٨	عبد الرحمن بن الأسود	٣٢١
الطوسي	٤٦	عبد الرحمن بن الحارث	٢٩٥
عاصم بن عمر بن عبد العزيز	٢٨٤	عبد الرحمن بن عوف	٢٨٢
عامر الخاذر	١١٥	عبد الرزاق	٢٦ ، ١١٨
عامر بن ربيعة	٦٩	عبد شمس بن عبد مناف	٢٣٣ ، ٦٩
عامر بن سعد بن أبي وقاص	٢٤٢	عبد الصمد بن علي	١٦٤
عامر بن السكن	٣٠٤	عبد العزى بن عثمان	٥٩ ، ٦١

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
عبد العزيز بن أبي رداد	١٤٥	عبد الله بن سلمة	٢٥٥
عبد الغني	٢٤٩	عبد الله بن سمطيع	١٠٧
عبد بن قصي	٤٤ ، ٥٩ ،	عبد الله بن شعيب	١٣٠
	٦١	عبد الله بن شيبة	١٢٠
عبد الله بن أريقط	٢٢٥	عبد الله بن صفوان بن أمية	١٠٦
عبد الله بن أم مكتوم	٢٧٨	عبد الله بن العاص	١٧٥
عبد الله بن تامر	٧٨	عبد الله بن عامر بن كوز	٧٧ ، ٥٠
عبد الله بن الثائب	١٣٠	عبد الله بن عباس	١٠٥ ، ٦٨
عبد الله بن جبير بن النعمان	٢٥٥	عبد الله بن عبد الأسد	٢٢٣
عبد الله بن جحش	٢٥٢ ،	عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي	٣٣٨
	٢٥٣	عبد الله بن عبد المطلب	١٣٦
عبد الله بن جدعان	٦٥ ، ٦٦ ،	عبد الله بن عبد الله بن عمر	٢٧٨
	٦٧	عبد الله بن عبيد الله بن علي	١٨٠
عبد الله بن جعفر بن علي	٢٢٣ ، ٢٢٤	العباس	٢٥٣
عبد الله بن حجر	٢٩٣	عبد الله بن عمر	٢٧٤ ، ٢٤٢
عبد الله بن الحسين الأصغر		عبد الله بن عمر بن حفص	٢٣٣
عبد الله بن خالد	١٠٥ ، ١٥١	عبد الله بن عمرو بن حزام	٢٥٤
أسيد		عبد الله بن عمرو بن	١٢٣ ، ١٠٦
عبد الله بن درة المازني	٣٠٣	العاص	١٤٩ ،
عبد الله بن الزبير	١٠٤ ، ١٧٠		
	٢٩٥ ،		

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
عبد الله بن عمرو بن وهب	٢٥٥	عتبة بن ربيعة	٩٨ ، ٦٩
عبد الله المرجاني	٢٣٢	عتبة بن غروان	٢٧٩
عبد الله بن محمد بن عقيل	٣٢٧	عتيك بن الحارث	٣٠٢
عبد الله بن مسعود	٢٧٩	عثمان بن ساج	٣٣
عبد الله بن يزيد الهذلي	٢٦٩	عثمان بن طلحة	٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨
عبد المطلب	٦٥ ، ٦٨ ، ٧١	عثمان بن عبد الدار	٦٢
عبد المطلب بن أبي وداعة		عثمان بن عفان	١١٨ ، ١٤٠
عبد الملك بن شبيب			١٥٠ ، ٢٩٩
عبد الملك بن محمد	٢٠٣	عثمان بن مطعون	٢٧٧
النيسابوري		عديس	٣١٥
عبد الملك بن مروان	٤٤ ، ٩٢ ، ١١٠	عدي بن أبي الحمراء	١٨٧
عبد المهيم بن عباس	٣٠٦	عدي بن النجار	٣٠٧
عبد مناف بن عبد الدار	٥٩ ، ٦٢ ، ٦٤	عروة بن الزبير	١٢٩ ، ١٩١
		عز الدين بن جماعة	١٢٤ ، ١٢٥
			٢٦ ، ٢٩٥
عبد بن نمير	١٠٦	عز الدين بن عبد السلام	٣٣٤
عبيد بن التيهان	٢٥٥	عز الدين منيف بن شيحة	٢٨٧
عبيد بن عمير	٩٢	عز قيل بن ساروم بن	٤٣
عبيد بن المعلی بن لوزان	٢٥٥	خاموز	
عبيد بن التيهان	٢٥٥	عطاء الخراساني	٢٦٩
عتبان بن مالك	٣٠١	عطاء	٣١ ، ١٥٠
عتبة بن ربيع بن رافع	٢٥٥		٢٠٨ ،

رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة	الاسم
٢٦٩	عمران بن أبي أنس	٢٠٣	عطاء بن أبي رباح
٢٦٠	عمرو بن أمية الضمري	٢٠٣	عطية بن أبي معيط
٢٥٥	عمرو بن إياش	٢٠٦	عطية المطيبين
٢٥٣	عمرو بن ثابت بن وقش	٢٦٢ ، ٢٤٩	عفيف الدين المرجاني
٥٢	عمرو الجادر	٢٩٣ ، ٢٧٠ ،	
٢٥٤	عمرو بن الجموح	٢٢٢	عقبة بن عامر بن نابي
١٥٠	عمرو بن دينار	١٨٦ ، ١٨٤	عقيل بن أبي طالب
٧٤ ، ٥٧	عمرو بن ربيعة	٢٧٩	عكاشة بن محسن
١٩٣	عمرو بن سالم بن عوف	٨٦ ، ٤٢ ،	عكرمة
٢٦٠ ، ٦٣	عمرو بن العاص	١٤٥ ،	
٥٤ ، ٥٣	عمرو بن عامر بن حارثة	١٣٧ ، ١١٣	علي بن أبي طالب
٢٥٥	عمرو بن قيس	٢٩٩ ، ١٨٥ ،	
٥٦ ، ٤٠ ،	عمرو بن لحي	١٣١ ، ٢٦	علي بن الحسن
٥٧		١٣١	علي بن الحسين الهاشمي
٢٥٥	عمرو بن مطرف	٣٠١	علي بن رفاعة
١٩٠	عمرو بن مضاض	٢٥٣	عمار بن زياد
٢٥٥	عمرو بن معاذ بن النعمان	٣٠٣ ، ٢٧٩	عمار بن ياسر
١٠٣	عمرو الهذلي	٣٣١	عمر النشائي
٥١	عموم	٣٢٦	عمر بن بطاس
٢١٦ ، ٢١٥	عوج	١٠١ ، ٦٢	عمر بن الخطاب
٢٢١	عوف بن عفراء	١١٦ ،	
٢٧٩	عويمر بن ساعدة	٧	عمر بن شبة
١٩٧ ، ١٨٩	عياض	٢٦٩ ، ١٢٤	عمر بن عبد العزيز
٢٣٢ ،		١٤٣	عمر بن ماهان

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
عيسى بن عبد الله	٢٧٠	قاسم بن مهنا الحسيني	٢٨٧
عيص	٢٤	قباث بن أشم الكثناني	٩٢
عيننة بن حصن	٢٦١	قتادة	٢٥٧ ، ٢٤
العاص بن وائل	٩٨ ، ٩٩	قثم بن العباس	٣٢٠
العباس بن عبد المطلب	٦٢ ، ٦٨ ،	قصي بن كلاب	٥٧ ، ٥٨ ،
	٦٩		٥٩
العباس بن محمد بن علي	١٢٣	قطب الدين الحلبي	١٩٤
العبدى المالكي	٣٣٤	قطبة بن عامر بن حديدة	٢٢٢
العطاف بن خالد	٢٥٦	قطور بن إسماعيل	٤٩ ، ٥٠
العلوي	١٧٩	قوام الدين	١٩٥
العمري الزاهد	٢٣٣	قيدار بن إسماعيل	٤٩
غالب بن عبد الله	٢٠٤	قيدمان بن إسماعيل	٤٩
غنم بن مالك بن النجار	٢٦٦	قيس بن إسماعيل	٤٩
الغزالي	١٩٥ ، ١٩٦	قيس بن صالح	١٩٠
فاضح	٥٠	قيس بن مخلد	٢٥٥
فخر الدين النوري	١٤٧	قيصر	
فرعون	٤٢ ، ٤٥ ،	القاسم بن غسان	٣٣٨
	٢١٦	القتبي	٧٨
فروة بن عمرة	٣١٠	القرطبي	٢٥ ، ٤٠ ،
الفاكهى	١٣٠ ، ١٣١		٩١
الفرزدق	٨٢	القزويني	٩٥ ، ١٩٥
الفضل بن العباس	١٠٠	كرز بن علقمة الخزاعي	٢٠٢
قاييل		كسرى	٦٥
قاسم الزنكي	٢٠٦	كعب الأحبار	٤٥ ، ٢٣٣

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
كلاب بن مرة	٥٩ ، ٥٨	محمد بن حاتم	
كمال الدين الدميري	٩٤	محمد بن الحسن بن زباله	٢٧٤
كمال الدين محمد بن عبد		محمد بن الحنفية	٢٧٠ ، ٦٩
الله		محمد بن داود	١٢٤
كيسان عبد أبي قارون	٢٥٥	محمد بن الرشيد	١١١
الكاذروني	٩٩	محمد بن سعد	٢٨١
الكسائي	٢٢ ، ٢٣ ،	محمد بن سليمان	١٢٤
	١٩٢	محمد بن عبد الله الكسائي	٢٢
الكلبي	٤٣ ، ٩١	محمد بن عبد الله بن حسن	٢٨٥
كلثوم بن الهدم	٢٩٨ ، ٢٢٩	محمد بن عبد الله بن كثير	٣٠٣
لبيد بن عاصم اليهودي	٣٠٦	محمد بن عتبة بن أبي مالك	٣٠١
مالك بن أنس	١١٩ ، ١٢٩	محمد بن علي المصري	٢١١
مالك بن إياس	٢٥٥	محمد بن علي بن عبد	١٧٨
مالك بن الدخشم	٣٠٤	الرحمن	
مالك بن سنان	٢٤٧ ، ٢٥٥	محمد بن عمار بن ياسر	٣٠٣
مالك بن نميلة	٢٥٥	محمد بن مسلم بن السائب	
متياش		محمد بن مسلمة	٢٧٨
مجاهد	٢٦ ، ٣٢ ،	محمد بن مشير	١٤٣
	٣٣	محمد بن نافع الخزاعي	١٢٧
مجمع بن جارية بن عامر	٣٠٤	محمد بن هارون الرشيد	١١١
محب الدين بن عساكر	٢٤٨	محمد بن هشام السهمي	١٧٥
محمد الأصهباني	١٧٧	محمد بن يحيى	١١٦
محمد بن أحمد بن أمين	٣٤٦	محمد بن يوسف	١٨٥ ، ١٨٤
محمد بن جرير الطبري	٣٢٢	محيي الدين النور	٣٣٤

رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة	الاسم
٢٩٩	معاذ بن سعد	٢٩٢	محيى الدين عبد الرحيم
١٢٣ ، ١١٩	معاوية بن أبى سفيان	٥٣ ، ٥٢	مخدع
٣٠٨	معاوية بن عمرو بن مالك	٦٩	مخزومة بن نوفل
	معبد الجنيد	٤٣	مرامر بن مروة
٣٠٤	معتب بن قشير	١٦٤	مرجان خادم المقتضى
	معن بن عدى	٢٧٥ ، ٢٥٠	مروان بن الحكم
٨٨	مقاتل بن سليمان	٣٢٨	مزاحم
	مكحول	٢٧٩	مسطح بن إياثة
٢٥٧ ، ١٦٦	مكى	١٤٨	مسعر
	موسى الهادى	٢٧٩	مسعود بن الربيع
٢٩٢	موسى بن إبراهيم	٢٦١	مسعود بن رحيله
٢٤٧	موسى بن طلحة		مسعود بن معتب
١٦٠	موسى بن عيسى	٨٢	مسعود بن مغيث
٣٣٤	موفق الدين	٢٧٣	مسلم بن حبان
٤٩	مياش بن إسماعيل	١٢٣	مسلم بن خالد الزنجى
	ميمون بن الحضرمى	١٠٤	مسلم بن عقبة المرى
٢٤٣	منتخب الدين أبو الفتح	١٠٠	مشافع بن شيبه
	منصور الديلمى		مشافع بن طلحة
٢٣٨ ، ١٩٢	المازنى	٢٧٣	مصعب بن ثابت
١٢٤ ، ١٢٠	المأمون صالح بن العباس	٢٢٨ ، ٢٢٢	مصعب بن عمير
	المننى بن جبير الصواف	٥٠ ، ٤٩	مضااض بن عمرو
٢٥٥	المجنذر بن زياد	٥١	
١١٦ ، ١١٢	المحب الطبرى	٣١٢	مضر بن نزار
١٣٠ ،		٦٨	مطعم بن عدى

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
المحب بن النجار	٢٤٦	النوى	١١٢ ، ١٠٣
المرجاني	٤٤ ، ٤٦ ،	هاويل	٢١٦ ، ٤٤
المسيحي	٩٣	هارون الشادى الصوفى	٣٣١
المسعودى	١٧٨ ، ١٢٧	هارون بن كثير	٢٩٩
المستوخر بن ربيعة	٢١١ ، ٥٩	هارون بن موسى	٣٢٦
المطيع لله أبو القاسم	٢٣٥	هاشم بن عبد مناف	٦٧ ، ٦٥
المطلب بن أبى وداعة	١٧٨ ، ١٧٧	هرمس	٢٥٦
المغيرة بن شعبة	١٢٩ ، ١٢٨	هشام بن حسان	
المياشى	٣٢٣	هشام بن سعيد بن إبراهيم	٣٠٣
ميمون بن مهران	١٨٨	هشام بن عبد الملك	١٢٠
نبيل بن الحارث	٣١٤	هشام بن عروة	٣٠٠
نتالوس بن روم	٣٠٥	هلال بن أمية الواقفى	٣٠٩
نزار	٢٤	هيضم المزنى	
نصر بن يحيى	٦٠	واصل بن إسماعيل	٤٩
نعمان بن عمرو	٢١٦	وحشى قاتل حمزة	٢٥٢
نعمان بن مالك بن ثعلبة	٢٥٥	وهب بن عثمان	٦٣
نعيم بن مسعود	٢٥٥	وهب بن منبه	٣٠ ، ٢٤
نفيل بن حبيب الخثعمى	٢٦١	الواحدى	١٩١
نوفل بن عبد الله	٨٥ ، ٨٢	الواقدى	٩٠ ، ٩١ ،
نوفل بن معاوية الديلى	٢٥٥		١٢٠
النجدى	٩٤ ، ١٢٨	الوليد بن المغيرة	٩٨ ، ٩٧
النسائى	٩٩	ياركوج	٢٩٢
النعمان بن سبل	١١٦	يافث	٢٣ ، ٢٤ ،
	٣٣٥		٤٢

الاسم	رقم الصفحة
يامين بن عمير	٢٦٠
يحيى بن خالد بن برمك	٢٩٣
يخلد بن عثمان	٣٠٤
يزيد بن حاطب بن عمرو	٢٥٥
يزيد بن معاوية	١٠٥ ، ١٠٤
يسار مولى رسول الله	٢٧٠
يسيع بن حلوان بن الحارث	٢٥٥
يعقوب بن أبى بكر	٢٧٥
يعقوب بن محمد بن أبى	٣٠٧
صعصعة	
يعمر بن عون بن كعب	٦٠
يعمر بن نفاسة بن عدى	٨٤
يهودا بن يعقوب	٢١٥
يوسف الأعرج	٣٠٨
يوسف بن ماهك	١٢٣
يوسف بن محمد بن إبراهيم	١٨٣
يونان	٢٣
يونس	٩٣
اليمان أبو حذيفة	٢٥٣

الكنى

رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة	الاسم
١٤٧	أبو الحسن على	٣١٧	أبو إسحاق الثعلبي
١٣٥	أبو حفصة مولى عائشة	٢٥٥	أبو أسيرة
٢٠٣ ، ١٩٥	أبو حنيفة	٩٨	أبو أمية بن المغيرة
١٧	أبو الخير بن العلائي	٢٥٥	أبو أيمن مولى خلاد
١١٤ ، ١٠١	أبو داود الطيالسي	٢٦٥ ، ٢٦٦	أبو أيوب
٢٦٠	أبو دجانة سمك	٢٨٦ ، ٢٨٥	أبو البحتري وهب
٢٧٩	أبو الدرداء	٢٧١	أبو بريدة
١٤٥	أبو ذر	٢٣٨	أبو بكر الخازمي
٢٠٧	أبو راشد		أبو بكر الحصار
١٨٩	أبو الربيع سليمان	١٧٨	أبو بكر الرازي
٩٨	أبو ربيعة بن الأسود	٢٠٣ ، ٦٥	أبو بكر الصديق
٣٣٨	أبو رويحة عبد الله	٢٠٤	
٢٧٤	أبو الزناد	٢٦٢	أبو بكر مسروح
٢٤٦ ، ٢٣٩	أبو سعيد الخدري	٢٩٢ ، ٢٤٤	أبو بكر بن أحمد
٢٦٠	أبو سعيد بن وهب		السلامي
٢٥٥	أبو سفيان بن الحارث	٨٧	أبو الجوزاء
٧٣ ، ٧١	أبو سفيان بن حرب	١٨٩	أبو حاتم
١٦٥	أبو شامة	٢٧٣	أبو حازم
٩٣ ، ٥٣	أبو صالح	١١٤	أبو حامد
٦٩ ، ٦٥	أبو طالب	٣٠٤	أبو حبيبة بن الأزعر
١٧٨	أبو طاهر القرمطي	٢١٨	أبو حيلة
٣٣٧	أبو طاهر الحسين بن علي	٢٥٥	أبو حية
		٢٥٣	أبو حذيفة اليمان

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
أبو طاهر سليمان بن الحسن	١٧٦ ، ١٧٧	أبو الفتح الأزدي	٣٣٥
أبو طلحة عبد الله	١٠٠	أبو الفتح البغدادي	
أبو الطفيل	١٧٤	أبو القاسم القشيري	٣٣٧
أبو عامر الراهب	٣٠٤	أبو القاسم طاهر بن يحيى	٢٣٥
أبو العباس السفاح	٩١	أبو قحافة	٣٢٢
أبو العباس بن الربيع	٩١	أبو لبانة	٢٧٩
أبو العباس أحمد	٢٤٧	أبو لؤلؤة فيروز	٣٢٣
أبو العباس الفضل	١٧٧	أبو لهب	١٨٧ ، ٧٥
أبو عبد الله المرزباني	٢٢٩	أبو محمد الخزاعي	١٧٥ ، ١٤٧
أبو عبد الله بن عتاب	٣١٩	أبو محمد عبد السلام	٢٣٨
أبو عبد الله محمد بن علي	١٤٣	أبو مرثد بن مسعود	٢٧٩
أبو عبيد	٨٦	أبو مريم	٣٠٧
أبو عبيد البكري	١٦٥ ، ١٦٦	أبو مسعود الثقفي	٩٠ ، ٨٩
أبو عبيد الجرهمي	٢٣٢	أبو مصعب المكي	٢٠٢
أبو عبيد المازني	٢٣٨	أبو معاذ النحوي	٣١٧
أبو عبيد القاسم بن سلام	١١٣ ، ٢٣٥	أبو معبد أكثم بن أبي الجون	٢٢٦
أبو عبيدة بن الجراح	٢٧٩	أبو موسى الأشعري	٢٤٤
أبو علقمة	٣٢٦	أبو موسى الأصفهاني	
أبو عمرو	٤٣	أبو نجيح	١٢١
أبو عمرو ثابت بن وقش	٢٥٣	أبو نعيم الحافظ	١٩٤
أبو عمرو بن الصلاح	٣٣٤	أبو هريرة	١١٢ ، ١١٤
أبو غبشان اسمه سليم	٥٩ ، ٦١	أبو وائل	١١٦
		أبو وهب بن عمرو	٩٨

الأبناء

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
ابن الأثير	١٦٥ ، ١٧٨	ابن سعد	٢٥٣
ابن أبي تجرة	١٠١	ابن سلمان	٢٣٥
ابن أبي جمرة	١٩٧	ابن السنن	٢٣٦
ابن أبي الدم	١٧٩	ابن شاكر الكتبي	١٧٩
ابن أبي الصيف	١٨٨	ابن شهاب	٢٦٣
ابن أبي مليكة	١٢٩ ، ١٩٧	ابن صديق	١٧
ابن إسحاق	٤٩ ، ٥٨	ابن عباس	٢٥ ، ٢٦
	٦٩		٢٧
ابن أم مكتوم	٢٢٨	ابن عبد ربه	١٦٠
ابن بشكوال الحافظ	٣٤٢	ابن العربي	٢٤٥
ابن بفلجة	٢٠٦	ابن عساكر	٤١
ابن جبير	١٥٩ ، ١٨٥	ابن عطية	١٤٨ ، ١٦٥
ابن جدعان		ابن عمر	١١٢ ، ١١٩
ابن جريح	٣٢ ، ٣٤	ابن عمران المالكي	٣٣٤
	٥٨	ابن عمرو بن حديده	٢٥٥
ابن جماعة	١٣٢	ابن عيينة	٢٣٣
ابن جنى	٩٣	ابن قتيبة	٦٦ ، ٢١٦
ابن الجوزي	٢٥ ، ٤٣	ابن قدرة	٣١
	٤٦ ، ٣١٩	ابن قمعة	٢٥٣
ابن الحاج المالكي	١٤٧ ، ١٩٩	ابن قيس	٢٥٥
ابن رشيد	١٨٨	ابن كثير الحافظ	١٩١
ابن زباله	٢٤٩ ، ٢٧٥	ابن محارب	١٧٧
ابن الزبير	٣٩ ، ٩٣	ابن المرجاني	١٨٣

الاسم	رقم الصفحة
ابن مزنة	٢٠٧
ابن مسعود	١٢٨ ، ٨٧
ابن النجار	٢٤٤ ، ٢٤٣
ابن النقاش	١٩١ ، ١٦٩
ابن نوبة المسمى بالحسن	٢٩٦
ابن هشام	١٩٠ ، ١٣٨
ابن وردان	٣٢٨
ابن وضاح	٣١٩

النساء

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
أسماء بنت أبى بكر	١٧٠ ، ١٠٤	صفية بنت شيبه	١٧٣
أسماء بنت حارثة	٢٧٩	طريفة الكاهنة	٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥
أسماء زوج أبى بكر	٣٢٢	عائشة رضى الله عنها	٦٦ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٣٠٣
أمة العزيز	٣١٥	عاتكة بنت عبد الله	٢٩٠ ، ٢٩١
حبى بنت نخليل	٥٧ ، ٥٩ ، ٦١	عبرة بنت عامر	٣٠٣
حبيبة بنت خارجة	٢٧٨ ، ٢٩٥	عناق أم عوج	٢١٥
حفصة بنت عمر	٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦	فاختة بنت زهير بن حرب	١٠٣
حواء	١٩١	فاطمة رضى الله عنها	١٨٦ ، ١٨٧
الجهة أم الخليفة	٢٣٣ ، ٢٨٦	فاطمة بنت الحسين	٢٤٩
خديجة رضى الله عنها	١٨٨ ، ١٨٧	فاطمة بنت عتبة	٢٨٠
الخيزران أم الخليفتين	١٨٥ ، ١٨٩	فاطمة بنت عمرو	٥٨
رعدة بنت مضاض	٥٢	مؤنسة جارية هارون	٢٧٧
زبيدة أم جعفر	١٨٥ ، ٢١١	مليكة أخت ابن خارجة	٣٠٣
زينب بنت جحش	٢٥٣	ميمونه رضى الله عنها	٣١٧
زينب بنت القاضى	٢٠٧	نائلة بنت ذئب	٥٢ ، ٥٣ ، ٧٢
سارة امرأة إبراهيم	٢٤ ، ١٣٢	نتيلة بنت جناب	١١٩
سامة بنت مهلهل	٣٥	هاجر أم إسماعيل	٣٣
سحر أم ولد هارون	٢٨٦	هيرة بنت عامر	٥٧
سلسبيل أم ولد جعفر	٢٨٦	أم إبراهيم مارية القبطية	٣٠٣
سودة رضى الله عنها	٢٦٨ ، ٣٠٩		
الست أخت الملك الناصر	٢٠٧		

الاسم	رقم الصفحة
أم أبى بردة	٣٠٨
أم إسماعيل	١٣٣ ، ١٣٢
أم الدرداء	٣٣٨
أم جعفر بنت أبى الفضل	٢١١ ، ٢١٠
أم الحسين بنت القاضي	٢٠٦
أم رومان	٣٠٩
أم سلمة	٢٦٩ ، ٢٥٣
أم سليمان المتصوفة	٢١٢ ، ٢٠٦
أم عاصم بنت أو أخت عاصم	٣٠٩
أم عبد الله بن عامر	١٧٣
أم كلثوم بن الهدم	٢٦٥
أم معبد الخزاعية	٢٢٥
أم نهشل ابنة عبيدة	١٢٨
أم هانئ بنت أبى طالب	٩٣ ، ٦٧
ابنة خارجة	٣١٨
بنت مضاض بن عمرو	٤٩

فهرس المساجد

اسم المسجد	رقم الصفحة	اسم المسجد	رقم الصفحة
مسجد إبراهيم	٤٨ ، ١٨٣ ،	مسجد بنى معاوية	٣٠٢
مسجد أبى بن كعب	٣٠٨	مسجد بنى وائل	٣١٠
مسجد أبى بكر	٣٠٤ ، ١٨٠	مسجد بنى واقف	٣٠٩
مسجد أبى ذر الغفارى	٣٠٤	مسجد البيعة	١٨١
مسجد الإجابة	١٨١	مسجد التنعيم	١٨٣
مسجد بنى أمية بن زيد	٣٠٩	مسجد التوبة	٣٠٩
مسجد بنى أنيف	٣٠٩	مسجد الجعرانة	١٨٤
مسجد بنى بياضة	٣١٠	مسجد الجمعة	٣٠١
مسجد بنى جديلة	٣٠٨	مسجد الجخن	١٨١
مسجد بنى حارثة	٣٠٨	مسجد الحرس	١٨١
مسجد بنى الحارث	٣٠٨	مسجد حمزة	٣٠٤
مسجد بنى حزام	٣٠٠	مسجد الخيف	١٨٢ ، ٤٦ ،
مسجد بنى الحبلى	٣٠٨	مسجد دمشق	٢٨٤
مسجد بنى خدرة	٣٠٧	مسجد ذى الحليفة	٣١١
مسجد بنى دينار	٣٠٨	مسجد الراية	٢٠٦ ، ١٨٠
مسجد بنى زريق	٣٠٦	مسجد رسول الله ﷺ	٣١٤
مسجد بنى ظفر	٣٠٢	مسجد الزبير	٣١١
مسجد بنى عبد الأشهل	٣٠٨	مسجد سعد بن خيثمة	٣٠٩
مسجد بنى عدى بن النجار	٣٠٧	مسجد الشجرة	١٨١
مسجد بنى قريظة	٣٠١	مسجد الشمس	٣٠١
مسجد بنى مازن	٣٠٨	مسجد الشيعتين	٣٠٩
		مسجد الصفراء	٣١٣

اسم المسجد	رقم الصفحة
مسجد الضرار	٣٠٤
مسجد على بن أبى طالب	٢٩٩ ، ٣٠٤
مسجد العجوز	٣١٠
مسجد الغزالة	٣١٢
مسجد الفتح	٢٦٢ ، ١٨٤
مسجد الفضيل	٣٠٠
مسجد فيفاء الخيار	٣١٠
مسجد قار النابغة	٣٠٧
مسجد قباء	٢٤٦ ، ٢٤٤
	٣٩٨ ، ٢٥٠
مسجد القبلتين	٢٩٩
مسجد الكبش	١٨٢
مسجد الكوفة	١٠٢
مسجد المختبئ	١٨٠
مسجد المرسلات	١٨٤
المسجد النبوى	٢١٣
مسجد النور	٣٠٩
المسجد الأقصى	٢٨٤

فهرس البلدان والأماكن

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
أحياد	٤٩ ، ٥٠	الحبشة	٨١ ، ٨٨
	٥٦		٩٠
أحيادين	٤٩ ، ٥١	الحجاز	١١ ، ٢٥
	٢١١		٤٤
أصبهان	٤٤	الحره	٢٨٦ ، ٢٨٧
أمج	٧٦	الجزورة	١٣٥ ، ١٤٩
الأراك	٥٥		٣١٢ ،
الأنبار	٤٤	الحيرة	٤٤
الأندلس	٢٩٦	نخير	٥٥
بابل	٢٥ ، ٤٣	دمشق	٢٨٤
	٤٤	الدشت	٣٠٣
بصرى	٥٦	ذو أروان	٣٠٤
بطحان	٢٣٥ ، ٢٥٠	الردم	١٨٥
بغداد	١٧٧	الروم	٢٣ ، ٢٤
بيت المقدس	١٨ ، ٢٣		٩٦
	٢٤	سبأ	٧٨ ، ٧٩
البربر	٤٤		٢١٧
البسوم	٧٩	سرنديب	٤٦
تهامة	٧٤ ، ١٠٢	السافلة	٢١٦
جهينة	٢٥٥	السودان	٢٤ ، ٨٩
الجزيرة	٤٠ ، ٥٧	الشام	٢٥ ، ٣٣
حلى	٥٥		٣٤
حمير	٧٨ ، ٨٢	صنعاء	٧٨ ، ٧٩
			٨١

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
الصفاء	٥٣، ٤٧	قيقعان	٥٠٠، ٤٩
	٥٦		٥١
الصين	٢٥	كوئي	٤٠
الطائف	٦٩، ٦٨	مزدلفة	٤٨، ٤٧
	٧٤		٢٠٩
عدن	٥٨	مصر	٦٠، ٢٥
عرفات	٤٧، ٣١		١١٩
	٥٩	مكة المشرفة	٢٣، ٢١
عسفان	١٨٥، ١٨٦		٢٥
عسقلان	٢١٥	منى	٥٩، ٤٧
عمان	٥٦، ٥٥		١٠٦
عوير	٥٦	الماحشونية	٢٣٥
العراق	٥٦، ٢٥	المدينة	٥٦، ٢٣
العقبة	٤٧		١٢٠
العقيق	٢١٦	المروة	٥٣، ٤٧
غزة	٢١٥		٧٢
غسان	٧٣، ٥٦	المغمس	٨٣، ٨٢
غطفان	٢٦٠	نجد	٢٥
غمدان	٢٢٢، ٧٩	نجران	٧٨
فارس	٢٤، ٢٣	هيت	٥٧، ٤٠
فلسطين	٢٧٤، ٢٠٥	الهند	٢٨، ٢٤
القاهرة	١٧، ١١	يثرب	٤٧
	٢١٢		٧٣، ٥٥
قنوني	٥٤	اليمن	٢١٨
			٤٨، ٢٥

فهرس القبائل

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
أزد عمان	٥٦، ٥٥	بنو الحارث	٢٣٥
الأوس	٥٦، ٥٥	بنو الحسين بن على	٢٤٤
	٧٣	بنو حطمة	٣١٠
جرهم	٣٤، ٩	بنو زهرة	٩٨، ٩٦
	٤٨	بنو ساعدة	٢٤٥
جهينة	٥٥	بنو سهم	١٧٤، ٩٦
خثعم	٨٢	بنو الشيبان بن عدى	١٧١
خزاعة	٥٦، ٥٥	بنو شيبية	١٠٩، ٦٤
	٥٧	بنو طلحة	٦٣
الخزرج	٧٣، ٥٥	بنو عامر بن لوى	١٧١، ٩٦
	٢١٦		٢٦٠
قضاة	٥٨، ٥٥	بنو عبد الأشهل	
	٥٩	بنو عبد الدار	٩٦، ٦٤
قريش	٥٧، ٤٠	بنو عبد المطلب	٦٩
	٥٨	بنو عدى بن كعب	٩٦
بنو أخطب	٢٦٣	بنو عفراء	٢٦٦
بنو أسد بن عبد العزى	٩٦	بنو عمرو بن سالم	٢٦٥
بنو إسماعيل	٦٩	بنو عمير	١٦
بنو بكر	٨٤	بنو قريظة	٢٦٠، ٢١٦
بنو بياضة	٣١٠	بنو قيس بن ثعلبة	٢٢٩
بنو تميم	٩٨، ٩٦	بنو كنانة	٦٠، ٥٩
بنو الجذمي		بنو مالك	٢٦٦، ٨١
بنو جشم	٢١٨	بنو مخزوم	٩٨، ٩٦
بنو جمح	١٨٥، ٩٦		

الاسم	رقم الصفحة
بنو معاوية بن النجار	٢٦٣ ، ٢١٧
بنو النضير	٢٣٥ ، ١١
بنو هاشم	١٧١ ، ١١٨
بنو هذيل	٢١٦ ، ٢٠٦

فهرس الجبال

رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة	الاسم
٤٤ ، ٤٦	جبل سرنديب	٢٥ ، ٣٨	جبل أبو قبيس
١٩٢		٣٩	
٢٨ ، ٣٨	جبل طور زيتا	٧١ ، ١٩٢	جبل أحد
٢٨ ، ٣٨	جبل طور سيناء	١٩٣	
١٩١		١٩٠	الجبل الأحمر
١٩٣	جبل الطور	٦٩	جبل بدر
٢٥٧	جبل عنين	٢٦٠	جبل بنى عبيد
١٩٢	جبل غير	١٩٢ ، ١٩٧	جبل ثبير
٢٤	جبل قاسيون	٢٥٢ ،	
١٩٢	جبل قاف	١٩٣ ، ١٩٦	جبل ثور
١٩٢ ، ١٩٣	جبل قديد	٢٣٨ ،	
٢٨ ، ٣٨	جبل لبنان	٤٤	جبل حدة
٤٤	جبل نوى	٢٨ ، ٣٢	جبل الجودى
١٨٦	جبل النوبى	٣٣	
١٩٧	جبل النور	٢٨ ، ٣٨	جبل حراء
٤٤	جبل الهند	١٩٢	
٤٤	جبل واسم	١٩٣	جبل خصيب
١٩٢ ، ٢٥٢	جبل ورقان	١٩٣ ، ٢٦٠	جبل الخندق
		١٩٣	جبل خيبر
		١٨٠	جبل الديلم
		٢٦١	جبل رايح
		١٩٢	جبل الردم
		١٩٢ ، ٢٥٢	جبل رضوى

فهرس البحار والأنهار والأبار والعيون

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
بحر الأصم	١٩٢	بئر حاء	٢٤٣
بحر الباكي	١٩٢	بئر حزورة	١٥٤
بحر سدوم	١٠٢	بئر خم	٢٠٩ ، ٦٧
بحر الساكن	١٩٢	بئر ذى أروان	٣٠٦
بحر قيس	١٩٢	بئر رومة	٢٤٧
بحر مايس	١٩٢	بئر زمزم	١٤٣ ، ١٤٢
بحر المحيط	١٩٢	بئر الزاكية	٢٠٩
بحر المظلم	١٩٢	بئر الزاهر	٢٠٩
بحر الملاحم	١٩٣	بئر سجلة	٢٠٨ ، ٦٨
بحر يبطس	١٩٢	بئر الشعبة	٣١٣
نهر جيحون	١٩٣ ، ٢٤	بئر الطنبداوية	٢٠٩
نهر دجلة	٢٤	بئر العهن	٢٤٨ ، ٢٤٧
نهر سيحون	١٩٣ ، ٢٤	بئر غرس	٢٤٥
نهر الفرات	١٩٣ ، ٢٤	بئر ميمون الحضرمي	٦٨ ، ٦٧ ،
نهر النيل	٢٤ ، ٤٣ ،	بئر الملك المنصور	٢٠٨
بئر أبى عنبة	٢٤٩	عين بازان	٢١١
بئر الأحسف	٧١	عين جالوت	٢٩٠
بئر أريس	٢٤٤	عين الخيف	٢٥٠
بئر بضاعة	٢٤٤	عين المشاش	٣١٥ ، ٢١٠
بئر البصة	٢٤٦		
بئر جبير بن مطعم	٢٠٨		
بئر جمل	٢٤٨		

فهرس الأشعار

١٧٧	أنا بالله وبالله أنـــــــا . . . يخلق الخلق وأفنيهم أنـــــــا
٣٢٤	وواعدنى كعب ثلاثاً أعدهمـــــــا . . . ولا شك أن القول ما قاله كعب
٨٨	أين المفر وإلاله الطالـــــــب . . . والأشرم المغلوب غير الغالب
٣٢٥	وفجعنى فيـــــــروز لا در دره . . . بأبيض تال للكتاب منيب
٣٤٧	يا دار خير المرسلين ومـــــــن به . . . هدى الأنام وخص بالآيات
١٧٢	لاهم أدعوك دعاء جاهـــــــداً . . . اقتل بنى الضبعاء إلا واحدا
٢٢٧	جزى الله رب الناس خير جزائـــــــه . . . رفيقين حلا خيمتى أم معبد
١٦٦	والطير لا يعلو على أركانهمـــــــا . . . إلا إذا أضحى بها متباعدا
٢٨٦	لم يحترق حرم النبى لحـــــــادث . . . يخشى عليه ولا دهاه العار
١٩٥	وجدنا فى كتاب بنى ثيمـــــــم . . . أحق الخيل بالركض المعار
٢٠٤	فخص بذكر الله خير مـــــــغار . . . ولا تتغافل عن هجوم مغار
١٣٨	ادع بالماء الروى غير الكـــــــدر . . . لتسقى حجيج الله فى كل مير
٥٦	كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا . . . أنيس ولم يسمر بمكة سامر
٢٢٧	طلع البدر علينا من ثنيات الوداع . . . وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
٨٤	لاهم إن المرء يمنع رحلـــــــه فامنع حلالك
٨٢	إذا مات الفرزدق فارجمـــــــوه . . . كرجم الناس قبر أبى رغال
٢٠٤	وثانى اثنين فى الغار المنيف قـــــــد . . . طاف العدو به إذ صاعد الجبلا
٣٣٩	ألا أيها الغادى إلى يثرب مـــــــهلاً . . . لتحمل شوقاً ما أطيق له حملاً
٣٠٦	ألا يا سائراً فى قفر عـــــــمرو . . . يكابد فى المسرى وعراً وسهلاً
٢٢٩	ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلـــــــة . . . بواد وحولى إذخمر وجليـل

٣٣٩	تمام الحج أن تقف المطايا . . . على ليلى وتقرئها السلام
٨٥	قلت والأشرم تردى خيلـه . . . إن ذا الأشرم غز بالحـرم
٢٠٥	فهو الذى ريقه يشفى من السقم . . . بتغله حتى حلت الأبار فى الطعم
٣٤٦	يا خير من دفنت بالقاع أعظمه . . . فطاب من طيبهن القاع والأكم
٨٨	ألا حييت هنا يا ردينـا . . . نعمناكم مع الإصباح عينـا
١٩٨	تأمل حراء فى جمال محيـاه . . . فكم من أناس فى حلى حسنه تهواه
٢٩١	سرى نعشه فوق الركاب وطالما . . . سرى جوده فوق الركاب ونائله
٩٤	ما اسم شىء تركيبه من ثلاث . . . وهو ذو أربع تعالى الإله
١٩٤	إذا تذلل الرقاب تخضعـا . . . منا إليك فعزها فى زهـا
٢٢٩	كل امرئ مصبح فى أهله . . . والموت أدنى من شراك نعلـه
٣٤٦	خير المزار لدينا ثم أعظمه . . . وخير من سر عرش الرب مقدمه
٣٤٧	أتيتك زائراً وودت أنسى . . . جعلت سواد عيني أمتطـيه
٣٤٠	ولما رأينا رسم من لم يدع لنا . . . فواداً لعرفان الرسوم ولا لى
٣٢٢	ماذا على من شم تربة أحمد . . . أن لا يشم مدى الزمان غواليـا

قائمة المصادر

- ١ - إتحاف الورى بأخبار أم القرى - لابن فهد ٨٨٥ هـ - طبعة مطبعة الخانكي
- ٢ - الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان - للأمير علاء الدين بن بلبان ٧٣٩ هـ - طبعة مؤسسة الرسالة / الطبعة الأولى
- ٣ - إحياء علوم الدين - للغزالي ٥٠٥ هـ - طبعة دار المعرفة - بيروت
- ٤ - أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه - للإمام محمد بن إسحاق الفاكهي ٢٧٢ هـ - طبعة مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة / الطبعة الأولى
- ٥ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - لأبي الوليد الأزرقى نحو ٢٥٠ هـ - طبعة دار الثقافة بيروت / الطبعة الثالثة
- ٦ - الاختيار لتعليل المختار - عبد الله بن محمود بن مودود - طبعة الأزهر
- ٧ - الأعلام - للزركلى ١٣٩٦ هـ - طبعة دار العلم للملايين - بيروت / الطبعة السابعة
- ٨ - الأوائل - لأبي القاسم الطبراني ٣٦٠ هـ - طبعة دار الفرقان - الأردن ، وموسسة الرسالة - بيروت
- ٩ - الإيضاح فى مناسك الحج - للإمام النووى ٦٧٦ هـ - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت / الطبعة الأولى
- ١٠ - البداية والنهاية - للحافظ ابن كثير ٧٧٤ هـ - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ودار الحديث / الطبعة الأولى
- ١١ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - للشوكاني ١٢٥٠ هـ - طبعة دار المعرفة - بيروت

- ١٢ - تاج العروس - لأبي الفيض محمد مرتضى الزبيدي
المطبعة الخيرية - بحمالية مصر / الطبعة الأولى
تصوير دار صادر - بيروت
- ١٣ - تاريخ الطبري - للإمام أبي جعفر الطبري ٣١٠ هـ
طبعة دار المعارف المصرية / الطبعة الرابعة
- ١٤ - تاريخ المدينة - عمر بن شبه
١٥ - التبر المسبوك - للسخاوي ٩٠٢ هـ
١٦ - تحفة الأشراف - للحافظ المزى ٧٤٢ هـ
طبعة المكتب الإسلامي والدار القيمة / الطبعة الثانية
- ١٧ - تحقيق النصرة - للمراغي
١٨ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - للقرطبي ٦٧١ هـ
طبعة المكتبة التوفيقية / الطبعة الثانية
- ١٩ - الترغيب والترهيب - للحافظ المنذرى ٦٥٦ هـ
طبعة دار الحديث / الطبعة الأولى
- ٢٠ - التعريف بما آتست المحجرة - جمال الدين المطري
٢١ - تفسير ابن أبي حاتم - للإمام ابن أبي حاتم الرازي ٣٢٧ هـ
رسائل دكتوراه
- ٢٢ - تفسير ابن كثير - للحافظ ابن كثير ٧٧٤ هـ
طبعة دار التراث - ودار المعرفة
- ٢٣ - تقريب التهذيب - للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢ هـ
طبعة دار العاصمة
- ٢٤ - تلخيص المستدرک (بهامش مستدرک الحاكم) - للذهبي ٧٤٨ هـ
طبعة دار المعرفة
- ٢٥ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - لابن عبد البر ٤٦٣ هـ
طبعة وزارة الأوقاف المغربية / الطبعة الأولى

- ٢٦ - تهذيب الأسماء واللغات - للإمام النووي ٦٧٦ هـ - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت
- ٢٧ - تهذيب تاريخ دمشق - لعبد القادر بن بدران ١٣٤٦ هـ - طبعة دار المسيرة - بيروت / الطبعة الثانية
- ٢٨ - تهذيب الكمال - للحافظ المزى ٧٤٢ هـ - طبعة مؤسسة الرسالة / الطبعة الثانية
- ٢٩ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للإمام الطبري ٣١٠ هـ - طبعة دار الفكر - بيروت ودار المعارف المصرية
- ٣٠ - الجامع الصغير - السيوطي ٩١١ هـ - طبعة مصطفى الحلبي
- ٣١ - الجامع لأحكام القرآن - للإمام محمد بن أحمد القرطبي ٦٧٦ هـ - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب / الطبعة الثالثة
- ٣٢ - الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف - لابن ظهيرة القرشي - طبعة إحياء الكتب العربية / الطبعة الأولى
- ٣٣ - حياة الحيوان - للدميري - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت / الطبعة الأولى
- ٣٤ - الدرة الثمينة - محب الدين بن النجار ٦٤٣ هـ - طبعة مكتبة الثقافة الدينية / الطبعة الأولى
- ٣٥ - دلائل النبوة - للبيهقي ٤٥٨ هـ - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت / الطبعة الأولى
- ٣٦ - الروض الأنف - للسهيلي ٥٨١ هـ - طبعة دار الفكر
- ٣٧ - زاد المعاد في هدى خير العباد - لابن القيم ٧٥١ هـ - طبعة مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية / الطبعة الخامسة عشر
- ٣٨ - سنن ابن ماجه - للحافظ أبي عبد الله القزويني ٢٧٥ هـ - طبعة إحياء الكتب العربية

- ٣٩ - سنن أبي داود - لأبي داود السجستاني ٢٧٥ هـ -
طبعة دار الفكر والمكتبة العصرية - بيروت
- ٤٠ - سنن الترمذی - للإمام أبي عيسى الترمذی ٢٧٩ هـ -
طبعة إحياء التراث العربی ودار الكتب العلمية - بيروت
- ٤١ - سنن الدارقطني - للدارقطني ٣٨٥ هـ -
طبعة دار الفكر - بيروت
- ٤٢ - سنن الدارمی - الدارمی ٢٥٥ هـ -
طبعة الريان / الطبعة الأولى
- ٤٣ - سنن النسائي (وبهامشها شرح السيوطی وحاشية السندی) - للإمام أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣ هـ / طبعة دار الريان
- ٤٤ - سنن النسائي الكبرى - للإمام أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣ هـ -
طبعة دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى
- ٤٥ - سير أعلام النبلاء - للذهبي ٧٤٨ هـ -
طبعة مؤسسة الرسالة / الطبعة الأولى
- ٤٦ - سيرة ابن هشام (مع شرح أبي ذر الخشنی ومع الروض الأنف للسهيلي) - لابن هشام ٢١٨ هـ - طبعة مكتبة المنار - الأردن / الطبعة الأولى
- ٤٧ - شرح سيرة ابن هشام - لأبي ذر الخشنی ٦٠٤ هـ -
طبعة مكتبة المنار - الأردن / الطبعة الأولى
- ٤٨ - شرح صحيح مسلم - للإمام النووي ٦٧٦ هـ -
طبعة دار الريان - الطبعة الأولى
- ٤٩ - شعب الإيمان - البيهقي ٤٥٨ هـ -
طبعة دار الكتب العلمية
- ٥٠ - الشفاء - القاضي عياض ٥٤٤ هـ -
طبعة دار التراث

- ٥١ - صحيح ابن خزيمة - لإمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ٣١١ هـ - طبعة المكتب الإسلامي / الطبعة الأولى
- ٥٢ - صحيح البخاري - الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦ هـ - طبعة دار الريان / الطبعة الأولى
- ٥٣ - صحيح مسلم - الإمام مسلم بن الحجاج ٢٦١ هـ - طبعة إحياء الكتب العربية
- ٥٤ - صفة الصفوة - ابن الجوزي ٥٩٧ هـ - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت / الطبعة الأولى
- ٥٥ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - للسخاوي ٩٠٢ هـ - طبعة دار مكتبة الحياة - بيروت
- ٥٦ - طبقات الشافعية الكبرى - لتاج الدين السبكي ٧٧١ هـ - طبعة دار إحياء الكتب العربية
- ٥٧ - الطبقات الكبرى - لابن سعد ٢٣٠ هـ - طبعة دار صادر - بيروت
- ٥٨ - العبر في خبر من غير - للذهبي ٧٤٨ هـ - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت / الطبعة الأولى
- ٥٩ - عجائب المخلوقات (بهامش حياة الحيوان للدميري) - للقزويني - عرائس المجالس - للثعلبي
- ٦٠ - عرائس المجالس - للثعلبي - طبعة مكتبة الشمري
- ٦١ - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين - للإمام محمد بن أحمد الفاسي ٨٣٢ هـ - طبعة مؤسسة الرسالة / الطبعة الثانية
- ٦٢ - عمل اليوم واليلة - ابن السني ٤٦٣ هـ - طبعة دار المعرفة - بيروت
- ٦٣ - عون المعبود شرح سنن أبي داود - شمس الحق العظيم آبادي - طبعة دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى

- ٦٤ - غريب الحديث - لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤ هـ -
 طبعة دار الكتاب العربي - بيروت - مصورة عن طبعة حيدرآباد - الهند
- ٦٥ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - للحافظ ابن حجر ٨٥٢ هـ -
 طبعة دار الريان / الطبعة الأولى
- ٦٦ - الفتن - لنعيم بن حماد ٢٢٩ هـ -
 طبعة المكتبة التجارية - مكة المكرمة
- ٦٧ - القاموس المحيط - للفيروزآبادي ٨١٧ هـ -
 طبعة مؤسسة الرسالة / الطبعة الثانية
- ٦٨ - قصص الأنبياء - ابن كثير ٧٧٤ هـ -
 طبعة دار القلم - بيروت
- ٦٩ - الكامل في التاريخ - للإمام محمد بن محمد بن عبد الكريم
 المعروف بابن الأثير ٦٣٠ هـ - طبعة دار الكتاب العربي - بيروت / الطبعة السادسة
- ٧٠ - الكامل في ضعفاء الرجال - لابن عدي ٣٦٥ هـ -
 طبعة دار الفكر - بيروت / الطبعة الثالثة
- ٧١ - الكشف - للزنجشري ٥٣٨ هـ -
 طبعة دار المعرفة - بيروت
- ٧٢ - كشف الأستار في زوائد مسند البزار - للهيتمي ٨٠٧ هـ -
 طبعة مؤسسة الرسالة / الطبعة الثانية
- ٧٣ - كشف الخفا ومزيل الإلباس - للعجلوني ١١٦٢ هـ -
 طبعة إحياء التراث العربي
- ٧٤ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة - للسيوطي ٩١١ هـ -
 طبعة دار المعرفة - بيروت
- ٧٥ - لسان العرب - لابن منظور ٧١١ هـ -
 طبعة دار صادر - بيروت

- ٧٦ - المبسوط - لشمس الأئمة السرخسي ٤٩٠ هـ - طبعة دار المعرفة - بيروت
- ٧٧ - مثير الغرام - لابن الجوزي ٥٩٧ هـ - طبعة دار الحديث / الطبعة الأولى
- ٧٨ - مجمع الزوائد - للهيثمي ٨٠٧ هـ - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت
- ٧٩ - المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث - للإمام أبي موسى المديني ٥٨١ هـ - طبعة دار المدني / الطبعة الأولى
- ٨٠ - مختصر سنن أبي داود - للمنذري ٦٥٦ هـ - طبعة دار المعرفة - بيروت
- ٨١ - المدهش - لابن الجوزي ٥٩٧ هـ - طبعة دار الجليل - بيروت
- ٨٢ - المستدرك على الصحيحين - للإمام عبد الله الحاكم ٤٠٥ هـ - طبعة دار المعرفة - بيروت
- ٨٣ - مسند أبي داود الطيالسي - لأبي داود الطيالسي ٢٠٤ هـ - طبعة دار المعرفة
- ٨٤ - مسند الإمام أحمد - للإمام أحمد ٢٤١ هـ - طبعة المكتب الإسلامي / الطبعة الخامسة - دار المعارف تحقيق أحمد شاکر
- ٨٥ - مسند الحميدي - للإمام أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ٢١٩ هـ - طبعة توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية
- ٨٦ - مشارق الأنوار - للقاضي عياض ٥٤٤ هـ - طبعة المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة
- ٨٧ - مصابح الزجاجية في زوائد ابن ماجه - للبوصيري ٨٤٠ هـ - طبعة دار الكتب الحديثة
- ٨٨ - مصنف ابن أبي شيبة - لأبي بكر بن أبي شيبة ٢٣٥ هـ -

- ٨٩ - مصنف عبد الرزاق - للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام ٢١١ هـ
توزيع المكتب الإسلامي / الطبعة الأولى
- ٩٠ - معالم التنزيل - للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ٥١٦ هـ
طبعة دار المعرفة / الطبعة الأولى
- ٩١ - معالم السنن (مع مختصر السنن وتهذيب السنن) - للخطابي ٣٨٨ هـ
طبعة دار المعرفة - بيروت
- ٩٢ - المعجم الأوسط - للطبراني ٣٦٠ هـ
طبعة دار الحرمين
- ٩٣ - معجم البلدان - لياقوت الحموي ٦٢٦ هـ
طبعة دار صادر - بيروت
- ٩٤ - المعجم الكبير - للطبراني ٣٦٠ هـ
الطبعة الثانية
- ٩٥ - معجم المؤلفين - لعمر رضا كحالة
طبعة مكتبة المثنى - بيروت ، ودار إحياء التراث العربي - بيروت
- ٩٦ - المعجم الوسيط
طبعة مجمع اللغة العربية / الطبعة الثالثة
- ٩٧ - المغازي - للواقدي محمد بن عمر ٢٠٧ هـ
طبعة عالم الكتب - الطبعة الثالثة
- ٩٨ - المغنى عن حمل الأسفار - للحافظ زين الدين العراقي ٨٠٦ هـ
طبعة دار المعرفة - بيروت
- ٩٩ - المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة - للسخاوي ٩٠٢ هـ
طبعة مكتبة الخانجي / الطبعة الثانية
- ١٠٠ - ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة - لأبي عبد الله بن رشيد ٧٢١ هـ
طبعة دار الغرب الإسلامي / الطبعة الأولى

- ١٠١ - المنار المنيق فى الصحيح والضعيف - لابن القيم ٧٥١ هـ
طبعة مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب / الطبعة الثانية
- ١٠٢ - مناقب الإمام الشافعى - لفخر الدين الرازى ٦٠٦ هـ
طبعة الكليات الأزهرية / الطبعة الأولى
- ١٠٣ - المنتخب من مسند عبد بن حميد - للإمام ابن محمد عبد بن حميد ٢٤٩ هـ
طبعة عالم الكتب / الطبعة الأولى
- ١٠٤ - المنمق فى أخبار قریش - لمحمد بن حبيب البغدادى ٢٤٥ هـ
طبعة عالم الكتب - بيروت / الطبعة الأولى
- ١٠٥ - المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - لابن تغرى بردى الأتابكى ٨٧٤ هـ
طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب
- ١٠٦ - المؤلف والمختلف - للدارقطنى ٣٨٥ هـ
طبعة دار الغرب الإسلامى - بيروت / الطبعة الأولى
- ١٠٧ - الموضوعات - لابن الجوزى ٥٩٧ هـ
طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة / الطبعة الأولى
- ١٠٨ - الموطأ - للإمام مالك بن أنس ١٧٩ هـ
طبعة إحياء الكتب العربية
- ١٠٩ - ميزان الاعتدال - للذهبي ٧٤٨ هـ
طبعة دار المعرفة - بيروت
- ١١٠ - نظم العقيان - للسيوطى ٩٠٩ هـ
- ١١١ - النهاية فى غريب الحديث - لابن الأثير
طبعة إحياء الكتب العربية
- ١١٢ - الوسائل إلى معرفة الأوائل - للسيوطى ٩١١ هـ
طبعة دار الوفاء - المنصورة ومكتبة ابن قتيبة - الكويت / الطبعة الأولى
- ١١٣ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى - للسهمودى
طبعة دار التراث

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١	مقدمة التحقيق
١	خصائص البيت الحرام وفضائله
٤	خصائص المدينة وفضائلها
٧	أهمية دراسة تاريخ مكة والمدينة
٨	أهمية الكتاب
٨	منهج المصنف فى كتابه
١١	أهم الكتب التى اعتمد عليها المصنف
١١	توثيق الكتاب
١٢	وصف النسخة
١٢	عملنا فى الكتاب
١٦	ترجمة المصنف
٢٠	مقدمة المؤلف
٢١	الباب الأول فى تاريخ مكة
٢٢	ذكر ما كانت الكعبة عليه فوق الماء قبل خلق السموات والأرض
٢٦	ذكر بناء الملائكة الكعبة قبل آدم ومبتدأ الطواف
٢٧	ذكر هبوط آدم إلى الأرض وبنائه الكعبة وحججه وطوافه بالبيت
٣٢	ما جاء فى رفع البيت المعمور من الفرق
٣٢	بناء ولد آدم البيت
٣٢	طواف سفينة نوح بالبيت
٣٣	أثر الكعبة بين نوح وإبراهيم واختيار إبراهيم موضع البيت
٣٣	ما جاء فى إسكان إبراهيم ابنه وأمه فى بدء أمره عند البيت

٣٤	نزول جرهم مع أم إسماعيل الحرم
٣٥	بناء إبراهيم الكعبة
٤٧	حج إبراهيم وطوافه وأذانه في الحج
٤٩	ولاية بنى إسماعيل الكعبة من بعده وأمر جرهم
٥٣	ولاية خزاعة الكعبة بعد جرهم وأمر مكة
٥٨	ولاية قصي بن كلاب البيت الحرام وأمر مكة
٦٩	ما جاء في عبادة بنى إسماعيل الحجارة
٧٠	أول من نصب الأصنام في الكعبة والاستقسام بالأزلام
٧٢	أول من نصب الأصنام وما كان من كسرها
٧٦	مسيرة تبع إلى مكة
٧٨	مبتداً حديث الفيل
٧٨	ذكر الفيل حين ساقته الحبشة
٨٦	صفة الطير الأبايل
٨٨	السبب الذي جر حديث أصحاب الفيل
٩١	تاريخ عام الفيل
٩٤	بعض صفات الفيل
٩٥	ذكر بناء قريش الكعبة في الجاهلية
١٠٣	الوقت الذي كانوا يفتحون فيه الكعبة وأول من خلع النعل عند دخولها
١٠٤	ذكر بناء ابن الزبير الكعبة وأمر الحجاج
١١٤	عدد مرات بناء الكعبة
١١٥	ذكر الحب الذي كان في الكعبة وما لها الذي كان فيه
١١٧	ذكر من كسا الكعبة في الجاهلية
١١٨	ذكر من كساها في الإسلام وطبيها وخدمها
١٢١	ما جاء في تحرير الكعبة
١٢٢	أسماء الكعبة وأن لا يبنى بيت يشرف عليها

١٢٣	أول من استصبح حول الكعبة وفى المسجد الحرام
١٢٥	ذرع الكعبة من داخل وخارج
١٢٦	ذكر ما يدور بالحجر الأسود من الفضة
١٢٧	ما جاء فى مقام إبراهيم عليه السلام
١٢٨	موضع المقام وكيف رده عمر إلى موضعه هذا
١٣٠	ما جاء فى الذهب الذى على المقام ومن جعله عليه
١٣١	ذكر ذرع المقام
١٣٢	إخراج جبريل زمزم لأم إسماعيل
١٣٣	ليس لأحد أن يتعلق بقصة إبراهيم فى طرح ولده وعياله
١٣٥	ما جاء فى حفر عبد المطلب بن هاشم زمزم
١٤٢	ذكر علاج زمزم فى الإسلام
١٤٣	ذكر فضل زمزم وخواصها
١٤٨	ذكر ذرع بئر زمزم
١٤٩	ذكر سقاية العباس بن عبد المطلب
١٤٩	حد المسجد الحرام والنوم والوضوء فيه وأول من أدار الصفوف
١٥٠	ذكر ما كان عليه المسجد الحرام وعمارته إلى زمن المصنف
١٥٥	ذكر عمل عمر بن الخطاب وعثمان
١٥١	ذكر بنيان ابن الزبير وعبد الملك بن مروان
١٥٢	ذكر عمل الوليد بن عبد الملك
١٥٢	عمل أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور
١٥٣	ذكر زيادة المهدي الأولى
١٥٣	ذكر زيادة المهدي الثانية
١٥٤	ذكر ذرع المسجد الحرام
١٥٤	ذكر عدد الأساطين فى رواقات المسجد الحرام
١٥٥	ذكر عدد أبواب المسجد الحرام وأسمائها وصفتها

١٥٩	ذكر منارات المسجد الحرام وما وضع فيه
١٦٠	ذكر المنابر التي يُخطب عليها وأول من خطب على منبر بمكة
١٦١	المقامات التي كانت في زمن المصنف بالمسجد الحرام
١٦٤	ذكر درج الصفا والمروة
١٦٥	ذكر آيات البيت الحرام زاده الله تشريفاً
١٧٦	آيلت الحجر الأسود
١٧٩	الأماكن المباركة بمكة المشرفة وحرمها
١٨٤	المواضع المباركة بمكة المعروفة بالمواليد
١٨٦	الدور المباركة بمكة
١٩٠	الجبال المباركة بمكة وحرمها
١٩٢	فائدة في ذكر جبال الأرض وما هو أعجبها ؟
٢٠٣	فضل أبي بكر الصديق
٢٠٦	ذكر السقايات بمكة المشرفة وحرمها
٢٠٧	ذكر البرك بمكة وحرمها
٢٠٨	ذكر الآبار بمكة وحرمها
٢١٠	ذكر عيون مكة
٢١٢	ذكر المطاهر التي تمكن بمكة
٢١٣	الباب الثاني في تاريخ المدينة
٢١٤	الفصل الأول
٢١٥	ذكر أول من نزل المدينة
٢١٦	ذكر سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق
٢١٧	ذكر نزول الأوس والخزرج المدينة
٢١٨	ذكر قتل اليهود واستيلاء الأوس والخزرج على المدينة
٢٢٠	الفصل الثاني
٢٢١	ذكر ما جاء في فتح المدينة

٢٢٢	ذكر هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة الشريفة
٢٣١	الفصل الثالث
٢٣٢	ذكر حرمة المدينة الشريفة
٢٣٤	ما جاء فى غبار المدينة الشريفة
٢٣٥	ما جاء فى تمر المدينة وثمارها ودعائه ﷺ لها بالبركة
٢٣٦	ذكر ما يؤول إليه أمر المدينة الشريفة
٢٣٧	ما جاء فى تحديد حدود حرم المدينة الشريفة
٢٤١	الفصل الرابع
٢٤٢	ذكر وادى العقيق وفضله
٢٤٣	ذكر الآبار المنسوبة إلى النبي ﷺ
٢٥٠	ذكر عين النبي ﷺ
٢٥١	ذكر جبل أحد والشهداء عنده
٢٥٩	الفصل الخامس
٢٦٠	ذكر جلاء بنى النضير من المدينة
٢٦٠	ذكر حفر الخندق
٢٦٢	ذكر قتل بنى قريظة بالمدينة الشريفة
٢٦٤	الفصل السادس
٢٦٥	ذكر ابتداء بناء مسجد رسول الله ﷺ
٢٦٨	ذكر ما جاء فى قبلة مسجد رسول الله ﷺ
٢٦٨	ذكر حجر أزواج النبي ﷺ
٢٧٠	ذكر مصلى رسول الله ﷺ من الليل
٢٧٠	ذكر قصة الجذع
٢٧٣	ذكر منبر النبي ﷺ وروضته الشريفة
٢٧٧	ذكر سد الأبواب الشوارع فى المسجد

٢٧٧	ذكر تجمير المسجد الشريف وتخليقه
٢٧٨	ذكر موضع تأذين بلال رضى الله عنه
٢٧٨	ذكر أهل الصفة
٢٧٩	ذكر زيادة عمر بن الخطاب فى مسجد رسول الله ﷺ
٢٨٠	ذكر بطحاء مسجد رسول الله ﷺ
٢٨١	ذكر زيادة عثمان رضى الله عنه
٢٨٢	ذكر زيادة الوليد بن عبد الملك بن مروان
٢٨٤	ذكر زيادة المهدي
٢٨٥	ذكر بلاعات المسجد وستائر صحنه والسقايات
٢٨٦	ذكر احتراق المسجد الشريف
٢٩٠	ذكر الخوخ والأبواب التى كانت فى مسجد رسول الله ﷺ
٢٩٣	ذكر ذرع المسجد اليوم وعدد أساطينه وطيقانه
٢٩٦	ذكر أسوار المدينة الشريفة
٢٩٧	الفصل السابع
٢٩٨	ذكر المساجد المعروفة بالمدينة الشريفة
٣٠٦	ذكر مساجد صلى فيها النبى ﷺ بالمدينة الشريفة
٣١١	ذكر المساجد التى صلى فيها النبى ﷺ بين مكة والمدينة
٣١٣	ذكر المساجد المشهورة التى صلى فيها النبى ﷺ فى الغزوات ونحوها
٣١٦	الفصل الثامن
٣١٧	ذكر وفاة رسول الله ﷺ
٣٢٢	ذكر وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه
٣٢٣	ذكر وفاة عمر رضى الله عنه
٣٢٥	ما جاء أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما وعيسى عليه السلام خلقوا من طينة واحدة

٣٢٦	ما جاء فى صفة وضع القبور المقدسة وصفة الحجرة الشريفة
٣٣٣	الفصل التاسع
٣٣٤	ذكر حكم زيارة النبى ﷺ وفضلها
٣٣٩	كيفية زيارته ﷺ وزيارة ضجيعيه رضى الله عنهما
٣٤٣	كيفية السلام عليه ﷺ حال الزيارة والسلام على ضجيعيه
٣٤٨	خاتمة الكتاب